مجلة
كلية الآداب

المجلد الرابع والأربعين العام الجامعي ٩٥/ ١٩٩٦

شعر ابي زبيد الطائي « دراسة تحليلية» ..... تاهد أحمد السيد الشعراوى
قراءة في التجربة النقدية عند منصور الحازمى ..... عبد الله بن سالم المعطانى
دراسة لغوية في وسائل تكوين المصطلحات العلمية في العصر الحديث
..... فريد عوض حيدر
عبيد مدني والانموذج الشعرى ..... غبد المحسن فراج القحطانى
الظروف الاجتماعية والادب التركى في النصف الثانى من القرن التاسع عشر
وبداية القرن العشرين ..... رشيدة رحيم الصبروتى
مجلس الصحابة خلال العصر العباسى الاول ..... سليمان الرحيلى
ملامح الاستراتيجية العثمانية مع مصر والحجاز حول مخصصات الحرمين الشريفين
..... عبد الوهاب بن صالح بابعير
أندرونيقوس كومنين وسياسة بيزنطة الخارجية في عهده .....
..... محمد محمد عبد الحميد فرحات
دور مصر من خلال الجامعة العربية إزاء قضية الجنوب الافريقى . ..... ماهر شعبان
التحولات السياسية وانعكاساتها علي نمو السكان في الجزائر ..... رابح بو دبابة
عدوى السلوك : المفهوم والمضمون ..... دخيل بن عبد الله الدخيل الله
تحليل كمى للعوامل المؤثرة فى تباين تراكيز ملوثات الهواء بمدن البترول بالمملكة
العربية السعودية ..... أحمد جار الله الجار الله
مناظر تيجان الأباطرة الرومان فى رسوم المعابد المصرية الطراز .....
..... عنايات محمد أحمد
الجذر الميثلوجية وأثرها فى فلسفة افلاطون ..... سناء عبد المنعم عيد
The Image of Women in Hellman's The Children's Hour
..... Soad Sobhi
Teaching Stylistics ; Aimes and Scope ....Gouda Batanuni
Afound-topped Wooden Stela. of Na-Menkh-es-Amon ...
..... Suzan Abd El-Latif

مجلة كلية الآداب
مجلس التحرير

رئيس مجلس الادارة

الأستاذ الدكتور محمد عبده محجوب

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور فاروق عثمان أباظة

مدير التحرير

الأستاذ الدكتور محمد بيومى مهران

أعضاء مجلس التحرير

أ. د. سعد زغلول عبد الحميد

أ.د. السيد عبد العاطى السيد

أ. د. عبد الرحمن محمد العيسوى

أ. د. عثمان سليمان مراقى

أ. د. عزيزة سعيد محمود

أ.د. محمد على الكردى

أ. د. محمد عبد المعز نصر

أ. د. محمد محمد حلمى هليل

أ. د. محمد محمود السروجى

أ. د. نادية محمود عبد الله

السيدة / تسبى إبراهيم عبد الغنى (سكرتيرة المجلس)

تصدر « مجلة كلية الآداب » وإصداراتها محكمة عن كلية الآداب بجامعة الإسكندرية وتقدم مخطوطات البحوث مكتوبة على الآلة الكاتبة من ثلاث نسخ . ويجب ألا يزيد عدد صفحات البحث عن ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط مكتوبة على الآلة الكاتبة.

تقدم البحوث وتكون جميع المراسلات باسم :

الأستاذ الدكتور فاروق عثمان أباظة

وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الشاطبي - الإسكندرية

جمهورية مصر العربية

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
شعر ابي زبيد الطائي « دراسة تحليلية »	١
ناهد أحمد السيد الشعراوى	
قراءة في التجربة النقدية عند منصور الحازمى	٥٥
عبد الله بن سالم المعطانى	
دراسة لغوية في وسائل تكوين المصطلحات العلمية في العصر الحديث	٩١
فريد عوض حيدر	
عبيد مدني والانموذج الشعرى	١٣٩
عبد المحسن فراج القحطانى	
الظروف الاجتماعية والادب التركى في النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين	١٩١
رشيدة رحيم الصبروتى	
مجلس الصحابة خلال العصر العباسى الاول	٢٢١
سليمان الرحيلى	
ملامح الاستراتيجية العثمانية مع مصر والحجاز حول مخصصات الحرمين الشريفين	٢٤٣
عبد الوهاب بن صالح بابعير	
أندرونيقوس كومنين وسياسة بيزنطة الخارجية في عهده	٢٦٧
محمد محمد عبد الحميد فرحات	

دور مصر من خلال الجامعة العربية إزاء قضية الجنوب الافريقى ٣٧٧
ماهر شعبان
التحولات السياسية وانعكاساتها علي نمو السكان في الجزائر ٣٥٧
رابح بو دبابة
عدوى السلوك : المفهوم والمضمون ٣٧٧
دخيل بن عبد الله الدخيل الله
تحليل كمى للعوامل المؤثرة فى تباين تراكيز ملوثات الهواء بمدن
البترول بالمملكة العربية السعودية ٤٤٩
أحمد جار الله الجار الله
مناظر تيجان الأباطرة الرومان فى رسوم المعابد المصرية الطراز ٤٧٧
عنايات محمد أحمد
الجذر الميثلوجية وأثرها فى فلسفة افلاطون ٥٣٣
سناء عبد المنعم عيد
The Image of Women in Hellman's The Children's Hour 1
Soad Sobhi
Teaching Stylistics ; Aimes and Scope 53
Gouda Batanuni
Around-topped Wooden Stela. of Na-Menkh-es-Amon ... 81
Suzan Abd El-Latif

شعر أبى زُبيد الطائى " دراسة تحليلية "

للدكتورة / ناهد أحمد السيد الشعراوى

مدرس بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

أبو زُبيد الطائى

هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة بن النعمان بن حية بن سعنة ابن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هنىء بن عمرو بن الغوث بن طىء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان(١) .

ونشأ أبو زبيد نصرانياً ، وكان أبو زبيد من المعمرين ، وقيل إنه عاش مائة وخمسين سنة(٢) ، وعاش أبو زبيد إلى أيام معاوية(٣) .

ونلمح أخباراً عن هيئته عند ابن حبيب ، والمبرد ، وياقوت ، إذ يذكر المبرد أنه كان موصوفاً مع جماعة قد فاقوا الناس طولاً وجمالاً ، منهم العباس بن عبد المطلب رحمه الله وولده ، وجرير بن عبد الله البَجَلى ، وزيد الخيل بن مهلهل الطائى، ثم يقول : وكان أهد هؤلاء يُقَبل المرأة على الهودج ، وكان يقال للرجل منهم، مقَبل الظُعُن(٤) .

ويذكر ياقوت صفة الطول فيه ، يقول : وكان أبو زبيد طوالاً من الرجال ، ينتهى إلى ثلاثة عشر شبراً ، وقد ذكره ابن حبيب (٥) تحت عنوان " من كان يركب الفرس الجُمام فتخط إبهاماه فى الأرض كما يذكر ياقوت حسن شكله فيقول : " وكان حسن الصورة ، فكان إذا دخل مكة دخلها متنكراً لجماله(٦) " .

---

١ – الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ ١٢ صـ١١٨

٢ – المعمرون للسجستانى صـ١٠٨

٣ – خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى جـ٤ صـ١٩٢

٤ – الكامل للمبرد جـ٢ صـ٤٥٩

٥ – المحبر لابن حبيب صـ٢٣٣

٦ – معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ١٠ صـ١٩١ .

فأبو زبيد شاعر من طيء ، وكانت قبيلة طيء باليمن ، " ثم خرجت على أثر الأزد إلى الحجاز ونزلوا سميراً وفيداً في جوار بني أسد ، ثم استولوا على أجأ وسلمى، وهما جبلان من بلاد بني أسد ، فأقاموا في الجبلين حتى عرفا بجبل طيء(١)".

ويرجع أبو زبيد في نسبة إلى النعمان بن حية بن سعنة كما أسلفنا . وهو الذي ولي ملك الحيرة بأمر كسرى ، وكان له شأن يذكر عند الفرس ، وهذا يعني أن الشاعر كان ينحدر من أسرة معروفة في طيء ، وربما يكون ذلك سبباً من الأسباب التي حملت الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على استعماله على صدقات قومه ، على الرغم من أنه لم يستعمل نصرانياً غيره أوردا بن سلام الجمحي : أن أبا زبيد كان من زوار الملوك ، ولملوك العجم خاصة ، وكان عالماً بسيرهم(٢) .

وحدث عمارة بن قابوس قال : " لقيت أبا زبيد الطائي ، فقلت له ياأبا زبيد ، هل أتيت النعمان بن المنذر ، قال : أي والله ، لقد أتيته وجالسته ، قلت : فصفة لي فقال : كان أحمر أزرق أبرش قصيراً ، فقلت له : أيسرك أنه سمع مقالتك هذه ، وإن لك حمر النعم ، قال : لا والله ولا سودها ، فقد رأيت ملوك حمير ورأيت ملوك غسان في ملكها فما رأيت أشد عزاً منه . كان ظهر الكوفة ينبت الشقائق فحمى ذلك المكان، فنسب إليه ، فقيل شقائق النعمان فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يدين كأن على رؤوسنا الطير ، فقام له رجل من الناس ، فقال له أبيت اللعن .....(٣) "

وأما عن لقائه بالخليفة عثمان بن عفان " رضي الله عنه " ، فيأتي الخبر عند ابن سلام وينقله أبو الفرج عنه ، ويرد أيضاً عند ياقوت : " كان أبو زبيد من زوار الملوك وخاصة لملوك العجم ، وكان عالماً بسيرهم . وكان عثمان بن عفان " رضي الله عنه " يقرب أبا زبيد ، ويبني مجلسه لمعرفته بسير من أدركهم من ملوك

---

١ - ديوان أبي زبيد - نوري القيسي صـ٥٦٠

٢ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام صـ٥٩٣ : ٥٩٤

٣ - الأغاني جـ١٢ صـ١٢٥

العرب والعجم . فحضر ذات يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار ، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها . قال : فالتفت عثمان إلى أبي زبيد ، وقال : يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك ، فقد أنبئت أنك تجيد . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

من مبلغ قومي النائين إذ شحطوا أن الفـــؤاد إليهم شـــيق ولع

ووصف فيها الأسد فقال عثمان : تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت -! والله إني لأحسبك جباناً هداناً ، فقال : كلا ياأمير المؤمنين ، ولكني رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً ، لا يبرح ذكره يتجدد في قلبي ، ومعذور أنا ياأمير المؤمنين غير ملوم. فقال عثمان : وأنىّ كان ذلك ؟ قال : خرجت في صيابة أشراف من أفناء قبائل العرب، ذوي هيئة وشارة حسنة ، ترتمي بنا المهاري بأكسائها ، ونحن نريد الحارث بن ابي شمر الغساني ملك الشام . فاخروط بنا المسير في حمارة القيظ ..... فقال له عثمان : اسكت ، قطع الله لسانك ! فقد رعبت قلوب المؤمنين"(١) .

أخباره مع الوليد بن عقبة :

الوليد بن عقبة هو أخو الخليفة : عثمان بن عفان لأمه . أمهما أروى بنت كُرَيْز ، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب . وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم وكان فاسقاً . وولي لعثمان رضي الله عنه الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، فشرب الخمر ، وشهد عليه بذلك ، فعده وعزله .

وكان أبو زبيد الطائي نديماً للوليد بن عقبة أيام ولايته الكوفة ، فأنزله الوليد داراً لعقيل بن أبي طالب على باب المسجد ، فاستوهبها منه فوهبها له ، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة ، لأن أبا زبيد كان يخرج من منزله حتى يشق الجامع إلى الوليد ، فيسمر عنده ، ويشرب معه ، ويخرج فيشق المسجد وهو سكران فذلك نبههم عليه(٢) .

---

١ - طبقات فحول الشعراء صـــ٥٩٥ ، الأغاني جـ١٢ صـــ١١٨ : ١٢٢

٢ - الأغاني جـ٥ صـــ١٢٤

وكان أبو زبيد قد استودع بنى كنانة بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب إبلاً ، فلم يردوها عليه حين طلبها ، وكانت بنو تغلب أخوال أبى زبيد ، فوجد الوليد بنى تغلب ظالمين لأبى زبيد ، فأخذ له الوليد بحقه ، فقال يمدح الوليد :

يـــاليت شـــعرى بأبنـــاء أنبزهـــا قد كان يعيا بها صدرى وتقديرى
عن امـــرىء ما يـــزده الله من شـــرف أفـــرح به وُمرىُ غير مســـرورِ

يعنى مُرى بن أوس بن حارثة بن لأم . وهى طويلة يقول فيها :

إن الوليـــد لـــه عنـــدى وحـــق لـــه ودّ الخليـل ونصـح غـير منحـور
لقـد رعـانى وأبنـانى وأظهرنـى على الأعادى بنصـر غـيرَ تعنيـر
فشـذب القـوم عنـى غـير مكـترث حتى تناهوا علـى رغم وتصغير
نفسـى فـداء أبى وهب وقـل لـه يالم عمـرو فحلى اليو أو مسيرى

وفى رواية ابن حبيب : يالم زيد ، يعنى : يالم أبى زبيد(١) .

وخبر آخر يرويه أبو الفرج عن إقطاع الوليد أرضاً لأبى زبيد يقول(٢) :

" كان الوليد بن عقبة قد استعمل الربيع بن مرى بن أوس بن حارثة بن لأم الطائى على الحمى فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة ، فأجدبت الجزيرة ، وكان أبو زبيد فى تغلب فخرج بهم ليرعيهم فأبى عليه الأوسى ، وقال : إن شئت أن أرتعيك وحدك فعلت وإلا فلا ، فأتى أبو زبيد الوليد بن عقبة فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى ، وأخذها من الآخر ".

وشعره فى ذلك يدل على هذه الأحداث يقول :

لعمـــر أبيك يابن أبى مُـــرَىٌ لغيرك من أباح لهـا الديـــارا
أبـاح لها أبـــارق ذات نـــور تـرعى القف منها والعـــرارا
بحمـــد الله ثم فتى قـــريش أبـى وهب غدت بطناً غرارا

---

١ - الأغانى جـ٥ صـــ١٢٥

٢ - المرجع السابق جـ٥ صـــ١٢٥

أبـــاح لهـــا ولا يُحمـــى عليهـــا إذا مـــا كنتـــم ســـنة جـــزارا
يريـد جـزراً مـن الجـدب والشـدة
فتـــى طالت يـــداه إلـــى المعـــالى وطحطحـــنا المقطعـــة القصـــارا

ولما عزل الوليد ووليهاسعيد انتزعها منه وأخرجها من يده ، فقال(١) :

ولقـــد مـــتُّ غـــير أنـــى حـــىٌّ يـــوم بـــانت بودهـــا خنســـاءُ
مـــن بنـــى عـــامر لهـــا شـــق نفســـى قســـمة مثـــل مـــا يشـــق الـــرداء
أشـربت لـــون صفـــرة فـــى بيـــاض وهـــى فـــى ذاك لدنـــة غيـــداء
كـــل عيـــن ممـــن يراهـــا مـــن النـــا س إليهـــا مديمـــة حـــولاء
فـــاتتهوا إن للشـــدائد أهـــلاً وذروا مـــنا تزيـــن الأهـــواء
ليـــت شـــعرى وأيـــن منـــى ليـــتُ إن ليتـــاً وإن لَـــوْاً عنـــاء
أى ســـاع ســـعى ليقطـــع شـــربى حيـــن لاحـــت للصـــابح الجـــوزاء
واستظل العصفـور كرهـاً مـع الضـــ ب وأوفـــى فـــى عـــوده الحريـــاء
ونفـــى الجنـــدب الحصـــا بكـــرا عيـــ ـــه وأذكـــت نيرانهـــا المعـــزاء
مـــن ســـموم كأنهـــا حـــر نـــار ســـفعتها ظهـــيرة غـــراء
وإذا أهـــل بلـــدة أنكرونـــى عرفتنـــى الدويـــة الملســـاء
عرفـــت نـــاقتى الشـــمائل منـــى فهـــى إلا بغامهـــا خرســـاء
هـــرفت ليلهـــا الطويـــل وليلـــى إن ذا الليـــل للعيـــون غـــطاء .

ويُروى " أن مات الوليد قبل أبى زبيد ، فمر أبو زبيد بقبره فوقف ثم قال :

ياهـــاجرى إذ جئـــت زائـــره مـــا كـــان مـــن عـــاداتك الهجـــر
ياصـــاحب القـــبر الســـلامُ علـــى مـــن حـــال دون لقائـــه القبـــر

ثم انصرف ، وكان يجىء إلى قبره فيشرب عنده ويصب الشراب على قبره ويبكى . وبقى أبو زبيد إلى معاوية "(٢)

---

١ - المرجع السابق جـ٥ صـ١٢٦

٢ - خزانة الأدب جـ٤ صـ١٢٩

والثابت أنهما نُفنا فى موضع واحد بالبليخ(١) ، ويدل ذلك شعر لأشجع السلمى وقد مرّ بقبريهما ، قال(٢) :

مـــررت علـــى عظـــام أبـــى زبيـــد وقـــد لاحـــت ببلقعـــة صلـــود
وكـــان لـــه الوليـــد نديـــم صـــدق فنـــادم قـــبره قـــبر الوليـــد
ومـــا أدرى بمـــن تبـدا المنـــايا بأحمـــد أو بأشـــجع أو يـــزيد

إســـلامه :

اجتهد العلماء فى البحث عن أديان القبائل العربية قبل الإسلام ، وذكر أصنامهم ومعابدهم وتلبياتهم وأصحاب الكتب السماوية منهم " وطىء إحدى القبائل العربية التى تنازعتها الأديان وقد غلبت عليها النصرانية والوثنية "(٣) .

وقد كان للاتصال الدائم بين طىء وأهل الشام أثره فى أن تفد الديانة النصرانية إليهم ، وأن تستقر فى نفوس كثير منهم . ويذكر د . جواد على أديان القبائل ، فيقول :

" تعد طىء من القبائل التى وجدت النصرانية سبيلاً إليها(٤) .

وأما بعد الإسلام فقد تتابعت بطون طىء فى الدخول فى الإسلام ، حتى اكتمل بوفاة زيد الخيل على رأس قومه من طىء مبايعةً بإسلام قومه سنة تسع للهجرة وهى السنة التى عرفت بسنة الوفود . وتنقل بعض المصادر عن رجال من طىء قالوا :

قدم وفد طىء على رسول الله " صلى الله عليه وسلم " خمسة عشر رجلاً رأسهم وسيدهم زيد الخير وهو زيد الخيل بن مهلهل من بنى نبهان ، وفيهم وزر بن جابر بن سدوس بن أجمع البنهانى وقبيصة بن الأسود بن عامر من جرم طىء ،

---

١ - نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون

٢ - الأغانى جـ٥ صـ١٣٤

٣ - شعر طىء وأخبارها فى الجاهلية والإسلام ، د . وفاء فهمى السنديونى صـ٨١

٤ - المفصل فى تاريخ العرب د . جواد على ٦/٦٠١

ومالك بن عبد الله بن خيبرى من بنى معن وقعين بن حليف بن جديلة ، ورجل من بولان . فدخلوا المدينة ورسول الله " صلى الله عليه وسلم " فى المسجد فعقدوا رواحلهم بفناء المسجد ، ثم دخلوا فدنوا من رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فعرض عليهم الإسلام ، فأسلموا . وجازاهم بخمس أواق فضة كل رجل منهم وأعطى زيد الخيل إثنتى عشرة أوقية ونشًا وقال رسول الله " صلى الله عليه وسلم " : ما ذكر لى رجل من العرب إلا رأيته دون ما ذكر لى ، إلا ما كان من زيد فإن لم يبلغ فيه كل ما فيه ، وسماه رسول الله " صلى الله عليه وسلم " زيد الخير ، وقطع له فيداً وأرضين فكتب له بذلك كتاباً ورجع مع قومه (١) .

وتذهب بعض المصادر(٢) إلى أن أبازبيد كان نصرانياً ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ، وإنه على دينه (النصرانية) مات ، بينما يذكر الطبرى عنه (٣) أنه أسلم فى آخر إمارة الوليد ، وحسن إسلامه ، فاستدخله الوليد ، وكان عربياً شاعراً حين قام على الإسلام ". ويؤيد ابن الأثير هذه الرواية فيقول : " وكان أبو زبيد الشاعر فى الجاهلية والإسلام فى بنى تغلب ، وكان أخواله . فظلموه ديناً له ، فأخذ له الوليد حقه إذ كان عاملاً عليهم ، فشكر أبو زبيد ذلك له ، وانقطع إليه ، وغشيه بالمدينة والكوفة ، وكان نصرانياً فأسلم عند الوليد ، وحسن إسلامه (٤) .

وقد تقدم خبر مرور أبى زبيد بقبر الوليد ، وشعره فى ذلك .
كما تذكر الرواية أن أبازبيد كان يجئ إلى قبر الوليد فيشرب عنده ، ويصب الشراب على قبره ويبكى . كما تقدم خبرُ مرور أشجع السلمى بقبريهما بالبليخ ، وأبياته فى ذلك .
ودفنه بالبليخ إلى جوار الوليد دليل آخر على إسلامه ، فالمعروف أن مقابر المسلمين لا يُدفن إلا المسلمون .

---

١ - تاريخ الطبرى جـ٣ صـ١٤٥
٢ - معجم الأدباء جـ١٠ صـ١٩١- الشعر والشعراء لابن قتيبة صـ٣٠٧
٣ تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٢٧٣
٤ - الكامل لابن الأثير ٤٣/٣

موضوعات شعره

أولاً : وصف الأسد

ولع أبو زبيد بوصف الأسد ، وصفاً يدل على رؤيته عن قرب ، رؤيـة حقيقية فقد وصف أعضاءه ، ودقق فى أجزائه ، وصوَّر حركاته وهو يهم بالهجوم ، ويترصد الفريسة . ووصف زمجرته المرعبة ، وبراثنه الخشنة الغليظة ، ومخالبة المعقوفة الرأس .

وكان يستخدم فى أوصافه عبارات مهولة ، ترعب السامع ، وتدخل الرعب والهلع فى نفسه ، حتى كأن السامع يشاهد الأسد من خلال تصويره ، وهذا ما دفع الخليفة عثمان بن عفان " رضى الله عنه " إلى أن يلتفت إليه فى مجلسه ، ويطلب منه أن يسمعه بعض قوله لأنه يجيد وصفه ، وعندما ينهى وصفه يقول له : اسكت ، قطع الله لسانك ، فقد رعبت قلوب المؤمنين(١) .

ويبدو أنه بلغ فى وصف الأسد حداً ، جعل قومه يلومونه على كثرة هذا الوصف وقالوا : قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له . فقال لو رأيتم منه رأيت أو لقيتم منه مالقى أكدر ، لما لمتمونى . ثم أمسك عن وصفه ، فلم يصفه حتى مات(٢).

وصف الأسد فى مجلس عثمان بن عفان رضى الله عنه :

وقصته أبى زبيد مع عثمان " رضى الله عنه " فى وصف الأسد مشهورة ، وقد وردت عند ابن سلام (٣) ، وعند ياقوت الحموى (٤) .

---

١ – طبقات فحول الشعراء صـ٥٩٩

٢ – معجم الأدباء جـ١٠ صـ٢٠١

٣ – طبقات فحول الشعراء صـ٥٩٤ – ٥٩٩

٤ – معجم الأدباء جـ١٠ صـ١٩٤ : ١٩٨

ويدل الخبر أن حضر أبو زبيد ذات يوم مجلس عثمان " رضى الله عنه " وكان عثمان يقرّبه ، ويُدنى مجلسه ، برغم نصرانيته . لأنه كان من زوار الملوك وملوك العجم خاصة ، وكان عالماً بسيرهم . وكان عند عثمان " رضى الله عنه جمع من المهاجرين والأنصار . فقال له : يا أخا تبع المسيح ، أسمعنا بعض قولك فقد أنبئت أنك تجيد ، فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

من مبلغ قومى النائين إذ شحطوا أن الفؤاد إليهم شيق ولع

ووصف فيها الأسد ، فقال له عثمان : تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت ! والله إنى لأحسبك جبانا هدانا ! فقال كلا يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيت منه منظراً ، وشهدت منه مشهداً لا يبرح ذكره يتجدد فى قلبى ، ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم .

فقال عثمان : وأنّى كان ذلك . قال خرجت فى صُيَّابَةٍ أشرافٍ من أفناء قبائل العرب ، ذوى هيئة وشارةٍ حسنة ، تَرْتَمى بنا المَهارَى بأكسائها ، ونحن نريدُ الحارثَ بن أبى شِمرٍ الغسّانى ملك الشام . فاخرَوَّط بنا المسيرُ فى حَمَارَّةِ القيظ ، حتى إذا عَصَبَتْ الأفواهُ ، وذَبَلَتْ الشفاهُ ، وشالت المياهُ ، وأنكت الجوزاءُ المَعْزاءَ ، وذابَ الصَّيْهَدُ ، وصرَّ الجُنْدَبُ ، وضافَ العُصفورُ الضَّبَّ فى جُحْرِه – أو قال فى وِجارِه – قال قائلنا : أيها الرَّكبُ ! غَوِّرُوا بنا فى ضَوْجِ هذا الوادى . وإذا وادٍ قُدَيْدٍ مَتْنا كثيرُ الدَّغَل ، دائمِ الظِّلِ ، شجراؤه مُغِنَّة ، وأطياره مُرِنَّة ، فحططنا رواحلنا فى أُصُول دَوْحَاتٍ كَنَهْبَلاتٍ فأَصْبْنا من فضلاتِ المزاوِدِ وأتبعناها الماءَ البارِدَ .

فإنا لنصِفُ حرَّ يومنا ذلك ومماطلته ، إذ صَرَّ أقصى الخيل أذنيه ، وفَحَصَ الأرضَ بيديه . فوالله ما لبث أن جال ، ثم حمحم فبال ، وفعل فعله الذى يليه واحداً فواحداً . فتضعضعت الخيل ، وتكعكعت الإبل ، وتقهقرت البغال ، فمن نافر بشِكالِه ، وناهضٍ بعقاله ، فعلمنا أن قد أُتينا وأنه السبع ففرغ كل امرىءٍ منا إلى سيفه فاستله من جُرُبَّاتِه ، ثم وقفنا رَزدَلاً فأقبل يتطالع من بغيه كأنه مجنوبٌ أو فى هِجارٍ ، لصدره نحيطٌ ولبلاعيمه غطيطٌ ، ولطرْفه وميضٌ ، ولأرساغه نقيضٌ ، كأنما يخبط هشيماً ، وإنما يطأُ صَرِيماً ، فإذا هامَةٌ كالمِجَنِّ ، وإذا خدٌّ كالمِسَنِّ ، وعينان يَجْرَاوان كأنهما سِرَاجَانِ يقدان ، وقَصَرَةٌ رَبِلَةٌ ، ولِهْزِمَةٌ رَهِلَةٌ ، وكَتِدٌ مُغْبَطٌ وزَوْرٌ

مُفْرَطٌ ، وساعدٌ مَجْدُولٌ ، وعَضُدٌ مَفْتُول ، وكَفٌّ شَثْنَةُ البراثِنِ إلى مَخَالِبَ كالمحاجِن .
فضرب بيديه فأرهَجَ ، وكَشَرَ فأفرَجَ عن أنيابٍ كالمعاوِلِ مصقولةٍ غير مفلولة ، وفمٍ أشدَقَ ، كالغارِ الأخرق .
ثم تمطّى فأشرَعَ بيديه ، وحَفَزَ وَرِكَيْه برجليه ، حتى صار ظِلُّه مِثْلَيْه . ثم أقعَى فاقشعرّ ، ثم تميّل فاكفهرّ ، ثم تجهم فازْبَأَرّ .

فلا والذى بيتُه فى السماء ما اتقيناهُ إلا بأولِ أخٍ لنا من بنى فزارة ، كان ضخمَ الجُزَارَة ، فوقصَهُ ثم نَفَضَه نفضةً ، فقضقضَ متنية ، ثم جعلَ يَلَغُ فى دمه . فنمرتُ أصحابى ، فبعد لأيٍ ما استقدمُوا . فهجهجنا به .
فكرّ مقشعراً بزبرَةٍ كأن بين كتفيه شَيْهَماً حولياً : فأختلج رجلاً أعجرَ ذا حوايا فنفضه نفضةً تزايلت مفاصِلُه ، ثم نَهَمَ ففرفر ، ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ ، فو الله لخلتُ البرقَ يتطاير من تحت جفونه من عن شِماله ويمينه . فأُرعِشَت الأيدى، واصطكت الأرجُل ، وأُطّتِ الأضلاع ، وارتجّتِ الأسماعُ ، وحمّجَتِ العيون ، ولِحقَتْ البطون ، وانخزلت المُتُون ، وساءت الظنون .

فقال عثمان : اسكت ، قطع الله لسانك ! فقد رعبت قلوب المؤمنين".
ويتضح من كلام عثمان رضى الله عنه أنه وصف الأسد فى قصيدته وصفاً يدل على شدة الهول الذى يعترى قلب الشاعر حين يتذكر منظر الأسد ، ولذلك قال له عثمان " والله إنى لأحسبك جباناً هداناً !". فأخذ أبو زبيد يدافع عن نفسه أمام الخليفة ويذكر له الموقف الذى رأى فيه أسداً وما شاهده بعينيه من أهوال .

ويبدأ أبو زبيد فى تصوير ذلك المشهد الذى يظل ذكره يتجدد فى قلبه فيقول : خرجت فى صيابة أشراف من أفناء قبائل العرب ، ذوى هيئة وشارة حسنة ..... ".
فيذكر أبو زبيد أنه خرج فى جماعة من خيار الناس وأخلصهم نسباً ، من مجموعة من القبائل العربية ، من أجمل الناس وأحسنهم ملبساً .
وأسرعت بهم الإبل وتوالت بعضها فى أدبار بعض ، وقذفتهم من بلد إلى بلد ، وكانوا يقصدون الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام ، وقد امتد وطال بهم

المسير فى شدة الحر . ثم يأخذ أبو زبيد فى وصف شدة الحر ، الذى عانوا منه . فيذكر لذلك دلالات ، فالريق يجف من العطش وكأن الأفواه معصوبة والشفاه أيضاً تجف من الحر وكأنها تذبل ، وقد قلت المياه ونشفت وكأنما يزيد نجم الجوزاء من اللهيب المشتعل بالأرض الصحراوية الغليظة ، الكثيرة الحصى . وصارت الحرارة فى أشدها ، واشتد الحر على صغار الجراد ، فصدر منه صوت ممتد . ويضربون المثل للأمر يشتد حتى يقلق صاحبه بقولهم " صر الجندب " عندئذ صاح أحد المرتحلين بالركب أن انزلوا للقيلولة فى منعطف هذا الوادى ، فنزلوا ، وإذا هم بواد يكثر به الشجر الكثيف الملتف المشتبك ، والماء يتغلل الأشجار ، فيسيل ظاهراً على وجه الأرض ظهوراً قليلاً . ويكثر الذباب على الأشجار المتكاثفة ، فيسمع لطيرانه بين العشب والشجر غنه ، وكذلك يسمع صوت للطيور التى تعيش به . فأوقفوا رواحلهم فى هذا الوادى الخصيب، ووضعوا أغراضهم عند جذوع الأشجار العظيمة المتسعة ، وأكلوا ، وشربوا الماء البارد .

وبينما أبو زبيد يصف حرّ ذلك اليوم وتطاوله كأنه لا يريد أن يزول ، نظر فوجد الخيل تنصب أذنيها للتسمّع " وهى تفعل ذلك عند المخافة " وتضرب الأرض بقدميها كأنها تحفرها ، وتدور فى مكانها قلقاً ، وتحمحم ، وتبول فزعاً وكأنها ذليلة خاضعة من الخوف .

أما الإبل فأحجمت وتأخرت إلى الوراء ، وكذلك البغال تراجعت للخلف .

وأصاب الفزع الإبل كافة حتى المقيّد بالشكال أو العقال هبّ ليعدوا وهو مقيّد .

عند ذلك أدرك الرّكبُ أنهم أمام الأسد لا محالة . فأسرع الرجال يستلون سيوفهم من الأغماد ، ثم اصطفوا صفاً واحداً فى مواجهة الأسد . وأقبل عليهم الأسد يتمايل ويختال فى مشيته كأنه يميل على جنبه من شدة الألم . أو كأنه مربوط فى هجار ، وهو الحبل يعقد فى يد البعير ورجله فى أحد الشقين . ويصدر عنه أصوات عاليه ، هى مزيج من الزفير والغطيط ، وعيناه لها وميض .

وفى سيره يُسمع صوت مفاصله إذ يثقلها حمله ، كأنما يطأ شجراً يابساً وإنما هو يطأ رملاً .

ويصف هيئة الأسد : " فإذا هامة كالمجن وإذا خد كالمسن ..... " .

إذ يصف رأسه الضخم بأنه كالمجن وهو الترس العريض ، وخده أملس كالمسن وهو الحجر الذى يسن عليه السيف والسكين .

والعينان يتلألآن وقد شابتهما حمرة يسيرة ، والعنق ضخم كثير اللحم وهو ذو لهزمة " وهى مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن من اللحى عند أصول الحنكين " سمينة مسترخية ، وممتلىء الكتفين ، وكذلك صدره ممتلىء باللحم . ويصف أطرافه فالساعد مجدول ، والعضد مفتول ، والكف ذو براثن(١) خشنة غليظة ، وفيها مخالب معقوفة الرأس .

ثم يصف حركات الأسد ، فيقول ، فضرب الأرض بيديه فأثار الغبار ، وكشر عن أنيابه ، فظهرت أنيابه المصقولة ، وفمه المتسع كأنه الغار واسع الخرق . ثم تهيأ للوثوب ، فرفع يديه ، ودفع وركيه برجليه ، حتى استطالت هيئته وشبه ذلك بأن صار ظله مثليه .

ثم جلس على استه مفترشاً رجليه وناصباً يديه ، وتجمع مستعداً للوثوب ، وتمايل وعبس وجهه ، ثم تهيأ للشر وانتفش شعره .

وانقضى الأسد على أول الركب . وكان رجلاً من بنى فزارة ، غليظاً ، فدقّ الأسد عنقه فكسره . وسمع صوت كسر عظامه . وأخذ الأسد يلغ دمه بلسانه .

ويروى أبوزبيد أنه أخذ يحض أصحابه ، ويحثهم أن يتجرأوا ويتقدموا وبعد جهد ومشقة وإبطاء منهم ، تشجعوا وأخذوا يصيحون بالأسد ويزجرونه ليبتعد عنهم، ولكنه كرّ عليهم نافشاً شعره ، ويشبهه فى هذه الحركة بنكر القتقد الحولى العظيم الشوك ، فانتزع من بينهم رجلاً ضخم البطن عظيمها (رجلاً أعجر ذا حوايا) وكاد الرجل لهول مالاقاه أن تتفرق مفاصله . ثم زأر بغيظ وتوعد ، وتنفس تنفساً شديداً ، وردد الصوت فى حنجرته ، ونظر بمؤخر عينه ويذكر أبو زبيد إحساسه فى هذه اللحظات يقول: "فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه ، من عن شماله ويمينه".

---

١ – البراثن للأسد كالأصابع للإنسان .

ويذكر رد فعل الجمع المرتحلين ، فيصف رعشة الأيدى ، وضرب الركبة الركبة ، اضطراب الضلوع حتى يُسمع صوتها من الخوف ، واختلاط الأصوات. وقد انفتحت العيون وحَدَّقت ذعراً وضمرت البطون من الخوف ، حتى لحق البطن بالظهر ، وصار الرجال لا يستطيعون أن يقيموا صلبهم . وصار الناس يتمنون فى أنفسهم الهرب ، والفرار ، وترك الدفاع عن انفسهم . عندئذ صاح به الخليفة عثمان: أن اسكت ، قطع الله لسانك ، فقد رعبت قلوب المؤمنين .

وصف الأسد فى شعر أبى زبيد :

وصف أبو زبيد الأسد شعراً فى سبع قصائد ، وهو دائماً فى وصفه للأسد يصف الرعب والهلع ، الذى ينتاب القوم حين يفاجأون برؤيته . ومرد ذلك أنه لقيه ذات يوم بالنجف ، وشاهد منه مشاهد لم تبرح خياله . وقد لامه عثمان بن عفان (رضى الله عنه) على كثرة وصفه للأسد ، وصفاً يبعث الرعب فى قلوب المؤمنين . وتدل الأخبار (١) أنه حينما قال قصيدته فى كلبه أكدر حين لقيه أسد فافترسه ، أن " لامه قومه على كثرة وصفه للأسد ، وقالوا له : قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له. قال لو رأيتم منه ما رأيت ، أو لقيكم مالقى أكدر لما لمتمونى . ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه بعد ذلك فى شعره حتى مات ".

وهو فى وصفه الأسد يصف جسده وهيئته وصوته :

فيصف شعره الكثيف المجتمع على كاهله ، وقد نفشه وقت هجومه على الفريسة ، فصار مجموعات كثيفة متقطعة ، يقول :

له زُبَـرٌ كاللبد طارتْ رعابلاً وكتفـان كالشرخين عَبلٌ مُضَبَّر (٢)

ويشبه شعره الكثيف على عنقه وكاهله ، فى بيت آخر بالهودج المغطى بالقطيفة ، المصنوعة من أدبار الإبل . يقول :

وردٌ كأن على أكتـاده حَرَجـاً فى قُرطف من نسيل النجت مخدور (٣)

---

١ - الأغانى جـ ١٢ صـ١٢٥ ، معجم الأدباء جـ١ صـ٢٠١

٢ - ديوان أبى زبيد صـ٦٠٧

٣ - المرجع السابق صـ٦٢٣

وتارة ثالثة يصف شعره الكثير المتداخل ، الذى يغطى جسده ، وكأنه قد التحف ببرنس يغطى جسده بأكمله . يقول :

ضرغامة أهرت الشدقين ذى لبدٍ كأنــه بُرْنُســا فى الغـاب ملتفـعُ (١)

وفى البيت التالى يصف جلد الأسد ، وشعره المتدلى ، ويشبهه بالقطيفة ، التى يرتديها الراعى . يقول :

كــأن أثوابَ نَقّــاد قُـدِرْنَ له يَعْلُــو بخَمْلتهــا كهبَــاء هُدَّابـا (٢)

ويصف قوائمه المرتفعة ، ويشبهها بعيدان الرجل القوية المرتفعة ، يقول :

أوذا شصائب فى أحنائه شِــمِم رخو الملاط غبيطا فوق صرصور (٣)

وأما رأسه فقوى كالصخرة ، والعينان متوهجتان كالجمرتين :

وعينان كالوقبين فى قُبْلٍ صخرةٍ يُــرى فيهما كالجمرتين التبصُّرُ (٤)

ويشبه رأسه مرة أخرى بالحجر، والعينان كأنهما حفرتان حفرتا بفأس حديدية: يقول:

كأن عينيه فى وقبين من حجــر قيضا اقتياضاً بأطراف المناقيــر (٥)

وعيناه تتوهجان فى الظلام ، كأنهما الجمر :

براثنه شثن وعيناه فى الدجــى كجمر الغضا فى وجهه الشر ظاهر(٦)

ويصف نظرته من جانب الأذن :

رحيب مشقّ الشّدق أغضفُ ضيغمٌ لـه لحظاتٌ مشــرفات ومحجــر(٧)

وهو فى البيت السابق يصف أيضاً اتساع شدقه ، بقوله : " رحيب مشق الشدق " .

وفى بيت آخر يصف اتساع شدقه :

ضرغامةٌ أهرت الشـدقين ذى لبـد كأنه بُرْنُســا فى الغـاب ملتفــعُ (٨)

وأما أصول الحنكين ، فهى قوية شديدة ، يقول :

---

١ - المرجع السابق صـ٦٤٣

٢ - المرجع نفسه صـ٥٩٠

٣ - صـ٦٢٣

٤ - صـ٦٠٨

٥ - صـ٦٢٣

٦ - صـ٦١٣

٧ - صـ٦٠٧

٨ - صـ٦٤٣

منيع ويحمى كل واد يرومُهُ شديد أصول الماضغين مكابر (١)

ورأسه طويل ، ولذلك فقد قصر عنه عذاره ، يقول :

خان العذارُ بما فى الرأس من طول وسيرَ الجل عنه أىّ تسيير (٢)

وأما الأنياب فهى حاده ، إذا قلص شدقيه عنها بدت كأنها الخناجر ، يقول :

يُدِلُّ بأنيابٍ حدادٍ كأنها إذا قَلَّص الأشداقَ عنها خَنَاجِرُ (٣)

ويصفها فى بيت آخر بأنها مائلة :

فلا يعلِقنكم مهصَرُ النابِ عنبَسٌ عَبُوسٌ له خَلْق غليظ غضنفرُ (٤)

ويشير إلى متانة وقوة الكتفين ، مع امتلائهما باللحم . يقول :

له زُبَرٌ كاللبد طارتْ رعابلاً وكتفان كالشرخين عبلٌ مُضَبَّر (٥)

ومن طبيعة خلقة الأسد أن خطوات ساعديه متقاربة وسريعة ، ويذكر هذه الصفة أبو زبيد فى شعره ، يقول :

إلى مُقارِبِ خطوِ الساعدين له فوقَ السراةِ كِذِفْرى القارحِ الغضِن(٦)

وفى البيت التالى يشبهه وهو يمشى مقارباً خطوه، كأن ساعديه كسرتا ثم جبرتا. يقول:

إذا تبهنس يمشى خلقه وعثا وعى السواعد منه بعد تكسير (٧)

ويضيف إلى هذه الصفة فى مشيته صفة أخرى ، وهى ميل الأرساغ ، " والرسغ : مفصل ما بين الساعد والكف" ، يقول :

مقابل الخطوِ فى أرساغِهِ فَدَعٌ وَرداً يُدَفِّق أوساط العياهير (٨)

ويقول : كأنما يتفادى أهل بعضهم من ذى زوائد فى أرساغه فَدَعُ (٩)

وأما براثنه فهى خشنة ، يقول :

---

١ - صـ٦١٣

٢ - صـ٦٢٤

٣ - صـ٦١٣

٤ - صـ٦٠٦

٥ - صـ٦٠٧

٦ - صـ٦٦٧

٧ - صـ٦٢٣

٨ - صـ٦٢٤

٩ - صـ٦٤٣

براثنـــه شثنٌ وعيناه فى الدجى كجمر الغضا فى وجهه الشر ظاهر(١)

ولون البراثن يميل إلى السمره . يقول :

بســـمر كالمحـــالق فى فُتـــوخٍ يقيهـــا قَضَّـة الأرضِ الدخيـــسُ (٢)

وكما يصف أجزاءه يصف هيئته ، فلونـه أحمر يضرب إلـى صفره ، إذ يصفـه بأنـه " ورد " ، وهذه الصفة تدل على لونه ، يقول :

ورد كـــأن على أكتاده حَرَجَـــا فى قرطف من نسيل النجت مخدور(٣)

وأما زئيره فهو عال ، تكاد تتأثر به الجبال الراسيات ، يقول :

من الأسد عادى ، يكاد لصـــوته رؤوس الجبـال الراســـيات تقعَّـرُ(٤)

ويشبه الزئير فى هذا البيت بالرعد :

كـــأن اهتزامَ الرعد خالَطَ جوفَـهُ إذا حـنَّ فيـــه الخيزرانُ المثجَّرُ (٥)

ويصف زئير الأسد وصفاً دقيقاً ، فهو صوت فيه حشرجة ، كأنما هو صوت صادر من أحشاء إنسان يشتكى صوره ، يقول :

للصدر منه عويل فيه حشـرجةٌ كأنمـــا هـــى فى أحشاء مصـــدورِ (٦)

وأما هيئة مشيته واختياله ، فتأتى موفّقه لدى الشاعر ، إذا يصفه بأنه يمشى يتبختر:

إذا تبهنـس يمشـــى خلته وعثـا وعـــى الســواعد منه بعد تكسير (٧)

ويقول :

مبهنساً حيث يمشى ليس يفزعـه مشـــمراً للدواهـــى أىّ تشـــمير (٨)

---

١ – صـــ٦١٣

٢ – صـــ٦٣٢، السمر: المخالب ، والمحالق: المواسى شبهها فى حدتها . فى فتوخ : فى استرخاء ولين. القضة : الحصى الصغير ، الدخيس : اللحم الذى فى كفيه . قال الجاحظ فى الحيوان : ٢٨٤/٤ " ومخالب الأسد وأشباه الأسد من السباع ، تكون فى غلف " الغطاء الذى يدخل فيه مخالبه فى يده ليسترها إذا وطئت على بطون أكفها ترفعت المخالب ، ودخلت فى أكمام لها ". وهو قول أبى زبيد وأنشد البيت .

٣ – صـــ٦٢٣

٤ – صـــ٦٠٨

٥ – صـــ٦٠٨

٦ – صـــ٦٢٥

٧ – صـــ٦٢٣ تبهنس : تبختر

٨ – صـــ٦٢٤

وأما هيئته ومنظره : فهو عبوس ، وعضنفر (١) ، يقول :

فلا يعلقنكم مِهْصَرُ الناب عَنْبَسٌ عَبُوسٌ له خَلْق غليظٌ غَضَنْفَرُ (٢)

وفى هذا البيت يصفه بأنه عبوس ، شموس (٣) ، مصلخد . يقول :

عبوس شموس مصلخد مكابر جرىء على الأقران للقرن قاهر (٤)

وهو ضرغامة (٥) ، يقول :

ضرغامة أهرت الشدقين ذى لبدٍ كأنه بُرْنُسا فى الغاب ملتفعُ (٦)

ومن ينظر إليه ، يجد الشر بادياً على وجهه :

براثنه شثنٌ وعيناه فى الدجى كجمر الغضا فى وجهه الشر ظاهر (٧)

وصف العرين واللبؤة والأشبال :

ويصف عرين الأسد فهو يمتلىء بشجر العناب المتداخل الكثيف ، وقريب منه موضع للماء ، يقول :

ابنُ عِريسةٍ عَنابُها أشِبٌ ودونَ غايتها مُسْتَوردٌ شَرَعُ (٨)

والعرين مفروش بنباتات جافة هشة ، وكأنه مأوى لرجل أرمل عجوز ، يقول :

فأسريا وهما سنًا همومهما إلى عرين كعشِّ الأرمل اليفن (٩)

ويصف اللبؤة بأنها عضوض ، متوسطة العمر ، وقد قاربت أن تضع ، فأشرق ضرعها . يقول :

---

١ - عبوس : جلد ما بين عينيه وجلد جبهته وتجهم وهى صفة للأسد ، غضنفر : غليظ الخلقة .

٢ - صـ٦٠٦

٣ - الشموس : صعب الخلق ، مصلخد : منتصب قائماً .

٤ - صـ٦١٢

٥ - الضرغامة : هو الأسد الشديد الضارى .

٦ - ديوان أبى زبيد صـ٦٤٣

٧ - المرجع السابق صـ٦١٣

٨ - أبن : أقام ، عريسة : مأوى الأسد . عنابها أشب : شجر العناب متداخل ، مستورد موضع الورود الديوان صـ٦٤٤

٩ - صـ٦٦٧

بثنـــى القـريتيـن لـــه عيـــالٌ بنـوه ومُلمِـعٌ نَصَـفُ ضَـرُوسَ (١)

والأسد ليست له شيعة سوى لبؤته وأشباله ، يقول :

بالثنى أسـفل مـن جماء ليـس له إلا بنيتـه وإلا عرســـه شـــبع (٢)

ويصف لبؤة لها ستة من الأشبال ، وعظام صدرها بارزة ، وشعر جسدها قصير ، يقول :

حتـــى إذا ورد الغزوال وانتبهت لحســـه أم أجـــر ســـتة شـــزن

بـــادٍ جناجِنُهـا حصّـــاء قد أفلت لهـــن يبهرن تعبيراً على سـدن (٣)

وفى قصيدة أخرى يصف شبلين بقبح المنظر ، وأمهما لبؤة قليلة الشعر ، وهى حامل وقد ظللت ترضعهما ، حتى إذا ذهب لبنها من الوحم ، صدت عنهما ثم أشبعها الأسد طعاماً ، ولكنها ظللت فى فطام الشبلين ، ويصف لونهما فهو أحمر مائل إلى الصفرة " وهو لون الأسد " وقد عوضهما أبوهما الأسد عن لبن الأم ، بأن قدم لهم فرائسه من القوم . يقول :

أبـو شـتيمين مـــن حَصّـــاء قـد أفلَـت كـأن أطباءَهـا فـى رُفْغِهـا رُقَـعُ

أعطتهمـــا جُهدهـــا حتـــى إذا وَحِمَـــتْ صَـــدَّت وصَـــدَّ فلاغَيـل ولا جَـدَعُ

ثـم اســـتفاها فلـــم تقطـــع فطامهمـــا عـن التَّصَبُّـبِ لا شَـعْبٌ ولا قَـدَعُ

وَرْدَيْـن قـد أخـذا أخـلاف شـــحمهما ففيهمـا عزمـة الظلمـاء والجَشَـعُ

غذاهمـــا بلحـــام القـــوم مُذْ شـــدنا فما يزال بوَصَلىّ راكـب يَضَعُ (٤)

وتارة أخرى يصف طعام الأشبال ، فهو الفريسة التى افترسها الأسد ، وعفرها فى التراب ، فتهلهلت ملابسها . يقول :

غُذيـــن بكـــل منعفـــر ســـليب يجـــاء بـــه وقد نَسل الدريسُ (٥)

---

١ – صـ٦٣٠

٢ – صـ٦٤٤

٣ – صـ٦٦٧ جناجنها : عظام الصدر ، حصاء : قليلة الشعر.

٤ – الديوان صـ٦٤٥ أبو شتيمين : قبيحٌ المنظر ، حصاء : سقط شعرها ، أفلت : حملت ، غيل : أن ترضع المرأة أولادها وهى حامل ، جدع : سوء غذاء ، استفى : شدة الأكل بعد قلته ، التصبُّب : اكتساء اللحم للسمن بعد الفطام ، يضع : يعدو

٥ – صـ٦٣٠ ، نسل : سقط ، الدريس : خلقان الثياب .

موازنة بين وصف الأسد عند أبى زبيد ، ووصفه عند غيره من الشعراء :

تطالعنا صورة الأسد عند بعض الشعراء - غير أبى زبيد - ونذكر فى مقدمتهم المتنبى فى قصيدته الشهيرة فى مدح بدر بن عمار ، وكذلك عند البحترى فى قصيدته فى مدح الفتح بن خاقان . وقد أورد صاحب الأمالى مجلساً فى وصف الأسد، إذ تبارى عند يزيد بن معاوية: أبو زبيد ، وجميل بن معمر العذرى ، والأخطل التغلبى فى وصف الأسد ، وأورد صاحب الأمالى لكل واحد من الثلاثة مقطعة فى وصف الأسد(١). وكذلك ورد وصفٌ للأسد فى جزء من قصيدة لعروة بن الورد.

فأما المتنبى :

فقد وصف الأسد فى قصيدته التى مدح بها بدر بن عمار لما خرج إلى أسد ، وقد أعجله عن سل سيفه ، فضربه بالسيف فمرغه فى التراب . ومما جاء لأبى الطيب المتنبى فى قصيدته (٢) :

أَمُعَفَّرَ الليثِ الهِزَبْرِ بسوطِهِ ... لمن ادخرتَ الصارمَ المصقُولا
وقعتْ على الأُردنِّ منه بليَّةٌ ... نُضِدَتْ بها هامُ الرُّفاقِ تُلولا
وَرَدَ إذا وَرَدَ البُحيرةَ شَارِباً ... وَرَدَ الفُراتَ زئيرُهُ والنيلا
مُتَخَضِّبٌ بدمِ الفوارسِ لابِسٌ ... فى غِيلِهِ من لِبْدَتَيْهِ غِيلا
ماقُوبِلَتْ عيناهُ إلا ظُنَّتَا ... تحت الدُّجَى نارَ الفريقِ حُلولا
فى وَحدَةِ الرُّهبانِ إلا أنه ... لا يعرِفُ التحريمَ والتحليلا
يطأُ الثَّرَى مترفِّقاً من تِيهِهِ ... فكأنه آسٍ يَجُسُّ عَلِيلا
ويَرُدُّ عُقْرَتَهُ إلى يافُوخِهِ ... حتَّى تَصِيرَ لرأسِهِ إكليلاً
وتَظُنُّهُ مما يُزمجِرُ نفسُهُ ... عنها لشدةِ غيظِهِ مَشْغُولا
قَصَرَتْ مخافَتُهُ الخُطَى فكأنما ... رَكِبَ الكَمِيُّ جوادَهُ مَشْكُولا

١ - نيل الأمالى والنوادر لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى صـ١٨٣ : ١٨٥

٢ - شرح ديوان المتنبى ، وضعه عبد الرحمن البرقوقى جـ٣ صـ٣٥٤ : ٣٥٧

ألقى فريسَتَهُ وبربر دُونَها ... وقَرُبْتَ قُرْباً خَالَهُ تَطْفِيلا
فتشابَهَ الخُلُقان في إقدامِه ... وتَخَالَفَا في بَذْلِكَ المَأْكُولا
أسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كليهما ... مَتْناً أَزَلَّ وساعداً مَفْتُولا

ويختلف وصف أبى زبيد للأسد فى قصائده ، عن وصف المتنبى له . فأبو زبيد فى معظم قصائده التى وردت فى وصف الأسد ، يبدأ بذكر جماعة من قومه يسيرون بالليل ثم أناخوا مطيهم ليستريحوا . وكان الأسد يرقبهم ، وفاجأهم ، فتفرقت المطايا ، ولاذت بالفرار ، وفزعت الجماعة ، وافترس الأسد رجلاً أو اثنين منهم ، ولاذ الباقون بالفرار . ثم يصف الأسد وهو يلتهم فريسته ، ويصف الصريع وقد تلطخ بالدم ، وتعفرت جثته بالتراب ، وأخيراً يصف الأسد فى مشيته وتيهه ، بعد افتراس الفريسة وهو يجول متبختراً حول فريسته سعيداً بصنيعه . أما المتنبى فى قصيدته التى وصف فيها أسداً فقد كان يدلل على شجاعة الممدوح الذى لم يجبن أمام الأسد ولم يرتع ، ولم يتملكه الهول . بل لقد أعجله الأسد عن سل سيفه ، فضربه الممدوح بالسوط فمرغه فى التراب .

ويتعجب المتنبى من شجاعة ممدوحه الذى تمكن من قتل الأسد بسوطه ، ومرغه فى التراب دون أن يستل سيفه ، وهذا يدل على شجاعته . ثم يستطرد فى وصف الأسد ، ويتفنن فى ذلك ، ويذكر تشابه الممدوح والأسد فى الجرأة والإقدام والقوة الجسدية . ثم يذكر بخل الأسد وكرم الممدوح . وقد خذلت الأسد قوته أمام قوة وشجاعة الممدوح ، فانهزم وطرحه الممدوح أرضاً قتيلاً .

وقد أعجب صاحب المثل السائر (١) بوصف المتنبى للأسد وحكَّم بين هذا الجزء من قصيدته ، وقصيدة البحترى فى وصف الأسد ، وفضل قصيدة المتنبى ، يقول " وسأحكم بين هاتين القصيدتين ، والذى يشهد به الحق وتتقيه العصبية أذكره، وهو أن معانى أبى الطيب أكثر عدداً ، وأسد مقصداً ، ألا ترى أن البحترى قد قصر

---

١ – المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير صـ٢٨٧

مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح فى تشبيهه بالأسد مرة ، وتفضيله عليه أخرى ، ولم يأت بشىء سوى ذلك ، وأما أبو الطيب فإنه أتى بذلك فى بيت واحد وهو قوله :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه . لمن ادخرت الصارم المصقولا؟

ثم إنه تفنن فى ذكر الأسد ، فوصف صورته وهيئته ، ووصف أحواله فى انفراده فى جنسه ، وفى هيئته مشيه واختياله ، ووصف خلق بخله مع شجاعته وشبه الممدوح به فى الشجاعة ، وفضله عليه بالسخاء ، ثم إنه عطف بعد ذلك على ذكر الأنفة والحمية التى بعثت الأسد على قتل نفسه بلقاء الممدوح ، وأخرج ذلك فى أحسن مخرج ، وأبرزه فى أشرف معنى .

وقد تشابه وصف المتنبى ووصف أبى زبيد من عدة وجوه ، كما اختلفا فى وجوه أخرى وسنذكر ذلك إن شاءالله .

فأما وصف صورته وهيئته : فنلاحظ اتفاقهما فى وصف لونه بدقة ، وهو لون الحُمرة المائل إلى الصُّفرة ، وذلك من خلال كلمة " ورد " . يقول المتنبى :

ورْدٌ إذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنيلا

ويقول أبو زبيد :

وردٌ كأن على أكتاده حرجا فى قرطف من نسيل النجت مخدور(١)

وكذلك وصفهما للشعر المجتمع على كتفيه ، يقول المتنبى :

متخضب بدم الفوارس لابس فى غيله من لبدتيه غيلا

فيصف الشعر المجتمع على كتفيه ويشبهه لغزارته بالشجر الكثيف ، وهذا المعنى ورد عند أبى زبيد فى بيته السابق ، إذ يشبه الشعر الكثيف المجتمع على رأسه وكاهله بالهودج المغطى بالقطيفة المصنوعة من أدبار الإبل .

وينفرد المتنبى بوصف حركة الشعر الكثيف على رأسه وقفاه ، إذ يتحرك ناحية الرأس ، فيصير كأنه تاجاً على رأس الأسد ، يقول :

---

١ – ديوان أبى زبيد صـ٦٢٣

ويرد عفـــرته على يافوخـــه حتـــى تصيـر لرأســـه إكليـــلا

كما ينفرد أبو زبيد بوصف شعر رأسه وقت هجومه على الفريسه ، يقول :

له زُبَـرٌ كاللبد طـارت رعابـلاً وكتفـان كالشـرخين عبلٌ مُضَبَّرٌ(١)

فهو ينفش شعره وقت الهجوم فيصير مجموعات كثيفة متقطعة .

وأما وصفهما للون براثن الأسد ، فيقول المتنبى : " متخضب بـدم الفـوارس " ، فيصف لون البراثن القالم ، وكأن الأسد قد تخضب بدماء من افترسهم من الفرسان .

وأما أبو زبيد فيقول :

بسـمر كالمحالق فى فتـوخ يقيهـا قضـة : الأرض الدخيس (٢)

فيضيف إلى لون البراثن الأسمر (وهو لون ناشىء مـن تراكم الدمـاء ومـرور الوقت عليها) ، صفة الحدة ، فهى قوية وحادة .

وأما وصف العينين ، فقد أورد المتنبى :

مـا قوبلت عينـــاه إلا ظننتـا تحـت الدجـى نـار الفريـق حلـولا

فيصف منظر عينى الأسد ، ويصف لمعانهما وحدتهما ويشبه منظرهمـا بالنـار التى توقدها الجماعة النازلة بالليل .

وتشبيه عينى الأسد بالنار ورد عند أبى زبيد فى أكثر من بيت . يقول :

وعينان كالوَقبين فى قُبْلِ صخرةٍ يُـرى فيهمـا كالجمرتين التبصُّرُ (٣)

وأيضاً يصف توهجهما فى الظلام كأنهما قطعتان من الجمر . يقول :

براثنه شثن وعيناه فى الدجـى كجمر الغضا فى وجهه الشر ظاهر(٤)

ويصف المتنبى انفراده فى جنسه ، يقول :

فـى وحـدة الرُّهبـان إلا أنـه لا يعـــرفُ التحـريمَ والتحليـــلا

وقد وفق المتنبى فى وصف حياته منفرداً إذ شبهه بالراهب ثم ذكر الفرق بين الأسد والراهب . إذ الأسد لا يعرف الحرام والحلال .

بينما ينكر أبو زبيد أن ليس للأسد شيعة سوى لبؤته وأشباله يقول :

---

١ - المرجع السابق صـ٦٠٧

٢ - صـ٦٠٧

٣ - صـ٦٠٨

٤ - صـ٦١٣

بالثنى أسفلَ من جَمّاءِ ليس له إلا بنيه وإلا عِرْسَه شِيَعُ (١)

وأما وصف زئير الأسد ، فيقول المتنبى :

ورد إذا ورد البحيرة شارباً وردَ الفرات زئيره والنيلا

فيصف شدة إرتفاع الصوت ، حتى إنه ليصل من بحيرة طبرية إلى الفرات والنيل .

وأما أبو زبيد فقد وصف صوت زئير الأسد وصفاً دقيقاً ، إذ وصف شدة الصوت وارتفاعه حتى إنه ليصل إلى أعلى الجبال الراسيات ، التى تكاد تنقلب مخافة هذا الصوت ، يقول :

من الأُسْدِ عادىٌّ ، يكاد لصوته رؤوس الجبال الراسيات تقعَّر(٢)

ويشبه غلظة صوت الزئير بصوت الرعد المدوى ، يقول :

كأن اهتزام الرعد خالط جوفه إذا حن فيه الخيزرانُ المثجرُ(٣)

وفى البيت التالى نرى إجادة أبى زبيد ودقته فى وصف صوت الزئير وما فيه من حشرجة وخشونة كأنما هو صوت صادر من إنسان مريض بصدره . يقول :

للصدرِ منه عويل فيه حشرجةٌ كأنما هى فى أحشاء مصدورِ(٤)

وأما هيئة مشيه واختياله : يقول المتنبى :

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آسى يجس عليلا

إذ يصور المتنبى رقته المتناهية فى خطوه على الأرض ، لشدة تعاجبه بنفسه واختياله ، بحركة الطبيب وهو يجس المريض بيده برقة وعطف . وقد نجح المتنبى فى تصوير هذا المعنى بدقة .

بينما أبو زبيد يصف مشيته يتبختر ، يقول :

إذا تبهنس يمشى خلته وعثاً وعى السواعد منه بعد تكسير(٥)

فجعل هيئته فى مشيه يتعاجب ويتبختر ، ورقته فى وقع خطواته على الأرض، كأنما قد كسر ساعداه ثم جبرا بعد ذلك . ولذلك فهو يترفق فى خطواته .

---

١ - صـ٦٤٤

٢ - صـ٦٠٨

٣ - صـ٦٠٨ المثجر : الغليظ العريض

٤ - صـ٦٢٥

٥ - صـ٦٢٣ تبهنس : مشى يتبختر ، وعثاً : يمشى فى وعث وهو ما كثر فيه الرمال .

وكلا الشاعرين قد وُفق فى أداء هذا المعنى .

وأما البحترى : فله قصيدة فى مدح الفتح بن خاقان ، وذكر منازلته الأسد .

مطلعها :

أجِـدَّكَ ما يَنْفكُّ يَسْـرِى لـ " زينبا " خيـالٌ إذا آبَ الظـلامُ تـأوَّبـا(١)

وورد بالقصيدة فى ذكر الأسد قوله :

غَـداةَ لَقِيـتَ اللَّيْـثَ والليـثُ مُخْـدِرُ يُحـدِّدُ نَابـاً للقـاءِ ومِخْلَبـاً
يُحصِّنُـهُ مـن نهـرِ نَـيْزَكَ مَعقِـلٌ مَنِيـعٌ تَسَـامَى غابُـهُ وتَأشَّـبا
يَـرُودُ مَغَـاراً بـالظواهِرِ مُكْثِبـاً ويَحتَـلُّ رَوْضـاً بالأبـاطِحِ مُعْشِـباً
يُلاعِـبُ فيـه أقْحُوانـاً مُفَضَّضـاً يَبِـصُّ ، وحَوْذَانـاً علـى المـاءِ مُذْهَبـاً
إذا شـاءَ غَـادَى عانـةً ، أو عـداً علـى عَقـائِلِ سِـرْبٍ ، أو تَقَمَّـصَ ربربـا
يَجُـرُّ إلـى أشـبالِه كـلَّ شـارِقٍ عَبيطـاً مُدَمَّـى أو رَميـلاً مُخَضَّبـاً
ومن يبْغِ ظُلْمـاً فـى حَريمـك يَنْصَـرِفْ إلـى تَلَـفٍ أو يُثْـنَ خِزْيَـانَ أخْيَبـا
شَـهِدتُ لقـد أنصَفْتَـهُ يـومَ تَنْـبَرِى لـه مُصْلِتـاً عَضْبـاً مـن البيـضِ مِقْضَبـاً
فلـم أرَ ضِرْغَـامَيْنِ أصْـدَقَ مِنكمـا عِرَاكـاً إذا الهَيَّابـةُ النِّكْـسُ كَذَّبـا !
هِزبْـرٌ مَشَـى يبغِـى هِزَبـْراً ، وأغلَـبٌ من القوم يَغْشَى - باسِلَ الوَجْـهِ - أغلَبا
أدَلَّ بشَـغْبٍ ثـم هالَتْـهُ صَوْلَـةٌ رآك لهـا أمْضَـى جَنَانـاً وأشـغَبا
فـأحْجَمَ لمـَّا لـم يَجِـدْ فيـك مَطْمَعـاً ، وأقْـدَمَ لمـَّا لـم يَجِـدْ عنـك مَهْرَبـا
فلـم يُغْنِـهِ أن كَـرَّ نحـوَكَ مُقْبِـلاً ، ولـم يُنْجِـهِ أنْ حـادَ عنـك مُنَكِّبـا
حَمَلْتَ عليه السـيفَ ، لاعَزْمُك انْثَنَـى ولا يَـدُك ارْتَـدَّتْ ، ولا حَـدُّهُ نَبَـا

والبحترى يبدأ هـذا الجزء من القصيدة بوصف حياة الأسد ، ويذكر أنيابه ومخالبه الحادة ذكراً سريعاً يقول :

غـداة لقيتَ اللَّيثَ والليثُ مُخْـدِرُ يُحـدِّدُ نابـاً للقـاءِ ومِخْلَبـا

وإذا قارنا هذا الوصف ، بوصف أبى زبيد للأنياب والبراثن ، لتفوق أبو زبيد إذ يصف الناب الحاد المائل للأسد ، يقول :

---

١ - ديوان البحترى رقم ٦٤ صـ١٩٦

فلا يعلقنكم مِقْصَرُ الناب عَنْبَسٌ عبوسٌ له خَلْقٌ غليظٌ غَضَنْفَرُ(١)

ويشبه الأنياب بالخناجر يقول :

يُدِلُّ بأنياب حِدادٍ كأنها إذا قلّص الأشداقَ عنها خناجرُ(٢)

وأما البراثن فيصفها بالخشونة ، يقول :

براثنه شُثْنٌ وعيناه في الدجى كجمر الغضا في وجهه الشر ظاهرُ(٣)

كما يصفها بالسمرة والحدة في قوله :

يسمر كالمحالق في فتوخٍ يقيها قَضَّةَ الأرضِ النخيسُ(٤)

ثم يصف البحتري عرين الأسد ، فهو قريب من النهر ، وبه أشجار كثيرة ملتفة . يقول :

يُحصِّنُه من نهرِ تِيزَكَ معقلٌ منيعٌ تسامى غابُهُ وتأشَّبا

وله كهف يتردد عليه في أعلى الوادي ، رماله ناعمة وتنبت فيه الأزهار ، يقول :

يرود مغاراً بالظواهر مكثبا ويحتل روضاً بالأباطح معشبا

يُلاعب فيه أقحواناً مُفَضَّضاً بيضٌ ، وحوذاناً على الماء مذهبا

وكذلك وصف أبي زبيد للعرين ، فهو عنده يمتلىء بشجر العناب المتداخل الكثيف ، وقريب منه موضع الماء ، يقول :

أبنَّ عريسةً عُنابُها أشِبٌ ودون غايتها مُستورَدٌ شَرَعُ (٥)

ويصف أبو زبيد العرين فهو مفروش بنباتات جافة هشة ، وكأنه مأوى لرجل أرمل عجوز ، يقول :

فأسرَّ وهاستَّا بهمومهما إلى عرين كُشِّ الأرمل اليفنِ (٦)

ويصف البحتري غذاء الأسد وأشباله ، فهو فرائسه من الحمر ، أو البقر الوحشي وهو كل صباح يقدم لأشباله ذبيحة ملطخة بالدم . يقول :

---

١ - ديوان أبي زبيد الطائي صـ٦٠٦

٢ - المرجع السابق صـ٦١٣

٣ - المرجع نفسه صـ٦١٣

٤ - صـ٦٣٢

٥ - صـ٦٤٤

٦ - صـ٦٦٧

إذا شاء غادى عانةً ، أو عدا على عَقائلِ سِـرْبٍ ، أو تَنقَّصَ رَبْرَبـا
يجُـرُّ إلى أشـبالِهِ كـلَّ شـارِقٍ عَبيطـاً مُـدَمًّى أو رميلاً مُخَضَّباً (١)

أما أبو زبيد ، فهو يذكر أن الأسد يطعم أشباله حين يشبون ويبلغون الفطام فرائسه من القوم ، يقول :

غذاهمـا بلحام القوم مُـذْ شَـدَنا فمـا يزال بوصـلى راكب يَضَـعُ (٢)

وتارة أخرى يصف هذه الفريسة البشرية ، وقد تعفرت فى التراب وتهلهلت ملابسها، يقول : غُذين بـكل منعفـر سـليب يُجـاء بـه وقـد نسل الدريسُ (٣)

وصف الأسد فى مجلس يزيد :

أورد صاحب الأمالى(٤) خبراً عن مجلس ليزيد بن معاوية اجتمع عنده أبو زبيد الطائى ، وجميل بن معمر العذرى ، والأخطل التغلبى ، وطلب منهم يزيد أن يصفوا الأسد . فتبارى الشعراء الثلاثة فى وصفه ، وتقدمهم أبو زبيد يصف الأسد أولاً، قال:

خُبَعْثِـنَ أشَـوَسُ ذوتَـهَكُّم مُشْـتَبِكَ الأنيـاب ذو تَبَرْطُـم
وذو أهَـاويـلَ وذو تَجَهُّـم سـاطٍ علـى اللَّيْث الهِزَبْرِ الضَّيْغَمِ
وعَيْنُه مثل الشِّـهاب المُضْـرَم وهـامُـهُ كالحَجَـر المُلْمَلَـم

وقال جميل :

لَيْثُ عَرِينٍ ضَيْغَـمٌ غَضَنْفَـرُ مُداخَـلٌ فـى خَلْقِـهِ مُضَبَّـر
يُخَـاف من أنيابـه ويُذْعَـر مـا أن يـزال قائمـاً يُزَمْجِـر
لَهُ علـى كل السِّـباع مَفْخَـر قُضَاقِضٌ شَثْنُ البَنَـانِ قَسْـوَرُ

وقال الأخطل :

قُضَاقِضٌ جَهْمٌ شـديد المَفْصِـل مُضَبَّـر السـاعد ذو تَعْتُكُـل
شَرَ نْبَثُ الكَفَّين حامى أشْـبُل إذا لَقَـاه بَطَـلٌ لـم يَنْكَـل
مُلَمْلَم الهامةِ كمشـى الأرْجُل ذو لبَـد يَغْتَـال فـى تَمَهُّـل

---

١ - عانة : قطيع من بقر الوحش ، عبيطاً : ذبيحة ، رميلاً : ملطخ بالدم .

٢ - صـ٦٤٥

٣ - صـ٦٣٠

٤ - ذيل الأمالى والنوادر لأبى على القالى البغدادى صـ١٨٢ : ١٨٥

أَنْيابُه فى فيـــه مثـلُ الأنْصُـــل وَعَيْنُـــه مثل الشِّـهاب المُشْـعَل

ونلاحظ أن الشعراء الثلاثة اهتموا بوصف هيئة الأسد ، والهيبة التى يبعثها فى النفس.

والألفاظ التى وردت فى وصف الأسد عند أبى زبيد تكررت فى هذا المجلس فى وصف جميل والأخطل له ، مما يدل أن هذه الألفاظ كانت مستخدمة فى تلك البيئة لدى الشعراء فى وصف الأسد .

وعلى سبيل المثال وصف أبو زبيد أنياب الأسد بقوله : " مشتبك الأنياب " وقال جميل: " يُخاف من أنيابه ويُذعر " . وقال الأخطل : " أنيابه فى فيه مثل الأنصل " ، فالأوصاف الثلاثة تدل على هيئة الأنياب المخيفة .

وفى وصف عينيه يقول أبو زبيد : " وعينَه مثل الشهاب المُضْرَم " ويقول الأخطل : " وعينَه مثل الشهاب المشعل " فالوصفان يدلان على توهج العينين .

ووصفه بالضيغم " الواسع الشدق " ورد عند أبى زبيد والأخطل . وتشبيه الرأس بالحجر المستدير الصلب ورد عند أبى زبيد : " وهامة كالحجر الململم " ، وعند الأخطل " ململم الهامة " ووصف الأسد بـ " قضاقض " ورد عند جميل والأخطل .

وصف الأسد فى شعر عروة بن الورد :

ورد فى شعر عروة وصف للأسد ، يقول (١):

تبغانىَ الأعـــداءُ إمـــا إلى دم وإمـــا عُراض الساعدين مصَـدَّراً

بَظلّ الأباء ســـاقطاً فـــوق متنه لـه العَـدْوة الأولى إذا القِرن أصْحرا

كأن خـــواتَ الرعـدِ رز زئيـره مـــن اللاء يســـكنّ الغريف بَعثَّـرا

---

١ – ديوان عروة صـــ٥٥ : ٥٦ العراض : العريضة . المصدر : العرض الصدر . الأباء : القصب . أصحر: برز إليه ، خوات الرعد : صوته . الرز : الصوت تسمعه من بعيد ولا ترى صاحبه . الغريف : الشجر الملتف . عثر : أرض قبل تبالة تسكنها الأسود . وتبالة : بلدة من أرض تهامة جنوبى الطائف .

فيصفه بأنه عريض الساعدين ، عريض الصدر ، رابص فوق أجمة يتساقط قصبها فوق ظهره ، ولكن إذا بدت له فريسة ، فما هى إلا وثبة واحدة ليقتنصها ، وزئيره يشبه صوت الرعد . وهو ينتمى لأرض قبل تبالة ، تسكنها الأسود وتسمى عثرا .

وهذا الوصف العابر السريع لعروة بن الورد ، لا يقارن بوصف أبى زبيد للأسد ، إذ دقق أبو زبيد فى وصف أعضائه ، ودقق فى أجزائه ، وقارن بينها وبين الصور المادية التى كانت تحيط به ، فاتخذ منها أوجه شبه وضح فيها الصوّر ، وجسّد الأبعاد، ولوّن الزوايا ، ومن هنا كان من أوصف الشعراء للأسد لأن رآه عن قرب ، وتأمل حركاته . وأدرك ما يصيبه وهو يهمّ بالهجوم ، ويترصد الفريسة ، وأحس بزمجرته المرعبة ، وبراثنه الخشنة الغليظة ، ومخالبه المعقوفة الرأس ثم أجاد تصوير كل هذا فى شعره ، مما جعل وصفه أدق ، حتى عُدّ من أوائل الشعراء الذين عُنوا بوصف الأسد ، وخصصوا جزءاً كبيراً من شعرهم له .

ثانياً : الرثاء

رثى أبو زبيد الخليفة عثمان بن عفان " رضى الله عنه " ورثى عبيد الله بن عمر بن الخطاب " رضى الله عنه " ، كما رثى ابن اخته اللجلاج فى قصيدة أعجبت القدماء(١). كما رثى صاحباً له علم بموته ، ورثى رجلاً من طىء قتلته أزد عمان . وواضح من رثاء أبى زبيد تأثره بالمعانى الدينية الإسلامية ، التى شاعت فى عصر صدر الإسلام . فهو يذكر آل ثمود وما كانوا عليه من عظمة وحضارة ، يقول فى رثاء اللجلاج(٢) :

من رجال كانوا جبالاً بحوراً ... فهم اليوم صحب آل ثمود

خان دهرٌ بهم وكانوا هم أهل ... عظيم الفِعَال والتمجيد

ويقول : كان عنى برد درؤك بعد ... الله شغب المستعصب المريد

ويقول فى رثاء رجل من طىء(٣) :

غبت عنه وأنت لم تك عنه ... غائباً والمليك ربٌّ حسيبُ

ورثاؤه للخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ، نشعر من خلاله بصدق العاطفة برغم أنه ورد فى عشرة أبيات فقط . فهو يرثى فيه تحمله للأمور الصعبة العظيمة من شئون الدولة الإسلامية ، وكرمه الزائد على الناس ، ورعايته للأيتام والأرامل والمسنين العَجَزَة . يقول (٤) :

– ثمت زكوا بما علّوا وما حفروا ... حملاً على الكوم حمال التكاليف

– إن كان مأوى وُفودِ الناس راحَ به ... رَهْطٌ إلى جَدَثٍ كالغار مَنْجُوفِ

– مأوى اليتيم ومأوى كُلّ نَهْيَلَةٍ ... تأوى إلى نَهْبَلٍ كالنسر عُلْفُوفِ

وأبو زبيد فى رثائه ، يصف القبر وصفاً واقعياً ، فهو فى أرض محفورة بالمسحاة(٥) ويحيط بجانبيه التراب. وقد كانت المساحى تحدث صوتاً بأيدى الحفارين وهم

---

١ – جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى صـ١٣٨

٢ – ديوان أبى زبيد صـ٥٩٨

٣ – المرجع السبق صـ٥٨٧

٤ – الديوان صـ٦٥١

٥ – المَجْرَاة : المجرفة

يحفرون القبر ، يقول :

علـى جَنابيه من مظلومة قِيَمٌ ... تَبادَرتْهـا مِسـاحٍ كالمناسـيف

لها صواهل فى صُم السِلام كما ... صاح القَسيَّات فى أيدى الصياريف

كأنهـن بأيـدى القومِ فى كبـدٍ ... طيـرٌ تكشَّـف عـن جُون مزاحيف

وهو يأسى أن هالوا التراب فوق جسد الخليفة عثمان ، وزادوا فوقه تراباً كثيراً ، يقول :

مُقـرمد مـا عَلـوا منه بقنطرةٍ ... زاداً مـن الـزاد غَثًّا غيـر مظلوف

ثمت زكوا بما علَّوا وما حفروا ... حمـلاً علـى الكـوم حمّال التكاليف

ويتحسر عليـه أن حمل القوم جسده الميت ، ودفنوه فى قبر محفور عرضاً كأنه الكهف . يقول :

إن كان مأوَى وفُودِ الناس راحَ به ... رَهْـطٌ إلـى جَدَثٍ كالغـار مَنْجوفِ

وقد وضعوا فوق قبره الحجارة الضخمة . يقول :

إن كان عثمان أمسـى فوقه أمَـرٌ ... كراقـب العُـون فوق القنة الموفـى

وكذلك رتاؤة للإمام على بن أبى طالب " رضى الله عنه " يبدو فيه التأثر الشديد لهذه الحادثة . فقد قتل والدولة الإسلامية فى أمسِّ الحاجة للرجال المخلصين ويبدأ أبو زبيد قصيدته بمدح خلقه الكريم ، وبيان نسبه الشريف للرسول " صلى الله عليه وسلم " ، الذى اختاره الله لهداية هذه الأمة(١) :

إن الكرامَ على ما كان مـن خُلُـقٍ ... رَهْـطُ امرىء خارَه للدِّين مُخْتارُ .

ويمتدح فيه بصيرته بنفوس الناس ، وعلمه فى الدين ، الذى تعلمه من رسول الله " صلى الله عليه وسلم " . ولا يساويه فى علمه هذا عالم آخر .

طَبّ بَصيرٌ بأضغانِ الرجـال ولم ... يُعْـدَل بحَبْـرِ رسول الله أحْبارُ .

ويرجع أبو زبيد وفاته إلى أن وقته حان ، وهذه مشيئة الله فى خلقه ، وقد قدر الله هذه الوفاة ، بهذه الصورة ، ليدخله جناته ، ويدخل قاتله النار . يقول :

وقَطْرَةٌ قَطَرَتْ إذعـانَ موعـدُها ... وكـلُّ شـىء لـه وقت ومِقْـدارُ

حتى تنصَّلَها فى مسـجد طُهُـرٍ ... علـى إمـامِ هدىً إن مَعْشَرٌ جارُوا

حُمَّت ليَدْخُلَ جَنَّـاتٍ أبو حَسَـنٍ ... وأُوجبَـتْ بعـدَه للقاتـل النـارُ .

---

١ - ديوان أبى زبيد صـ٦١١

وفى رثاء ابن اخته اللجلاج يتحسر عليه أن أُهيل عليه حمل ثقيل من التراب ، ووُضعت فوق القبر صخرة عظيمة . يقول :

فـى ضَريـحٍ عليه عبءٌ ثَقيـلٌ ... مـن تُـراب وجَنْـدَلٍ منضُـود

وهو فى رثائه لابن اخته اللجلاج يشعرنا بالحسرة الشديدة والحرقة البالغة فى قلبه عليه ، لما بينهما من صلة رحم . يقول(١) :

من حَميمٍ يُنْسى الحَيَاءَ جليدَ القَو ... مِ حتـى تَـرَاهُ كالمَبْلـود

كـلُ ميتٍ قد اغْتَفـرتُ فـلا أو ... جـعُ مـن والـدٍ ومـن مولـود

غيـر أنَّ اللجلاج هـدَّ جَناحـى ... يـومَ فارقْتُـهُ بأعلـى الصَّعيد

ويقول :

ياابن حَسْـنَاءَ شِقَّ نفسى بالجـ ... لاج خليَتنـى لدهـرٍ شـديد

ويقول :

إن تُفتْنى فلم أطِبْ عنك نفسـاً ... غيـر أنـى أُمَنـى بدهـرٍ كنـود

ويأسى عليه لأنه مات عطشاً بعد إصابته بحر العطش . يقول :

عن يمينِ الطريق عِنْدَ صدًى حَـرَّ ... أن يدعـو بالليـل غيـر مَعُـودِ

صادياً يسـتغيثُ غيـرَ مُغـاثٍ ... ولقـد كـانَ عُصـرةَ المَنْجـودِ

ويعدد مآثره وكأنه ينوح عليه . فقد كان ملجأ للمكروبين . يقول :

من يُرِدْنى بسـوءٍ كُـنتَ منـهُ ... كالشَّـجا بيـن حَلْقـه والوريـد

وقد كان كالأسد شجاعة ، ولكنه يفوقه فى طول القامة ، وكان يغلب خصمه عنوة ، يقول : أسـدٌ غيرُ حيدرٍ ومُـلَثٌ ... يُطلـعُ الخَصْـمَ عَنـوةً فى كـؤود

وكان خطيبا مفوهاً فى المناظرات ، إذا عجز الخصوم . قال :

وخَطـيبٌ إذا تمعّـرت الأو ... جُـه يَوْمـاً فـى مأقِـطٍ مَشـهودِ

وقد كان جواداً ، كريماً وافر العطاء ، وإن بخل اللئماء . قال :

ومطيرُ اليدين بالخير للحمـد إذا ... صـنَّ كـلُّ جِبـس صَـلود

ولشدة كرمه كان يترك ناره مشتعلة بالليل ، وعليها القدر ممتلئة بالطعام ، لإكرام الضيوف . قال :

مُعْمل القِـدْرِ تابه النـار بالليل ... إذا هَـمَّ بعضُهُـم بخمـود

---

١ - ديوان أبى زبيد صـ٥٩٣

وقد كان يتسم بالبياض ، والإشراق ، واستدارة الوجه ، كأنه البدر . وكانت العيون تتطلع إليه لجماله . يقول :

أصلتىّ تَسْمُو العُيونَ إليه ... مُستَنيرٌ كالبدْرِ عامَ العُهُود

وكان يتولى أمر ضعاف القوم ، ويقضى حوائجهم ، ويسير الليل كله مستقيماً ، قال :

ناطَ أمر الضّعافِ واجتعلَ الليـ ... ـل كحبل العاديةِ الممدود .

ثالثاً : المدح

لم يشغل المدح حيزاً كبيراً فى ديوان أبى زبيد ، إذ لم يجد التملق سبيلاً إلى الشاعر ، ولذلك فقد استعمله الخليفة عمر بن الخطاب " رضى الله عنه " على صدقات قومه ، وأدنى مجلسه عثمان بن عفان " رضى الله عنه " ، وصاحبه الوليد بن عُقبة مصاحبة طويلة. وقد كانت أغراضه الشعرية أغراضاً خاصة ، لازمت حياته ، جاشت فى نفسه، فأثارت فيها لواعج ومشاعر وأحاسيس . عبر عنها بهذه القصائد ، ولونها بعواطفه التى طبعت هذه المشاعر والأحاسيس .

وقد مدح الإمام علياً بقصيدة ، كما مدح الوليد بن عقبة بأربعة نصوص ، وله نص واحد فى مدح أبى وهب .

وهو فى مدحه الإمام علياً يمدحه بصفات تليق بإمام المسلمين كالحلم ، والتديُّن ، والشجاعة ، والفروسية ، يقول (١) :

إن علياً ساد بالتكرُّمِ ... والحِلمِ عند غايةِ التحلُّمِ

هَداهُ ربّى للصِّراطِ الأقوَمِ ... بأخذه الحِلَّ وترك المَحْرَمِ

كالليثِ عند اللَّبُواتِ الضَّيْغمِ ... يُرضِعْنَ أشبالاً ولَمَّا تُفْطَمِ

فهو يُحامى غيرَةً ويَحْتمى ... عبلُ الذراعين كريهُ شَدْقَمِ

ويقول :

ليثُ الليوث فى الصِّدام مِصْدَم ... وكَهمس الليل مِصَكّ مِلْدَم

---

١ - المرجع السابق صـ٦٦٢

ويمتدح صفاته الجسدية المميّزة له ، فهو ممتلىء الذراعين " عبل الذراعين " وهو ضخم الجسم " نَهْد " ، وهو أبيض الوجه " ذو جبهة غَرّا " ، وأنفه ممتلىء " وأنف أختم ". وأما مدح الوليد بن عقبة ، فقد وردت فيه معظم مدائح أبى زبيد ، لما عُرف عنهما من صداقة ومنادمة استمرت حتى الموت .

من أشهر مدائحه فيه قصيدته التى قالها بعد أن ذُكِر لعثمان بن عفان " رضى الله عنه " أن الوليد يشرب الخمر ، وينادم أبا زبيد ، فعزله عن الكوفة ، وحدَّه فى الخمر . وفى القصيدة نشعر بصدق أبى زبيد فى حديثه عن الوليد ، فمن بداية القصيدة يتحسر أبو زبيد على ارتحال الوليد بن أروى " وهى أمه وأم عثمان بن عفان " بأحماله وأثقاله مكرهاً عن الكوفة ، والحداة يحثون الإبل على السرعة فى المسير لايتأنون . والإبل تتجه من الكوفة إلى المدينة تاركة بيت الوليد وكنيته " أبو وَهَب " المتسع ، الذى ابتناه إلى جوار المسجد خلاء تدوى فيه أصوات الرياح . يقول(١) :

من يرى العِيرَ لابن أَرْوَى على ظهـ ... ـر المَرَوْرَى حُدَاتُهن عِجالُ
فُصعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبى وَهَب ... خَلاءً تحنُّ فيه الشَّمالُ

ويدافع عنه فى التهمة المنسوبة إليه ، وهى شربه الخمر ، فيذكر أنه لا يشرب الحرام وإنما شربه حلال طيب . يقول :

قولُهم شُربُك الحرامَ وقد كا ... ن شرابٌ سوى الحرام حلال

ويعرِّض أبو زبيد بسعيد بن العاصى ، الذى ولى الكوفة ، حين عزل عثمان الوليد بن عقبة وكان سعيد بن العاصى هو الذى تولى جلد الوليد بن عقبة ، بأمر عثمان رضى الله عنه ، فيما اتهم به من شرب الخمر . يقول :

وأبَى الظاهرُ العداوةِ إلا ... شَنآناً وقولَ مالا يُقال
من رجالٍ تقارضوا مُنكراتٍ ... لينالوا الذى أرادوا فنالوا
غيرَ ما طالِبينَ نَحْلاً ولكن ... مالَ دهرٌ على أُناسٍ فمالوا

ويعلن مناصرته للوليد طوال حياته ، بماله ، وبلسانه ، وبيديه . يقول :

من يَخُنْكَ الصَّفاءَ أو يتبدّلْ ... أو يزُلْ مثلما تَزول الظِّلالُ

---

١ - الديوان صـ٦٥٦

فاعلَمــنْ أننى أخوك أخو الـودِّ حياتــى حتــى تـزولَ الجبـالُ
ليـس بخلٌ عليك عندى بمــالٍ أبــداً مــا أقــلَّ نعــلاً قبـالُ
ولك النَّصــر باللسان وبالكـــ - فِّ إذا كــان لليــدين مَصَــال .

وفى نص آخر يعلن أنه يدين للوليد بالود الخالص ، ونصحه الصريح ، فقد نصره على مرى بن أوس بن حارثة ، وكانوا قد أخذوا منه إبلاً فاقتلعها منهم الوليد. يقول:

ياليت شِــعرى بأنبـاءٍ أُنَبِّؤُهــا قــد كان يَعيا بها صَدْرى وتَقْديـرى
عن امرِىء ما يزِدْهُ الله من شَرَفٍ أفــرح بــه ومُــرىً غيرُ مسرور
إنَّ الوليدَ له عنــدى وحــقَّ لــه وُدُّ الخليــلِ ونُصــحٌ غيرُ مَذْخور

وهو يعترف بما للوليد من فضل عليه ، إذ رعاه ، وقربه إليه ، ونصره على أعدائه . ولم يقصر فى ذلك ، فدفع عنه أذى القوم ، حتى ابتعدوا بشرهم عنه مضطرين متصاغرين ، غير مكترث بعاقبة ذلك . يقول :

إن امرأً خَصَّنــى عمداً مَوَدَّتَــه علــى التنائــى لِعندى غيرُ مكفور
لقد رعانــى وأدنانى وأظهَرنــى علــى الأعــادى بنصرٍ غير تَعْذير
فشــذَّبَ القومَ عنىّ غيرَ مكتــرثٍ حتــى تَناهَوْا على رغمٍ وتصغير

وهو يعلن حبه له فهو مستعد أن يفتديه بنفسه ، يقول :

نفســى فداءُ أبى وهب وقَلَّ له يا أُمَّ عمروٍ فَحُلِّى اليومَ أو سـيرى

وفى نص آخر يمتدح ما يتسم به الوليد من كرم وسماحة نفس ، وخصال طيبة ، وطبيعة حسنة مرغوبة ، يقول(١) :

كـم عِنْـدَهُ من نائلٍ وسَــمَاحةٍ وشــمائل مَيمُــونةٍ وخــلائق

وفى نص آخر يقسم أنه إن كان يبيت ببلدة لا يبيت فيها الوليد ، فحاله كحال الأعور، الذى يواجه الدنيا بعين واحدة ، يقول(٢) :

لَعمرِى لئن أَمْسَــى الوليدُ ببلدةٍ ســواى لقد أمسيتُ للدهر مُعْوِرَا

ويعلن أنه يلتمس قربه ، وإن نأى عنه ، حتى لوا استغرق السفر إليه شهوراً طويلة. يقول :

---

١ - الديوان صـ٦٥٤
٢ - صـ٦١٧

خـــلا أن رزقَ الله غادٍ ورائحٌ وإنّـــى لـــه راجٍ وإن مرّت أشهرا

رابعاً : الهجاء

شعره فى الهجاء ينحصر فـى خمسـة نصوص ، أشـهرها مـا قالـه فـى واقعـة ضربـة المكاء(١) . إذ ورد أن رجلاً من طىء من بنى حية ، نزل بـه رجل مـن بنـى الحـارث بن ذهل بن شيبان ، يقال له المكاء ، فذبح لـه شـاة وسقاه مـن الخمـر ، فلمـا سكر الطائى ، قال : هَلُمَّ أفاخرك : أبنو حية أكرم أم بنو شيبان ؟ فقال له الشيبانى : حديث حسن ومنادمة كريمة ، أحب إلينا من المفاخرة . فقال الطائى : والله ما مدَّ رجل قط يداً أطول من يدى ! فقال الشيبانى : والله لئن أعدتها لأخضبنهـا مـن كوعهـا . فرفـع الطائى يده ، فخضبها من كوعها . فقال أبو زبيد قصيدته ومطلعها :

خبرتنـــا الركبانُ أن قد فخرتـــم وفرحتـــم بضربـــة المُكَّـــاءِ (٢)

وفيها يهجو الشيبانى القاتل كما يهجو قومه ، وهـو يعيرهم بـأن النـاس تنـاقلوا خبر هذه الغدرة منهم التـى صـارت عـاراً عليهـم ، فقد ظل أخوهم الشيبانى ضيفاً علـى الطائى يتمتعان بشرب الخمر غدوة ، وأكل اللحم المشوى ، ثم لمـا نظر الشيبانى فوجد الطائى قد لعبت الخمر برأسه وغلبت علـى عقلـه ، ولا يمكنـه دفـع الخطـر عن نفسه ، لم يعمل حساباً لحرمة النديم ، وهى حرمة واجبـة الرعايـة علـى أهل الوفـاء والكرم ، وأقدم على فعلته القبيحة . ويلجأ أبو زبيد إلـى استخدام النـداء لقومـه كـى يتعجبوا من هذه الفعلة النكراء . يقول :

خبرتنـــا الرُّكبانُ أن قد فَخَرْتُـم وفَـــرِحْتُـــمْ بضربـــةِ المُكَّـــاءِ
ولعَمْـــرِى لعارُهـــا كان أدنـــى لكُـــمُ مـــن تُقىً وحـــقِ وفـــاءِ
ظـــل ضيفـــاً أخوكُـــمُ لأخينـــا فـــى صَبُـــوح ونعـــمةٍ وشـــواءِ
ثم لمـــا رآه رانـــت به الخمـــرُ وأن لا يريبُـــهُ بـــاتقـــاءِ
لم يَهَبْ حُـــرمةَ النديـــم وحُقَّتْ يالِقَومـــى للسَّـــوأةِ السَّـــوآءِ

١- الأغانى جـ١٢ صـ١٢٣ - طبقات فحول الشعراء صـ٦٠٣.

٢ - الديوان صـ٥٨١.

ويلجأ أبو زبيد فى هذه القصيدة إلى الفخر القبلى ، وبيان منزلة قبيلته بين القبائل ، وهو ينقل إليهم الأخبار القاطعة ، فكم من قبيلة تعرضنا لسفاهتها ثم أعرضنا عنها ، وكم من معشر قاتلونا فأزالتهم رماحنا قتلى ، وقد بدأوا هم بحربنا وكانوا يعيشون حياة الرخاء ، وبعد أن تهيأوا للقتال وتطاولوا بإشعال نار الحرب واصطلوا بحر نارها، طلبوا منا الصلح . لأنهم وجدونا أهل بأس ، صادقى الطعن فى المعركة ، يقول:

فاصدقونى وقد خبرتم وقد ثا ... بت إليكم جوانبُ الأبناءِ
هل علمتم من مَعشر سافهونا ... ثم عَاشوا صفحاً ذوى غُلواءِ
كم أزالت رماحنا من قتيلٍ ... قاتلونا بنكبةٍ وشقاءِ
بعثوا حربنا إليهم وكانوا ... فى مقامٍ لو أبصروا ورخاءِ
ثم لما تَشَذَّرتْ وأنافتْ ... وتَصَلَّوا منها كريهَ الصّلاءِ
طلبوا صُلْحَنا ولاتَ أوانٍ ... فأجَبْنا أنْ ليسَ حينَ بقاءِ
ولعمرى لقد لَقُوا أهل يأسٍ ... يَصْدُقونَ الطعانَ عند اللقاءِ

وهو يستهزىء بقوم الشيبانى ، ففعلتهم القبيحة لا تصدر من سادة الناس ، وإنما رعاعهم . يقول :

فاصدقونى أسُوقةً أم ملوكَ ... أنتمُ والملوكُ أهلُ عَلاءِ

وفى نهاية القصيدة يفخر أبو زبيد بشمائل قومه ، من تصبر وتعزى عند المصيبة ، وعدم الاستسلام للحزن ، وقد اشتهروا بالعزة والسيادة . ومجدهم يفوق كل مجد سواهم . يقول :

إننا معشر شمائلنا الصبر ود ... فع الأسى بحُسنِ العزاءِ
ولنا فوق كل مجد لواء ... فاضل فى التمام كل لواء .

ولأبى زبيد قصيدة قالها فى أجيره الذى حارب مع بهراء ضد تغلب (وهم أخوال أبى زبيد) قال ابن الكلبى فى خبره الذى ذكره اسحق عنه(١) : " هرب أبو زبيد من الإسلام ، فجاور بهراء ، فاستأجر منهم أجيراً لإبله ، فكان يُقَيِّله حلب الجمان والقيس ، وهما ناقتان كانتا له ، فلما كان يوم حابس ، وهو اليوم الذى التقت فيه

---

١ - الأغانى جـ١٢ صـ١٣٨

بهراء وتغلب ، خرج أجير أبى زبيد مع بهراء ، فقتل وانهزمت بهراء ، فمرَّ أبو زبيد به وهو يجود بنفسه ، فقال فيه هذه القصيدة " .

وورد (١) أن . " أبا زبيد ، وكان فى أخواله بنى تغلب ، وكان يقيم فيهم أكثر أيامه وكان له غلام يرعى إبله ، وأن بهراء غزت بنى تغلب ، فمروا بغلامه ، فدفع إليهم الإبل ، وقال : انطلقوا أدلكم على عورة القوم وأقاتل معكم . فصحبهم ، فالتقوا فهزمت تغلب بهراء ، وقتل العبد ، فقال أبو زبيد فى ذلك ..... "

وأبو زبيد يبدأ قصيدته بهجاء أجيره ، فيصيره بأنه عبد لا علم له بالحرب ، وليس من فرسانها ، ويلومه أن سعى إلى هؤلاء الشياطين من بنى تغلب ، مستعجلاً تاركاً ماكلف به هذا العبد من حلب الإبل ورعايتها . يقول (٢) :

هَــل كنتَ فى منظَرٍ ومُسْــتَمع ... عــن نَصْــرِ بَهْراءَ غير ذى فَرَسِ

تَســعى إلــى فتيــةِ الأراقم واسـ ... ـتعجلتَ الجُمــانِ والقَبَــسِ

ويسخر أبو زبيد من هذا الأجير ، الذى سعى إلى لقاء تغلب ، وقد ظنهم طعاماً لذيذاً سائغاً قريب المتناول ، يقول :

مُنتهــزاً من لَقُــوا ، حســبتَهُم ... أحلــى وأشــهى مــن باردِ النَّبس

ويوقل أبو زبيد لأجيره : كيف تفعل هذا ، ولاثأر لك عندهم ، ولا لأحد فيهم مطمع من عزهم ، فكيف اجترأت عليهم ، أيها العبد ؟ يقول :

لا تِــرَةٌ عندَهُــم فتطلبُهــا ... ولاهُــمُ نُهْــزَةٌ لمختَلِــسِ

ويمدح بنى تغلب أخواله ، فيصفهم بالسخاء ، وسرعة بذل المال ، وهم لا يضجرون من مسى الحرب ولا يهابونها ، ولا يقعدون عنها يقول :

جُــودَ كــرامَ ، إذا هُمَ نُدِبُــوا ... غيــرُ لِئــامٍ ضُجْــرٍ ولا كُبُــس

كما يصفهم بالرزانة فى ناديهم ، لا يتكلمون ، فإذا تكلموا أبانوا عن أنفسهم ، يقول :

صُمْتَ عِظامُ الحُلــومِ إن قَعَــدُوا ... مِــن غيــر عِــىّ بهم ولا خَرَسِ

ويذكر إعدادهم خيلهم وجمالهم ، لحرب عدوهم ، ليصبحوه مع الفجر . يقول :

تَقُــوتُ أفراسَــهُم نســاؤُهُمُ ... يُزْجُــونَ أجْمالَهُــمْ مــع الغَلَــس

---

١ - الأغانى جـ١٢ صـ١٣٥ ، الشعر والشعراء صـ٣٠٧ ، طبقات فحول الشعراء صـ٦٠٦

٢ - ديوان أبى زبيد صـ٦٣٦

ويذكر التغلبى الذى قتل أجيره ، ويصف التغلبى إذ عبس لما رآه ، غضبا وحمية وشبهه بالأسد بأساً ونكاية :

صَانَفتَ ، لما خرجتَ منطلقاً جَهْمَ المُحيَّا كباسِلٍ شَرِسِ

ويصف نصل رمحه بشدة لألائه ، وتوقده :

فجالَ ، فى كفِّهِ مُثَقَّفَةً تَلْمَعُ فيها كشُعْلَةِ القَبَسِ

ثم يصفه بأنه لا يكاد يبلغ ثأراً ، حتى يطلب ثأراً آخر مرة بعد مرة ، لكثرة قتاله وقتال قومه ، لا تنتهى نحولهم وأوتارهم ، فهو أبداً منغمس فى غمار الموت :

بكفِّ حَرّان ، ثائرٍ بدَمٍ ، طَلَّابِ وتْرٍ ، فى الموت مُنْغَمِسِ .

ويتهزأ ويسخر بأجيره فيقول : إن تك قتلت فى حرب ، فإنك لست من أهل الحرب حتى أبكى عليك بكاء الذين يقتلون فى الحروب ، ولا أبكيك لشىء إلا للدلو والمرس ، إذ كنت حانقاً بالاستقاء من الآبار ، ما إليها من عمل العبيد والأجراء :

إما تقارَشَ بك الرماحُ ، فلا أبكيكَ إلا للدَّلوِ والمَرَسِ .

ويستمر فى السخرية به ، فيذكر أنه راض عما اختاره لأجيره ، حين جعله يغدو على ناقته يحلبها . أما الأجير فقد لام نفسه ، وذم ما اختاره لنفسه ، من خوض المهالك فطُعن فى ثُغرة نحره وهلك :

حَمِدْتَ أمرى ، ولمتَ أمرك إذْ أمسكَ جَلْزُ السنان بالنَفَسِ

ويستمر أبو زبيد يهزأ به ، ويسخر . فيقول : تعرضت لهذه النار الجامحة من الحرب تحسبها نعمة ومتاعاً ، كما يتعرض المقرور للنار الموقدة ، يصطلى ويستدفىء ويستمتع ، فكان ما علمت من المكاره :

وقد تصلَّيتَ حَرَّ نارِهِمُ ، كما تصَلَّى المقرُورُ من قَرَسِ

وفى نهاية قصيدته يذكر حاله وهو يصارع الموت . فلم يكن يملك أن يحرك شيئاً من بدنه ، إلا كفه . وقد أقبلت عليه النسور ، واستدارت حوله ، وأقامت فى مكانها ناظرة إليه ، تترقبه حتى يهلك فتأكله ويشبه الشاعر اجتماع النسور حوله بالزالرات فى العرس ، وقد لبسن البياض ، وأخذن زينتهن وتجمعن ينتظرن الوليمة :

تَنَبَّ عَنْه كفٌّ بها رَمَقٌ طيراً عُطوفاً كزُوَّرِ العُرُسِ

وبعد قليل قضى نحبه ، فدلفت إليه النسور ثم علت جثته ، ثم أقبلت تنهشه ، فمنها ما يضرب بمنقاره فى اللحم ولم ينتزعه بعد ، ومنها ما هو قد نهش اللحم وأخذ يأكله:

هـــا قليـــلٍ علـــون جُثّتَـهُ ... فهُـــنَّ مِـــنْ والـــغٍ ومُنْتَهـــسِ

ولأبى زبيد أبيات فى هجاء ضبيعه ، وفيها أيضاً يسخر من هذه العشيرة ، ويبين أنها ليست بذات شأن ، وأنها تنتمى بأصولها لعبد ضمته طىء إليها(١) :

تنازعنى ضُبيعة أمـــرَ قومـــى ... ومـــا كـــانت ضُبيعةُ للأمـــور

وهـــل كانت ضُبيعةُ غيرَ عبـــد ... ضَممنـــاهُ إلـــى نســـب شـــطير

وله ثلاثة أبيات فى هجاء من منعه صلته ، وهو يعتب عليه أن حلف ألا يبره ، أو يعطيه أبداً ، وهو يسخر منه فى البيت الأخير ، فيدعوه أن يترك له رزقه ، فى ناظرى حية رصيد وهى التى ترصد المارة على الطريق لتلسع ، يقول(٢) :

أتيتـــك أدّبتنـــى بواحِـــدة ... تجعلُهـــا منـــكَ آخِـــرَ الأبـــد

أحـــلِف ألا تبرّنـــى أبـــداً ... فـــإنَّ فيهـــا بَـــرْداً علـــى كَبـــدى

إن كـــان رِزقى إليك فـــارْمِ به ... فـــى ناظـــرَىْ حيـــةٍ على رَصَـــدِ

---

١ - الديوان صـ٦٢٩

٢ - المرجع السابق صـ٦٠٥

اللغة والصورة فى شعر أبى زبيد

أولاً : لغته

نلاحظ عند قراءة شعر أبى زبيد ، ظاهرة استخدامه لألفاظ غريبة ، تصعب كثير من معانيها على القارىء ، فيضطر لاستخدام المعجم ، وتتركز هذه الظاهرة فى الألفاظ الخاصة بوصف الأسد ، ولا نجد لهذه الغرابة أثراً يذكر فى مدحه ، أو رثائه ، أو هجائه ، إذ يبد أن ما يتصل بالأسد من وحشية وعنف يناسبه ألفاظ الغريب ونلاحظ أن الشاعر لا يكتفى بألفاظ غريبة بعينها فى وصف الأسد ، بل يحشدها فى القصيدة فى عبارات متتابعة يصعب متابعتها ، إلا بكثير من الجهد والتنقيب عن دلالات الألفاظ . فمما ورد فى وصفه للأسد قوله (١) :

فلا يعلقنكم مِهْصَرُ الناب عَنْبَسٌ ... عَبُوسٌ له خَلْق غليظٌ غضنفرُ
مُبِنٌّ بأعلى خَلٍّ رَمّان مُخدِرٌ ... عَفَرْنَى مذاكى الأسد منه تحجرُ
له زُبَرٌ كاللبد طارتْ رعابلاً ... وكتفان كالشرخين عبلٌ مُضَبَّرُ
كأن غضوناً من لهاه وحلقه ... مغارهَيام عُدْمُلىّ منهور
يُعرِّد منه ذو الحفاظ مدحجاً ... ويَحبِقُ منه الأحمرىُّ المدوّر

ومنه أيضاً قوله(٢) :

ورد كأنَّ على أكتاده حَرجَا ... فى قُرطف من نَسيل النجت مخدورِ
أو ذا شصائب فى أحنائه شَمم ... رخو الملاط غبيطاً فوق صرصورِ
كأنَّ عينيه فى وَقْبَين من حَجَرٍ ... قِيضَا اقتياضاً بأطراف المناقيرِ
إذا تبهنَّس بمشى خِلْتَهُ وعِثا ... وَعى السواعد منه بعد تكسيرِ

وفى البيت التالى نلاحظ أنه فى شطر واحد ، يحشد ألفاظاً غريبة متتابعة فى وصفه للأسد يقول :

عبوسٌ شموسٌ مُصْلَخِدٌ مُكابرٌ ... جرىءٌ على الأقران للقرن قاهرُ

---

١ - الديوان صـ٦٠٦

٢ - المرجع السابق صـ٦٢٣

وألفاظ الغريب لدى شاعرنا فرضها عليه الغرض الشعرى ، فالوحشية التى تتصل بوصف الأسد ، وما يتصل بها من خشونة ، قد فرضا على الشاعر استخدام هذا النوع من الألفاظ . يقول عنه صاحب الخزانة(١) : " وكان مغرىً بوصف الأسد بعبارات مهولة تزعج السامع ، حتى كأنه يشاهد الأسد فى حضوره " .

ويعرف السيوطى الغريب فيقول(٢) : " والغَرَابَةُ أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها ، فيُحتاج فى معرفتها إلى أن يُنقر عنها فى كتب اللغة المبسوطة . فينبغى أن نلاحظ أن للغرابة هنا مدلولاً خاصاً ، بمعنى أن تكون اللفظة غريبة على العرب الفصحاء . لا بالنسبة لاستعمال الناس عامة " .

وأورد ياقوت الحموى (٣) رواية على لسان الأصمعى ، قال : قال الأصمعى : "جئت إلى أبى عمرو بن العلاء فقال : من أين جئت يا أصمعى ، قلت : من المربد ، قال : هات ما معك ، فقرأت عليه ما كتبت فى ألواحى ، ومرت به ستة أحرف لم يعرفها فأخذ يعدو فى الدّرج قائلاً : شمّرت فى الغريب يا أصمعى " .

وأبو زبيد لا يقتصر فى استخدام هذه الألفاظ الغريبة فى وصف الأسد شعراً فحسب ، بل لقد استخدمها فى وصفه النثرى للأسد ، فى مجلس عثمان بن عفان رضى الله عنه . وبدأ هذا الوصف بوصف جو الصحراء ، وهذا يؤكد أن الغرض الشعرى هو الذى فرض عليه استخدام هذا النوع من الألفاظ.

ويظهر فى ألفاظ أبى زبيد وفى معايته الأثر الإسلامى واضحاً ، ومن المعروف أن الحياة الدينية وخاصة فى بدايات الدعوة الإسلامية ، كانت عاملاً مؤثراً كبيراً فى الشعر ، ويعد تأثر أبى زبيد بهذه الحياة الدينية ، صورة لتأثر المجتمع الأدبى فى ذلك العصر بهذه الحياة الدينية . فكثير من العناصر الإسلامية التى نجدها

---

١ – خزانة الأدب ، عبد القادر البغدادى جـ٤ صـ١٩٢

٢ – المزهر للسيوطى جـ١ صـ١٨٥

٣ – معجم الأدباء جـ٢ صـ٢٢

فى شعر أبى زبيد ، نجدها أيضاً فى شعر غيره من المعاصرين له ، مع تفاوت طبيعى بينهم فى مدى الاستجابة لهذه الحياة الدينية .

وقد ظهر هذا التأثر فى الشعر ، فنجد أبا زبيد فى معانيه وألفاظه متأثراً بالروح الإسلامية ويستخدم إلى حد ما الألفاظ الإسلامية التى كان يتداولها الشعراء المسلمون فى تلك الفترة . ويعد رثاؤه لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولعثمان ابن عفان رضى الله عنه ، ولعبيد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، خير دليل على هذا الأثر الإسلامى فى شعره . فهو يذكر آل ثمود فى قوله :

مـن رجالٍ كانـوا جبالاً بحـوراً ... فهُـمُ اليـومَ صحبُ آل ثَمُـود (١)

ويذكر أن المليك رب حسيب ، يقول :

غبـت عنه وأنت لـم تك عنـه ... غائبـاً والمليـك ربّ حسـيبُ (٢)

ويقول حبر رسول الله :

طبٌّ بصيـرٌ بأضغانِ الرجال ولـم ... يُعْـدَلْ بحَبْـرِ رسول الله أحْبارُ (٣)

ورهط رسول الله :

إن الكرامَ على ما كـان من خُلُـقٍ ... رَهْطُ امرىء خارَه للدين مُخْتَـارُ (٤)

ويذكر هداية الله للصراط الأقوم ، والحلال والحرام ، يقول :

هـداهُ ربـيّ للصّـراطِ الأقـوَمِ ... بأخـذه الحِـلَّ وتَركِ المُحْـرَمِ (٥)

ويذكر ضلالة تأميل نيل الخلود

إنَّ طـولَ الحيـاةِ غيـرُ سَـعودِ ... وضَـلالٌ تأميـلُ نيلِ الخلـودِ (٦)

ورد الدرأ بعد الله :

كـانَ عنـّى يَـرُدّ دروُك بعـدَ ... اللـه شَغْب المستصعَب المِريّد (٧)

---

١ - ديوان أبى زبيد صـ٥٩٨

٢ - المرجع السابق صـ٥٨٧

٣ - المرجع نفسه صـ٦١٢

٤ - صـ٦١١

٥ - صـ٦٦٢

٦ - صـ٥٩٢

٧ - صـ٦٠٠

ويقول بحمد الله :

بحمـــد اللـــه ثـــم فتـــى قـريشٍ ... أبـــى وهـب غدتْ بُطُناً غِزارا (١)

ويذكر الجنة والنار :

حُمَّتْ لِيَدْخُلَ جَنَّاتٍ أبـــو حَسَـــنٍ ... وأُوجِبَتْ بعـــدَه للقاتـــل النـــارَ(٢)

وطهارة المسجد ، وإمامة على للمسلمين :

حتى تنصَّلَها فى مَســـجدٍ طُهُـــرٍ ... علـــى إمـــامِ هُدىً إن مَعْشَرٌ جارُوا

ويقول يزده الله شرفا :

عن أمرٍ ما يَزِدْهُ الله من شَـرَفٍ ... أفـــرَحْ به ومَرِىَّ غيرَ مســـرور (٣)

ويذكر إيمانه بالقضاء والقدر :

وقَطْرَةٌ قَطَرتْ إذْ حـــانَ موعـــدُها ... وكـــلُّ شـــىءٍ له وقت ومِقـدارُ (٤)

وهو يدفع الأسى بحسن العزاء . يقول :

إن تفْتِنى قلـــم أطِبْ عنك نفســـاً ... غيـــر أنـــى أُمَنـــى بدهرٍ كنود (٥)

صوره الشعرية

كان الخيال يشغل جانباً مهماً من جوانب شعر أبى زبيد ، وخاصة فى أوصافه . وكان أبو زبيد يركز على التشبيه فى الصور الجزئية ، التى يأتى بها ليعبر عن معنى معين، وهو يستعين بالتشبيه لنقل إيحاءاته وعاطفته . وجدير بالذكر أن الأشياء التى ركز عليها فى تشبيهاته ، كانت قوية العلاقة ببيئته ومجتمعه ونفسه . فمن صوره الشعرية فى وصف الأسد : " بسمر كالمحاجن فى قنوب (٦) " يصف براثن الأسد السمراء فى محاجنها ، ويشبهها بالعصا المعقفة الرأس المعوجة . ويقول :

---

١ – صـــ٦٢٠

٢ – صـــ٦١٢

٣ ديوان أبى زبيد صـــ٦٢١

٤ – المرجع السابق صـــ٦١٢

٥ – صـــ٦٠٥

٦ – صـــ٦٠١ قنب الأسد هو الغطاء الذى يدخل فيه مخالبه ليسترها ، بسمر : يعنى مخالبه ، المحاجن : جمع يحجن : وهو العصا المعقفة الرأس المعوجة . ومخالب الأسد حجن معقفة .

كـــأن بنحـــره وبســـــاعديه عبيـــراً بـــات تعبـــوه عروس (١)

يصف الأسد ، وعليه الدماء حول نحره وعلى ساعديه من أثر فتكه بالفريسة فيشبه هذه الدماء بالعبير ، الذى تصنعه وتخلطه العروس ، ويقصد بالعبير اخلاط الطيب التى تجمع بالزعفران ، وفيه لون حمرة يشبه الدم . ويقول :

كأن أثواب نقـــاد قـــدرن لـــه يعلـــو بخملتهـــا كهبـــاء هدابا (٢)

فيشبه جلد الأسد ، وشعره المتدلى ، بالقطيفة التى يرتديها الراعى . ويقول :

" لـه زبـر كـالليد طـارت رعـابلاً "(٣) فيشبه شعر الأسد ، الذى يعلو كاهله بالثياب الممزقة . ويقول :

ورد كـــأن على أكتاده حرجـــا فى قرطف من نسيل النجت مخدور (٤)

فيشبه ما على كتده من الشعر بالهودج المغطى بالقطيفة .

ويشبه براثن الأسد بالخطاطيف ، ومفردها خطاف وهو حديدة حجناء ، يختطف بها ، شبهها بالحديدة لحجنتها : يقول : " إذا عَلِقَتْ قِرْناً خطاطيفُ كفِّهِ " (٥)

ويشبه ما تغضن من جلد الأسد ، فوق حلقه ولهاه بمغار الرمل ، المتناثر الواسع يقول(٦) :

كـــأن غضونـــاً من لهاه وحلقـــه مغـــار هَيـــام عَثْمُـــلى منهـــور

ويشبه شعر الأسد الكثيف الذى يجلل جسده ، بمن لبس برنساً يغطى جسمه كله . يقول(٧) :

---

١ – صـــ٦٠٣

٢ – الديوان صـــ٥٩٠ ، نقاد : صاحب النقد وهى الغنم الصغار ، قدرن له : طبعن عليه وجعلن على قدر جسمه ، كهباء : التى تضرب إلى الغبرة .

٣ – صـــ٦٠٧ ، الزبرة : الشعر المجتمع للأسد ، الرعابل : المتقطع .

٤ – الديوان صـــ٦٢٣ ، أكتاده : مغرز العنق فى الكاهل . الحرج : الهودج

٥ – صـــ٦١٩

٦ – صـــ٦٠٧ ، الغضون : ما تغضن بعضه على بعض من الجلد الذى فوق حلقه ولهاه ، الهيام : الرمل المتناثر ، العثملى : القديم ، المنهور : الواسع أو المتهدم .

٧ – صـــ٦٤٣

ضرغـامة أهرت الشدقين ذى لبـدٍ كأنـــه برنســاً فـى الغـاب ملتفـع

ويشبه عينى الأسد بفتحتين فى صخرة صلبة ، هى رأسه . ويشبه منظرها فى توهجها بالجمرتين . يقول(١) :

وعينان كالوَقْبَيْن فى قُبّلٍ صخـــرةٍ يـُرى فيهمـا كالجمـرتين التبصُّرُ

ويشبه توهج عينيه فى الظلام ، بالنيران المشتعلة . يقول(٢) :

" وعيناه فى الدُّجى كجمر الغضا "

كما يشبه عينيه الحادتين ، ورأسه الصلب بنقرتين فى صخرة . وقد حُفرتا بفأس حديدية . يقول(٣) :

كـأن عينيـه فـى وَقبيـن من حجر قيضـا اقتياضـاً بأطـراف المناقير

ويشبه صوت الأسد المدوّى بالرعد . يقول(٤) : كأن اهتزامَ الرعد خالط جوفَه "

ويشبه صوت زئير الأسد بما فيه من حشرجة بالصوت الصادر من جوف رجل مريض بصدره(٥) . يقول :

للصـــدر منـــه عويلٌ فيه حشرجه كأنمـــا هـى فـى أحشـــاء مصدور

ويشبه أنياب الأسد الحداد ، إذا قلص عنها أشداقه بالخناجر . يقول(٦) :

يُـــدِلُّ بأنيـــابٍ حـــدادٍ كأنـــها إذا قَلَّـص الأشـــداقَ عنهـــا خَنَاجِرُ

ويشبه مشية الأسد بمن يمشى فى مكان تكثر فيه الرمال ، وقد كسر ساعداه ثم جبرتا، فهذه المشية يشبه بها مشية الأسد وهو يتبختر. يقول(٧) :

إذا تبهنَـسَ يمشـــى خِلْتَـهُ وعِثـــا وَعـــى الســـواعد منـــه بعد تكسير

---

١ - صـــ٦٠٨

٢ - ديوان أبى زبيد صـــ٦١٣

٣ - المرجع السابق صـــ٦٢٣

٤ - صـــ٦٠٨

٥ - صـــ٦٢٥

٦ - صـــ٦١٣

٧ - صـــ٦٢٣

ويشبه نصل الرمح ، فى شدة تلألؤه وتوقده بشعلة النار . يقول(١) :

فجـــال ، فـــى كفّـــهِ مُثَقَّفَـــةٌ تَلْمَـــعُ فيهـــا كشُـــعْلَةِ القَبَـــسِ

ويشبه النسور الجارحة التى تلتف حول الصريع ، ناظرة إليه تترقب هلاكه ، وهو يصارع الموت ، بالنساء الزائرات فى العُرس وقد لبسن البياض وأخذن زينتهن ، وتجمعن ينتظرن الوليمة ، يقول(٢) :

تَـــذُبُّ عنـــه كـــفٌّ بها رَمَقٌ طيـــراً عُكـوفـاً كـزوّر العُـرُسِ

وهو يجعل الصدى والجبوب من أقارب الميت . يقول(٣) :

مـــن دمِ ضائـــعٍ تغـيب عنـــه أقربـــوه إلا الصـــدى والجبـــوب

وهو يصف الكريم بأنه مطير اليدين بالخير . يقول(٤) :

ومطيـرُ اليدين بالخير للحمـد إذا ضـــنَّ كـــلُّ جِبـــس صَـــــلود

ويشبه نفسه بالأسد ، كى يرهب أعداءه فى هذا البيت(٥) :

ولكنـــى ضُبـــارِمَـــةٌ جَمُـــوحٌ علـــى الأقـــران مُجْتَرِىء خَبـــوسُ

وهو فى رثاء عثمان رضى الله عنه ، يشبه أصوات المساحى " وهى التى يُجرف بها التراب " وهى تحفر القبر ، بأصوات الدراهم ، والصيارفة ينتقدونها . يقول(٦) :

لها صواهل فى صُم السِّلام كما صـــاح القسيّات فى أيدى الصياريف

وفى البيت التالى لهذا البيت يشبه اختلاف المساحى فوق رؤوس الحفارين بأجنحة الطير ، يقول :

---

١ - صـــ٦٢٩

٢ - ديوان أبى زبيد صـــ٦٤٠

٣ - المرجع السابق صـــ٥٨٦ ، الصدى : ذكر البوم ، الجبوب : الحجارة أو التراب الذى هيل على القتيل المرثى .

٤ - صـــ٦٠١

٥ - صـــ٦٣٦

٦ - صـــ٦٥٠

كأنهــن بأيـدى القوم فى كبـدٍ طيـرٌ تكشّــف عـن جُون مزاحيف

ويشبه القبر بالغار المحفور عرضاً ، يقول (١) :

إن كان مأوَى وفُودِ الناس راحَ به رَهْـطٌ إلــى جَـدَثٍ كالغـار مَنْجوفِ

ويشبه ما جمع على قبره من الحجارة بحمار عانة ، قد أوفى على قنـة ينتظر مغيب الشمس فيرد الماء . يقول(٢) :

إن كان عُثمــانُ أمسَــى فوقَه أمَرٌ كـراقب العُون فوق القُنة الموفــى

الصورة ووحدة القصيدة

نلاحظ أن معظم قصائد أبى زبيد تضم أغراضاً خاصـة ، أثـارت فيـه مشـاعر وأحاسيس ، عبر عنها بهذه القصائد ، فهو لم يسخّر شعره للمدح والتكسب ، وكـانت معظم قصائده فى المديح للوليد بن عقبـة الـذى كـان يلازمـه فـى حياتـه ، ودُفن إلـى جواره بعد مماته . كذلك نلاحظ أنه لـم يشـغل نفسـه بـالصراع السياسـى ، الـذى كـان قائماً آنذاك إبان مقتل عثمان بن عفان ، وإبان مقتل على بـن أبـى طـالب رضـى اللـه عنهما .

وأمـا عن بنـاء القصيدة عنده ، فهـو لا يتجــه للطريقـة التقليديـة للشـعراء الجاهليين وتابعهم فيها بعض المخضرمين . فهـو لـم يقـف علـى الأطـلال كغيره مـن معاصريـه ، ولـم يقدم لأغراضـه بمقدمـة غزليـة ، ولـم يصـف الناقـة ولا الفـرس . فأغراضه فى شعره كانت محددة منذ بدايـة القصيدة لارتباطهـا بمـا يلائـم حاجاتـه ، ويعبر عن رغباته ولأنه فيما يبدو كان حريصاً على الوحده الموضوعية فـى شـعره ، وربما أحس بأن هذه المقدمة ، تخل بوحدة القصيدة فـى كثير مـن الأحيـان ، وتبعد الشاعر عن الغرض المقصود مباشرة وقد أخل أبو زبيد بهذه الوحدة الموضوعية فـى

---

١ - الديوان صـــ٦٥١

٢ - صـــ٦٥٢

القصيدة ، فى قصيدته التى قالها عندما انتُزعت منه أرضه ، بعد عزل الوليد بن عقبة ، إذ بدأها بمطلع غزلى يقول فيه :

ولقد مُتّ غير أنّى حىٌّ ... يومَ باتت بودّها خنساءُ (١)
من بنى عامرٍ شِقٌّ نفسى ... قسمةٌ مثلما يُشقُّ الرداءُ
أشربتْ لونَ صُفرة فى بياضٍ ... وهى فى ذاك لَدْنَةٌ غَيْداءُ
كُلُّ عين معْن يراها من النا ... س إليها مُديمةً حَولاءُ

وفى قصائده فى الأسد ، يغلب عليه أن يقص قصة المواجهة بين الأسد وفريسته ، وما أصاب الفريسة من ذعر وهلع عند رؤية الأسد ، ثم صورة الصراع بين الأسد وفريسته ، وكيف تغلب الأسد فى النهاية ، وأخذ ينهش من لحم الفريسة .
ومن هذه القصائد قصيدته التى مطلعها :

فباتوا يُدْلجُون ، وباتَ يَسْرى ... بَصيرٌ بالدُّجى هَادٍ هَمُوسُ (٢)

ففى هذه القصيدة ، يروى أبو زبيد قصة جماعة يسيرون بالليل ، وفاجأهم الأسد فتصدى له سيد القوم ، فافترسه الأسد ، وفزعت الجماعة وغادرت المكان ، وتركت الرئيس فريسة للأسد ، الذى أخذ يختال ويتعاجب فى مشيته ، سعيداً بصنيعه، يقول:

فباتوا يُدْلجُون وباتَ يَسْرى ... بَصيرٌ بالدُّجى هَادٍ هَمُوسُ
بثنى القَريتين له عِيَالٌ ... بَنُوه ومُلمِعٌ نَصَفٌ ضَرُوسُ
غُدنين بكل منعفر سليب ... يجاء به وقد نَسل الدريسُ
رأى بالمُستَوى سَفْراً وعِيْراً ... أُصَيْلالاً وجُنّتَهُ الغَميسُ
تواصوا بالسُّرى هجراً وقالوا ... إذا ما ابتزّ أمرَكم النعوسُ
فإياكم وهذا العرق واسمَوا ... لموماةٍ مآخذها مليسُ
وحُقوا بالرحال على المطايا ... وضموا كل ذى قَرن وكيسوا
إلى أن عَرّسوا وأغَبَّ عنهم ... قريباً ما يُحَسُّ له حَسيسُ

---

١ - ديوان أبى زبيد صـ٥٧٧

٢ - المرجع السابق صـ٦٣٠ : ٦٣٤

خَلا أن العِتَاقَ من المَطَايا ... حسن به فهُنَّ إليه شَوسُ
فلما أنْ رآهم قد تَدانوا ... أتاهُمْ وسط رَحْلِهِمْ يميس
فثار الزاجرون فزادَ منهم ... تقرّباً وواجهة ضَبيسُ
بنصل السيف ليس له مجنّ ... فصدَّ ولم يصادفه جسيسُ
فيضرب الشمال إلى حشاه ... وقد نادى وأخلفه الأنيسُ
بسمر كالمحالق في فُتوخٍ ... يقيها قَضّةَ الأرضِ الدخيسُ
فخرَّ السيف واختلفت يداه ... وكان بنفسه وقيت نفوس
وطار القوم شتى والمطايا ... وغودر في مكرهم الرسيس
مُعاود جُرأةٍ وقت الهوادى ... أشمُّ كأنه رجل عبوس
إذا ضَمَّتْ يداهُ إليه قِرْناً ... فَقَدْ أَوْدَى إذا بَلَغَ النسيسُ
وجال كأنه فرسٌ صنيعٌ ... يجرّ جلاله ذيل شموسُ
كأنَّ بنحره وبمنكبيه ... عَبيراً بات تَعْبَؤُهُ عروس
يشُقُّ الزارَ يحمل عبقرياً ... قرى قد مَسّه منه مسيسُ
فذلك أن تلاقوه تفادوا ... ويحدث عنكم أمرٌ شكيسُ

وفى قصيدة أخرى يروى أيضاً قصة جماعة مرتحلين بالليل وعرَّسوا فى وقت السحر، وكان الأسد يرقبهم ، وفاجأهم فتفرقت المطايا ولاذت بالفرار وحاولوا دفع الأسد بسيوفهم وفرشهم ، وحاولوا أن يزجروه ليبتعد عنهم ، فافترس أول فارس تقدم نحوه بسيفه ثم تلاه بمن بعده . يقول (١) :

فلما رأوا أن ليس شىءٌ يَريبهم ... وقد أدلجوا الليلَ التمام وأبكروا
وقد بَرّد الليل الطويل عليهم ... ومَرّ بهم لفْحٌ من القرّ أعسرُ
تنادوا بأن حُلُّوا قليلاً وعَرّسوا ... وحفُّوا الركابَ حولكم وتيسّروا
بعينيه لما عَرّسوا ورحالهم ... ومسقطهم والصبح قد كاد يسفر
ففاجأهم يستنُّ ثانى عطفِه ... له غببٌ كأنما بات يَمكرُ
فنادوا جميعاً بالسلاح مُيسّراً ... وأصبح فى حافاتهم يتنمَّرُ
وندّت مَطاياهم فمن بين عاتق ... ومن بين مُودٍ بالبسيطة يَعْجِرُ

---

١ - الديوان صـ٦٠٨ - ٦١١

وطاروا بأسيافٍ لهم وقطائف ... وكُلُهم يخفى الوعيدَ ويَزْجُرُ
فأوّلُ مَنْ لاقى يجُول بسَيْفه ... عظيم الحوايا قد شتا وهو أعجرُ
فقضقَضَ بالنّابين قلة رأسه ... وَدقّ صَليفَ العُنْقِ والعُنقُ أصْعَرُ
ووافى به من كان يرجو إيابَهُ ... فصادفَ منه بعض ما كان يَحْذَرُ

ويشير فى البيت قبل الأخير من النص السابق إلى طريقة افتراس الأسد لفريسته ، إذ تناول الرأس بنابيه محاولاً تحطيمه ، ثم دق جانب عنقه فأماله . وكذلك قصيدته التى قالها فى كلبه "أكدر" حين لقيه الأسد فقتله . فهو يروى قصة مفادها أن كلبه أكدر خرج يتبخر ويختال كعادته ، حتى وصل إلى قرب البئر وهناك كان عرين الأسد . ونظر أكدر فوجد الأسد قريباً منه ، ثم رأى لبؤته وأشباله ، فظن أن قد وقع على صيد ثمين ، وما كاد يقترب منهم حتى انتابه الهلع ، وأفاق من حلمه الزائف وحاول الهروب .

ولكن الأسد تمكن منه وتناوله بأنيابه ، ولقى الكلب حتفه هناك . يقول(١) :

فجال أكدرُ مختالاً كعادته ... حتى إذا كان بين الحوض والعطنِ
لاقى لدى ثُلَل الأطواءِ داهيةً ... أسْرتْ وأكدرَ تحت الليل فى قَرَنِ
حَطّتْ به سُنّةً ورهاء تَطْرُدُهُ ... حتى تناهى إلى الأهوالِ فى سنَنِ
إلى مُقاربِ خَطْوِ الساعدَين له ... فوقَ السَّراةِ كَذِفْرى القارحِ الغضِنِ
ريبالُ ظلماء لاقَحْمٌ ولا ضَرَعٌ ... كالبغل حطّ به العجلان فى سكنِ
فأسّريا وهما سنّا همومهما ... إلى عرين كعُشِّ الأرمل اليفنِ
هذا بما علقت أظفاره بهم ... وظنّ أكدر غيرُ الأفن والحتنِ
حتى إذا ورد الغزوال وانتبهت ... لِحسّه أمّ أجْرٍ ستّةٍ شُزُنِ
بادٍ جناجِنُها حصّاء قد أفلت ... لهن يبهرن تعبيراً على سدنِ
وظنّ أكدرُ أن تموا ثمانية ... أن قد تجلّل أهل البيت باليُمنِ
فخافَ غرّتهم لماننا لهمُ ... فحاصَ أكدر مشفياً من الوَسَنِ
بأربَع كلُّها فى الخلق داهية ... غُضْفٍ عليهنّ ضافى اللحم واللبنِ
ألقاه متّخذَ الأنيابِ جُنّته ... وكان بالليل ولاّجاً إلى الجَنَنِ

---

١ - الديوان صـ٦٦٦ : ٦٦٨

* المصادر *

- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، أشرف على لجنة الطبع د . إحسان عباس – بيروت ١٩٨٧م
- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر – القاهرة ١٩٧٧م .
- الأمالى لأبى على القالى البغدادى ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧م .
- تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ١٩٦٧م .
- جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرش ، دار المسيرة بيروت ١٩٨٣ م .
- الحيوان للجاحظ بتحقيق وشرح عبد السلام هارون – مطبعة الحلبى ١٣٥٧ هـ .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تأليف عبد القادر بن عمر البغدادى ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون – دار الكتاب العربى ١٩٦٨م .
- ديوان أبى زبيد الطائى جمعه نورى حمودى القيسى – العراق ١٩٦٧م .
- ديوان البحترى تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفى – دار المعارف ١٩٧٧م .
- ديوان عروة بن الورد تحقيق كرم البستانى – مكتبة صادر بيروت ١٩٥٣ .
- ديوان المتنبى شرحه عبد الرحمن البرقوقى ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٨ م .
- شعراء النصرانية بعد الإسلام ، للأب لويس شيخو – المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٩٢٤م .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر – القاهرة ١٩٧٧م .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى ، قرأة وشرحه محمود محمد شاكر ١٩٧٤م.
- الكامل فى اللغة والأدب لأبى العباسى محمد بن يزيد المبرد–القاهرة ١٣٥٥هـ.

* المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير ، قدمه وحققه وعلق عليه د . أحمد الحوفى و د. بدوى طبانة - القاهرة ١٩٦٠م .
* المحبر للعلامة الإخبارى النسابة أبى جعفر محمد بن حبيب ، رواية أبى سعيد السكرى - المكتب التجارى بيروت .
* المزهر للسيوطى شرحه محمد جاد المولى ، على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - بيروت ١٩٨٦ م .
* معجم الأدباء لياقوت الحموى - دار إحياء التراث العربى بيروت .
* المعمرون والوصايا ، لأبى حاتم السجستانى - تحقيق عبد المنعم عامر القاهرة ١٩٦١م .

قراءة في التجربة النقدية
عند
منصور الحازمي

د. عبدالله بن سالم المعطاني
الاستاذ المشارك بقسم اللغة العربية
بكلية الآداب والعلوم الانسانية
بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة

قراءة في التجربة النقدية
عند
منصور الحازمي

أن يتحدث المرء عن شاعر ملهم أو كاتب مميز أو ناقد مبدع فهذا طريق يرتاده الباحثون في اطروحاتهم وكتبهم ومقالاتهم ولكن الذى يعصف بالباحث في دوائر مغلقة قد تؤدى بارائه الى شئ من التشويش والارتباك حينما يتحدث عن شخصية تحفل جهودها بكل هذه المشارب والمسارب مثل شخصية منصور بن ابراهيم الحازمي الذى جمع أطراف هذه الفنون فصدح بالقصائد الشجية وكتب المقالات الصارخة وساجل القضايا النقدية اغتذاء واهتداء . ولذلك فسوف أكون فى مندوحة من الأمر لكسر الاحتواء الذى سيجعل من هذه المقالة اشادة أو اطراء بقدر ما هى مراودة علمية جوهرها المنهجية وكيانها الوعى والادراك المعرفي .

ومما يزيد الأمر صخبا واعتصارا أن الحازمى عايش اللحظات التشكيلية الأولى للوعى الأكاديمي لأدب وثقافة هذا الوطن مما جعله وليدا شرعيا لهذه الخطابات والاتجاهات .

ولا أظن أن المساحة تتسع للالفاظ الرنانة والعبارات المفخمة التى تؤكد أن الحازمي اديب مرموق وشاعر رقيق وباحث اكاديمي جاد فمثل هذه الكلمات تضيق بها الدراسات الحديثة الصارمة التى تحفل بآثار العالم أو الأديب اكثر بكثير من الاحتفال بحياته الخاصة ما لم يكن لهذه الحياة حضور متميز يكشف ادغال وتشابكات هذه الآثار.

وفي اطار هذا التوجه سوف نتناول أهم الآراء والقضايا التى طرحها منصور الحازمي في ثنايا دراساته وكتبه وأبحاثه والتى تمثل حضورا فاعلا لدى القراء والمثقفين .

لقد باشر الحازمي حياته العلمية–بالبحث في حقل الفن القصصي والروائي منذ أول شرارة انطلق فيها للبحث والتحصيل وهى اطروحة الدكتوراه من جامعة لندن .

ويبدو أن للقصة اثرا ملموسا في حياة الحازمى مما جعله يهتم بالصور الوصفية والسير الشعبية والروايات التاريخية ويبحث فيها عند واقعة الذى يستمده من هذا التشكيل السردى الجدلى لربط الحاضر بالماضى وطغيان عناصر الحياة اليومية كما يقول عنه صديقه الدكتور أحمد كمال زكى: " فاذا اهتماماته تنصب على الكون القصصى أو على التشكيلات الحكائية التى يحرص فيها على تأكيد صلة الانسان بالانسان وصلة الانسان بالكون ". (١)

فبعد أن فرغ الدكتور الحازمى من تقديم اطروحة الدكتوراه ((الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث)).(٢) والتى كانت باللغة الانجليزية ألف كتابا عن الروائى المصرى محمد فريد أبو حديد الذى كان له دور بارز في المستوى الفنى

للرواية الحديثة فتناول روايات ابى حديد من حيث البناء القصصى وتصوير الشخصيات والخصائص الفنية لثلاث روايات هى " ابنة المملوك " و " زنوبيا " و " انا الشعب".(٣) فكان منهج الحازمي في هذا الكتاب منهجا اكاديميا صارما بين فيه وضع الأدب القصصي قبل محمد فريد ابى حديد ثم حدد الاتجاه والمضمون فى انتاجه الفنى مبينا المراحل التاريخية والحالات النفسية التى استجابت لها شخصية أبى حديد فانعكست على رواياته المستمدة من الموروث التاريخى أو الحضور الواقعى المعاصر. واستطاع الدكتور الحازمى فى هذا المؤلف أن يربط الأحداث ويكون الحقائق التى ترتبط بالمسار الفكرى والحضارى لتاريخ الرواية العربية من خلال حضورها في روايات أبى حديد ففى حديثه عن البناء القصصى في رواية "زنوبيا" يحتفى بسلطان التأثر والتأثير بين الآداب العالمية الذى يظل ماثلا من خلال ادراج الآخر فى الذات.(٤) ويحاكم الدكتور الحازمى روايات محمد فريد أبى حديد بمنهج متزن وقلم هادئ يزور عن المدح الجارح والذم الخاطل يقول عن رواية " ابنة المملوك " : ((ونحن هنا لن

نعطى هذه الرواية اكثر مما تستحق ولكننا سننظر فيها – كما اسلفنا – وفى اذهاننا صورة واضحة عن تلك التجارب القصصية التى سبقتها ، وعن ذلك العصر الأدبى الذى انتجها)) .(٥)

ويفسر الحازمى محاولة محمد فريد ابى حديد استغلال التاريخ – والتاريخ المصرى بصفة خاصة – بأنه تصوير للشعور الوطنى وتأكيد للشخصية المصرية(٦) في الوقت الذى كان الشعب المصرى بحاجة الى مثل هذه الروح فى نضاله وجهاده ضد الفرنسيين فجعل " ابنة المملوك " رمزا للنضال الوطنى وشعارا للكفاح المصرى . مشيرا الى محاولات أخرى سبقت ابا حديد فى مثل هذا المجال مثل شوقى فى "عذراء الهند أو تمدن الفراعنة " و " لادياس " وروردل وتيمان " وتجارب اخرى فى الرواية التاريخية عند محمد حسين هيكل وغيره. ويؤكد الحازمى على أن ثقافة محمد فريد ابى حديد التاريخية منذ تكوينه الأول واطلاعه على تاريخ مصر بصفة خاصة اتاح له ميدانا واسعا ومساحة كبيرة من

الركام المعرفى الذى حمله الماضى بزخمه العريق وصحائفه المجيدة ليبثه فى عروق الحاضر الماثل أمام عينيه ولكن على الرغم من هذه النزعة التاريخية التى حملها ابوحديد في بداية حياته التأليفية الا انها تحولت الى نظرة اكثر واعظم شأنا وهى " حقيقة النفس الانسانية " (٧) على حد قول الحازمى فاولى النزعات والعواطف الانسانية والطبائع البشرية اهتماما خاصا " جعلته ينجذب الى الأقاصيص الشعبية القديمة ويعتبرها من اثمن ما خلفته الأجيال وراءها لأنها تراث الانسانية الأكبر".(٨)

ويحلل الحازمى شخصية ابى حديد الفنية من خلال هذه التحولات المرحلية في حياته الفكرية وارتباطها بالاحداث والمتغيرات " التى كانت تمر بها مصر والبلاد العربيه فى ذلك الوقت " .(٩) وتتجلى قدرة الحازمى النقدية فى تحليله لشخصيات رواية " انا الشعب" مقارنا بينها وبين رواية " ابنة المملوك " ومشيرا الى ان العنوان قد يخدع القارئ فيظن أنها رواية واقعية تختلف عن اسلوب ابى حديد الرومانسى

الأنسانى الذى تجسد في رواياتـــــــه السابقة يقول الحازمى : " والحقيقة أن ابا حديد قد اقـترب مـن مجتمعـه واوقعـه اقترابـا زمنيا فقط ولكنه لا يزال نفسيا وعاطفيا ... ابعد ما يكون عـن المجتمع والواقع " (١٠) ويعلل الحازمى ذلك البعد بأن ابا حديد يستغل ابطاله فيستخدمهم ادوات لبث مشاكله والآمه بطابع فيـه تشاؤم وحـزن يسيطر علـى نفسيات الأبطـال وأفكـارهم (١١) ويعتمد منصور الحازمى فى هذا الرأى علـى مقولتيـن أحدهمـا لعزالدين اسماعيل والأخرى لعبدالقادر القط . ولكن في الواقـع ليس فـي هـاتين المقـالتين مـا يشير الـى انفصـال روايـة " انـا الشعب " عن واقعهـا ، لا سيما وأن الحـازمي يؤكـد علـى أن هذه الرواية تتعرض لكثير من الجوانب الاجتماعية فـي مصـر قبيل ١٩٥٢ " مـن الوسـاطة فـى الوظـائف الحكوميـة ، اثريـاء الحرب ، انحراف الصحافة وتفاهتها ، الرشوة فى الانتخابات ، انتشـار المخـدرات ، الفسـاد فـى دوائـر البوليـس والمحـاكم والسجون . " (١٢)

ويمضى الحازمى فى تحليل العناصر الجديدة التى ادخلها ابوحديد في رواية " انا الشعب " مبينا ان اهمها كثرة الشخصيات وتنوعها معللا ذلك بأن طبيعة الرواية تتطلب مثل هذا التنوع لأن " طابع التجدد والتوسع يغلب عليها لا في جانبها الوصفى فحسب بل كذلك فى جانبها التشخيصى أو التحليلي . " (١٣)

وقبل أن نغادر محمد فريد ابا حديد ساورنى شعور خفي يفسر انشغال الحازمى بأبى حديد يتمخص عنه هذا السؤال : هل يا ترى هناك تشابه في حياة كل منهما ؟ فكلاهما ابن لعائلة متوسطة الحال واحبا البيئة الشعبية وعاشاها وابوحديد يقول ان جده ينتمى الى الحجاز ولذلك جعل بطل روايته الأولى " ابنة المملوك " حجازيا هاجر الى مصر أيام محمد علي باشا ومنصور الحازمى حجازى الأصل والمنزع والمنشأ.(١٤)

وبعد عشر سنوات تقريبا من تأليف كتابه محمد فريد ابوحديد اخرج كتاب " فن القصة في الأدب السعودي الحديث " ليخوض به موضوعا بكرا يستحق البحث والدراسة كما اشار الحازمي في مقدمة الكتاب (١٥) وهو عبارة عن ابحاث كتبها عن القصة في المملكة العربية السعودية في مدة متفرقة من سنى عمره العلمى ولذلك ظهر عليها تفاوت فى المستوى واختلاف فى الرؤية تجاه الأبعاد الحاضنة للبناء الفنى للقصة السعودية وان كان يغلب على الكتاب المنهج التاريخى الرصدى الا انه يطفح بطاقات كامنة من الرؤى التى تعتمل فى صميم العلاقات التأسيسية المباشرة لفن القصة ورسم طرائق تشكيل بنائها .

ولكن يجب أن نشير في هذا الصدد الى أن الفصل الأول من الكتاب مقطع نشاز ونتوء غريب على النظام الداخلى لتصنيف البحث فحينما تحدث عن المؤثرات الخارجية والقضايا النقدية والبحث عن كيان احاطها بمسار المنظور العام للواقع الأدبى فتحدث عن فترة تكوين الأدب السعودى

والمحاولات الأولى لمرحلة النضج والابتكار ووقف عند تأثير الآداب الأخرى في روادنا وانتهى الى القضايا النقدية المسيطرة على المناخ الأدبى في ذلك الوقت وهو بذلك قد تمرد على موضوع البحث معلنا الخروج على مسار التوجه المنهجى لخصوصية هذه الدراسة(١٦). ولعلنا نجد مدخلا حيا لحضور الوجود المدرك لأهمية عمق النظرة فى تحديد المكونات التأسيسية للتجربة الأدبية عند الرواد السعوديين فعلى سبيل المثال يعمق الحازمى أهمية المؤثرات الخارجية فى أدب الرعيل الأول ليخلص الى حيوية هذا الأدب ونضوجه يقول في هذا الصدد : "ولا غرو اذن أن يتأثر جيل الرواد من أدبائنا السعوديين بذلك البريق الذى كان ينبعث من البيئات العربية المجاورة ، وأن يحاولوا أن يقتبسوا منه ما يفيد بلادهم فى مجالي الحياة والأدب ... فان العواد فيما يبدو كان يطمح الى أن يحدث كتابه " خواطر مصرحه " ضجة وأن يثير معارك لا تقل عن تلك التى احدثها " الديوان " أو " الغربال " ولعل الكاتب أراد أيضا أن يكون مؤلفه نقطة تحول في تاريخ

الأدب السعودى الحديث، وربما الأمر كذلك فى نظر العواد ونظر الكثيرين من تلاميذه والمعجبين به .

ومن الجدير بالذكر أن التأثير المجهرى لم يختف من الأدب السعودى طوال فترة ما بين الحربين .... وقد جمع أحمد السباعى بين رومانسية جبران وسخرية المازنى والبشرى وطه حسين .... وكان هناك تيار آخر - تيار غربى وصل اليهم عن طريق الترجمة .... وقد عرفوا شكسبير وورذروث وبيرون وشيلى وهازلت .... كما عرفوا موباسان ودستوفسكى).(١٧)

وفى تناول الحازمى لتجربة المرحوم الاستاذ حامد دمنهورى يطرح رؤية نقدية تحليلية كاشفة تتناغم مع الطاقات الجمالية لمعالم النصوص فيستشعر القيمة الفنية للحوار الداخلى الذى يجريه الكاتب على ألسنة شخوص القصة وازاحة الستار عن ايماءاتها واحداثها وارتباطها بالبيئة مشيرا الى ابداع الكاتب فى رسم ملامح الشخصية وتطورات الأحداث

التـى تقـوم علـى تداعـى الأفكـار واجـراء الصـراع مـن الداخل.(١٨)

ويلح الدكتور الحازمى على أهمية الثقافة التى يتشكل بها الكاتب لتكوين نسيج معرفى خاص يسمح له بممارسة الحضور والتأثير يقول عن حامد دمنهورى: " وقوة الاسلوب الذى نلمسه في الرواية بصـورة عامـة يبـدو أنـه نـابع مـن ثقافـة الكـاتب ، وتمكنه من اللغة واساليبها ، بـل ان انطـلاق اسـلوبه وسلاسـته يجعلنا نحس براحة المؤلف فى كتابة قصته وعدم تكلفه فيهـا ، وهى قدرة تعتمد على أدوات الصنعـة اعتمادهـا علـى الموهبـة والمران ".(١٩)

وأرى هنا ضرورة الالماح الى أن تمكن الحـازمى مـن الاطـلاع علـى الآداب العربيـة والعالميـة فتـح المجـال امامـه للمقارنات وتلون الرؤى فتيسر له النفـاذ الـى دواخـل التجـارب الابداعية والحديث عنها بوعى عميق فعلى سبيل المثـال حينمـا تحدث عن رواية " ثمن التضحية " وقف عند الكثافة الشعرية

مبينا أنها تكون اكثر وجودا عند الشعراء الذين تحولوا الى كتاب قصة امثال جورج ميردث " George Meredith، وتوماس هاردى " Thomas Hardy " ويوازن بين هذه الرواية وبين رواية "زينب" لهيكل من حيث البناء الفنى والتداخلات السياقية والمكونات الداخلية والخارجية (٢٠) لأنه يؤمن بتلاقح الآداب وانفتاحها ويدعو الى الغاء الحدود والتخوم التى تحول دون الادراك الواعى لما يرتاده النص الأدبى شعرا كان أو نثرا من آفاق تمثيلية رحبة تنحسر امامها النظرات الأقليمية الضيقة يقول : " فالأدب الجيد لا وطن له . فنحن نهتز لروائع الآداب الأجنبية اهتزازنا لروائع أدبنا القومى ، واعجابنا بشكسبير وديكنز وجويس ، مثلا ، لا يقل عن اعجابنا بالمتنبى والجاحظ ونجيب محفوظ، الا أن يحول بيننا وبين الاعجاب بهذه الآثار الأجنبية ، بعض الحواجز الطارئة ، كصعوبة اللغة و اختلاف الذوق أو تباين التفكير أو التعصب.(٢١)

وكذلك الحال في كثير من معالجاته التى تأتى كنتيجة لبيعية لثقافة الحازمى الواسعة واطلاعه الممتد فى الدراسات

الأدبية والتاريخية . وفي حدود هـذا التصـور المنهجـى يتنـاول رواية " عذراء المنفى " للاستاذ ابراهيم النـاصر كشـكل أدبـى يقـل فيـه نبـض البيئـة وتتمـاهى التجربـة الانسـانية الخـالدة فـى تداخل الشخصيات الكثيرة المتنوعة التى " تحيل كـل شـئ الـى خاص ، نسبى تاريخى " على حد قول " ادوين ميور " .(٢٢) ومن هنا يقرر الحازمى أن بطل هذه الروايـة لا يصلـح للقيـام ببعض الأدوار لأنه لا يمثل الصراع النفسي الذى يريده الحدث فى مثل هذه المساحة.(٢٣) ومن ثم يثير ملاحظات جادة علـى الدلالات اللغوية المباشرة وتعلقهـا بـالحوار والواقـع المتمثـــل فى الزمان والمكان.(٢٤) وبذلك يكشف الحـازمى عـن حاسـته النقديـــة التى ترجمها الى نوع من الرؤية التجريبية لِممارسـة التقنيـات النقديـة فـى أوضـح صورهـا وذلـك لامتلاكـه الأدوات المعرفية التى تكشف عن المدارات والرؤى المتجددة فـى ثنايـا النصوص الأدبية. ويتجلى ذلك فى احتفائه بلغة القصة القصيرة عند جيل الشباب الذين اقتربت لغتهم من لغة الشـعر واصبحـوا يرون العالم الخارجى من خلال تـأملاتهم واحلامهـم وأفكـارهم فأخذوا مسارا يختلف عن اسلافهم من الواقعيين الذين اهتمـــوا

بالبيئة والواقع الحسى والمشاكل الاجتماعية اهتماما مباشرا ويتناول الحازمى هذه القضية بشئ من الدراية والعمق فيخترق الدوائر المغلقة فى نفسيات جيل الشباب الذى يفيض بالتوتر النفسى واللحظات الشعورية المتشابهة فكأنها " وسيلة للتعبير والصراخ والاحتجاج على كل شئ ".(٢٥)

ويقارن الحازمى فى هذا المجال بين الغربة المادية – كما عبر عنها – عند الجيل السابق – مثل غربة المدينة وغربة البدوى الجاهل أو القروى وبين الغربة الفكرية عند جيل الشباب التى تحفل بالصور القاتمة الحزينة والعزلة والغموض.(٢٦)

وفى تقديرى أن ما اورده الحازمى فى هذه المقارنه بين جيل الشباب وجيل اسلافهم على حد تعبيره يعد معالجة نقدية رائعة نجدها تختفى في بعض دراساته واطروحاته سواء في هذا البحث أو غيره ويختم حديثه فى هذا المجال بقوله : " فإن قصة الجيل الجديد قد اثبتت رغم طفولتها – زمينا – قدرتها

على شق طريقها وفرض وجودها كفن ادبى متميز – ولكنه مزيج من مذاهب شتى تختلط فيه الرمزية بتيار اللاوعى والسريالية واللامعقول – وهى على الرغم من غموضها وعزلتها وتشاؤمها فقد استطاعت – بعض نماذجها الجيدة – أن تفتح آفاقا جديدة للقصة المحلية لا عهد لها بها . "(٢٧)

وكنت أتمنى لو أن الحازمى لم يحشد هذا الجمع الغفير من القصص ومسارها التاريخي المتتابع وأن يلجأ الى اسلوب التحليل والقراءة التى نجدها في بعض المحطات من هذا الكتاب فهو قدير على ذلك ولكن كثرة القصص وملاحقة الأفكار أوقعته في هذا المنهج الذى أضاع علينا فيه فرصة الابداع النقدى والقراءة الائتلافية الكاشفة التى تنبثق من خلال النص والاحتفاء به فحينما تحدث عن القصة القصيرة في الفصل الأخير من هذا البحث نراه في محطات كثيرة مشعة يكشف عن هذه القدرة القرائية والاسقاطات النقدية التى تجسد الخصائص الفنية لعناصر العمل الأدبى من حيث التكوين والبناء وربط الأحداث والأشخاص بالموجودات والكائنات

والوقوف على الفضاءات المشرقة والمعتمة من الأغوار العميقة للنفس البشرية.(٢٨)

وفى اطار انشغال الحازمى بالقصة السعودية ومراحل تطورها تقدم ببحث فى هذا المجال الى الملتقى الأدبى للقصة في دول مجلس التعاون الذى انعقد بالكويت عام ١٩٨٩م (٢٩) القى فيه الضوء على انماط مختلفة من التجارب القصصية السعودية مستجمعا قواه في المكونات الأولى من هذا البحث للحديث عن الواقعية كمحاولة استشرافية لنمو هذا الاتجاه ومنتهيا الى " أن الرائد الحقيقى للقصة الواقعية – فى تقديره – ليس البوقرى ولا الناصر بل المرحوم الشيخ أحمد السباعى الذى ولد بمكة المكرمة في أواخر العهد العثمانى سنة ١٣٢٣هـ. ... حقا ان السباعي لم يكتب القصة بمواصفاتها الكلاسيكية الصارمة عند موباسان وتيمور، ولكنه كتبها بروح الفنان الذى يستوحى فنه من الحارة القديمة ومن الحياة الشعبية البسيطة ، وواقعيته لا يبحث عنها فى حدود قصة بعينها لها عالمها الخاص وصدقها الفنى – ما عدا قصته ((خالتي

كدرجان)) - بل يبحث عنها مبثوثة في قصص وحكايات متفرقة ".(٣٠)

ويلاحظ في منهج الحازمى في هذا البحث أنه اقام مشروعه النقدى الاستنتاجى على التحولات والمتغيرات التى أثرت فى مسار القصة القصيرة السعودية مستبطنا البعد الرمزى والتعبيرى في معالجة بعض الأمثلة المضمرة التى كونت الامتداد المضمونى لنسيج الخصائص النوعية للقصة السعودية .(٣١) ولكن نظرا لاحتشاد الأمثلة والاسماء واتساع مساحة الموضوع المطروح يقف منصور الحازمى على بوابة المنحنى المنهجى في محاولة للتخلص من هذه الورطة بالحاحه بأن هذه الملاحظات تصلح أن تكون " منطلقا لبحث جديد عن العلاقة الجدلية بين القصة الجديدة وبين الواقع المحلى ". (٣٢)

ومن الملفت للنظر بحق أن هناك ملاحظتين على منهج الحازمى النقدى فى دراساته وابحاثه من السهل التنبه اليهما وادراكهما:

الأولى : انه يكرر كثيرا مما قاله خصوصا اثناء حديثه عن القصة والرواية فى السعودية ومراحل تطورهما واذا كان ثمة مبرر لهذا التكرار فهو ضيق مساحة الحركة الأدبية فى السعودية فى بداياتها مما جعل الحديث محصورا فى اشخاص معينين وضمن مساق فنى معين .

الملاحظة الثانية : تذبذب الحازمى فى بعض اقواله النقدية وتداخل آرائه فمرة يصف القاص محمد علوان بانه ذاتى يشعر بالغربة والملل ومرة أخرى يصفه بانه واقعي مستشهدا بحديث يحى حقى عنه .(٣٣) وفى مكان آخر قال انه ينتمى الى المدرسة السريالية.(٣٤) ويبدو أن الحازمى احتار فى - اتجاهات جيل الشباب الفنية - التى تداخلت مدراسها وامتزجت تياراتها حتى انه قال بكل وضوح : " فان قصة الجيل الجديد ..... مزيج من مذاهب شتى تختلط فيه الرمزية بتيار اللاوعى والسريالية واللامعقول ".(٣٥) ولكن فى الواقع من السهل تفسير هذا الاضطراب والتداخل وهو أن بعض هذه التجارب لازالت فى اول الطريق ولسنا معنيين برصد قلقها

ومسيرة اكتمالها وانما يعنى الباحث بالتجارب الفنية الناضجة التى تشكلت بنيتها وتحددت ابعادها من حيث البناء واللغة والرؤية.

ويحتفى منصور الحازمى بحركات التجديد فى الأدب السعودى الحديث منطلقا بها من الاستاذ محمد حسن عواد فى مقارنة تواشجيه بينه وبين العقاد في مصر (٣٦) لما بينهما من قرابة فكرية وتوافق ذهنى ولاحساس كل منهما بدور الريادة والتحديث مع الفارق الواضح بين المجتمعين الحجازى والمصرى في ذلك الوقت من حيث الوعى والثقافة والحضارة " لذا كانت مهمة العواد مهمة مزدوجة مهمة المصلح الاجتماعى من جهة ومهمة الناقد الأدبى من جهة أخرى وربما تغلبت المهمة الأولى على الثانية لأنها الأساس لأي دعوة للتغيير والتطور"(٣٧) على حد قول الحازمى . ويشير الى مجمل التنبوءات والارهاصات التى نهض بها العواد وخاصة في كتابه الشهير ((خواطر مصرحة)) فبين أن " أهم ما جاء به الكتاب هو تلك الدعوة الصريحة الى الحرية والانتفاح .

والجرأة الشديدة فى مهاجمة الانغلاق والجمود سواء على مستوى الأدب والفكر أو على مستوى العادات والتقاليد ".(٣٨)

ويضرب مثالا بتحمس العواد للقصيدة الحداثية الجديدة التى ظهرت فى السعودية فى السبعينات ((ولم تجد من يعترف بها أو يجيرها سوى القلة القليلة التى كان على رأسها العواد . لذا فقد بكى الحداثيون أباهم الروحى حين وفاته بكاء مرا واعتبروه رائدهم الحقيقي رغم فروق السن واختلاف قصيدته)). (٣٩)

ومن بين احشاء العواد يستجمع الحازمى طاقاته ويستنفر قواه للحديث عن حركة الحداثة واسباب ظهورها فى أوربا وكيف انتقلت الى الخليج ومن هم دعاتها والذين هاجموها لتحط به الرحال عند اصدقائه من الأكاديميين الحداثيين الذين يتزعمهم الدكتور عبدالله الغذامي بكتابه ((الخطيئة والتكفير)) فوقف عند بناء السياج النظرى المحكم الذى يحمي المبدعين من سهام المتطفلين على النقد والأدب. ومن ثم تحدث عن سعد

البازعى وسعيد السريحي واطروحاتهما فى الثقافة والأدب.(٤٠) ومما يلاحظ على تناول الحازمى فى هذا المجال أنه مأخوذ بسلطانه ومفتون بذاته يصفف الأوراق المتعددة دون أن ينتهك ستارها أو يكشف حجبها مما يؤدى الى تفوق المنهج التاريخي الرصدى على القراءات النقدية المتعمقة التى تلوذ بخبايا الظواهر الفنية وتقف عند تخوم تلاوين الرؤى المتحركة اتجاه النصوص لتحليلها وربطها بالافراز الثقافى والحضارى لهذه الأمة.

ولعل الحازمى يأبى المجازفات وعشق المغامرات الاستكشافية التى تبحث اغوار النصوص ومتاهاتها وتسافر فى رموزها وايماءاتها. علما بأنه يحمل ذوقا رفيعا استطاعَ به أن يتحدث عن التجربة الشعرية التى تتحقق من خلال انسانية الشاعر فقارن بين قصيدة المتنبى التى يصف فيها قلعة ((الحدث)) وقصيدة أخرى لشاعر محدث يصف معركة ((الكرامة)) مبينا أن التجربة الفنية الصادقة هى التى ترفد النص بالروعة والجمال ووضح أن قصيدة المتنبى استمدت

جمالها من خلال الصورة المعبرة وتجسيد الحركة وايحاء التراكيب مشيرا الى " أن الشعر لا يصور الواقع كما هو بل يعبر عن تفاعل الشاعر مع هذا الواقع " .(٤١) وفى كثير من الأحيان يستشعر الحازمى موقعه الريادى ومسؤوليته تجاه الشباب وأدبهم والأخذ بخطاهم الى رحاب أوسع وفضاءات ارحب لما لهم من أهمية فى ممارسة حضورهم وشرط وجودهم لسلامة استمرارية الوعى والادراك لفكر الأمة وثقافتها " فالأديب الناشئ كالنبته النحيلة لابد لها من سند قوى ترتكز عليه ويحميها من السقوط ابان نموها حتى اذا ما قوى جذرها وصلب عودها استطاعت أن تنهض بنفسها وتستقل".(٤٢)

وعندما تحدث عن أدب المرأة اراد أن يفلت من ثقل الرأى ولحظة المكاشفة التى قد توقعه فى حرج مع الجنس العطوف على حد تعبير الأستاذ العواد فتوارى خلف آراء السباعى والأنصارى والعواد وأحمد جمال (٤٣) بيد أنه لم يستمر طويلا حتى واجه هذا الرأى برأى تطلعى جميل كسر

به طوق هذه المداراة ليعلن في مقال آخر أنه ليس هنـاك فـرق بين المرأة والرجل فى الأثـر الأدبـى وأن النـص فـى حـد ذاتـه يـأتي خالصـا مـن الذكـورة والأنوثـة . يقـول : " ان النظـرة الموضوعية والواقعية الى المرأة تجعلنا أكثر صدقا فـى الحكـم على مـا تنتجه من شعر وأدب . والنقد لا يعترف عادة بالتمييز بين الذكورة والأنوثة فى تقويم العمل الأدبى ، ذلك لأن وظيفـة النقد الأساسية هى شرح النـص وتحليلـه وتفسيره واستخلاص العناصر الجمالية فيه دون الالتفات الى قائله ".(٤٤)

ومما يلفت الانتباه أن الحـازمى يتمتـع بخاصيـة مميزة تطغى على عوالمه المتداخلة وتحتل موضعا بـارزا فـى رؤيتـه الـى الحيـاة ونظرتـه الـى الوجـود الفنـي والفكـري وتتمثـل فـي شخصيته الساخرة وروحـه المنبسـطة التـى منحتـه ثقـة مطلقـة ومقدرة فائقـة للتعبير عمـا يريـد دون التصريـح المباشـر بمـا يختلج فى ذاته " حتى يبتسم القارئ أو يضحك كما فـى مقالتيـه (قلق افرنجى) أو (مراجعة مع الومضـات) إلا أنـه لا يخـرج عن الموضوعية ومنهجيته القائمة على جمع الحقـائق وتصنيفها

وتفسيرها واتخاذ موقف منها دون تردد " (٤٥) . ويبدو أن الحازمى استطاع أن يترجم هذه الخاصية فى طرح افكاره وآرائه ولذعاته النقدية الهادفة كما فعل الجاحظ وابن شهيد والبشرى وغيرهم (٤٦) ، فعلى سبيل المثال نراه يتهكم بصورة فاضحة من تلك الشخصية المندسة بين أرباب الفكر والنقد والأدب والتى تعيش على الزيف والخداع فيطلق على هذه الشخصية " ناقد شنطة " ولتجسيد روح الحازمى الساخرة المتهكمة انقل النص الذى مارس فيه لعبة اللغة بطريقة فنية رائعة يقول : ((وكيف تستطيع " شنطته " الصغيرة أن تحتوى – دون أن يصيبها فتق أو انفجار مروع – جميع فلسفات ارسطو ، وبيكون ، وكانت ، وهيجل ، وبيرجسون ، وسارتر ..... الخ ، الى جانب أعمال الكلاسيكيين ، والرومانسيين والواقعيين والبرناسيين والرمزيين والداديين والتكعيبيين والعبثيين .. الخ الخ ؟؟ وقد تدهش أيضا فى سرعة اتصاله بجميع الحركات والمذاهب الجديدة فى أوروبا وأمريكا. فهو يأتيك كل يوم جديد ، ويزودك بالنادر

والطريف. والأعجب من هذا كله أنه رجل لا يتقن لغة أجنبية واحدة)). (٤٧)

ويتناغم هذا الجانب الساخر مع التركيب النفسي لشخصية الحازمى الانسان ذو الاريحية الدمثة والسجايا المرحة التى بوءاته مكانة خاصة وموقعا مميزا فى نفوس زملائه وطلابه واصدقائه وعشاق أدبه وفكره .

نصل بعد هذا كله الى الجرأة بالقول بأن الحازمي فيض من المعرفة والثقافة والادراك الواعى وكتلة من العطاء الفكرى المتدفق الذى اباح له أن يشرق ويغرب فى ميادين البحث والدراسة.(٤٨)

وفي تقديري أن الإلمام بشعث أفكار الحازمى وآرائه يحتاج إلى دراسات وأبحاث أخرى لم يسمح بها الوقت فى مثل هذه الدراسة المركزة التى سعيت فيها إلى استقصاء بعض

القضايا المطروحة فى كتبه ومقالاته لتأكيد النتائج التى تكشف اللثام عن مناطق زاخرة بالحياة فى تجربة الحازمى النقدية.

د. عبدالله بن سالم المعطاني
استاذ مشارك بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

الهوامش

١- احمد كمال زكى - شعراء السعودية المعاصرون - ط ١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢- رسالة دكتوراه قدمت لمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن - يوليه ١٩٦٦م - ١٣٨٦هـ وعنوانها بالانجليزية

The Modern Arabic Historical Novel

٣- منصور الحازمى - محمد فريد ابوحديد - ط ١ ، الرياض ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٤- المصدر السابق ص ٧٧ ، ٨٥ - ٨٦

٥- المصدر السابق ص ٥٤

٦- المصدر السابق ص ٥٣

٧- المصدر السابق ص ٣٩

٨- المصدر السابق ص ٤١

٩- المصدر السابق ص ٤٢

١٠- المصدر السابق ص ٩٤

١١- المصدر السابق ص ٩٦

١٢ - المصدر السابق ص ٩٤

١٣- المصدر السابق ص ١٠٢

١٤- المصدر السابق ص ٧

١٥- منصور الحازمى - فن القصة في الأدب السعودي الحديث - ط ١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٧

١٦- المصدر السابق ص ١١ - ٣٢

١٧- المصدر السابق ص ٢٠

١٨- المصدر السابق ص ٥٥ - ٥٦

١٩- المصدر السابق ص ٦٦

٢٠- المصدر السابق ص ٦٦ - ٦٧

٢١- منصور الحازمى - في البحث عن الواقع - ط ١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، ص ١٣

٢٢- - بناء الرواية - ترجمة ابراهيم الصيرفى ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، ص ١١٥

٢٣- فن القصة ص ٧٦

٢٤- المصدر السابق ص ٧٧ - ٨٠

٢٥- المصدر السابق ص ١٢٧ - ١٢٩

٢٦- المصدر السابق ص ١٢٨

٢٧- المصدر السابق ص ١٣٠ وأنظر: منصور الحازمى - لمحات من أدبنا السعودي المعاصر - محاضرة القيت بجامعة الملك سعود بمناسبة الحفل الثاني لجائزة الدولة التقديرية في الأدب لعام ١٤٠٤هـ ، ص ٢٩

٢٨- انظر فن القصة ص ٨٥ - ١٣٠

٢٩- منصور الحازمى - اضواء على تطور القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية - بحث القى في الملتقى الأدبى للقصة القصيرة فى دول مجلس التعاون الذى انعقد بالكويت ١٦ - ١٩٨٩/١/١٨م ، ثم نشر هذا البحث بمجلة البيان الكويتية العدد ٢٧٧

إبريل /نيسان ١٩٨٩م شعبان ١٤٠٩هـ ص ١٨٠ - ٢٠٤

٣٠- المصدر السابق ص ٦ - ٧

٣١- المصدر السابق ص ١٥

٣٢- المصدر السابق ص ٢٢

٣٣- فن القصة ص ١٢٨ - ١٢٩

٣٤- اضواء على تطور القصة القصيرة ص ١٨

٣٥- فن القصة ص ١٣٠

٣٦- منصور الحازمى - حركات التجديد في الأدب السعودي الحديث - محاضرة القيت بالمركز الاعلامي السعودي بلندن ، اغسطس ١٩٩٣م ص ٦- ٧

٣٧- المصدر السابق ص ٧

٣٨- المصدر السابق ص ١٠

٣٩- المصدر السابق ص ١٤

٤٠- المصدر السابق ص ٢٧ - ٣٩

٤١- المصدر السابق ص ٢٠ - ٢٢

٤٢- المصدر السابق ص ١٤

٤٣- المصدر السابق ص ٢٩ - ٤٢

٤٤- المصدر السابق ص ٤٨

٤٥- انظر جريدة الرياض السعودية العدد ٦٠٢٩ تاريخ ١٤٠٥/٤/٣هـ. الموافق ١٩٨٤/١٢/١٥م ، مقال (في البحث عن الواقع) للدكتور نذير العظمة.

٤٦- لقد تعرف الدكتور عزت خطاب الى جانب السخرية عند الحازمي وقارنه ببعض أدباء أوروبا وذلك من خلال مقاله الذى نشر في جريدة الرياض السعودية العدد (٥٤٣١) وتاريخ ١٤٠٣/٧/١٦هـ. الموافق ١٩٨٣/٤/٢٩م. بعنوان (الحازمي والملحمة الساخرة).

٤٧- منصور الحازمي - مواقف نقدية - ط ١ ، دار الصافي للثقافة والنشر، الرياض ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، ص ٤٣٣

٤٨- لقد اشار كل من الدكاترة شكرى عياد وأحمد كمال زكى وسمير سرحان الى مكانة الحازمي النقدية وذلك

من خلال بعض المقالات التي كتبوها في الصحف السعودية فناقشوا بعض أبحاثه الأكاديمية ومقالاته العلمية مشيرين الى أهمية الدراسات التى قدمها الحازمى خاصة في الرواية والقصة السعودية مما يدل على أهمية دراسة الحازمى كأحد المساهمين في سجل الحركة الثقافية الحديثة في وطننا العربي الكبير. راجع جريدة الرياض السعودية العدد الأسبوعي رقم (٥٦٣٣) تاريخ ١٤٠٤/٢/٢١هـ الموافق ١٩٨٣/١١/٢٥م وعدد رقم (٥٣٩٠) تاريخ ١٤٠٣/٦/١١هـ. الموافق ١٩٨٣/٣/٢٥م ، وجريدة عكاظ السعودية ، الخميس ١٣٩٥/١١/١٧هـ.

دراسة لغوية فى
وسائل تكوين المصطلحات
العلمية فى العصر الحديث

الدكتور/ فريد عوض حيدر
كلية الدراسات العربية والإسلامية
جامعة القاهرة – فرع الفيوم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــــة :

يقرر اللغويون المحدثون عدة وسائل تنمو عن طريقها اللغة هذه الطرق هي:

١- الاشتقاق ٢ - النحـــت ٣ - المجاز

٤ - التوليـــد - الاقتراض(١)

وإذا نظرنا إلي المصطلحات العلمية في العصر الحديث وجدناها تنمو وتتكون بهذه الوسائل التي تنمو اللغة بها ولاعجب في ذلك، فإن المصطلحات العلميـة من اللغـة، وهذه الوسائل الخمسة من خصائص اللغه وأن العلم الذي يهتـم بالمصطلحات وهو علم المصطلح، يعد جزءا من التنمية اللغوية(٢) لأنـه يعتمد علي هذه الوسائل اللغوية الخمسة التي يمكن إجمالها في وسيلتين كبيرتين هما:

١- التوليـــــــد.

٢ - الاقتراض الذي يطلق عليه في حق العربية التعريب.

فأما التعريب فالمراد به في هذا البحث، التعريب الصوتي وهو نقل الصورة الصوتية للفظ الأجنبي إلي اللغة العربية ويدخل في ذلك تعريب بعض اللواصق، لأن بعضها يعرب تعريبا صوتيا وبعضها الأخر يعرب تعريبا معنويا(٣).

وأما التوليد فينقسم إلي :

(أ) التوليد المعنوي : وهو استخدام لفظ عربي قديم بمعني جديد ويعتمد هذا النوع من التوليد علي قوانين التغير الدلالي التي أشهرها :

١- تضييق الدلالة ٢- توسيع الدلالة ٣- انتقال الدلالة

(ب) التوليد اللفظي : وهو إيجاد لفظ عربي جديد للدلالة علي معني جديد ويعتمد هذا النوع من التوليد علي ثلاثة أسس هى :

١ - الاشتقاق ٢ - النحت ٣ - التركيب

وسوف أعرض في هذا البحث لوسائل تكوين المصطلحات العلمية كما سبق تفصيلها مطبقا ذلك علي أمثلة من المصطلحات، التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة غالبا، خاصة مصطلحات النفط، وسوف أبدأ بالتعريف بالمصطلح لغة واصطلاحا عند القدماء والمحدثين، ثم الدراسة التطبيقية التي تبدأ بالتعريب ثم التوليد ثم الخاتمة والنتائج.

والله وحده ولي التوفيق،،

فريد عوض حيـــدر

المصطلح لغـــــــة :

مادة (صلـح) فـي اللغـة تدل علـي زوال الفسـاد وحصـول الاتفـاق والوئـام ففـي لسـان العـرب: "الإصـلاح نقيض الفسـاد.....والصلـح تصـالح القـوم بينهـم .... وقـد اصطلحـوا وصالحوا.. وتصالحوا"(٤)، وفي المعجم الوسيط "اصطلح القوم: زال مابينهم مـن خـلاف و علي الأمر تعارفوا عليه واتفقوا"(٥)

وفي الاصطـــــلاح :

ساق الجرجاني أربعة تعريفات اصطلاحية للفظ وهي :-

١ - "الاصطلاح : عبارة عن اتفاق قوم علي تسمية الشيء باسم ماينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معني لغوي إلي آخر لمناسبة بينهما".

٢ - "وقيل الاصطلاح : اتفاق طائفة علي وضع اللفظ بإزاء المعني".

٣ - "وقيل الاصطلاح : إخراج الشيء من معني لغوي إلي آخر، لبيان المراد".

٤ - "وقيل الاصطلاح : لفظ معين بين قوم معينين"(٦).

٥ - "وفي تاج العروس الاصطلاح : اتفاق طائفة مخصوصة علي أمر مخصوص"(٧).

يبدو مما سبق أن القدماء أوردوا الاصطلاح مصدرا ويبدو مـن التعريفـات ١، ٢، ٤، ٥، أنها تدل علي اتفاق مخصوص في مجتمع بعينـه، ومـن التعريـف الثـالث أنـه يـدل علـي تغير دلالة اللفظ في الاصطلاح عن دلالته في اللغة ومن ذلك يبدو الجـانب الاجتمـاعي فـي المصطلح بمجال الاستعمال لدي المتخصصين المستخدمين لهذا المصطلح، وأن الاصطـلاح لابد فيه من تغير دلالة اللفظ، وعندما لايوجد لفظ قديم يؤدي وظيفة دلالية جديدة، فإنه لابد من إيجاد لفظ جديد يقوم بهذه المهمة سواء كان عربي الأصل أم مقترضا، أما المحدثون فقد تناولوا المصطلح علي أنه اسم مفعـول أو مصـدر ميمـي(٨)، يقـول الدكتـور محمـود فهمـي حجازي : يتفق الرأي بين المتخصصين في علم المصطلـح علـي أن أفضـل تعريـف أوربـي للمصطلح هو التعريف التالي : "الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحيـة مفهـوم مفـرد، أو عبارة مركبة استقر معناها أو بالأحري استخدامها وحدد في وضـوح، هـو تعبيـر خـاص ضيق في دلالته المتخصصـة، واضـح إلـى أقصـى درجـة ممكنـه، ولـه مايقابلـه فـي اللغـات الأخرى ويرد دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلـك وضوحـه الضروري"(٩).

وسائل تكوين المصطلحات العلمية :

أولا : التعريب الصوتي بنقل الصورة الصوتية للمصطلح الأجنبي.

ثانيا : التوليد ويشمل :

١ – التوليد المعنوي

٢ – التوليد اللفظي

وسأبدأ بالتعريب الصوتي :

ومصطلحات هذا الجانب تمثل نسبة صغيرة، إذا ماقيست بالمصطلحات المولدة ففي معجم النفط، بلغ عدد هذا النوع من المصطلحات ١٦٣ مصطلحا مفردا تمثل نسبة ٤, ٤٪ تقريبا من مجموع مصطلحات المعجم البالغ عددها ٣٧٧٥ مصطلحا، كما بلغ عدد هذا الجانب في معجم للحاسبات ٢٧ مصطلحا من مجموع ٦٨١ مصطلحا حيث تمثل نسبة ٩, ٣٪ من مصطلحات هذا المعجم.

ويعتمد هذا التعريب الصوتي علي إبدال الأصوات الأجنبية أصواتا عربية وقد اتخذ مجمع اللغة العربية القاهري، مجموعة من القرارات الخاصة بهذا الإبدال الصوتي للأصوات الأجنبية، اتخذها أولا بشأن الأعلام الأجنبية(١٠) ثم رأت لجنة اللهجات تطبيقها علي المصطلحات العلمية "لأنها بمثابة الأعلام"(١١).

ويمكن قسم هذا الإبدال الصوتي إلي قسمين :

الأول : إبدال الاصوات الأجنبية التي ليست من الأبجدية العربية.

الثاني : إبدال الأصوات الأجنبية التي لها نظائر عربية.

أولا : إبدال الأصوات الأجنبية التي ليست من الأبجدية العربية.

أطلق القدماء في تعريبهم علي هذا النوع من الإبدال، الإبدال المطرد اللازم وعللوا لاطراده ولزومه بأن هذه الحروف "ليست من حروفهم"(١٢) فلا ينطقون بها وحتي لايدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم(١٣)، وقد تصرف المحدثون في هذا النوع من الإبدال، تصرف القدماء غالبا فأبدلوها بأقرب الأصوات العربية إليها مخرجا وصفة، وقرر المجمع أنه "من الخير أن توضع قواعد تشملها جميعا مع التزام الأصوات والرموز العربية ما أمكن فلا تقحم علي أبجديتنا أصوات ورموز جديدة كثيرة"(١٤)

وفيما يلي سوف أعرض أمثلة من هذا القسم :

أ – إبدال صوت الـ (G) جيما عربية أو غينا.

وقد اتخذ المجمع بشأن رسم هذا الحرف قرارا جاء فيه:" يرسم حرف (G) اللاتيني في الكلمات التي يعربها المجمع جيما أو غينا".(١٥)

ومما أبدل فيه صوت الـ (G) جيما عربية مايأتي :-

١ – جالونات : Gallons

٢ – جلفنـــة : Galvanization وهي "غمس صفائح الصلب في الخارصين المصهور لتغطية سطحها بطبقة رقيقة من فلز الخارصين لمنع تأكسده.(١٦)

٣ – جرانيتين : Granitine وهو "صخر ناري متبلور.....".(١٧)

ومما أبدل فيه صوت الـ (G) غينا ما يأتي :

١ – حقل الغاز : Gas Field(١٨) في الكلمة الأولي (الغاز).

٢ – مقياس المغناطيسية : Magnetometer(١٩)

ب – إبدال صوت الـ (P) المهموسة باء مجهورة :

وهذا الصوت الـ (P) الأجنبية ليس من الأبجدية العربية ولا من أصواتها، ولذا فإن العربية سعت إلي إبداله بأقرب الأصوات إليه مخرجا وهو صوت الباء العربية المجهورة ومن الألفاظ التي حدث فيها هذا الإبدال ما يأتي :

١ – الكمبيوتر : Computer وهو معرب عن الإنجليزية أبدل فيه الصوت الشفوي المهموس المشار إليه آنفا بالصوت الشفوي المناظر له في العربية من ناحية الجهر وهو صوت الباء.

٢ – الأمبيرية : Amperage وهو لفظ معرب عن الفرنسية ومعناه : "التيار الكهربائي محسوبا بالأمبير"(٢٠)

٣ – أباتيت : Apatite من أسماء المعادن التي تستخدم خاما للفوسفات(٢١) هذا وقد قبل المجمع أن يدخل صوت الباء المنقوطة بثلاث نقط ليقابل صوت الـ (P) وهو يتفق معه في الصفة والمخرج، ولكن هذا القبول لهذا الصوت خاص بالأعلام الأعجمية(٢٢)، والمصطلحات العلمية، حتي لايتغير نطقها عن أصلها الأعجمي.

حـ – إبدال صوت الـ (V) فاء عربيه :

وصوت الـ(V) هو النظير المجهور لصوت الفاء العربية، وكلا الصوتين شفوي أسناني وهذا التقارب في مخرجيهما هو المسوغ للإبدال بينهما، ومن أمثلة هذا الإبدال مايأتي :

١ – فازلين : Vaseline، وهو مصطلح من المصطلحات العلمية في مجال النفط وهو "مزيج من مواد هدروكربونية شبه جامدة، ينتج بتقطير بعض أنواع النفط عند درجة حرارة أعلي من ٣٠٠م، يستخدم في التشحيم وفي صنع المراهم"(٢٣).

٢ – فاناداب : Vanadate، وهو "ملح لحمض الفانيديك يحتوي علي الشق الحامضي"(٢٤).

٣ – جلفنة : Galvanization، والمقصود هنا هو صوت الـ (V) حيث نقل صوتيا إلي صوت الفاء العربية والفرق بينهما، هو الجهر للصوت الأجنبي والهمس للصوت العربي.

هذا هو الغالب في تعريب الـ (V) وقد عرب هذا الصوت بصوت الفاء المنقوطة بثلاث نقط إبقاء علي صفة الجهر فيه ومن ذلك المصطلح (قوي فان درڤال وهي قوي منسوبة إلي عالم اسكندناوي(٢٥) وذلك حرصا علي نطق اسم العلم كما هو في لغته.

ولكن جدير بالذكر هنا أن هذا التعريب الأخير قليل إذا ماقيس بتعريب هذا الصوت بالفاء العربية المهموسة، وإن كان المجمع نص علي أن الـ (V) يرمز لها بفاء فوقها ثلاث نقاط (ڤ) وذلك في كتابة الأعلام الأعجمية، فقد ضيق نطاق إدخال رموز جديدة علي الأبجدية العربية حيث قرر أنه "لاداعي لرموز جديدة إلا في حرفين ساكنين هما : الـ (P) يرمز لها بباء تحتها ثلاث نقط پ و الـ "V" (٢٦) وهذا القرار جدير بأن يحافظ علي نسيج العربية نقيا – في الغالب – من غزو الأصوات الأعجمية. وبهذا يحرص المجمع علي تحقيق أهدافه في الحفاظ على سلامة اللغة العربية ما استطاع إلي ذلك سبيلا.

ثانيا : نماذج من إبدال الأصوات التي لها نظائر في العربية : وما له نظائر يمكن قسمة إلي نوعين : الأول : أصوات مركبة هجائيا موحدة صوتيا.

الثاني : أصوات مفردة هجائيا وصوتيا.

أولا : إبدال الأصوات المركبة هجائيا الموحدة صوتيا بما يناظرها في العربية :

يجتمع في بعض الكلمات الأجنبية صوتان في الصورة الخطية ليعبرا عن صوت واحد علي المستوي النطقي، فمثلا الـ Ph يظهران صوتين علي المستوي الخطي ويعبران عن صوت الـ "f" علي المستوي النطقي ولذا يبدلان بصوت الفاء العربية وسوف أعرض لأمثلة من هذا القبيل فيما يأتي:–

- إبدال الـ (PH) فاء وهذا واقع في كثير من مصطلحات العلوم وألفاظ الحضارة التي تم تعريبها علي اختلاف مجالاتها الدلالية وقد قرر المجمع أن يرمز لـ (Ph) بالفاء عند التعريب(٢٧) ومن ذلك :

أ - الفوناتيك : Phonetics

وهو ذلك الجانب من علم الأصوات الذي يهتم "بدراسة أصوات اللغة من حيث كونها أحداثا منطوقة بالفعل لها تأثير سمعي معين. دون نظر في قيم هذه الأصوات أو معانيها في اللغة المعينة"(٢٨)

ب - الفنولوجيا : Phonology

ويطلق عليه علم الأصوات التشكيلي أو التنظيمي وهو يهتم "بتنظيم المادة الصوتية وإخضاعها للتقعيد والتقنين أو أنه يبحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللغة"(٢٩) كما يهتم بدراسة التأثير والتأثر بين الأصوات عندما تنتظم في تركيب المقاطع والكلمات.

ومن أمثلة ذلك كلمة المورفولوجيا Morphology وهو علم الصرف وكلمة مورفيم Morpheme وهي الوحدة الصرفية، وكل هذا من مصطلحات علم اللغة الحديث التي تم تعريبها.

٢ - إبدال الـ (th) ثاء :

أحيانا ينطق هذان الصوتان في لغتهما الأم أقرب مايكون إلي الثاء العربية وأحيانا أخري أقرب إلي الذال وهذا التنوع في النطق خاضع لموقعهما من الكلمة، التي يكونان جزءا منها، فإذا عربت كلمة فيها هذا الصوت عرب بحسب نطقه، ولذا قرر المجمع أن يرمز لـ (th) بالثاء أو بالذال علي حسب نطقه(٣٠) ومن ذلك:

أ - إيثانال : Ethanal من مصطلحات النفط وهو "سائل طيار ذو رائحة عطرية مميزة يغلي عند ٢٠,٨م يمتزج بالماء ويستعمل في التخليق الكيميائي.(٣١)

ب - إيثين : Ethene، وهو هيدروكربون غازي.....(٢٣)

ج - الإيثان : Ethane، وهو غاز يستخلص من الغاز الطبيعي.(٣٣)

ثانيا : إبدال الأصوات الموحدة هجائيا وصوتيا :

وهذا النوع كثير وغالب ويعرب أيضا حسب نطقه في لغته الأصل فمثلا صوت الـ "C" إذا نطق لثويا احتكاكيا مهموسا أي من موضع السين العربية عرب سينا مثل كلمة أسيتون وإذا نطق من أقصي الحنك انفجاريا مهموسا، أي من موضع الكاف العربية عرب كافا مثل المصطلح بالكو Balco(٣٤)، وإذا نظرنا إلي المعرب الصوتي وجدناه من هذا القبيل غالبا، بمعني أننا سنجد كل صامت في الكلمة الأجنبية يقابله الصامت الذي يناظره مخرجا وصفة - غالبا - في اللغة العربية وهذا واضح لايحتاج إلي بيان بل هو الأصل في

التعريب، ولكن قد يحدث لبعض الصوامت أن تختلف عن أصلها في بعض الصفات، كأن يبدل الصوت المرقق في لغته الأصل صوتا مفخما لميل العربية إلي التفخيم ومن أمثلة ذلك المصطلح نطرون Natron(٣٥) وهو من أسماء المعادن حيث عرب صوت الـ (T) وهو مرقق طاء عربية، وهو صوت مفخم.

ومن أمثلة تعريب الأصوات الموحدة هجائيا وصوتيا مايأتي :-

١ - أماتول : Amatol وهي "مادة متفجرة... تستخدم في حفر مناجم"(٣٦)

٢ - أسيتون : Acetone وهو "مركب عضوي سائل.... يستعمل مذيبا للزيوت والدهون...."(٣٧)

ومن التعريب الصوتي للواصق :

قرر المجمع "عند تعريب أسماء العناصر الكيميائية التي تنتهي بالمقطع (Ium) يعرب هذا المقطع بـ "يوم" مالم يكن لاسم العنصر تعريب أو ترجمة شائعة فيعرب منتهيا بالمقطع "يوم" إلي جانب تعريفه الشائع"(٣٨)

ومن ذلك : الكربونيوم Carbonium(٣٩)، الباريوم Barium(٤٠)، وغيرها.

وقد لفت الدكتور محمود فهمي حجازي إلي أن الأسماء المنتهية بالاحقه (on) والنهاية (en) تعرب مع الاحتفاظ بها ومن ذلك أرجون : Argon، ورادون : Radon، وايدروجين : Hydrogen، واكسجين Oxygen(٤١).

التعريب الصوتي والتنمية اللغوية :

لايتوقف إخضاع العربية الألفاظ المعربة لخصائصها علي مجرد إبدال الحروف فقط، بل إنها توسعت في ذلك فاشتقت من هذه الألفاظ أفعالا علي أوزانها، ومن المقرر أنه لايشتق العربي من اللفظ الأعجمي، ولكن يمكن الاشتقاق من المعرب، لأنه بتعريبه قد اكتسب بعض سمات اللفظ العربي فيشتق منه علي أساس افتراض جذر له، ثلاثي أو رباعي أو خماسي، ومن الألفاظ التي اشتق منها مايأتي :-

١ - سَمْنتة : وهي كلمة مشتقة من لفظ الأسمنت للدلالة علي عملية تثبيت البطانة داخل البئر بالأسمنت(٤٢) ويمكن أن يشتق منها سمنت يسمنت، ومسمنت .....الخ

٢ - أسفلت : (٤٣) معربة عن الإنجليزية Asphalt ويجوز أن يشتق منها، نقول سفلت الشارع يسفلت سفلتة وهو مسفلت وهذه المشتقات نسمعها الآن جارية علي الألسنة.

وقد عرض الدكتور إسحاق موسي الحسيني عضو المجمع مجموعة من الألفاظ الأعجمية المعربة التي يمكن الاشتقاق منها أعرض أمثلة منها فيما يأتي :-

٣ - بنسلين : يفترض أن جذره (ب ن س ل) رباعي، ويمكن أن نشتق منه فنقول :

بنسه يبنسه بنسلة ومبنسِل ومبنسل" بمعني "أعطاه البنسلين" ويذكر أنه يمكن للسياق أن يفرق بين البنسلة بالسائل عن طريق الحقن، والبنسلة عن طريق المرهم فالقول بنسله فقط ينصرف إلى الأول، والقول بنسله بمرهم ينصرف إلى الثاني، ويذكر فضل العربية علي اللغات الأعجمية، فلغتنا تستطيع أن تستغني عن فعل جديد يقترن بالاسم للدلالة علي استعماله، أما اللغات الأعجمية فهي تعجز عن اشتقاق فعل من البنسلين تستغني به عن الفعل الدال علي استعماله".

٤ – بستر : وهي مشتقة من اسم علم هو لويس باستير وهي لفظة شائعة في الكلام وفي الكتابة علي زجاجات اللبن المبستر، ويمكن أن نشتق منها فنقول بستر يبستر بسترة ومبستَر.

٥ – بِلَّوْر أو بَلُّور : ويمكن أن نشتق منه بلور يبلور بلورة، وتبلور يتبلور تبلورا ومتبلور ومتبلور بمعني صار شفافا كالبلور.

وقد ورد منها في المعجم الوسيط : بلوره بمعني "جعله بلورات مج" وبلور الفكرة أو المسألة بمعني "استخلصها ونفي عنها الغموض والفضول محدثة"(٤٤).

٦ – الفبريكة من الإيطالية : Fabrica، بمعني الصناعة باستخدام الآلة ويمكن أن يشتق منها : فبرك يفبرك فبركة، ومفبرِك ومفبرَك(٤٥)، ويستخدم الفعل فبرك، في المجتمع الآن، بمعنى عمل الشيء علي غير وجه الإتقان.

ثانيا التوليـــد :

المولد في اصطلاح اللغويين القدماء : "هو ما أحدثه المولدون الذين لايحتج بألفاظهم(٤٦) فالمولد عند القدماء موضوع خارج نطاق الفصاحه (٤٧) لكنهم رغم ماقرروه علي المستوي النظري من عدم جواز الاحتجاج بالمولد من الشعر والنثر، الا إنهم خالفوا ماقرروه علي المستوي العملي(٤٨)، وهم بهذه المخالفة يثبتون اعترافهم بأهمية التوليد في نمو اللغة لأنهم وإن حذروا منه علي المستوي النظري إلا أنهم أثبتوه واحتجوا به عمليا. أما المحدثون فقد عدوا المولد من الثروة اللغوية التي أسهمت في نمو اللغة، وقد أخذ المجمع بمبدأ أن "ماقيس علي كلام العرب فهو من كلام العرب"(٤٩) فجاء ضمن قراراته "الاعتداد بالألفاظ المولدة وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء(٥٠) وسار علي هذا النهج في معجمه الكبير(٥١)، والتوليد عند المحدثين علي نوعين :(٥٢)

أ – توليد معنوي :

ب – توليد لفظـي :

والتوليد المعنوي قديم لفظا جديد معني، والتوليد اللفظي جديد لفظا ومعني وعلى ذلك فالأخير أكثر إثراء للغة من الأول. وسوف أورد فيما يلي أمثلة من المصطلحات العلمية في العصر الحديث استطاعت العربية أن تستوعبها عن طريق التوليد بنوعيه،

المعنوي واللفظي وإذا كان التعريب الصوتي يعتمد علي نقل الصورة الصوتية للفظ الأجنبي، فإن التوليد بنوعيه يعتمد علي الترجمة بالمعني، أي إيجاد لفظ عربي يقابل اللفظ الأجنبي في معناه وسأبدأ بالتمثيل للتوليد المعنوي ثم أثني بالتمثيل للتوليد اللفظي.

أ- التوليد المعنوي :

سبق أن ذكرت أنه يعتمد علي تضييق الدلالة، أو توسيعها أو انتقالها، والأخير يعتمد علي وجود علاقة بين المعني العربي القديم للفظ، والمعني الحديث الذي يراد به أن يقابل معني اللفظ الأجنبي المراد نقله إلي العربية ومن أمثلة هذا النوع من التوليد مايأتي:-

١- المشـــــيج : Tint

من مصطلحات علم الفيزيقا، ويعني "كل لون اختلط بالأبيض"(٥٣) ولفظ المشيج عربي أصيل قال ابن فارس: "الميم والشين والجيم أصل صحيح وهو الخلط"(٥٤)

وقد استعمل العرب صيغة فعيل هذه أي مشيج بمعني "كل لونين اختلطا"، وبمعني "كل شيئين مختلطين"(٥٥) وورد اللفظ مجموعا في قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) الإنسان ٢. بمعنى أخلاط (*) وفي استعمال علم الفيزيقا لهذا اللفظ تخصيص لمعناه، فبعد ما كان يدل علي كل لونين، وكل شيئين مختلطين خصصت دلالته فأصبح يدل في هذا العلم علي كل لون اختلط بالأبيض خاصة فالاصطلاح تخصيص، لأنه يعطي دلالة معينة في بيئة معينة تختلف عن دلالته في مجال أو بيئة أخري من ناحية أخري، وهذا المعني الخاص يعد مولدا، لأن العرب لم يستخدموا اللفظ به، بل كانت دلالته عندهم أوسع من هذه الدلالة أو هذا المعني ولذا سمي توليدا معنويا.

٢- الضـــم : Concatenation

من مصطلحات الحاسبات الإلكترونية ويدل علي : "عملية تجري بين سلسلتين من الحروف الهجائية والأرقام، تُضَم فيها رموز السلسلتين في سلسلة واحدة ويرمز لهذه العملية عادة بالرمز (٠//٠) ومثال ذلك: إذا كانت السلسلة الأولي (أ) هي خمسة والسلسلة الثانية (ب) هي جنيهات، تكون السلسلة الناتجة أ/ب (تنطق: أ ضم ب) هي خمسة جنيهات ..."(٥٦)

والضم لفظ عربي، يقول ابن فارس: "الضاد والميم أصل واحد يدل علي ملائمة بين شيئين. يقال ضممت الشيء إلي الشيء، فأنا أضمه ضما (٥٧) واستخدم العرب لفظ الضم بهذا المعني العام، وهو "قبض شيء إلي شيء" (٥٨) فاستخدام لفظ الضم في مجال الحاسبات الإلكترونية تخصيص لمعناه، إذ يدل اللفظ علي معني خاص، وهو ضم رموز سلسلتين في سلسلة واحدة.

٣- تكـــــرار : Iteration، من مصطلحات الحاسبات الإلكترونية يدل علي "معاودة تنفيذ عملية مايجعل مخرجات كل مرحلة مدخلات المرحلة التي تليها"(٥٩)

واللفظ من مادة عربية يدل أصلها علي "جمع وترديد، من ذلك كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولي فهو الترديد الذي ذكرناه"(٦٠) والمصطلح الذي أمامنا يحتمل أن يكون بفتح التاء وعليه يكون مصدرا سميت به هذه العملية الإلكترونية ويحتمل أن يكون بكسر التاء وعليه يكون اسما، وقد استخدم اللفظ قبل ذلك بمعني "التجديد للفظ الأول "واستخدم في كتب المعاني بمعني "ذكر الشيء مرة بعد أخري"(٦١)

وهذا المعني الذي يدل عليه أصل اللفظ، وهي مادته اللغوية (الجذر) والمعني الذي استخدم به من قبل في اللغة يسمح بالتوليد المعنوي الجديد، لأن هذا المعني الجديد يمثل امتدادا دلاليا لأصل المعني، المستفاد من المادة الأصلية للفظ، والدلالة الجديدة تعد تخصيصا للدلالة العامة علي التكرار، لأن معاودة تنفيذ عملية إلكترونية نوع من أنواع التكرار.

٤- طابـــــور : FIFO = First in First out

من مصطلحات الحاسبات الإلكترونية بمعني : "قائمة يتم استخراج عناصرها بنفس ترتيب إدخالها"(٦٢) وهذه الكلمة ليست عربية رغم وجود مادة (طبر) في لغتنا، فهي معربة عن التركية بمعني الصف(٦٣)

ولكن هناك قدرا مشتركا من الدلالة، بين المعني الذي عرب به اللفظ عن التركية، والمعني المولد الذي استخدم به في بيئة الحاسبات، وهذا القدر المشترك من الدلالة يقوم علي علاقة المشابهة بين الطابور بمعني الصف والطابور بمعني القائمة المرتبة ، إذ إنهما يعتمدان علي الترتيب باعتبارها علاقة مشابهة بين الدلالة المعربة، والدلالة المولدة وهذا المعني الجديد يعد مولدا، لأنه من تصرف لغتنا العربية في اللفظ، فهو لم يستخدم في لغته الأم بهذا المعني، ولذا فهو معرب بالمعني الأول الذي نقل به إلي العربية مولد بالمعني الجديد الذي هو من إنتاج العربية نتيجة إخضاعها اللفظ لتصرفها.ومن تصرفها: هذا التوليد، فكل لفظ معرب استخدمته العربية بمعني غير الذي عرب به فهو مولد بالمعني الثاني.

٥- الفـــــرز : Scerting

من مصطلحات الحاسبات الإلكترونية وهو "ترتيب المعلومات تصاعديا أو تنازليا علي أساس واحد للفرز أو أكثر"(٦٤)، والكلمة من مادة عربية إذ "الفاء والراء والزاء أُصيْل يدل علي عزل الشيء عن غيره"(٦٥) وقد استخدمت هذه الكلمة لدي العرب بمعني "الفرج بين الجبلين" وبمعني عزل شيء، من شيء وميزه"(٦٦) وهذه دلالة عامة.

وهذا المصطلح يعد تخصيصا لهذه الدلالة العامة إذ الهدف منه هنا هو التمييز بين المعلومات في بيئة الحاسبات والمعالجة الإلكترونية للمعلومات.

٦- الرشـــــح : Infiltration

من مصطلحات الهيدرولوجيا ويدل في هذا العلم علي ماياتي :

١- نفاذ الماء إلي داخل التربة من خلال سطحها.

٢- امتصاص التربة للماء من مختلف مصادره.

٣- نفاذ الماء من وسط مسامي.

٤- الماء الراشح.(٦٧)

واللفظ من مادة عربية حيث إن "الراء والشين والحاء أصل واحد، وهو الندي"(٦٨) وقد أطلقه العرب علي ندي العرق علي الجسد، وعلي العرق.(٦٩) ووجه الشبه بين الدلالات القديمة والدلالات الجديدة واضح، فنفاذ الماء إلي داخل التربة، ونفاذه في وسط مسامي وامتصاص التربة للماء كل هذا قريب من معني ندي العرق علي الجسد، إذ هو نفاذ للعرق من الجسد، وإطلاق الرشح علي الماء الراشح، مثل إطلاقه علي العرق والندي، وكلاهما من باب التسمية بالمصدر، وهذا المثال يعد من قبيل توسيع الدلالة، وتوسيع الدلالة نادر في مجال الاصطلاح.

٧- التنقّـــــر : Pitting

من مصطلحات الهيدرولوجيا وهو "تخشن السطوح أو تكون جيوب فيها بسبب التكهف أو حت المياه"(٧٠).

واللفظ من مادة عربية حيث إن "النون والقاف والراء أصل صحيح يدل علي قرع شيء حتي تُهزَم فيه هزمة، ثم يُتوسَع فيه"(٧١) وقد استخدم لفظ التنقر بمعني "الدعاء علي الأهل والمال يقول أراحني الله منكم، ذهب الله بماله"(٧٢) فوضع الدعاء موضع قرع الشيء مجازا، واستخدام اللفظ في علم الهيدرولوجيا ليس ببعيد عن أصل دلالة المادة وهي دلالة عامة علي كل ضرب لشيء حتي يحدث فيه هزمة، إذ المعني الجديد تخصيص لهذه الدلالة العامة، لأنه خصص التنقر بالدلالة علي تخشن السطوح أو تكون جيوب فيها بسبب التكهف أو حت المياه التي تقرع هذه السطوح.

٨- شُـــــواظ : Surge من مصطلحات علم الضوء ومعناه: "تفريغ كهربائي شديد في دائرة كهربائية"(٧٣) وقد استخدم العرب لفظ الشواظ قال ابن فارس: "الشين والواو والظاء كلمة واحدة "فالشواظ شواظ اللهب من النار لا دخان معه"(٧٤) وجاء ذكر اللفظ في القرآن الكريم في قوله تعالي مخاطبا الثقلين: "يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ"(٧٥)، بمعني "اللهب الذي فوق النار ودون الدخان"(٧٦)

بينهما، فكلاهما طاقة شديدة خالية من الدخان، وهذا القدر المشترك من الدلالـة يسمح بهذا التوليد الجديد، لأن بين المدلولين علاقة مشابهة.

٩- تخصيـــص : Allocation

من مصطلحات الحاسبات ومعناه "وقف وحدة محيطية أو ملف أو جزء من الذاكرة الرئيسية أو الذاكرة المساعدة علي غرض ما"(٧٧) واللفظ من مادة عربيـة هي (خصص) وقد استخدم "التخصيص ضد التعميم وهو التفرد بالشيء مما لاتشاركه فيه الجملة"(٧٨) وهذا معني عام للفظ التخصيص. وفي المعني الجديد توليد دلالي اعتمد علي تضييق دلالة اللفظ بمعني لم يعرفه العرب من قبل، وهو تخصيص جزء من الحاسب ووقفه علي غرض ما.

١٠- أمـــر : Instruction

من مصطلحات الحاسبات وهو "بيان بعملية يطلب إلـي الحاسب تنفيذها ويشمل نوع العملية وعناصرها"(٧٩) وقد استخدم العرب لفظ الأمر بمعني الطلب(٨٠) وهو ضد النهي(٨١)، وهذا معني عام للفظ وقد أصاب اللفظ التخصيص، فأصبح يطلق علي طلب موجه إلي الحاسب الآلـي ليقوم بتنفيذ عمليه حسابية وهذا معني لم تعرفه العربية قبل صناعة الحاسب الآلي.

١١- الانفصـــال : Avulsion، من مصطلحات الهيدرولوجيا وهو "انفصال قطعة من الأرض بسبب شق النهر طريقه في عنق ضيق في منحني، أو نتيجة لتغير كامل في مجراه حين يشق طريقه خلال إحدي ضفتيه"(٨٢) والكلمة من مادة عربية هي (فصل) "والفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل علي تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه"(٨٣) وقد استخدم العرب لفظ الانفصال بمعني الانقطاع(٨٤) وهذا معني عام يدل علي انقطاع شيء عن شيء.

وقد خصص هذا المعني في مجال الهيدرولوجيا حيث دل اللفظ علي انقطاع قطعة من الأرض بسبب شق النهر طريقه..... الخ وهكذا يغلب علي المصطلحات أنها من قبيل تضييق الدلالة.

ب - التوليـد اللفظـــي :

سبق أن أشرت الي أنه يعتمد علي ثلاثة أسس هي :

١- الاشتقاق اللفظي

٢- النحـــت

٣- التركيب

١- الاشتقاق اللفظي :

وهو في اصطلاح القدماء "أخذ صيغة من أخري مع اتفاقهما معني ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية علي معني الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب، وحذر من حذر"(٨٥) وقد اختلف اللغويون القدماء في أصل المشتقات فذهب سيبويه.(٨٦) والبصريون إلي أن المصدر هو أصل المشتقات وذهب الكوفيون إلي أن الفعل هو أصلها:(٨٧)، ولكننا إذا تأملنا الاشتقاق، في اصطلاح القدماء لاحظنا أنه يتخالف مع اختلافهم هذا ويفيد أنه ليس هناك أصل معين للاشتقاق، فالصيغة المشتقة نكرة والصيغة المشتق منها نكرة أيضا في اصطلاحهم(*)، والنكرة تفيد دلالة العموم فليس في اصطلاحهم على الاشتقاق مايدل على أن هناك صيغة بعينها هي أصل له، فضلا عن أن كثيرا من الخلافات يمكن طرحها من الدرس الصرفي دون أن يخسر شيئا(٨٨) وكذلك اختلف المحدثون من اللغويين في أصل المشتقات كما اختلف أسلافهم فمنهم من أخذ بمذهب البصريين، ومنهم من أخذ بمذهب الكوفيين ومنهم من خالف الفريقين جميعا حيث يري أن "أسماء الأعيان أصول المشتقات كلها"(٨٩) ولست معه في ذلك فليس، كل مشتق يعود بالضرورة إلي اسم عين.

ويقرر الدكتور إبراهيم أنيس أن المستشرقين "في اللغات السامية" ظهر لهم أن الألفاظ السامية تعتمد علي جذور أو مواد تعتبر الأصل في كل اشتقاق"(٩٠) وذهب فريق من علماء اللغة المحدثين(٩١) هذا المذهب فاعتبروا الجذر الثلاثي هو أصل المشتقات جميعا وهذا رأي سديد إذ الجذر هو القاسم المشترك بين جميع مشتقات المادة الواحدة.

وفيما يلي أعرض أمثلة من المصطلحات العلمية التي أتت عن طريق الاشتقاق اللفظي.

١- مماهـــــة : Aquarium

من مصطلحات علوم الأحياء وهي "وعاء أو حوض يملأ بالماء وتوضع فيه الأحياء المائية للدراسة أو المشاهدة(٩٢) وهذا المصطلح مشتق من مادة عربية هي مادة (موه) قال ابن فارس: "الميم والواو والهاء أصل صحيح واحد، ومنه يتفرع كلمة هي الموه أصل بناء المـــاء" (٩٣) والكلمة المشتقة بوزن مفعلة دالة علي مكان يملأ ماء، هو الوعاء أو الحوض، ولا نجد العرب استخدموا هذه الصيغة من هذه المادة(٩٤) فهي اشتقاق لفظي جديد تتوفر فيه شروط هذا الاشتقاق لفظا ودلالة.

٢ - مأرضـــــة : Terrarium، من مصطلحات علوم الأحياء أيضا وهي "قطعة من الأرض مغطاة بالتراب توضع فيها الأحياء البرية بقصد الدراسة أو المشاهدة"(٩٥) وهذا المصطلح مشتق من لفظ الأرض، وهو يعود إلي مادة عربية أصيلة هي مادة (أرض) واللفظ بوزن اسم المكان الدال علي مكان الحدث وهو هنا قطعة أرض مغطاة بالتراب....الخ ولم يبد أن العرب استخدموا هذه الصيغة(٩٦) من مادة أرض، ولذا فهي

اشتقاق لفظي جديد يسمح به القدر المشترك من الدلالة بين لفظي الأرض وهي التي نعيش عليها، والمأرضة التي هي قطعة مخصوصة من هذه الأرض.

٣- تشـــعيع : **Irradiation**، من مصطلحات علم الطبيعة النووية ويطلق علي "تعريض المادة إلي أشعة إكس أو الأشعة الجيمية أو النيوترونات"(٩٧) واللفظ من مادة عربية هي (شعع) ومن الدلالات التي تدل عليها مشتقاتها، الدلالة علي النفاذ، ومن المادة شعاع الشمس وهو الذي ينتشر من ضوئها، أو مايري ممتدا كالرماح بعيد الطلوع(٩٨)، وفي لفظ الشعاع دلالة النفاذ أي نفاذ أشعة الشمس في الكون. والمصطلح تشعيع مشتق من مادة الشعاع بوزن تفعيل وهو يشترك مع لفظ الشعاع في الدلالة علي النفاذ، إذ إنه يعني تعريض المادة إلي نوع أو أكثر من الأشعة، وينتج عن هذا التعريض نفاذ هذه الأشعة في المادة المعرضة له، وهذا القدر المشترك من الدلالة يسمح بهذا الاشتقاق الجديد، الذي لم يبد أن العرب استخدموه(٩٩) من قبل.

٤- الجـــــزيء : **Molecul**، من مصطلحات علم الطبيعة النووية وهو "أصغر جزء من مادة ما، يوجد مستقلا بذاته محتفظا بخواص تلك المادة"(١٠٠) واللفظ من مادة عربية هي (جزأ) ومنها الجزء وهو "الطائفة من الشيء"(١٠١) وهو البعض(١٠٢) ففي المادة دلالة البعضية ولفظ الجزيء، تصغير جزء، وهو يشترك مع مشتقات مادة (جزأ) في دلالتها علي البعضية فهو يدل علي أصغر جزء من مادة ما...الخ أي يدل علي بعض مادة ما ...الخ أي يدل علي بعض مادة وهذا اللفظ اشتقاق جديد(١٠٣) في مادة (جزأ) أتي عن طريق التصغير وهو "من الوسائل المهمة في تكوين المصطلحات وله أوزان محددة، أكثرها ورودا وزن فعيل" مثل جسيم وزهيرة(١٠٤).

٥- مرقـــــــاب : **Monitor**

من مصطلحات علم الطبيعة النووية وهو "آلة لقياس الإشعاع باستمرار أو علي فترات من الزمن وذلك للاحتفاظ بمقاديره في الحدود المرسومة، ويستعمل عادة في المعامل وفي منشآت الطاقة الذرية لقياس مناسيب الإشعاع فيها"(١٠٥) واللفظ مشتق جديد في مادة (رقب) وهي مادة عربية أصيلة، وهي "أصل" يدل علي انتصاب لمراعاة شيء"(١٠٦) وقد استخدم العرب لفظ المرقب بوزن مفعل اسما للمكان الذي يصعد عليه الرقيب لينظر من بعد (١٠٧) أي استخدموه للدلالة علي موضع المراقبة.

ومن ذلك نعرف أن في مادة (رقب) دلالة الملاحظة والارتقاب، والمشتق الجديد (مرقاب) يشترك مع الدلالة العامة لهذه المادة في قدر من الدلالة فالغرض منه القياس، والقياس يقتضي بالضرورة الملاحظة والارتقاب وقد جاء بصيغة مفعال وهي من الصيغ التي أقر المجمع حديثا قياسيتها في اسم الآلة(١٠٨) ولم يبد أن العرب استخدموا هذه الصيغة(١٠٩) من مادة رقب قبل ذلك.

٦- النوَيّـــــة : Nucleon

من مصطلحات علم الطبيعة النووية: وهـي "اسم يطلق علي أحد الأجزاء الأساسية المكونة لنواة الذرة وتلك الأجزاء هي البروتونات والنيوترونات"(١١٠) واللفظ تصغير نواة وهو من مادة عربية أصيلة هي (نوي) ومن معانيها أنها تدل علي عجـم الشـيء(١١١) أي نواه كنوي التمر، وبذره كبذر العنب، ولـم يستخدم العرب هذا المشتق(١١٢) وهنا قدر مشترك من الدلالة بين المشتق الجديد، وأصل دلالة المادة حيث يدلان جميعا علي أصل بناء الشيء فالذرة لاتتكون إلا وفيها بروتونات ونيترونات، والتمر لايتكون إلا بالنوي وهو أصل شجرته.

٧- المعجميـــــــات : Lexicography

من مصطلحات علم اللغة الحديث وهو "فن يقوم علي جمع مفردات اللغـة وتصنيفها من حيث دلالتها وبنيتها وأصولها"(١١٣)، أي صناعة المعجم، والمصطلح مشتق جديد فـي مـادة (عجم) وهـي مـادة عربيـة أصيلـة وقد جـاء اشـتقاق هـذا المصطلـح عـن طريـق النسب(١١٤) إلي المعجم فصار اللفظ معجمي ثم جمع علي معجميات ولم يستخدم العرب هذا اللفظ(١١٥).

٨- النطقيـــات : Phonology

وهـو مـن مصطلحـات علـم الأصـوات ويطلـق علـي "علـم يبحـث فـي الأصـوات ذات الوظيفة الدلالية في إحدي اللغات كالبحث في السين والصاد في مثل سبر وصبر، والهمـزة الأصلية والمنقلبة عن القاف، وكالخاء في نضخ حين تقارن بالحاء في نضح"(١١٦)، وهـذا المصطلح يعد مشتقا جديدا في مادة (نطق) العربية وقد جاء اشتقاقه عن طريق النسب إلـي النطق فصار اللفظ (النطقي) ثم جمع، ولم يبد أن العرب استخدموا(١١٧) هذا اللفظ .

٩- الظّليـــــة : Overhanging

من مصطلحات علم الجيولوجيا ويراد به "قباب الملح حين تتخذ شكل المظلة وتوصـف عادة بأنها تشبه نبات عيش الغراب"(١١٨) واللفظ من مادة عربيـة هـي (ظلـل) وهـي تـدل علي ستر شيء لشيء(١١٩) وقد اشتق لفظ الظلية بوزن فعلية ليدل علي قباب الملح عندما تأخذ شكل المظلة، التي يستتر بها من الشمس(١٢٠)، فعلة اشتقاق اللفظ من هذه المادة هي شبه قباب الملح بالمظلة، وهذا اللفظ لم يبد أن العرب استعملوه(١٢١).

****

ثانيا : النحـــــــــت :

والنحت هو الوسيلة الثانية من وسائل التوليد اللفظي بعد الاشـتقاق، وهـو عبـارة عـن تكوين كلمة جديدة مركبة من كلمتين، أو أكـثر للدلالـة علـي معـاني الألفـاظ المتكونـة منهـا

إليه..... عدم جواز اشتقاق كلمة من كلمتين في أقيسة التصريف"(١٢٢).

موقف المجمع من النحت :

كان موقف المجمع من النحت أن أقره أولا في العلوم والفنون عند الحاجة الملحة، ثم أجازة فيما بعد في كل مجال دون قيد الضرورة، كما أجاز قياسه بشروط لاتضر اللغة(١٢٣)، وهذا قرار سديد لأنه استجابة لظروف الحياة الجديدة، وتيسير لاستخدام إمكانيات لغتنا العربية، في السيطرة علي ألفاظ الحضارة والتكنولوجية الحديثة والمعاصرة، واستيعابها.

ومن اللغويين المحدثين من جعل النحت ضربا من الاشتقاق(١٢٤)، وآثر بعضهم الآخر أن يجعله قسما برأسه لأن تسميته تدل علي حقيقته(١٢٥) وأنا أميل إلي أن النحت قسم برأسه، لأن شروط الاشتقاق لاتنطبق عليه.

والنحت يعد ضربا من الاختصار أو صورة من صور الاختزال Haplology التي يشير إليها اللغويون المحدثون(١٢٦) كما أنه يعد اقتصادا لغويا. لكن النحت علي المستوي العملي يعد قليل الأهمية، في مسيرة تكوين المصطلح العلمي في العصر الحديث، فقد قمت بفحص أكثر من أربعة آلاف مصطلح، يحتوي عليها معجمان مجمعيان هما معجم النفط ومعجم الحاسبات، حيث لم أجد بينها إلا مصطلحا واحدا منحوتا هو كلمة "رسملة" وستأتي ويؤيد ذلك ما انتهي إليه عالم لغوي محدث، بعد أن فحص مايقرب من عشرين ألف مصطلح أقرها مجمع اللغة العربية القاهري ونشرها في عشرة معاجم من معاجمه وقد استبعد في الفحص الكلمات المعربة المنحوتة في لغتها الأم، مثل مصطلح كهرستاتيكي Electrostatic، وكذلك روعي التعريف الذي وضعه المجمع للنحت حيث انتهي إلي النتائج الآتية:

١- "لم تستعمل كلمة منحوتة واحدة في هذا الكم الهائل من المصطلحات".

٢- أعاد المجمع النظر في المصطلحات المنحوتة التي سبق أن أقرتها لجنة الكيمياء والطبيعة، واختار بدلا منها عبارات وصفية وإضافية: فأقر نزع الهيدروجين بدلا من نزجنة، ونزع الكلور بدلا من لكلر".....الخ

٣- لم يقدر للمصطلحات المنحوتة، التي اقترحها بعض المجمعيين أن تجد طريقها إلي المجال الطبي، ومن أمثلة ذلك أن المجمع أقر استئصال اللوز بدلا من صلوز الذي كان من اقتراح أحد أعضائه(١٢٧).

ويؤيد ماذهب إليه أيضا، ما انتهي إليه أحد الباحثين من ندرة الألفاظ المنحوته في أحد عشر ألف مصطلح صدرت عن مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي حيث انتهي إلي أنها تحتوي علي لفظين منحوتين فقط(١٢٨).

وهذه النتائج المبنية علي فحص مستقص، تؤكد أن دور النحت في استيعاب مصطلحات العلم، وألفاظ الحضارة في العصر الحديث دور محدود للغاية، ولكنا لانعدم أمثلة – ولو قليلة – تبين إسهام النحت في عملية بناء المصطلح العلمي، وأنه يمكن اللجوء إليه عند الضرورة، لأنه من إمكانيات لغتنا التي تلجأ إليه عند الضرورة، وإن كانت هذه "الضرورة التي تلجيء إلي النحت لاتتكرر كثيرا، فالحاجة إلي اختصار جمل كثيرة الورود هي حاجة محدودة، ولذلك يعتبر النحت من الوسائل غير المخصبة في مجال تكثير ألفاظ اللغة"(١٢٩)، ورغم ذلك فإننا لانعدم أمثلة لمصطلحات علمية قامت علي عاتق النحت ومنها المصطلحات الآتية :-

١- تجفيـــــــد(١٣٠): Freezing drying

سمعت هذا المصطلح من أحد أساتذة كلية الزراعة، وهو مصطلح من مصطلحات الصناعات الغذائية، واللفظ مأخوذ من كلمتين هما (تجفيف + تجميد) وهذا من النحت الاسمي حيث أخذ مصطلح تجفيد من كلمتين ليطلق اسما علي عملية يتم فيها التجميد والتجفيف للمصنوعات الغذائية، في إحدي مراحل تصنيعها عن طريق نزع الرطوبة منها بعد تجميدها، دون أن تمر هذه الرطوبة بمرحلة السيولة (المائية)، ويمكن أن نشتق منه فنقول جفد يجفد ومجفِد ومجفَد.

٢- فوســـــطحي(١٣١) : Above - surface

والكلمة مأخوذة من كلمتين هما (فوق + سطح) بحذف صوت القاف من الكلمة الأولي ثم زيد في آخرها ياء النسب، وعليه فهو من النحت النسبي أي المنسوب إلي مافوق السطح.

٣- صرفيـــــــد : Sponsor

وهذا المقابل العربي للفظ الأجنبي، من وضع الدكتور عبد الصبور شاهين، وهو مصطلح من مصطلحات المركز القومي للبحوث في مصر، ويطلق "علي المؤسسات الأجنبية التي تمول بعض بحوث المركز نظير الإفادة من نتائجها".

يقول : "وقد وجدت أن مدلول المصطلح يتضمن (الصرف + الإفادة) من الجذرين (صرف + فيد) فقمت بنحت كلمة صرفيد بمعني Sponsor، وهي في تقديري بنية مرنة سائغة، يمكن أن يشتق منها الفعل: صرفد صرفدة"(١٣٢) وقد وفق هذا العالم في وضع هذا المقابل العربي توفيقا كبيرا، حيث اختار لفظا عربيا أصيلا يتضمن دلالة المصطلح الأجنبي، لايترك منها شيئا وعلاوة علي ذلك، فهو صالح لأن يشتق منه فعل ومصدر وغيرهما، وهذا من النحت الاسمي.

Capitalization : رسمل

وهو مصطلح يعني "ضم الفوائد إلي رأس المال أو دمجها فيه"(١٣٣) وهو في الأصل منحوت فعلي من (رأس + مال) بحذف الهمزة من الكلمة الأولي، وحذف الألف من الثانية فصار اللفظ فعلا ماضيا هو رسمل ثم اشتق منه هذا المصدر، كي يقابل المصطلح الإنجليزي المذكور، ويمكن الاشتقاق منه فنقول رسمل يرسمل، ومرسمِل.

٥- التحـــتربة : Subsoil

من مصطلحات علم الطبيعة ويعني "طبقة الأرض الواقعة تحت التربة مباشرة"(١٣٤) واشتق منه في العربية يحترب بمعني "يحرث بحيث يقلب جزءا من التحتربة" وهذا المصطلح مأخوذ من كلمتين هما (تحت + تربة) وقد حذف منه صوت التاء من الكلمة الأولي عند النحت اختصارا.

٦- دوســـــوي : Subnormal، واللفظ منحوت من كلمتين هما (دون + السوي) بحذف صوت النون من الكلمة الأولي، والألف واللام من الكلمة الثانية، ليدل علي شخص "ذكاؤه دون مستوي الذكاء العادي"(١٣٥) ويمكن عزو هذا المصطلح إلي علم نفس النمو.

٧- تحألبـــــي : Subalpine، من مصطلحات الطبيعة ويعني ما هو "خاص بالمناطق الواقعة عند سفح جبال الألب"(١٣٦) والكلمة منحوتة من كلمتين هما (تحت + ألب) بحذف صوت التاء من الكلمة الأولي ثم أضيف في آخرها ياء النسب، وعلي هذا فاللفظ هنا من النحت النسبي.

٨- تحهوائـــــي : Subaerial، والكلمة منحوته من كلمتين هما (تحت + هواء) ثم أضيف إليهما ياء النسب وهي تعني : "واقع أو حادث علي سطح الأرض أو في جواره مباشرة"(١٣٧)، ومثل ذلك الكلمات تحمائي من (تحت + الماء) تحجوي من (تحت + الجو) وتحمركزي من (تحت + المركز) وتحلساني من (تحت + اللسان) وكل هذا من النحت النسبي.(١٣٨)

٩- يحلمـــــئ : Hydrolyse، وهذا من النحت الفعلي، فقد نحت هذا الفعل من جملة فعلية هي (يحلل بالماء) ليدل علي مضمونها وهو من مصطلحات الكيمياء.

١٠- حلمـــــأة : Hydrolysis، وهذا من النحت الاسمي المأخوذ من (التحليل بالماء) ويمكن أن نشتق منه فنقول حلمأ يحلمىء، ومحلمىء ومحلمأ.

١١- صوت أنفمـــي : Nasalized consonant، من مصطلحات علم الأصوات، ويعني الصوت الذي يكون مجراه أثناء النطق - الفم والأنف معا، ويتحقق هذا عند إدغام النون الساكنة في الواو أو الياء بعدها في مثل: (من وال) و (من يتق)، ويمكن أن يشتق منه فيقال أنفم يؤنفم أنفمة أي نطق بصوت أنفمي.

١٢- ثنلغويـــــة : Bilingualism

وهو مصطلح من مصطلحات علم اللغة مأخوذ من (ثنائية + لغوية) بمعني (استخدام لغتين في مؤسسة ما بشكل رسمي)(١٣٩).

ويلاحظ علي هذه المصطلحات المنحوتة مايلي :-

١- أن بعضها حدث فيه حذف من الكلمة الأولي فقط، مثل الكلمات رقم (٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ١١، ١٢) وبعضها حدث فيه حذف من الكلمتين وهي الكلمات رقم (١، ٩، ١٠).

٢- هذه الكلمات تكونت غالبا من الحرفين الأول والثاني من الكلمة الأولي، وأضيف إليها تكملة، قد تكون الكلمة الثانية كلها مثل الكلمات (٥، ٦، ٧، ٨، ١٢) وقد تكون بعضها مثل الكلمتين رقم (١، ٩).

٣- من هذه الكلمات مايسهل الاشتقاق منه مثل الكلمات رقم (١، ٣، ٥، ٩) وهي الكلمات التي يمكن أن نفترض لها جذرا ثلاثيا (مثل جفد، أو رباعيا مثل صرفد، وحلماً، وحترب، وأنفم) وهي بوزن فعلل.

٤- أن الكلمة المنحوتة نحتا اسميا تعطي دلالة الاسم حيث تدل علي مسمي خال من الدلالة علي الزمان مثل كلمة تجفيد، (وهو اسم للعملية المشار إليها آنفا، وإن كان في أصله من مصدرين)، وقد تدل علي حدث خال من الدلالة علي الزمان مثل الحلماة.

٥- تدل الكلمة المنحوتة نحتا فعليا علي حدث وزمان مثل يحلمىء.

٦- يلاحظ عالم لغوي أن الكلمات المنحوتة المبدوءة بالسابقة Sub تمثل ٢٥٪ من الكلمات التي تبدأ بهذه السابقة في معجم المورد، ويري أنه كان يمكن أن يستغني عن طريقة النحت - في عرضها - بتراكيب وصفية أو إضافية ولعل صاحب المورد قد أدرك ذلك، فذكر إلي جوار الكلمة المنحوتة، تركيبا إضافيا أو وصفيا يؤدي معناها.(١٤٠).

ومهما كان الأمر فإن هذه الأمثلة تبرهن علي أن النحت من الإمكانيات الثابتة للغتنا تلجأ إليها عندما تريد الاختصار، ومادام اللفظ المنحوت قادرا علي تحقيق الهدف منه، وهو الدلالة علي معني ماتحت منه، فهو لاشك أفضل من التركيب، لأنه يعد اقتصادا في النطق والكتابة وهذا بدوره اقتصاد في الجهد، وهذه الأمثلة السابقة اعتمدت بصفة كلية علي اللغة العربية فهي كلمات منحوتة من كلمات عربية أصيلة، ولكن هناك جانبا من الألفاظ المنحوتة في لغاتها الأصلية قبل أن تنقل إلي العربية، وعندما تعرض لها المعربون، قابلوها بما يناسبها من الألفاظ العربية "وقد صاغت العربية المعاصرة كثيرا من الألفاظ علي هذا النمط النحتي تبعا لتأثير اللغات الأوربية"(١٤١)، وسوف أمثل لهذا الجانب من المصطلحات التي سبق أن استبعدت من النمط الأول وكان سبب استبعادها، أنها ليست من

ومن ذلك ماياتي:-

١- **الكهرمغنطيسية : Electromagnetism** من مصطلحات علم الفيزيقا ويراد به "العلم الذي يعني بدراسة العلاقة بين المغنطيسية والكهربائية بوجه عام وحدوث المغنطيسية بفعل التيارات الكهربائية علي الوجه الخاص"(١٤٢).

والمصطلح مركب في لغته الأم من كلمتين الأولى منهما مختصرة ولذلك اختصرت الكلمة الأولى من المصطلح وهي كلمة كهرباء في الترجمة العربية.

٢- **النتروجلسرين : Nitroglycerine**، وهو سائل زيتي مكون من حمض النتريك + الجلسرين(١٤٣).

٣- **مجال كهرستاتيكي : Electrostatic field**

وهو "مجال كهربائي ناشيء عن شحنات ساكنة"(١٤٤) والمراد من المثال هنا هو اللفظ الثاني وهو منحوت في لغته الأصل ثم نقل إلي العربية مع مراعاة هذا الاختصار فهو من كلمتين كهرباء + ستاتيكي) فاختصرت الكلمة الأولي مراعاة لمقابلها الأجنبي.

ثالثا : التركيـــــــب :

التركيب هو جعل لفظ بصحبة لفظ أو أكثر للدلالة علي معني معين، دون حذف شيء من أي لفظ في هذا التركيب، بخلاف النحت، فالفرق بينهما أن النحت يحذف فيه من ألفاظه الأصول صوت أو مقطع أو أكثر، أما التركيب فلا حذف فيه، والتركيب من الإمكانيات الطبيعية لكل اللغات، وكذا للناطقين بها إذ يستطيع المتكلم بلغة ما أن ينشيء تراكيب لغوية جديدة لم ينطق بها من قبل، ولم ينطق بها أحد من أبناء لغته ليدل بها علي معان يريد أن يعرب عنها، وفي كل عصر تنشأ تراكيب جديدة، وعبارات اصطلاحية لم تستخدم في العصر الذي قبله، فكما أن التوليد يكون في مستوي الألفاظ فإنه كذلك يكون في مستوي التراكيب، فعلي سبيل المثال عند مجيء الإسلام وظهور علم الفقه وجدنا للفقهاء، عبارات اصطلاحية، لم ينطق بها في الجاهلية مثل الصلاة الوسطي، ويراد بها صلاة العصر وقيل غير ذلك(١٤٥)، ومثل صلاة الشاهد وهي صلاة المغرب لأن المسافر والشاهد (أي المقيم) كليهما يصليها ثلاثا، ليس فيها قصر، وفي العصر الحديث سمعنا تراكيب لاحصر لها في مجالات الحياة المختلفة، لم تعرف قبل هذا العصر ومن أمثلتها، عصر الذرة، الطاقة الكهربائية، القنبلة النووية، الحرب الكيميائية، القمر الصناعي.....الخ وفي اللغة العربية أنواع من التراكيب نذكر أهمها فيما يأتي :

١- **التركيب الوصفي :** ويسميه عباس حسن المركب التقييدي(١٤٦) ويتكون من كلمة موصوفة تتبعها كلمة واصفة، ومن أمثلة، ذلك: القوي العاملة، والحرب الباردة، الانتساب الموجه.

٢- **التركيب الإضافي :** ويتكون من مضاف ومضاف إليه مثل عبد الرحمن، ميناء الإسكندرية، جلوب سيناء.

٣- **التركيب الإضافي الوصفي :** ويتكون من مضاف ومضاف إليه تتبعه كلمة واصفة للمضاف مثل: علم اللغة التطبيقي، مجمع اللغة العربية القاهري. أو تتبعه كلمة واصفة للمضاف إليه مثل تفسير القرآن الكريم، شرح الحديث النبوي.

٤- **التركيب المنفي المبدوء بلا :** ويتركب من لا + اسم. مثل لاشيء، اللاتوافق، اللاسلم، واللاحرب.

٥- **التركيب العددي :** مثل أحد عشر، تسعة عشر.

٦- **التركيب المزجي :** مثل بعلبك وحضرموت.

وعلي الرغم من تعدد أنواع التراكيب في العربية غير أنها تتفاوت في نسب دورانها في الاستخدام الاصطلاحي ويمكن تقسيمها من حيث ذلك الي نوعين الأول تراكيب نشطة Active وهي التي يكثر دورانها في الاستعمال الاصطلاحي ويدخل تحت هذا القسم النوعان الأول والثاني وهما التركيبان الوصفي والإضافي، فقد ظهر أنهما يحتلان القمة بين أنواع التراكيب الواردة في معجم النفط، الذي يبلغ عدد مصطلحاته ٣٧٧٥ ، ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعين وخمسة مصطلحات، تستأثر التراكيب منها بعدد ٣٢٨٤ ثلاثة آلاف ومائتين وثمانين وأربعة تراكيب تمثل نسبة ٩٩, ٨٦٪، يبلغ عدد التراكيب الاضافية ١٥٠٦ تشكل نسبة ٩, ٤٥٪ من مجموع التراكيب ويبلغ عدد التراكيب الوصفية ١٤٨٠ تركيبا، وتشكل نسبة ١, ٤٥٪ من مجموع التراكيب.

وتمثل بقية التراكيب النسبة المتبقية وهي نسبة ضئيلة وهي حوالي ٩٪ وتعد هذه التراكيب من التراكيب الخاملة بالنسبة لدورانها في الاستعمال الاصطلاحي، إذا قيست بالنوعين الأول والثاني من التراكيب وهذه التراكيب الخاملة هي :

١- **التركيب الإضافي الوصفي :** وقد ورد منه ١٧٦ تركيبا في معجم النفط وتمثل نسبة ٤, ٥٪ من مجموع التراكيب في هذا المعجم.

٢- **التركيب الوصفي الإضافي :** ورد منه ٦٥ تركيبا، تمثل نسبة ٢٪ تقريبا من عدد التراكيب في هذا المعجم.

٣- **التركيب الإضافي العطفي :** ورد منه أربعة تراكيب تمثل نسبة ١,٪ تقريبا. من عدد التراكيب.

٤- **التركيب الوصفي العطفي :** ورد منه ثلاثة تراكيب

٥- **التركيب العطفي الوصفي :** ورد منه تركيب واحد

٦- **التركيب العطفي :** ورد منه تركيبان

٧- التركيب المنفي بلا : ورد منه تركيبان

٨- التركيب النسبي : ورد منه تركيبان

٩- التركيب الرمزي : ورد منه تركيب واحد

ويؤيد ماسبق أني قمت بإحصاء آخر لأنواع التراكيب في معجم الحاسبات، وظهر لي أن عددها حوالي ٥٠٢ وكان نصيب التراكيب الوصفيه ٢٧٤ تركيبا وهي تمثل نسبة ٦, ٥٤٪ تقريبا وكان نصيب التراكيب الإضافية ٢١٤ تركيبا تمثل نسبة ٦, ٤٢٪ تقريبا ونصيب التراكيب الإضافية الوصفية حوالي ١٤ تركيبا بنسبة ٨, ٢٪ تقريبا.

وفي إحصاء ثالث قمت به للتراكيب في المصطلحات الطبية في المجلد التاسع والعشرين من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، التي أقرها المجمع(١٤٧) وبلغ عددها ٣٥٦ تركيبا وزعت كما يأتي :

١- عدد التراكيب الإضافية ١٦٨ وتمثل نسبة ٢, ٤٧٪ تقريبا.

٢- عدد التراكيب الوصفية ١٥١ وتمثل نسبة ٤, ٤٢٪ تقريبا.

٣- عدد التراكيب الإضافية الوصفية ٣١ وتمثل نسبة ٧, ٨٪ تقريبا.

٤- عدد التراكيب المنفية المبدوءة بلا ٦ تراكيب وتمثل نسبة ٧, ١٪ تقريبا.

ومما سبق تبين أن التركيبين الوصفي والإضافي هما أنشط التراكيب في الاستخدام الاصطلاحي وما عداهما يعد من التراكيب الخاملة، يضاف إلى ذلك أن التراكيب التي تم إحصاؤها وعددها ٤١٤٢ تركيبا تخلو من أنواع التراكيب الأخري كالتركيب المزجي(*) والتركيب الإتباعي، ولعل ذلك يرجع إلى عدم الحاجة إليهما في مجال صوغ المصطلحات العلمية وفيما يأتي أعرض أمثلة لأنواع التراكيب الاصطلاحيه التي أقرها المجمع علي الترتيب السابق.

١- أمثلة من التركيب الوصفي :

أريد أن أشير هنا إلي أن هذا التركيب له دلالتان :

الأولي : الدلالة علي مسمي موصوف خال من الدلالة علي الزمان وذلك عندما تكون الكلمة الأولي منه اسما لأداة أو آلة معينة.

الثانية : الدلالة علي حدث موصوف خال من الدلالة علي الزمان وذلك عندما تكون الكلمة الأولي منه مصدرا .

ومن أمثلة التركيب الذي يعطي الدلالة الأولي :

١- **خريطة جوية** : Aerial map، وهي "خريطة ترسم بمساعدة الصور الملتقطة من الجو"(١٤٨)، والكلمتان اللتان يتكون منهما هذا التركيب تنتمي كل منهما إلي

مادة عربية أصيلة فالأولي من مادة (خرط) وقد استخدم العرب لفظ الخريطة بمعني "وعاء من جلد أو نحوه يشد علي مافيه"(١٤٩)، والثانية من مادة (جوو) وقد عرف العرب كلمة الجو بمعني الهواء، وبمعني "مابين السماء والأرض(١٥٠) والمعني الأخير هو المقصود في التركيب الذي معنا حيث نسب إليه.

وعلي الرغم من معرفة العرب للفظ الأول، وأن الثاني منسوب إلي لفظ يعرفونه وهو الجو، إلا أني أدرج هذا التركيب ضمن التراكيب المولدة وذلك لأن العرب لم يستخدموا هذا التركيب علي هذه الهيئة، ولم يعرفوا معناه هذا، وليس معني ذلك أنهم كانوا عاجزين عن استخدامه، بل إنهم لم يكونوا بحاجة إليه لعدم وجود هذا النوع من الخرائط لديهم. وعلي هذا يقاس باقي التراكيب الاصطلاحية المولدة في العصر الحديث، إذ هي وليدة الاحتياج.

٢- حفار هوائي : **Air drill**، وهو "جهاز حفر يعمل بالهواء المضغوط"(١٥١) وقد استخدم العرب اللفظ الأول: الحفار بمعني من يحفر القبر(١٥٢) واستخدموا لفظ الهواء بمعني الجو(١٥٣) واللفظ الثاني هنا منسوب إلي الهواء بمعني مايملأ الجو، ومثل التراكيب السابقة، التراكيب الآتية : "مبرد هوائي"، مسرب هوائي"، سدادة هوائية"(١٥٤)، سقف ذو عوامة،(١٥٥).

ومن أمثلة التركيب الوصفي الذي يعطي الدلالة الثانية :

١- هزال قيئي : Emetatrophia

من المصطلحات الطبية ومعناه "فقد شديد في الوزن ينتج عن استمرار القيء لمدة طويلة"(١٥٦) وقد استخدم العرب الهزال مصدر هزل كعني بمعني نقيض السمن(١٥٧) أي النحافة وهو المعني المراد في هذا التركيب، والكلمة الثانية منسوبة إلي القيء ومعناها خروج ما في الجوف(١٥٨)

٢- توصل تسلسلي :Serial access

من مصطلحات المعالجة الإلكترونية للمعلومات وهو: "طريقة توصل للبيانات المخزنة حسب تسلسل تخزينها"(١٥٩) واللفظ الأول من التركيب مصدر الفعل توصل وقد استخدم العرب هذا الفعل بمعني انتهي إلي الشيء وبلغه(١٦٠)، وهذا المعني هو المراد من التوصل هنا، فهو دال علي حدث هو الانتهاء إلي البيانات المخزنة وبلوغها واللفظ الثاني من التركيب مصدر تسلسل منسوب إليه من مادة (سلسل) الدالة علي اتصال الشيء بالشيء(١٦١) واستخدام المصدر هنا بمعني اتصال المعلومات بعضها ببعض في ترتيب تخزينها.

ومثل هذين التركيبين : خلل اغتذائي : وهو "كل مرض أو عاهة تنشأ من نقص تغذية الأنسجة، وبخاصة العضلات"(١٦٢) وهذا من المصطلحات الطبية وكذلك الأمثلة الآتية :-

التدفئة المركزية(١٦٢)، احتراق كامل - الاستحلاب الكيميائي - استخلاص مستمر - إغراق تثاقلي - إكمال مزدوج - تبطين ناقص - تحليل إحرائي - تحكم تعاقبي(١٦٣).

هذه التراكيب الوصفية وأمثلتها كثيرة مبثوثة في المعاجم المتخصصة التي أخرجها المجمع، ومن اليسير على الناظر في هذه المعاجم أن يستخرج آلافا من هذه التراكيب سواء ماذل منها دلالة الاسم الموصوف، أو ماذل منها دلالة المصدر الموصوف.

ب - أمثلة التركيب الإضافي : (مضاف + مضاف إليه)

الإضافة تعطي دلالة التخصيص والتقييد، فعندما تفرد الكلمة فإنها تعطي دلالة عامة، وعندما تضاف يصيبها تخصيص دلالي فكلمة علم مثلا كلمة عامة وعندما نضيفها إلى لفظ آخر مثل اللغة فإن التركيب يدل ساعتها على علم معين، وهكذا إذا أضفناها إلى الكيمياء أو النحو.....إلخ.ويمكن القول بأن التركيب الإضافي يعطي ثلاث دلالات :

الأولى : هي الدلالة على مسمى مخصوص خال من الدلالة على الزمان وذلك عندما يطلق التركيب على مسمى معين ويكون صدره اسما.

الثانية : الدلالة على حدث مخصوص خال من الدلالة على الزمان عندما يكون صدره مصدرا.

الثالثه : الدلالة على موصوف مخصوص وذلك عندما يكون صدره وصفا كاسم الفاعل، أو المفعول أو يكون اسما منسوبا، أو يكون صدره (ذو) بمعنى صاحب. وسوف أعرض أمثلة للأنماط الثلاثة من هذه التراكيب فيما يأتي :

أولا : تراكيب إضافية تعطي الدلالة على مسمى مخصوص خال من الدلالة على الزمان:

١- علم اللهجات : Dialectology من مصطلحات علم اللغة الحديث : وهو "علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات"(١٦٤) وقد استخدم العرب لفظ العلم بمعنى "إدراك الشيء بحقيقته"(١٦٥) واستخدموا اللهجة بمعنى اللغة التي جبل الإنسان عليها(١٦٦).

و رغم معرفة العرب باللهجات وتقسيم علماء العربية للهجاتهم، إلا إنهم لم يستخدموا هذا التركيب لأنه من مواليد العصر الحديث، ليعطي دلالة واسعة تشمل دراسة اللهجات في أي لغة من اللغات.

٢- جغرافية اللغة : Linguistic geography

وهو أيضا من مصطلحات علم اللغة الحديث وهو : علم يراد به معرفة حدود الظواهر اللغوية سواء أكانت ظواهر صوتية، أم ظواهر تتعلق باستعمال الألفاظ، وذلك بوضع مصور لغوي (أطلس لغوي) يبين المناطق اللغوية والجزر اللغوية"(١٦٧) واللفظ الأول أقره المجمع اسما لعلم "يدرس ظواهر سطح الأرض الطبيعية، كالجبال والسهول....الخ كما يدرس الظواهر البشرية التي صنعها الإنسان علي هذا السطح:..."(١٦٨) وتركيبة مع لفظ اللغة يكون من قبيل المجاز.

٣- مقياس القوة : Dynamometer من المصطلحات الطبية : ويدل علي "أداة لقياس قوة الانقباض العضلي"(١٦٩) وكلمة مقياس اسم آلة بوزن مفعال من مادة (قيس) أضيف إلي لفظ القوة للدلالة علي أداة خاصة لقياس هذه القوة وهي قوة الانقباض العضلي.

ومثل هذه التراكيب السابقة التراكيب الآتية : خط الأساس، خط الأنابيب، خط الأسمنت(١٧٠).

ثانيا : تراكيب إضافية تعطي الدلالة على حدث مخصوص خال من الدلالة على الزمان:

١- تصنيع الأنابيب : Pipe Fabrication مكون من (مصدر + مضاف إليه)

ويعني "صناعة الأنابيب وتشكيلها لتخدم أغراضا معينة"(١٧١) والكلمة الأولى في التركيب مصدر صنع (بتشديد النون)، وقد أقر المجمع هذا المصدر بمعني جعل الأمة صناعية بالوسائل الاقتصادية، وبمعني نشر الصناعة فيها"(١٧٢) ولم يستخدمه العرب(١٧٣)، واستخدموا لفظ الأنابيب للدلالة علي مابين العقد من القصب(١٧٤) ولم يستخدموا هذين اللفظين متضامين ولم يستخدموهما بهذا المعني.

٢- هبوط الضغط : Pressure decline (مصدر + مضاف إليه) بمعني "انخفاض الضغط في داخل الأجهزة، من مستوي معين إلي مستوي آخر أدني منه"(١٧٥) وقد استخدم العرب الهبوط بمعني النقص(١٧٦) وهو المعني المراد من اللفظ في هذا التركيب، واستخدموا الكلمة الثانية بمعني التضييق والقهر(١٧٧) لكنهم لم يستخدموا الكلمتين متضامتين بهذا المعني الجديد.

٣- إفعام الصهريج : Tank overfilling والتركيب يعني "ملء الصهريج فوق سعته المقررة"(١٧٨) واللفظ الأول مصدر أفعم وقد استخدمه العرب بمعني الملء(١٧٩) وأما لفظ الصهريج فقد استخدموه بمعني الحوض يجتمع فيه الماء(١٨٠)،

وأما التركيب علي هذه الهيئة وبهذا المعني فلم يستخدموه، ونظائر ماسبق من التراكيب ماياتي: إزالة الشوائب، استهلاك القيمة، إقامة المعدات(١٨١)

ثالثا : تراكيب إضافية تعطي الدلالة علي موصوف معين :

١- قاطن التربة : Terricolous

(اسم فاعل + مضاف إليه) وهو من مصطلحات علوم الأحياء وهو "وصف للكائن الذي يعيش في داخل التربة مثل ديدان الأرض"(١٨٢) وقد استخدم العرب اللفظ الأول بمعني المقيم(١٨٣) وهذا هو المعني المراد هنا في هذا التركيب، وقد أضيف إلي لفظ التربة لكي يعطي دلالة علي موصوف أي المقيم في التربة.

٢- أرضي النشاة : Terrigenous : وهو من مصطلحات الزراعة، والتركيب مكون من (اسم منسوب + مضاف إليه)، وهو "وصف لما يتولد من الأرض مثل الغرين والغبار وغيرهما"(١٨٤) ليدل علي موصوف منسوب إلي الأرض من حيث نشأته.

٣- ذو حافظة : Thecate : من مصطلحات الزراعة مكون من (ذو + مضاف إليه) وهو "وصف لما له غلاف يغطيه أو يحميه"(١٨٥) يدل علي موصوف من الحبوب أو البذور التي لها غلاف يحفظها، و (ذو) استخدمها العرب بمعني صاحب، وهذا هو المعني المراد هنا، وكلمة حافظة اسم فاعل من مادة (حفظ) ألحقت به أداة التأنيث لكن هذا التركيب جديد في العربية ومثل التراكيب السابقة التراكيب الآتية:

رباعي النشاة، رباعية القرون، رباعية المتاع، رباعي السطوح، رباعي الأجنحة(١٨٦).

حـ - أمثلة من التركيب الاضافي الوصفي :

١- علم اللغة الاجتماعي : Sociolinguistics : تركيب مكونٌ من (مضاف + مضاف إليه + وصف للمضاف) يدل علي مسمي موصوف وهو "علم يدرس العلاقات بين الظواهر اللغوية، والظواهر الاجتماعية ومدى تأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي"(١٨٧).

٢- طاقة البئر الابتدائية : Initial well Potential : تركيب مكون من (مضاف + مضاف إليه + وصف للمضاف) ويراد به : الإنتاج الأولي للبئر بعد الانتهاء من حفرها"(١٨٨).

٣- علم الحفريات النباتية : Fossil Botany : تركيب مكون من (مضاف + مضاف إليه + وصف للمضاف إليه) يدل علي مسمي وهو "علم مختص بدراسة النباتات المتحجرة الحفرية"(١٨٩) وهذا من مصطلحات علوم الأحياء.

والناظر في التركيب يري أن مفرداته تنتمي إلـي مـواد عربيـة أصيلـة، وبعض هـذه المفردات استعمله العرب مثل كلمة العلم والنبات أما كلمة الحفريات فلم ترد عنهم(١٩٠) وواضح أنهم لم يستعملوا هذا التركيب ولم يعرفوا دلالته.

٤- توجيه اللب مغنطيسيا : Magnetic core orientation والتركيب مكون من مضاف + مضاف اليه + تمييز للمضاف وهذا التمييز يعد نوعا من الوصف لأنه يؤدي إلي التخصيص بتحديد صفة مميزة للحدث أو غيره. فالمصطلح يعني "تحديد الاتجاه الأصلـي للب الصخري وذلك باستعمال صفات المغنطيسية"(١٩١) ومن أمثلة التركيب الإضافي الوصفي مايأتي :

سجل النشاط الإشعاعي، أدوات ضغط هوائية، سوائل الغاز الطبيعي، طين الحفر الزيتـي، صهريج الزيت المعتاد، قبة الملح المظلية(١٩٢) وكلها من مصطلحات النفط.

د - أمثلة من التركيب المنفي المبدوء بلا :

هذا التركيب يدل في مجمله علي نفي وجود ما أضيفت إليه لا، أو نفي صفة عنه.

١ - اللاأصبعية : Ecrodactylism : والتركيب من المصطلحات الطبية ومعناه "غيبة الأصبع أو جزء منها خِلقة"(١٩٣) فهو يدل علـي عدم وجود ماركب مع لا وهو الأصبع أو علي عدم وجود جزء منه.

٢ - اللاسُلامية : Ectrophalangia : وهو من المصطلحات الطبية ويعنـي "غياب سلاميات الأصابع كلها أو بعضها"(١٩٤) وهو بذلك يدل علي عدم وجود ماركب معه وهـي السلاميات أو عدم وجود بعضها والسلاميات هي عظام الأصابع في اليد والقدم(١٩٥).

٣ - لامركزي : Eccentric : من المصطلحات الطبية وهو "وصف لما هو بعيد عن المركز، أو خارج عن مركز ما"(١٩٦) وهو بذلك يدل علي نفي صفة عن موصوف، هذه الصفة المنفية هي صفة المركزية والمركز هو وسط الدائرة(١٩٧) هذا معناه عند العرب، ويبدو أن استعماله في هذا التركيب لايبعد عن هذا المعني، حيث يراد به وسط الشيء. ومثل هذه التراكيب ما يأتي :-اللاخطوية - اللاطرفية - لاغددي(١٩٨).

هـ - أمثلة من التركيب العطفي :

هذا التركيب يتكون من (معطوف عليه + واو العطف + معطوف) وهو بذلك يدل علي اجتماع المعطوف عليه والمعطوف لأن الواو تفيد الجمع بين الشيئين.ومن ذلك.

١- الالتـواء والتمـدد : Distortion and dilation : والالتـواء - فـي الجيولوجيا البنائية - هو التغير في الشكل ويحدث من عملية الانفعال، والتمدد هـو التغير في الحجم من نفس العملية"(١٩٩)

وواضح ان التركيب يدل علي الجمع بين حدثين هما الالتواء والتمدد واللفظ الأول مصدر الفعل التوي وهو من مادة (لـوي) وفيها دلالة علي الانحناء ومن ذلك "ملتوي الوادي منحناه"(٢٠٠).

واللفظ الثاني من مادة (مدد) التي تدل علي "جر شيء في طول واتصال شيء بشيء"(٢٠١) وفي التمدد الاصطلاحي هنا ترى هذه الدلالة، لأن التمدد يدل علي زيادة في حجم الشيء مع اتصال هذه الزيادة بالشيء نفسه، لكن التركيب يعد جديدا لأن العرب لم يستخدموه، ولم يعرفوه بهذا المعني الاصطلاحي المذكور.

٢ - جافة ومهجورة : Dry and abandoned والتركيب مكون من (معطوف عليه + واو العطف + معطوف) والمعطوف عليه والمعطوف كلاهما وصف فالأول اسم فاعل والثاني اسم مفعول وعليه فإن هذا التركيب يدل علي موصوف بوصفين والموصوف هنا هو البئر إذ يدل التركيب علي "بئر يوقف العمل فيها لنضوب إنتاجها أو قصوره"(٢٠٢)

(و) التركيب الوصفي العطفي : ويتكون من (موصوف + صفة + أداة العطف + صفة ثانية معطوفة علي الأولى) مثل التركيب : "وصلة ذكر وأنثي"، Box and pin joint وهي عبارة عن "أنبوب توصيل بقلاووظ أنثي من أحد طرفيه وقلاووظ ذكر من الطرف الآخر(٢٠٣).

(ز) التركيب العطفي الوصفي : ويتكون من (معطوف عليه + معطوف + صفة) مثل التركيب : الصدوع والطيات المتدرجة : Faults and Foids وهي مجموعات من الصدوع أو الطيات الصغيرة التي لاتمتد إلى مسافات طويلة ويجاوز بعضها أطراف بعض.(٢٠٤)

(ح) التركيب الإضافي العطفي : ويتكون من (مضاف + مضاف إليه + أداة العطف + معطوف) مثل : التركيب الآتي : بنية ميل وصدع dip and fault structure والمصطلح يعني "بنية تتكون من سلسلة من الطبقات، مائلة في اتجاه معين يقطعها صدع عادي..... مائل في الاتجاه المضاد"(٢٠٥).ومثل ذلك المصطلحات، "حد الغاز والزيت" (٢٠٦) ، حقل زيت أو غاز(٢٠٧) ومبيدات العت والسوس(٢٠٨)

(ط) التركيب النسبي : ويتكون من كلمتين تفصلهما شرطه مائلة للدلالة علي النسبة ومن ذلك التركيب: برميل / ميل : Barrel / mile ويعني "تكاليف نقل برميل النفط لمسافة ميل واحد"(٢٠٩) أي التكاليف بالنسبة للبرميل الواحد في الميل الواحد، ومثل ذلك التركيب : دورة / دقيقة Round per minute ويعني "عدد الدورات التي يدورها المحرك في الدقيقة الواحدة"(٢١٠) أي بالنسبة لدقيقة واحدة،

(ي) **التركيب الوصفي النسبي** : الغاطس بالطن/ بوصة Ton per inch immersion.ويعني "الاطنان اللازم تحميلها للسفينة لزيادة غطسها بمقدار بوصة واحدة(٢١١)" اي بالنسبة للبوصة الواحدة.

(ك) **التركيب الإسنادي** : مثل يؤلكل To alkylate.

(ل) **التركيب الرمزي** : مثل بي . تي . اكس = B .T. X..

الخاتمة والنتائج :

ومما سبق يمكن استخلاص النتائج الآتية :

١- أن التعريب عن طريق نقل الصور الصوتية للكلمات الأجنبية يعد قليلا، إذا ماقيس بالتعريب عن طريق النقل المعنوي بإيجاد ألفاظ عربية أصيلة تحمل معاني الألفاظ والمصطلحات الأجنبية.

فمن إحصاء مصطلحات معجم النفط، وهو يحتوى ٣٧٢٥ مصطلحا، تبين أنها تنقسم علي النحو التالى :-

١ - مصطلحات معربة وهى المصطلحات التى انتقلت بصورتها الصوتية الأجنبية الي العربية حيث بلغ عددها ١٦٣ مصطلحا تمثل نسبة ٤،٤ ٪ تقريبا.

٢ - مصطلحات مترجمة وأعنى بها المصطلحات التى نقلت إلي العربية بالمعنى، عن طريق توليد ألفاظ عربية أصيلة ويبلغ عددها ٣٠٥٠ مصطلحا تمثل نسبة ٩, ٨٠٪ تقريبا.

٣ - مصطلحات معربة مترجمة، أى مركبة من لفظ عربى ولفظ أجنبى معرب ويبلغ عددها ٥٦٢ مصطلحا تمثل نسبة ١٥٪ تقريبا.

ومن إحصاء مصطلحات "معجم الحاسبات" الذي أخرجه مجمع اللغة العربية القاهري، تبين أنه يحتوي علي حوالي (٦٨١) مصطلحا، تنقسم علي النحو التالي :

(أ) **مصطلحات معربة** : وبلغ عددها حوالي ٢٧ سبعة وعشرين مصطلحا فقط وتمثل نسبة ٩, ٣٪ من جملة مصطلحات المعجم.

(ب) **مصطلحات مترجمة** : وقد احتل هذا القسم المركز الأول حيث استوعب الغالبية العظمي من مجمل عدد مصطلحات المعجم، إذ بلغ عدد هذا القسم حوالي ٦٣٠ ستمائة وثلاثين مصطلحا وتمثل نسبة ٦ , ٩٢٪ من جملة مصطلحات المعجم.

(ح) **مصطلحات معربة مترجمة** : وكلها مصطلحات وضعت في تراكيب وقد بلغ عدد هذا القسم حوالي ٢٤ أربعة وعشرين مصطلحا وتمثل نسبة ٥, ٣٪ من جملة عدد مصطلحات المعجم، ومن أمثلتها:

– شـريط كاسـيت : Casette tape بمعنـي وحـدة غيـار للشـريط الممغنـط الصغير(٢١٢) فكلمة شريط عربية وهـي مقابل كلمة Tape – أما كلمة كاسيت فهي معربة.

علام يدل هذا التوزيع الإحصائي لمعجم يضـم مصطلحـات "لأحدث ثمار العلم الحديث؟ وهي المعالجة الإلكترونية للمعلومات"(٢١٣) إن هذا يدل علي أن غالب المصطلحـات في العلوم الأخري أولي بأن يخضع للعربية أكثر ويؤيد ماذهبت إليه الإحصاءات الآتية:-

- المعجم الفلسفي عدد ألفاظه ١١١٨ : عدد الألفاظ المعربـة ٩٣، ونسبتها ٨٪ تقريبا – عدد الألفاظ العربية ١٠٢٥، ونسبتها ٩٢ ٪ تقريبا(٢١٤)

– معجم البيولوجيا عدد الألفاظ المدروسـة ٢٠٠٠: الألفاظ المعربـة ٢٦٠ ونسبتها ١٣٪ الألفاظ العربية ١٧٤٠ ونسبتها ٨٧٪.

– فالغالب في نقل المصطلحات، هو أن تنقل بمقابل عربي، ولكن قد تحتاج بعض العلـوم إلي التعريب، بنقل الصورة الصوتية للفظ الأجنبي بنسـبة أعلـي بكثير مـن نسبة الترجمـة بمقابل عربي، مثل علم الكيمياء وعلم الصيدلة، (وذلك لأن الحاجة إلي هذا النقل الصوتـي تختلف باختلاف العلوم، وبدرجة تطورها)(٢١٥) ولكن يجب التنبـه إلـي أن هـذا النقل الصوتي محدود بعلمين أو ثلاثة، وهذا قليل إذا قورن بعدد العلوم الأخري، التي يعد النقـل بالمعني لمصطلحاتها الأجنبية إلي العربية أضعافا مضاعفة، بالنسبة إلي ما ينقل بصورتـه الصوتية، وهذ الإحصاءات السابقة تشهد بذلك.

٢– يجب أن يشار إلي وسيلة تكوين المصطلح عند وضعـه سـواء أكـان مولـدا أم معربـا، والمولد يذكر بجانبه وسيلة توليده أهي توليـد معنـوي أم لفظـي، ووسيلة التوليد المعنـوي أهي نقل الدلالة، أم تضييقها، أم توسيعها.

وفي التوليد اللفظي أيضا يذكر الوسيلة، أهي الاشتقاق، أم النحت أم التركيب.

أما المصطلح المعرب فيجب أن تذكر اللغة التي انتقل منها إلي العربية وتستخدم الرمـوز في الإشارة إلي هذه اللغة الأجنبية التي اقترض منها، فيرمز إلي المصطلح المقترض مـن الانجليزية برمز (E)، وإلي المصطلح المقترض من الفرنسيه بالرمز (F) وهكذا.

٣ – تعد هذه الدراسة دراسة في علم المصطلح، وفي الوقت نفسـه دراسـة فـي المفـردات الاصطلاحية، وفي تطورها الاشتقاقي والدلالي، وربط لها بأصولها الدلاليـة فـي العربيـة، فليس المصطلح المولد يأتي من فراغ بل إن دلالته الاصطلاحيـة لهـا جذور فـي العربيـة، كما أنها دراسة في التراكيب االاصطلاحية وفي نسب شيوع أنواعها، ونشاطها حيث نجـد التركيبين الإضـافي والوصـفي يحتـلان قمـة النشـاط بيـن هـذه الـتراكيب الاصطلاحيـة المدروسة، كما يظهر البحث أن هناك بعض التراكيب الخاصـة بمجـال الاصطـلاح مثـل التركيب الرمزي.مما يدعو إلى دراسة مستمرة في مجال المصطلحات في كافـة مجالاتهـا

الدلالية للكشف عن خصائصها مما يساعد علي التقنين لها، وذلك لمواجهة ماتفرضه علينا ظروف العصر من تدفق المصطلحات الأجنبية في مختلف الميادين ومن مختلف اللغات.

٤- إنه بمقارنة سريعة بين طرق نمو المصطلح العلمي، وطرق نمو اللغة نجد أن الطرق واحدة مع الاثنين، يتركزان في اتجاهين هما : ١- التعريب الصوتي -٢- التوليد بقسميه، المعنوي بفروعه، تضييق الدلالة أو توسيع لها أو انتقالها واللفظي بفروعه الاشتقاق، والنحت، والتركيب، وهكذا نمت اللغة العربية في صدر الإسلام، فاستوعبت مصطلحات العلوم الإسلامية من فقه وتفسير، وحديث وغيرها، وهكذا أيضا نمت في العصر العباسي فاستوعبت حضارة العالم وعلومه، وأسهمت في نموها وتقدمها، وهي الآن أيضا قادرة بالطرق نفسها علي استيعاب العلومم والحضارة الحديثة.

٥ - إن في هذه الإحصاءات التي اعتمدت علي واقع ملموس، ردا علي المتشككين والمشككين في قدرة العربية علي حمل العلوم والحضارة الحديثة، وإن فيها أيضا تشجيعا للمخلصين المثابرين، من أجل هدف نبيل هو تعريب التعليم ، والذي يعتبر تعريب المصطلحات الخطوة الأولي الأساسية في سبيل تحقيقه، فهي تمثل النصف في هذا السبيل.

٦ - هناك من المصطلحات ماهو عبارة فيها طول، لايتفق مع مايجب أن يكون عليه المصطلح من القصر والاختصار. ومن ذلك "اختبار ممطولية للزيت بالطوق والكرة" Ring and ball (R B) ductility test.، "تقدير متوسط أجور الشحن" (أفرا)

Average freight rate assessment (AFRA)، تقطير بطريقة الجمعية الأمريكية لاختبار المواد A.S.T . M distillation لكن طول هذه المصطلحات ليس من اللغة العربية إنما هو من لغتها الأصل، ولكن يمكن أن تختصر برموز عربية كما اختصرت برموز أجنبية كما هو واضح في هذه الأمثلة.

٧- يجب أن نؤرخ لدخول هذه المصطلحات إلي اللغة العربية، حتي لانكرر ماوقع فيه القدماء من عدم التأريخ لميلاد الألفاظ في العربية، مما يوقعنا الآن في حيرة كبيرة عند دراسة تاريخ الكلمات، ووضعها في مكانها من المعجم التاريخي الذي يمثل حلما كبيرا لأبناء العربية من المهتمين بها، ويمكن أن نمثل لهذا التأريخ بما يأتي :

مصطلح : "فامتكو سكند Femto Esqnd" وهو يشير إلي زمن جديد لم يعرفه العالم من قبل، وهو زمن يقدر بـ "واحد علي مليون من البليون من الثانية"، أو بمعنى أخر هو زمن "أقل من الثانية بمليون من البليون من الثانية وعلاقته بالثانية الواحدة مثل علاقة الثانية الواحدة بـ "٣٢ مليون سنة"(٢١٦).كان أول ظهور لهذا المصطلح معربا - علي حد علمي - يوم ٢٦/٥/ ١٩٩٥.

– وفي ختام هذا البحث أرجو أن أكون قد وفقت إلي تقديم شيء، في مجال دراسة المصطلحات، ذلك المجال البكر، الذي يحتاج إلي جهود الأفراد والجماعات، فكل مصطلح سواء أكان حديثا أم قديما يحتاج إلي دراسة لغوية تبين تاريخ ميلاده وأصله وطريقة مجيئة.

والله تعالي من وراء القصد وهو الهادي إلي سواء السبيل.

فريد عوض حيدر

الفيوم في ١٩٩٥

هوامش البحث

—

١ – انظر الدكتور حلمي خليل : المولد بعد الإسلام ص ٨٣ ومابعدها والدكتور ابراهيم انيس: من أسرار اللغة ص ٦ – ١٣١.

٢ – الدكتور محمود فهمي حجازي : "علم المصطلح" مجلة مجمع اللغة العربية جـ ٥٩ ص ٧٠.

٣ – انظر الدكتور محمود فهمي حجازي : الأسس اللغوية لعلم المصطلح حيث تجد أمثلة كثيره لكلا الجانبين ص ٩٢ حتي ص ١١١ مثلا.

٤ – دار صادر بيروت ط ١ ج ٢ ص ٥١٧.

٥ – ط ٣ ج ١ ص ٥٤٠.

٦ – الجرجاني التعريفات ص ٣٨.

٧ – الزبيدي : (صلح) ٦ / ٥٥ ويلاحظ أني سوف استخدم كلمة التاج للإشاره إلي طبعة الكويت المحققة، وكلمتي التاج مصر للطبعة المصرية.

٨ – انظر الدكتور عبد الصبور شاهين : العربية لغة العلوم والتقنية ط ٣ ص ١١٧، والأسس اللغوية لعلم المصطلح ص ٧.

٩ – السابق ص ١١ ومابعدها.١٠ – مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما ص ٢٠٠ – ٢٠٥.

١١ – السابق ص ٢٠٧.

١٢ – انظر سيبويه الكتاب تحقيق هارون جـ ٤ ص ٣٠٥

١٣ – الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي ص ٦.والخفاجي شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ص ٥

١٤ – مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما ص ٢٠٧.

١٥ – السابق، ص ١٩٥.

١٦ – مجمع اللغة العربية، معجم النفط ـ ١٩٩٣ ص ٢١.

١٧ – السابق، ص ٢٠٩.

١٨ – السابق، ص ٢٠٢.

١٩ – السابق ، ص ٢١٣ وينظر القسم العربي من المعجم ص ١٣٧ – ١٣٩

٢٠ – السابق،ص ٣٥.

٢١ – السابق،ص ٣١.

٢٢ – مجموعة القرارات العلمية ص ١٩٦ ومابعدها.

٢٣ – معجم النفط ص ٣٦٤.

٢٤ – السابق،ص ٣٦٣.

٢٥ – السابق، ص ٣٦٥.

٢٦ – مجموعة القرارات العلمية ص ٢٠٨ وانظر قرارات كتابة الاعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية ص ٢٠٠ – ٢٠٥.

٢٧ – السابق، ص ٢٠٩.

٢٨ – الدكتور كمال بشر علم اللغة العام الأصوات ص ٢٨.

٢٩ – السابق، ص ٢٩.

٣٠ – مجموعة القرارات العلمية ص ٢٠٩.

٣١ – معجم النفط ص ١٧٧.

٣٢ – معجم النفط ص ١٧٨.

٣٣ – السابق، ص ١٧٧.

٣٤ – السابق، ص ٤٧.

٣٥ – السابق، ص ٢٦٤.

٣٦ – معجم النفط ص ٢٤.

٣٧ – السابق، ص ٥.

٣٨ – مجموعة القرارات ص ١٩٣.

٣٩ – معجم النفط ص ٨٢.

٤٠ – السابق، ص ٤٩.

٤١ – الأسس اللغوية لعلم المصطلح ص ٦٢

٤٢ – معجم النفط ص ٤٠.

٤٣ – السابق، ص ٩٥.

٤٤ – (بلور) ١/ ٧١.

٤٥ – ألفاظ معربة البحوث والمحاضرات مؤتمر د ٣٠ ص ٤٥ – ٤٩.

٤٦ – المزهر ١ / ٣٠٤ وتاريخ آداب العرب ١ / ٢١٠.

٤٧ – أنيس المقدسي الكلام المولد في معاجمنا الحديثة البحوث والمحاضرات مؤتمر د ٣٠ ص ٨٣.

٤٨ - أثبت الدكتور محمد حسن جبل، أن أربعين من الشعراء المولدين استشهد بشعرهم كما أثبت أن اثنين وأربعين من أئمة اللغة المشهورين احتجوا بشعر المولدين. انظر الاحتجاج بالشعر ص ٢٣٥، والاستدراك علي المعاجم العربية، ص ٥٤ – ٥٦.

٤٩ - وهذا مانص أبو عثمان المازني عليه انظر الخصائص ١/ ٣٥٧.

٥٠ – مقدمة المعجم الوسيط ط ٣ ١ / ١٦

٥١ – مقدمة المعجم الكبير ١/ د.

٥٢ – الدكتور عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، ص ٣٥١ ومابعدها.

٥٣ – معجم الفيزيقا الحديثة ٢ / ٣٢٢.

٥٤ – أبن فارس مقاييس اللغة ٥/ ٣٢٦.

٥٥ – التاج (مشج) ٦ / ٢١٤.

(*) القرطبى الجامع لأحكام القرآن دار الحديث القاهرة ط١ ١٩٩١ جـ ١٩ ص ١١٨.

٥٦ – معجم الحاسبات ص ١٠.

٥٧ – مقاييس اللغة ٣/ ٣٥٧.

٥٨. – التاج مصر (ضمم) ٨/٣٧٥.

٥٩ – معجم الحاسبات ص ٢٢.

٦٠ – مقاييس اللغة ٥/ ١٢٦.

٦١ – التاج، (كرر) ١٤/ ٥٨.

٦٢ – معجم الحاسبات ص ٣٦.

٦٣ – الدكتور فؤاد حسنين علي : الدخيل في اللغة العربية ص ٦٤.

٦٤ – معجم الحاسبات ص ٤١.٦٥ – مقاييس اللغة ٤ / ٤٨٥.

٦٦ – التاج مصر ٤ / ٦٦.

٦٧ – مجمع اللغة العربية معجم الهيدرولوجيا ص ٧٤، ص ١٠٧

٦٨ – مقاييس اللغة ، ٢ / ٣٩٧.٦٩ – التاج مصر ٢ / ١٤٣.

٧٠ – معجم الهيدرولوجيا ص ١٠١

٧١ – مقاييس اللغة ٥ / ٤٦٩.

٧٢ – التاج (نقر) ١٤/ ٢٨٦ ولسان العرب ٥ / ٢٣٢.

٧٣ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ٢٧ / ٥٦.

٧٤ – مقاييس اللغة ٣/٢٢٨.

٧٥ – سورة الرحمن الأية ٣٥.

٧٦ – ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٤ وهناك آراء أخري

٧٧ – معجم الحاسبات ص ٤.

٧٨ – التاج (خصص) ١٧ / ٥٥٥.

٧٩ – معجم الحاسبات ص ٢١.

٨٠ – المعجم الوسيط ١/ ٢٧.

٨١ – التاج ١٠ / ٦٨.

٨٢ – معجم الهيدرولوجيا ص ١١.

٨٣ – مقاييس اللغة ٤ / ٥٠٥.

٨٤ – التاج مصر ٨/ ٦١.

٨٥ – المزهر، ١ / ٣٤٦.

٨٦ – الكتاب تحقيق عبد السلام هارون ط٢ ١/ ٢٠.

٨٧ – الأنباري أبو البركات الإنصاف في مسائل الخلاف ١٩٨٧ المسأله ٢٨ (١/٢٣٥-٢٤٥)

(*) وكذلك تنطبق هذه الملاحظة علي صيغ أخري لتعريف الاشتقاق وردت في كتب القدماء فالجرجاني يعرف : الاشتقاق بأنه نزع لفظ من أخر بشرط مناسبتهما معني وتركيبا، ومغايرتهما في الصيغة" انظر التعريفات ص ٣٧، وعبر عنه ابن عقيل بأنه "إنشاء كلمة من كلمة مع التوافق في أصل المعني والحروف وترتيبها" وانظر تعريفات أخري للأئمة المتقدمين الدكتور محمد حسن جبل - الاشتقاق دراسة نظريه وتطبيقية ص ٦.

٨٨ – الدكتور عبده الراجحي التطبيق الصرفي ص ٢١.

٨٩ – الدكتور صبحي الصالح دراسات في فقه اللغة ص ١٨٢.

٩٠ – من أسرار اللغة ص ٦٢.

٩١ – الدكتور عبد الصبور شاهين العربية لغة العلوم ص ٢٦٠، من أسرار اللغة، ص ٦٢.، والدكتور تمام حسان الأصول ص ٢٩٤، وحدة البنية واختلاف الأنظمة مجلة مجمع اللغة العربية ج٥٧ ص٣٠ والدكتور حلمي خليل الكلمة دراسة لغوية ومعجمية ص ٨٩.

٩٢ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ٤/ ٢٧.

٩٣ – مقاييس اللغة ٥/ ٢٨٦.

٩٤ – انظر في مادة (موه) اللسان ١٣/ ٥٤٣ – ٥٤٦ والتاج مصر ١٠ / ٤١٢ – ٤١٤.

٩٥ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٤ / ٥٤.

٩٦ – انظر مادة (أرض) اللسان ١١١/٧ – ١١٥ والتاج ٢٢٣/١٨ – ٢٣٢.

٩٧ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٤ / ٧٣.

٩٨ – التاج (شعع) ٢١/ ٢٧٦.

٩٩ – انظر السابق شعع ٢٧٣/٢١ – ٢٧٩.

١٠٠ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٧٦/٤.

١٠١ – مقاييس اللغة ١/ ٤٤٥.

١٠٢ – التاج (جزأ) ١ / ١٧١.

١٠٣ – انظر السابق جزأ ١٧١/١ – ١٧٥. ١٠٤ – الأسس اللغوية لعلم المصطلح ص ٧١.

١٠٥ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٤ / ٧٦. ١٠٦ – مقاييس اللغة ٢ / ٤٢٧.

١٠٧ – التاج ٢ / ٥١٦.

١٠٨ – في سنة ١٩٥٤ أقر المجمع قياسية الصيغ الثلاث مفعل ومفعال ومفعلة، وأضاف صيغة فعالة إليها وفي سنة ١٩٦٣ أضاف صيغا ثلاثة أخرى وأقر قياسيتها وهذه الصيغ الثلاثة هي فعال وفعالة وفاعول فصارت الصيغ القياسية لاسم الآلة سبعا انظر مجموعة القرارات العلمية ص ٤٦ – ٤٨.

١٠٩ – انظر التاج (رأب) ٢/ ٥١٣ – ٥٢١ والمعجم الوسيط ١/ ٣٧٦ ومابعدها.

١١٠ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٤/ ٧٩.

١١١ – مقاييس اللغة ٥ / ٣٦٦.

١١٢ – انظر التاج مصر ١٠ / ٣٧٩ ومابعدها والمعجم الوسيط ٢/ ١٠٠٤.

١١٣ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٤/ ٩٤.

١١٤ – والنسب نوع من أنواع الاشتقاق انظر عبد الله أمين الاشتقاق ص ٣١٣.

١١٥ – انظر مادة (عجم) التاج مصر ٨/ ٣٨٩ – ٣٩٢ والمعجم الوسيط ٢/ ٦٠٧.

١١٦ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٤/ ٩٥. ١١٧ – انظر مادة (نطق) التاج ٢٦/٤٢٢-٤٢٣.

١١٨ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٤/١١٩. ١١٩ – مقاييس اللغة ٣/١٦١.

١٢٠ – التاج مصر (ظلل) ٧/ ٤٢٧.

١٢١ – انظر مادة ظلل التاج مصر ٧/٤٢٥-٤٢٨ والمعجم الوسيط ٢/٥٩٧ ومابعدها.

١٢٢ – المولد بعد الإسلام ص ١٠٢ وانظر العربية لغة العلوم ص ٢٨٥ ، ٤٩٤.

١٢٣ – مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما ص ٢١، ٢٢ وانظر تفصيل ذلك الدكتور محمد حسن عبد العزيز – النحت في اللغة العربية ص ٤٥ – ٥٣.

١٢٤ – من هؤلاء الدكتور صبحي الصالح دراسات في فقه اللغة ص ٣٢٤ والدكتور رمضان عبد التواب، فصول في فقة العربية ص ٣٠١.

١٢٥– منهم الدكتور حلمي خليل في المولد بعد الإسلام ص ١٠٢، والدكتور محمد حسن عبد العزيز انظر النحت ص ١٥.

١٢٦ – من أسرار اللغة ص ٩٤.

١٢٧ – النحت في اللغة العربية ص ٧١ – ٧٣.

١٢٨ – السابق، ص ٧٢.

١٢٩ – العربية لغة العلوم والتقنية ص ٢٨٩.

١٣٠ – لما سمعت هذا المصطلح، وقع في نفسي أنه منحوت فلما سألت محدثي عنه، أخبرني بأنه يطلق علي عمليتين يتم إجرارهما علي المصنوعات الغذائية، العمليتان هما التجفيف والتجميد، فتأكدت أن المصطلح منحوت من الكلمتين.

١٣١ – انظر النحت في اللغة العربية ص ٧٢.

١٣٢ – العربية لغة العلوم ص ٢٨٨.

١٣٣ – معجم النفط ص ٨٠.

١٣٤ – منير البعلبكي المورد معجم انجليزي عربي ط ١٩٩٣ ص ٩٢٤. ١٣٥ – السابق، ص ٩٢٣.

١٣٦ – السابق، ص ٩٢١.

١٣٧ – السابق

١٣٨ – السابق، ص ٩٢١ – ٩٢٤.

١٣٩ – محمد علي الخولي : معجم علم اللغه التطبيقي ص ٥٦.

١٤٠ – انظر النحت في اللغة العربية ص ٦٥ ومابعدها. ١٤١ – العربية لغة العلوم ص ٢٨٧.

١٤٢ – معجم الفيزيقا الحديثة ٨٧/١.

١٤٣ – معجم النفط ص ١٨٢.

١٤٤ – معجم الفيزيقا ص ٩٠.

١٤٥ – معجم ألفاظ القرآن الكريم ٨٤٨/٢

١٤٦ – النحو الوافي ٤/ ٦٧٨.

١٤٧ – ص ٢٢١ – ٢٥٣.

(*) انظر البحوث والمحاضرات د ٣٠ ص ٣٣.

١٤٨ – معجم النفط ص ١١.

١٤٩ – المعجم الوسيط ١/ ٢٣٦.

١٥٠ – التاج مصر ١٠ / ٧٩.

١٥١ – معجم النفط ص ١٤

١٥٢ – التاج ١١ / ٦٥.

١٥٣ – التاج مصر ٤١٥/١٠.

١٥٤ – معجم النفط ص ١٤ ، ١٥.

١٥٥ – السابق ص ٢٩٠.

١٥٦ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٢٩/ ٢٥٣.

١٥٧ – التاج مصر ٨/ ١٦٧.

١٥٨ – التاج ١ / ٣٨٠.

١٥٩ – معجم الحاسبات ص ٤٠.

١٦٠ – التاج مصر ٨/ ١٥٦.

١٦١ – التاج مصر ٧ / ٣٧٩.

١٦٢ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٢٩/ ٢٣٠.

١٦٢ – معجم ألفاظ الحضارة ص ١٨.

١٦٣ – معجم النفط ص ١٠٣ ، ٢٨٢ ، ٩٣ ، ١١٢ ، ١٦٦ ، ١٠٤ ، ٥٤ ، ٨٣.

١٦٤ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٤ / ٩٣. ١٦٥ – التاج مصر ٨ / ٤٠٥.

١٦٦ – التاج ٦ / ١٩٣.

١٦٧ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٩٤/٤. —

١٦٨ – المعجم الوسيط ١٣١/١، وقد رمز للفظ برمز (مج) أي مجمعي.

١٦٩ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٢٩ / ٢٢١.

١٧٠ – معجم النفط ص ٧٣، ٧٤.

١٧١ – معجم النفط ص ٢٨٦.

١٧٢ – المعجم الوسيط ٥٤٥/١ ورمز لها برمز (مج)

١٧٣ – انظر التاج (صنع) ٣٦٣/٢١ – ٣٧٧.

١٧٤ – السابق، ٢٣٤/٤.

١٧٥ – معجم النفط ص ٢٩٣.

١٧٦ – التاج (هبط) ١٩١/٢٠.

١٧٧ – انظر التاج (ضغط) ٤٤٩/١٩.

١٧٨ – معجم النفط ص ٣٤٦.

١٧٩ – انظر التاج مصر (لعم) ١٣/٩.

١٨٠ – التاج (صهرج) ٧٥/٦.

١٨١ – انظر معجم النفط ص ١٣٥ ، ٢٥ ، ٣١.

١٨٢ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٥٢/٢٩.

١٨٣ – التاج مصر (لطن) ٣١١/٩.

١٨٤ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٢٩ / ٥٣

١٨٥ – السابق، ص ٥٧.

١٨٦ – السابق، ص ٥٤ ومابعدها

١٨٧ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٤/ ٩٥.

١٨٨ – معجم النفط ص ٢٢٩.

١٨٩ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٣٣/٤.

١٩٠ – انظر التاج (حفر) ١١/٥٠ – ٧٠.

١٩١ – معجم النفط ص ٢٤٩.

١٩٢ – أنظر معجم النفط ص ٣٠١، ٢٩٠، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٣.

١٩٣ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٢٩/ ٢٣٦.

١٩٤ – السابق،

١٩٥ – المعجم الوسيط ١/ ٤٦٣.

١٩٦ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٢٣١/٢٩.

١٩٧ – التاج (ركز) ١٥ / ١٩٨،١٥٨ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ٢٢٢/٢٩، ٢٣٦، ٢٣٩.

١٩٩ – معجم النفط ص ١٥٤.

٢٠٠ – التاج مصر (لوي) ١٠/ ٣٣٥.

٢٠١ – التاج (مدد) ١٥٦/٩.

٢٠٢ – معجم النفط ص ١٦٤.

٢٠٣ – السابق، ص ٦٧.

٢٠٤ – السابق، ص ١٧٣.

٢٠٥ – السابق، ص ١٤٩.

٢٠٦ – السابق، ص ٦٢.

٢٠٧ – السابق، ص ٦٦.

٢٠٨ – السابق، ص ١٦٤.

٢٠٩ – السابق، ص ٥٠.

٢١٠ – السابق، ٣١٢.

٢١١ – السابق، ٣٥١.

٢١٢ – معجم الحاسبات ص ٨.

٢١٣ – السابق، ص ١.

٢١٤ – التعريب في القديم والحديث ص ٢٩٣.

٢١٥ – السابق، ص ٢٩٤.

٢١٦ – ملحق جريدة الأهرام ص ٣.

مراجع البحث

١ – ابراهيم أنيس (الدكتور) : من أسرار اللغة ط٧ مكتبة الأنجلو المصرية.

٢ – اتحاد الأطباء العرب : المعجم الطبي الموحد انكليزي – عربي رئيس التحرير الدكتور محمد الجليلي الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والرسائل التعليمية ١٩٧٧

٣ – إسحاق موسي الحسيني : عضو المجمع ألفاظ معربة البحوث والمحاضرات مؤتمر الدورة الثلاثين ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م.

٤ – الأنباري كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد : (٥١٣ – ٥٧٧) هـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين – المكتبة العصرية صيدا بيروت (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).

٥ – أنيس المقدسي : الكلام المولد في معاجمنا الحديثة، البحوث والمحاضرات الدورة ٣١ ص (٧٧ – ٩٣).

٦ – تمام حسان الدكتور : الأصول دراسة ابيوستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب – الهيئة المصريه العامة للكتاب.١٩٨٢.

٧ – الجرجاني علي بن محمد بن علي (٧٤٠ – ٨١٦) هـ التعريفات تحقيق دكتور عبد المنعم الحفني – دار الرشاد – القاهرة ١٩٩١.

٨ – ابن جني أبو الفتح عثمان : الخصائص تحقيق محمد علي النجار دار الهدي للطباعة والنشر بيروت لبنان – (د – ت).

٩ – الجواليقي أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد (٤٦٥ – ٥٤٠) المعرب من الكلام الأعجمي علي حروف المعجم تحقيق أحمد محمد شاكر مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١هـ.

١٠ – حلمي خليل (الدكتور) : الكلمة دراسة لغوية ومعجمية – الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية (١٩٨٠)

١١ – الخفاجي : شهاب الدين أحمد (ت ١٠٦٩ هـ) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل صححة الشيخ نصر الهوريني بمشاركة مصطفي أفندي وهبي – المطبعة الوهبية ١٢٨٢هـ.

١٢ – الرافعي : مصطفي صادق – تاريخ آداب العرب – ضبطه وصحح أصوله محمد سعيد العريان – مطبعة السعادة ط٢ ١٣٥٩ – ١٩٤٠م.

١٣ – رمضان عبد التواب (الدكتور) : فصول في فقه العربية ،. والمولد دراسه في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٨)م.

١٤ – الزبيدي السيد محمد مرتضي الحسيني : (ت ١٢٠٥ هـ).– تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق لجلة من العلماء والأساتذة وزارة الإعلام الكويت.

– تاج العروس من جواهر القاموس – المطبعة الخيرية – القاهرة ١٣٠٧ هـ.

١٥ – سيبوية أبو بشر عمرو بن عثمان من قنبر (١٨٠هـ) الكتاب تحقيق عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط٢ (١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م).

١٦ – السيوطي جلال الدين عبد الرحمن : بن أبى بكر (توفى سنة ٩١١هـ) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ط٣ شرحه وحققه وصححه محمد جاد المولي وآخرون

١٧ – صبحي الصالح (الدكتور) : دراسات في فقه اللغة – دار العلم للملايين بيروت – الطبعة الثالثة (١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م).

١٨ – عباس حسن : النحو الوافي ، دار المعارف ط٩.

١٩ – عبد الصبور شاهين (الدكتور) : العربية لغة العلوم والتقنية ط ٣.

٢٠ – عبد الله أمين : الاشتقاق – مطبعة لجنة التأليف والنشر ط١ ، ١٣٧٦ – ١٩٥٦م.

٢١ – عبده الراجحي (الدكتور) التطبيق الصرفي دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٩٣.

٢٢ – فؤاد حسنين علي (الدكتور) : الدخيل في اللغة العربية فصله من مجلة كلية الآداب المجلد الحادي عشر، الجزء الثاني ديسمبر ١٩٤٩.

٢٣ – ابن فارس : مقاييس اللغة – تحقيق عبد السلام هارون – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ط١ (١٣٦٦ – ١٣٧١) هـ.

٢٤ – القرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى (ت ٦٧١ هـ) – الجامع لأحكام القرآن دار الحديث القاهرة ط ١ ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م.

٢٥ – ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ) تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية عيسي البابى الحلبي وشركاه (د.ت).

٢٦ – كمال بشر (الدكتور) : علم اللغة العام الأصوات – دار المعارف – ط٦ ١٩٨٠.

وعلق عليها مصطفي حجازي وصاحي عبد الباقى - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

- مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما ١٩٣٤ - ١٩٨٤ أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي القاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع المجلد الرابع ١٩٦٢، الثامن والعشرون ١٩٨٨، التاسع والعشرون ١٩٩٠.

- معجم الحاسبات.- وضع لجنة المعالجة الالكترونية بالمجمع (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م)

- معجم ألفاظ الحضارة.

- معجم ألفاظ القرآن الكريم ط٢ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

- معجم الفيزيقا الحديثة - الجزء الأول ١٩٨٣، الثاني ١٩٨٦.

- معجم النفط ١٩٩٣.

- معجم الهيدرولوجيا ١٩٨٤.

- المعجم الوسيط ط٣ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٨ - محمد حسن جبل : (الدكتور) الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته - دار الفكر العربي ١٩٨٦.

- الاستدراك علي المعاجم العربية في ضوء متنين من المستدركات الجديدة علي لسان العرب وتاج العروس - دار الفكر العربي ١٩٨٦.

- الاشتقاق دراسة نظرية وتطبيقية - طنطا ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥.

٢٩ - محمد حسن عبد العزيز : (الدكتور)

- التعريب في القديم والحديث دار الفكر العربي (١٤١١ هـ - ١٩٩٠م)

- النحت في اللغة العربية - دار الفكر العربي (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)

٣٠ - محمد علي الخولي : (الدكتور) - معجم علم اللغة التطبيقي.انجليزي - عربي مكتبة لنبان ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٣١ - محمود فهمي حجازي : (الدكتور) - الأسس اللغوية لعلم المصطلح - مكتبة غريب ١٩٩٣.

- علم المصطلح مجلة مجمع اللغة العربية - الجزء ٥٩ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م).

٣٣- منير البعلبكي : المورد قاموس إنكليزي - عربي ط٢٧ - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٩٣.

عبيد مدنى
والأنموذج الشعرى

الدكتور/ عبد المحسن فراج القحطانى
أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز

كان الباحث قد أنجز دراستين عن شاعرين سعوديين ، تناول في أولاهما شعرية حسين سرحان(١) ، وفي ثانيتهما كتابا نقديا للشاعر إبراهيم فلالي (٢) ، ورأى أن يستمر في هذا الإتجاه حتى يسهم مع زملائه في تكوين منظومة عن الأديب السعودي ناقدا وشاعرا ، وكان اختياره يخضع لسبب قد يكون مقنعا ، فكان حسين سرحان أحد المكرمين في نادي جده الأدبي ، فأحب الباحث أن يقدم لمنحات نقدية عن شعره ، أما إبراهيم فلالي فقد سمع منذ عهد قديم عن كتابه " المرصاد "، وما أحدثه من ضجة في حينه ، فسنحت له الفرصة أن يدرس الكتاب وحده مثالا للإنجاز النقدي المبكر.

أما الشخصية الثالثة ، فقد طلب نادي المدينة الأدبي من الباحث أن يقدم محاضرة أدبية ، فرأى أنه من الأفضل أن يدرس شخصية لها ارتباط وثيق بالمدينة والنادي ، فكانت أسرع الأسماء إلى ذهنه شخصية "عبيد مدني "(٣) سيما وأنه لم يقم -أحد فيما يعلم الباحث- بتقديم دراسة عنه ، وقد اعترى الباحث توجس ، وخيفة، ورغبة .. أما التوجس ، فلأنه سيدرس شاعرا عرفه أهل المدينة ، يتفيأون نفس الظلال التي عاشها ، ويدلفون إلى المكان نفسه ، وهوما لم يتح للباحث سيد أنه عاش له فترة من زمنه قراءة وتحليلا.

وأما التخوف ، فلأنه سيتناول نتاجا أدبيا بالنقد والمعالجة وهي عادة -تلازم فيما يزعم الباحث- جميع المشتغلين بقضايا تمس النصوص الأدبية ، شعرية كانت أم نثرية - هذا التناول يقبل النقد والمعالجة ، فإن قال فيه ما يحسه سلبا أو إيجابا ،فسيجد من المتلقين من يجعله بين النقيضين .. "إفراط وتفريط" ، لأن المتلقي ليس بالضرورة أن يكون مع الباحث في التحليل والمحاولة ، وعلى ضوئها قد يصنف هذا الباحث إلى مجامل أو متعسف ، وكلتا النظرتين فيهما شيء من الظلم للباحث والبحث .

أما الرغبة ، فلكون البحث عن مدني رفيع في ذوقه وإحساسه وسلوكه وخلقه ، حُبِيَّةً في شعره ونثره كذلك - على قله ما اطلع عليه الباحث من نثره - و أن شعره كذلك لم يدرس بعد ، ولم يجد عناية الباحثين والدارسين ، فلذا كانت رغبة الباحث جامحة، بل ملحة لأن يتناول محورا من محاور السيد " عبيد مدني " ، وأن يقتصر على هذا

المحور ، لأن مادة " عبيد مدني " ثرة وغنية ، فكان الباحث بين خيارات عدة آلت إلى أن يتناول الشعر، في محور من محاوره ، أو رؤية من رؤاه ، إذ إن ثلاثة مجلدات من الشعر –هي جل نتاجه–تحتاج إلى دراسة مستفيضة فاحصة .

وهذه الدراسة لن تتجه للتبويب الذي وضع في الدواوين ، وإنما ستتجه إلى شعره أفقيا ورأسيا ، بمعنى أنه ستؤخذ نماذج شعرية تُسْقَطُ عليها الدراسة ، كما أن الدراسة لن تتعرض للتقسيم الطبقي للشعر ، ولا لأغراضه ، ولا لوصفه بالجزالة ، والفخامة ، والرقة ، وسلاسة الأسلوب ، ونصاعة البيان واللفظ والمعنى ، لأنها صفات تصلح أن توصف بها أغلب النصوص ، ويحق لأي باحث أن يصف أي نص شعري بما شاء من هذه الصفات.

ولن يعمد الباحث – أيضا – للموازنة بينه وبين أترابه في موضوعات الشعر وأغراضه، لأن في ذهن الباحث أن الملتقى سيستدعي هذه الصورة من قريب أو بعيد، وهو يريد أن يُشْغِلَ المتلقي بالنص نفسه بعيدا عن الموازنة التي لن تخلو –فيما يبدو– من التحامل على واحد من صاحبي الموازنة .

ولذا فإن الباحث يدعو المتلقي أن يعيش مع النصوص الشعرية ؛ وهي نصوص كثيرة، قد يكتفي الباحث بدراسة الأطر العامة لها ، ثم يضع لها قراءة يحاكم من خلالها على هذه الصورة ، وليس على قراءة أخرى ، لأنه قد يكون من المتلقين من يقرأ شعر " عبيد مدني " قراءة لن تلتقي بهذه الدراسة ، ولكنها في الأخير ستكون سندا لها وتعضيدا، أو فتح قنوات لم يكن في ذهن الباحث أن يناقشها؛ لاشتغاله بما هو فيه ، وهو كفاية على البحث .

ولعل البحث هذا يضع نقاطا جديرة بالاهتمام وهي :–

١–إن شعر " عبيد مدني " في جزئيه الأول والثاني يفصح عن تاريخ إنشائه ، حيث جاء ذلك في ذيل كل نص ، وهذا التاريخ أعطى النص الشعري منزلته بين أقرانه ، أو إخوانه من بقية النصوص ، بحيث يُنْظَرُ إليه عبر هذه المنظومة .

٢–إن أبناء السيد " عبيد مدني " حافظوا على نقل النص بما فيه من حواشي وتعليقات ، هي الأخرى أعطت صورة حية لولادة النص الشعري ، وما اعتوره ، أو سيعتوره من تبديل وتغيير .

والباحث على ثقة تامة بأن هذا الديوان لو طبع فى حياة الشاعر لغير فيه تلك الكلمات التى أصبحت هامشا ، أو حاشية ، أو تعليقا ، فوضعها فى متن النص ، واستغنى عن الكلمات البديلة ، وهذا يحرمنا من حركية النص ، ومروره بمرحلة مخاض اطلع عليها المتلقى .

٣- إن اسم الديوان " المدنيات " يعطى بعدا مكانيا ، وزمانيا ، وروحيا ؟ وبذلك يحقق ثلاثية التفكير- إن صحت هذه التسمية- ، وهو من اختيار الشاعر ، إذ ذكر الأستاذ " عبد القدوس الأنصارى " أن السيد (يعنى مدنى) - رحمه الله - جمع شعره فى ديوان كبير اسمه " المدنيات الكبرى " ، كما أن له مجموعة أخرى اسمها " المدنيات الصغرى "، كتبه فى ٢٩ شوال سنة ١٣٤٥ هـ (٤) ويتضح -فيما يبدو- أن كلمة " الصغرى " من إضافة الأستاذ " عبد القدوس الأنصارى " ، إذ جاء فى الإهداء: " أقدم إلى حضرتك هذا الدفتر الذى تتضمن سطوره بعضا من ديوانى الشعرى المسمى " المدنيات "(٥).

٤- إن الأستاذ عبد القدوس الأنصارى اطلع على مقدمة لديوان " عبيد مدنى " فيها: " أنه لم يدر فى خلده - أى عبيد - عندما بدأ قول الشعر أن يكون له ديوان ، أو أن يكون شاعرا بالمعنى المعروف " ، ولم تكن هذه المقدمة موجودة فى الديوان ، سيما وأنه قال فيها: " قد يكون من المناسب أن أذكر هنا تاريخ حياتى الشعرية ، ولكننى لم أفعل لأننى أوضحت ذلك مفصلا فى غير هذا المكان " (٦) ، ولذا فإن الباحث تمنى أن تكون هذه المقدمة فى طرة الديوان ، والحديث المفصل عن حياته الشعرية ، لتكون سندا تاريخيا يتكأ عليه، ومادة نقدية يرجع إليها ، فشاعر كـ" عبيد مدنى " يتوقع منه فى مقدمته أن تكون نقدا للذات ، وتمحيصا لإنتاجها ، ولو خرجت هذه المقدمة لكانت فى رأى الباحث من المقدمات القليلة التى نكون فيها أمام شخصيتين (ناقد / شاعر) فى شخص واحد هو: " عبيد مدنى " .

٥- من فهرسة الإيقاع الشعرى اتضح أنه لم يكن مختصا بغرض شعرى دون غيره ، إذ ضرب الشاعر فى جميع الأغراض على إيقاعات شعرية متنوعة، سيكون للباحث وقفة عند الحديث عن ذلك الإيقاع .

٦- هناك أبيات قليلة جدا اضطربت صدورها عن أعجازها ، وكان تعليق الشاعر أحيانا يلمح لارتجاله هذه المقطوعة ، أو كتابته في الهامش لكلمة يستقيم معها الوزن(٧) .

بعد هذه النقاط يحسن بنا أن نتحاور حول شعر " عبيد مدني " ، واضعين نصب أعيننا قوله فيه(٨) :

الشعر وحي وإلهام تجيش به ... خوالج النفس لا نظم وترصيع

وليس يدركه ممن يحاوله ... إلا سليم جهاز الروح مطبوع

مصادر حياته*:

تناول حياة " عبيد مدني " جمهرة من الكتاب والأدباء ، يدور جلها حول اسمه، ومولده ، وحياته ، ووظائفه ، وتاريخ وفاته لمن ترجم له بعد الوفاة .

١-ولعل أوفى دراسة عنه هي ما قدمها صديقه " عبد القدوس الأنصاري " بعنوان "من أعلام العلم والأدب في جزيرة العرب – عبيد مدني –" ونشرها في مجلة المنهل (٩)، إذ تناول شعره على مستوى الأغراض ، واحتوت أيضا على إضاءات ، وتعريف بشعر "عبيد مدني" ، ثم ألحقها بمقالة تأبين بعنوان : " الصديق الكبير الذي فقدناه السيد عبيد مدني " ، ونشرها في مجلة المنهل(١٠) ، ضمنها بعض ذكرياته مع الشاعر وبوبها بـ " ذكريات " ، قسمها إلى ست .

٢-قدم "عبد الحق النقشبندي" لمحة من حياة "عبيد مدني" ، نشرت في مجلة المنهل(١١)، وهي إلى الحديث السردي العادي أقرب منها إلى الدراسة .

٣-نعاه معهد المخطوطات العربية بمقالة عنونت بـ : "المعهد ينعى العلامة عبيد مدني مؤرخ المدينة المنورة"(١٢) .

٤-ترجم له " عبد السلام الساسي " في موسوعته الأدبية معتمدا على المعلومات التي زوده بها صاحب الترجمة في أحايين كثيرة ، إذ كان يسجلها بالطريقة التي وردت ، فبعضها أتى بضمير المتكلم ، وبعضها بضمير الغائب ، وفيما يبدو فإن المعلومات التي أتت في الموسوعة أقرب إلى الدقة؛ لا سيما ما يتصل بالتواريخ ، والسند التاريخي ، ولهذا فقد جاءت ترجمة "عبيد مدني" في نقاط محددة ، شملت الاسم والدراسة، وجاءت خلوا من تحديد تاريخ الوفاة مما يرجح أن الساسي اعتمد على ما ورده من صاحب الترجمة(١٣) .

٥-تناوله "عبد الله عبد الجبار" في كتابه "التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية"، فأورد أربعة أبيات أردفها بمقولة " لعبد القدوس الأنصاري " ، ولم يكن همه أن يقوم بدراسة شعره ، بل إيراد نماذج من شعر شعراء صنفهم تحت عنوان:" ميلاد الأدب الحديث في قلب الجزيرة"(١٤) .

٦-كان متوقعا من الدكتور " بكري شيخ أمين " في كتابه : " الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية " ألا يضمنه ترجمة " لعبيد " ، لأن دراسته اعتمدت على مناقشة

قضايا ، ولم تهتم بالتراجم ، فلذا سرد اسم " عبيد " مع خمسة وثلاثين شاعرا غيره، جعلهم من الفئة المحافظة(١٥) ، وقد أورد أسماء ليست بشعراء (١٦) .

٧-حين قدم " أحمد إبراهيم الغزاوى " دراسة بعنوان : " شعر الملاحم " لمؤتمر الأدباء السعوديين الأول ، خصص جزءا " لعبيد مدنى " وصف شاعريته وشعره ، وناقش " داليته " فى مدح الملك عبد العزيز(١٧) .

٨-صنف الدكتور " عبد الله الحامد " " عبيد مدنى " فى كتابه : " الشعر الحديث فى المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥ - ١٣٩٥ هـ) من الجيل الأول، حيث وزعهم إلى قسمين " جماعة الصبان " ، و " جماعة الغزاوى " ، ومنهم " عبيد مدنى " كما صنفه " الحامد" (١٨) .

٩-خص " محمد على مغربى " " عبيد مدنى " بترجمة ملأت ثمانى عشرة صفحة تميل إلى الاستطراد حينا ، وإلى محاولة دراسة شعره حينا آخر ، وهى على أية حال إضاءات تسعف الدارس لأن يجد مادة يناقشها ، ومن ثم يحاكمها (١٩) .

١٠- كان منتظرا ألا يهمله الدكتور " عمر الطيب الساسى " فى كتابه : " الموجز فى تاريخ الأدب العربى السعودى " ، حيث خصه بترجمة شملت اسمه ، وتاريخ مولده ، ووفاته ، وثلاث مقطوعات من شعره (٢٠) .

خلت الدراسة القيمة للشعر الحديث فى الحجاز التى قدمها " عبد الرحيم أبو بكر " من شعر " عبيد مدنى " " فعبد الرحيم أبو بكر " - فيما يبدو - قد استغنى عنه بشعر آخرين يمثلون التيارات الأدبية التى قسمها فى دراسته أتم تمثيل ، وهو ليس بصدد الإحصاء والتتبع ، وإنما بوضع " الأنموذج " ، و"المعيارية " إن صح هذا التقسيم .

ولما أحجم عبيد مدنى عن طبع دواوينه وشعره، خلت معظم الدراسات التى عنيت بالأدب السعودى من دراسة شعره ، ولم تأت على سيرة حياته إلا بذكر الاسم فقط على سبيل سرد الأسماء ، لا مناقشة النتاج .

ملامح شخصية من شعره:

أ- المدينة المنورة:

والمدينة المنورة شكلت خطابا خاصا بها عند عامة المسلمين ، فألفت حولها كتب كثيرة بدءا من الهجرة حتى يوم الناس هذا ، وتمنى جل أبناء المسلمين الانتماء إليها ، والتسمية بها ، وفضلوها نسبا على أنسابهم ، فهاهو شاعرنا ، وهو من أرومة

العرب ، بل من سادتها، يفخر بأنه " مدني " فتسمى بها ، وانتسب إليها ، بل إن حبه للمدينة ما يفتأ يطالعنا في كل أعماله ، وأغلب أشعاره ، فهذا ديوان شعره كَتَبَ منه جزءا صغيرا سمى " المدنيات الصغرى " ، وآخر طبع وسمى: "المدنيات الكبرى" ، ثم تم طبعه أخيرا باسم: " المدنيات " ، وله كتاب مخطوط " تاريخ المدينة " وبحث حول: " فضائل المدينة " ، وآخر بعنوان ، " شعراء المدينة والشعر الملحمي"(٢١) .

أما شعره فكانت له وقفات متأنية يصف " قصر سعيد بن العاص ٥٤/١ " أو "الروضة النبوية المقدسة ٥٨/١" ، "أحد ٥٩/١" ، "نغمات قباء ٦٥/١"، "العقيق"والرقمتان ٦٩/١ " ، " بئر رومة ٧٣/١ " .

وطبيعة المدينة وتوزيعها الجغرافي والسكني يجعل سكانها يتأثرون بأطرافها ، فشعراء المدينة على اختلاف عصورهم وصفوا منتزهاتها وجبالها ووهادها ، و"عبيد مدني" عاش جزءا من صباه في البادية ، فبدا ذلك واضحا في شعره ، بل إنه يؤكد هذا التأثر بقوله:

مدني النظام روحا ووضعا بدوي الميول غير مقيد(٢٢)

وهذا ملمح واضح في شعره ، تبين من فهرسة أفكاره الشعرية؛ فقد أخذ من المدينة نظامها وإمكاناتها ، ومن البداوة بساطتها ووضوحها ، بل إنه استعمل كلمات – هي بلا شك فصيحة – غير أنها استقرت استعمالا عند البادية أو المتعاملين معها :

وما فيهم سوى بُوٍّ تَرَيَّا بزيِّ الآدميِّ بلا جَنَانِ(٢٣)

****

اليمن أقبل وارفا من طلعة "اللاقي الصغير"(٢٤)

فكلمتا " بُوٌّ " و " اللاقي " من الكلمات التي ظلت لصيقة بالبادية ، ويكثر استعمالها فيقولون " هذا بُوٌّ "، أي مظهر بلا جوهر ، ومن " اللاقي " ؟! أي القادم ضيفا، أو مولودا.

ب- الحظ:

وكان للحظ نصيب من تفكيره ظل يسيطر عليه في مواقف كثيرة ، وكأن الحظ عنده المنقذ ، ومكمل النواقص ، وبدونه لن يصل المرء إلى مبتغاه ، حتى وإن كان يملك مقومات التحصيل :

وتخطوتني الحظوظ إلى رعاع ترددوا في المهازل والهوان(٢٥)

ومع قدراته الفردية التي يمتاز بها ، فإنه لا يثق فيها منعزلة عن الحظ :

فإذا نظمتُ فإنني أقوى بيانا من لَبِيْد(٢٦)
وإذا نثرتُ فإنني آتي على الدر النضيد
وإذا علمتُ فإنني لمضى من القدر العتيد
لكن بدون الحظ لم أكُ رغم ذاك بمستفيد

وها هو يقول في موقف آخر :

كلما حاول رفعا حطّه الحظ هويا(٢٧)

بل إنه جعل بعض القرابة من سوء الحظ(٢٨):

هما سوء حظي في الحياة ومن هما؟ وحسبي التياعا أن أكنّى عنهما
قريبان كُل القرب مني علاقة فكيف إذاً أبغي التخلصَ منهما
فقربُهما بلوى وبعدهما بَلَى أقابلتَ غولا لم رأيتَ جهنما

ووصل إلى حالة من التشاؤم والاستسلام(٢٩):

وها أنا قد رضيت بسوء حظي وحسبي أن أظل كما أراني

وبعد أن وصل إلى هذا الاستسلام نراه يعزي نفسه وغيره بـ(٣٠):

لايعيب الحر أن حاقت به غفلة الحظ وعصيان المنى
إنما يزري به إن خضعت نفسه لليأس يوما فانثنى

ولم يقف عند الحظ، بل ألغاه أيضا، وجعل الحماقة والطيش والأمية شرطا لتحقيق المآرب(٣١):

قياس العقل والتفكير ولى وحلّ محله حُمْقٌ وطَيْشٌ
فقل للعقل يقبع في الزوايا وقل للجهل أن يعلو ويفشو

•••

من يخبر الأمي أن زمانه كسح العلوم وقوض الأعلاما(٣٢)
فليستعد لكل ما يصبو له ليراه تحت حذائه يترامى

بيد أنه في مواقف كثيرة لا يستسلم للحظ ، بل يجعل العمل والمثابرة أس النجاح(٣٣):

سموت إلى أوج الفضيلة راقيا إلى هامها و" القوم " دوني نُوَّمُ

وغـادرتُ دونى معشرا قَعدتْ بهم غبـاوةُ فَـهْمٍ أو جَنَـانٌ مُثَلَّـمُ
يودون من جَهْلٍ قُوى فى حلومِـهم لحـاقى فَيَشَّرْهم بـأن يتندمـوا
سـعتْ بـهمَ الآمالُ تطفَحُ غِـرَّةً فضلُّوا سبيل القصد والليل مُظْلِمُ
ولاح لـهم برق الأمانيّ خُلَّـبا فقالوا وراء البرق رُشٌّ وأسْـجُمُ
ألا فاندبوا يا معشر الـذل سعيكم فـقد قـدَّه مـنى حسـام مُصَمِّمُ
دعوا حَلْبَةَ العلياءِ يركبُ جيـادها سبوقٌ لغايات المكارم أحـزَمُ
ولـوذوا سـريعا بالتقهقر إنـنى أخاف عليكم عندها أن تحطَّـموا

جـ- الكتاب:

وللكتاب عند "عبيد مدنى" منزلة كبيرة، فهو به حفىٌّ، وله وفـىٌّ، جعله غرامه(٣٤):

غرامى فى كتابى والعلوم سُلافتى ونعم نديماى الهدى والتكرُّمُ

بل هو حبه(٣٥):

ولاشغل لى إلا الكتاب كأنه حبيب له من دونهم خير موضع

والقلم صانع الكتاب(٣٦):

هذا اليراع سلاحى أنَّـى يكون كفاحى
ألـذ عندى دنوا من الغوانى الصباح

د- الفضيلة:

والفضيلة عنده سامقة، يحرص عليها وينميها فيمن حوله(٣٧):

سواى على اللذات واللهو مُقْدِمُ وغيرى بحب الغانيات متيَّمُ
وأنَّـى لحب الغانيات تَسَرُّبٌ لقلبى؟ وقلبى بالفضائل مُفْعَمُ

وأخذ يؤدب نفسه ليضعها فى موضعها الحقيقى(٣٨):

من كان يجهل نفسه هيهات يعرف ماسواه
أوْ كان يجهل بَـدْأَهُ أتُراه يعـلم مـنتهاه !

وألا يعطيها ماليس لها(٣٩):

إذا غرق الإنسان فى حب نفسه وميزها جهـلا فقد سامها الخَسْفا
وهيأها للـناس ينتقصونها وجـانب من إخوانه الحب والعطْفا

وكانت الأخلاق عنده ركيزة أساسية فى بناء الإنسان، بل فضلها على سائر المنجزات الدنيوية(٤٠):

هى الأخلاق لاعلمٌ وفَنٌّ ولامالٌ ولاجـــــاهٌ وقَدْرُ
وكل مميزات المرء مالم تُزَنْ بمكارم الأخلاق صِفْرُ

وشكا "عبيد مدني" من قومه، وأعلن سأمه منهم، ولم يشك الزمـان كما يفعل كثير من الشعراء(٤١):

ماهاضه زمن ولكن ساءه من قومه متحامِلٌ وحَسُودُ

وقد استعمل فى هذا النص ضمير الغائب لينصب نفسه حكما بينه وبين قومه، وعليهم جميعا أن يحتكموا للعقل، وأن يصرفوا الهوى والحقد عن الأحكام، وكأن هذه مقدمات لقضية سيطرحها، والنص قيل قبل ثمانية وستين عاما(٤٢):

قـــــوم أبوا أن يعرفوا لمواطن حقا وهل يرعى الحقوقَ كَنودُ
ولعوا بإكبارِ الـــدخيل وإن يكن مافيه إلا غَـــدْرةٌ وجُـحُودُ
ماضرَّ لو جعلوا الحِجى حَكَماً ولمْ يصرفهمُ عنه هوىً وحـــقودُ
وسأترك التاريخ ينصف حـــكمه فـينا وفيهم والسـجلُّ عتيدُ

ولم يكن متحاملا على فئة، بيد أنه لايرغب أن يأخذ من ليس أهلا شيئا لايستحقه، طالب بالعقل وليس الهوى، وترك التاريخ حكما حين عجز عن أن يكون حكما، وأن يكون العقل أيضا حكما.

شعره

إذا كانت عناوين قصائد كثير من الشعراء تحمل كلمة أو جملة من تراكيب القصيدة صاحبة العنوان ، لتكون مفتاح النص ، أو رمزاً له ، فإن عناوين قصائد "عبيد مدني" صيغت بعد ولادة نصوصها ، محاولة أن تكون جماع النص كله ، لذا جاءت فى أحايين كثيرة جملا ليست مقتبسة من النص الشعرى ، ولم تلتزم هذه العناوين فى مجملها بأن تكون جملة شعرية ، وإنما كان هَمُّ العنوان أن يتجه للنص الشعرى ليس إلا ، فتمحور بين كلمة وجملة ، وشطرة بيت .

فالكلمة : (يا الله ٣٩/١ ، مناجاة ١ / ٤١ ، الأنصار ٥٣/١ ، متى ٧١/١ ، الفيصلية ١٠٤/١ ، الحظ ١٥٦/١ ، الأصدقاء ١٥٨/١ ، ١٥٩ ، منطق ١٦٢ ، مجدان ١٦٤ ،

منظر ١٧١، شريرة ١٧٤ ، اختر ١٧٧ ، نصيحة ١٧٩، كلام ١٥/٢ ، قلمى ٢٢/٢ ، لواه ٢٦/٢ ، ذكرى ٣١/٢ ، الشكوى ٣٤/٢ ....وهكذا) .

والجملة : (صرخة مدوية ٤٠/١ ، مالى سواك ٤٢ ، رجاء واثق ٤٣ ، ضراعة ودعاء ٤٤ ، الحمد لله ٤٦ ، يا صريخ المكروبين ٤٩ ، ويا مجيب المضطرين ٥٠ ، الروضة النبوية المقدسة ٥٨ ، نفحات قباء ٦٥ ، الأمل الباسم ١١٥ ، طالع اليمن الجديد ١١٦ ، آمال وأحلام ١٣٣ ، إلى عالم المريخ ١٥٥ ، المال عضب الخلاف ١٧٠ ، استفتاء القمر ١٨/٢ ، وشطرة بيت : أين منى العقيق والرقمتان ٦٩/١) .

وعلى هذا ظلت العناوين تبحث عن هاجسها لتمسك به ، فإن كان يفى بالغرض وهو من النص جاء عنوانا :

(يا طارق الحى ٤٨/٢ ، لواه ٢٦/٢)

بيد أن هذه العناوين أفصحت عن شخصيتها التى لم تختلط مع النص ، ولم يسلبها حقا من حقوقها ، بل ظلت عناوين لها إشارية واضحة تحوم حولها ، وتحقق ماهيتها ، وإذا كانت هذه العناوين تتخذ الاختصار سمة لها ، وتحاول ألا تبرح هذه السمة ، فقد جاءت مرة واحدة شطرة بيت كما مر .

وتوجه هذا البحث لمناقشة نصوص شعرية، رأى الباحث أنها نماذج تمثل شاعرية "عبيد مدنى" فى جميع حالاتها، فكان النص يجذب البحث لمناقشة ناحية من نواحيه، ولم تكن هذه القراءة قراءة تتكئ على منهج متكرر، بل نراها تتجه فى النموذج الأول إلى مناقشة تتصل بالمعنى، وتنطلق إلى أبعد من المعنى الدنيوى، فكان استدعاء الشاعر جبل أحد استدعاء ينفرد عن غيره، مما جعل المناقشة تدور بين الجبل والرسول – صلى الله عليه وسلم – وصحابته.

وفى النموذج الثانى: كان الأسلوب المستقر والمستمر ظاهرة فى هذا النص، ليدل على الأمن والاستقرار، فكانت هناك علاقة حميمة بين الأسلوب الشعرى والحياة الآمنة.

وفى النموذج الثالث: كانت الحركة الشعرية فى النص، والتعبيرات التى يلغى بعضها بعضا دليلا على الحالة النفسية التى عايشها الشاعر، فتركزت المناقشة فيه على حركة الكلمة واشتقاقها، وإلغائها بعد أن استقرت فى الذهن، فكان القلق النفسى يلعب دورا فى البناء الفنى للقصيدة.

وفى النموذج الرابع: كان الوفاء يحمل خصوصية نقلته من الوفاء العام إلى وفاء نادر، وهو من النصوص القليلة فى الشعر العربى التى اتجهت هذا التوجه.

والنموذج الخامس: كان مختصا بالعتاب، وهذه الكلمة حين ترد على أى لسان تفضى إلى أن مصالحة قادمة بين طرفين مختلفين، لأن العتاب كما يقال: أول سلم الرضا، فالعتاب عادة يؤول إلى مصالحة إن لم يكن إعلان المصالحة، بيد أن عتاب "عبيد مدنى" صار قطيعة على غير مايعهد فى نتائج هذه الكلمة، وكأن العتاب جاء متحفزا فى النص لامستسلما.

وفى النموذج السادس: كان القص الشعرى من أبرز سماته، وهو من النصوص القليلة التى ظل الشاعر فيها هو الصوت المسموع سؤالا واستفسارا وحيرة، وانفرد -فيما يعلم الباحث- بهذه الطريقة، إذ سبق لابن خفاجة أن خاطب القمر، بيد أنه قام بالدور عن القمر يجيب عنه، فكان الشاعر يقوم بدورين "السائل والمجيب"، أما "عبيد مدنى"، فقد ظل سائلا لايجد من يقوم بالإجابة.

وفى النموذج السابع: كان الغزل يسحب الباحث لأن يناقشه؛ لكونه لفت الذهن إليه، "موقفا ولغة".

وقد خيم هاجس الإيقاع على هذه النصوص جميعا، فكان له حضور عند دراستها، وهو لايدعى لنفسه أن يكون صاحب هذا الإنجاز فى النص، بيد أنه لعب دورا فى اكتماله بالطريقة التى سيراها المتلقى.

النماذج

النموذج الأول:

إن الشاعر محتاج إلى أن يجول فى ذرى " أحد " ، وجولة الشعر فى ذراه معناه أنه ينال من هذه الذرى ما يُقَوِّمُ الشعر ، فالشعر كان ساكنا أو محتاجا إلى الحركة ، ولا حركة خير من أن تجول القريحة أو الشعر فى ذرى "أحد" ، وكأن الشعر لا يستطيع أن يتعمق "أحدا" بسهولة ، فهو يكتفى بأن يجول فى الذرى ، أو أنه فى هذه الذرى تتكثف قوة أحد ، فذراه هى نفسها قمة الشعر ، والشعر عار ، أو كان عاريا ، وهو محتاج إلى أن يرفل ، أو يغطى نفسه بأثواب "أحد" ، فأحد" إذن رافل فى أثوابه أشبه شىء بشيخ وقور ، فهو محتاج من أجل إقامة شعره إلى أن يلتمس ثيابا غير الثياب التى اعتادها فى شعره السابق ، فالثياب التى اعتادها الشاعر من قبل أشبه بالعُرْى ، ولكن الاقتراب من "أحد" اقتراب مهيب ، أو خجول؛ لأن "أحدا" أكبر من أن ينال بقصيدة من قصائد البشر.

وبعبارة ثانية : إن "أحدا" ذو جلال لا يناله الشعر بأدواته الدنيوية ، أو ما تعورف عليه من أساليب الوصف .. ذلك أن أساليب الوصف تمتلىء وتتكدس فيها العناصر ، ثم لا تبلغ مع كل هذا ما يلائم هذا الجبل مما يحفل به الشعر ، أو ما يتحلى به .. كل ذلك ربما يحتاج إلى أن نخلص منه أو نتخلى عنه ، فليست تحلية الوصف من قبيل "أحد" ، وإنما الشعر أمام "أحد" محتاج إلى أن يتخلى عن كثير من أساليبه الدنيوية ، أو الحسية ، أو المزهوة بنفسها .

ولا غرابة فى أنه فى البيت الثانى :

أتراه جبلا من حجر ؟ لم ترى هو رَوْحٌ فى جَبَلْ؟

تساءل، أيكون "أحد" حقا جبلا من الجبال المألوفة ؟ أم أن حقيقة "أحد" أروع من ذلك؟، "فأحد" روح، أو ريحان ، أو روح يسكن الجبل .

ويجب أن ينظر إلى "أحد" على أنه رسالة اختارت لنفسها هذا الجبل ، والذين يزورون "أحدا" يشعرون نحوه بنوع من تصفية النفس والقلب حتى تطمئن ، فأحد إذن مهما يكن مما أصابه ، أو أصاب أصحابه يستطيع أن يكون باعث سكينة فى قلوب المؤمنين؛ لما يرمز إليه.

وأعجب العجب أن يكون "أحد" فى البيت الثالث أداة المختار -صلى الله عليه وسلم-:

خلد (المختار) فيه تخبا من نعوت تتعالى وتجل

فقد خلده - صلى الله عليه وسلم - بأحاديث متعالية جليلة تضيف إلى السكينة السابقة روح الجلال .

ولأمر ما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "أحد جبل يحبنا ونحبه ، فإذا جئتموه ، فكلوا من شجره"(٤٣) .

ومن الواضح أن الشاعر تأمل هذا الحديث ، وحاول أن يشرحه ، فتساءل فى البيت الرابع :

ما هو (الحب) الذى أضمره(٤٤) ؟ أفهل للصلد قلب يعتمل ؟

ما الحب الذى أضمره الرسول ؟ ، وأضمر هنا تعنى أنه يكنه فى قلبه .

إن "أحدا" أصبح رمزا لحب رسول الله ، و"أحد" أيضا يحب رسول الله ، فهو لم يكن يكره فى أى لحظة من اللحظات ، فقد كان على العكس يحب فى ساعة الشدة على خلاف ما يتخيل المرء ، "فأحد" يحب الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحابته -رضوان الله عليهم- حين أوشكوا على النصر ، و"أحد" يحبهم حين اجتهد بعض الصحابة يريدون الغنائم .

والشاعر فى البيت الرابع يخيل إليه أن قلب "أحد" كان يعتمل محبة للصحابة ولرسول الله ، وكان يعتمل إشفاقا أيضا مما يصيبهم.

ولا ريب أيضا أن الشاعر يرى فى اجتماع النصر والهزيمة ، واجتماع التعلق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومحاولة الانصراف عنه آية تمثلت فى "أحد" .

ولا ريب أن الشاعر فى البيت الخامس:

أهو الحب الذى نعرفه ؟ أم مجاز من بلاغات الرسل؟

أدرك أن الحب الذى أومأ إليه نبينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس حب الناس للناس ، إنما هو حب آخر.. "أحد" يحب الإيمان والمؤمنين ، ولا يمكن أن نقيس هذا الحب بالقياس إلى بلاغات الناس ، فبلاغات الناس مادية أرضية ، وإنما "أحد" وحبه مجاز من بلاغات الرسل التى لا يتسامى إليها الشعراء ، وأشباه الشعراء .. بلاغات الرسل بالقياس إلى بلاغات الناس مجاز ، أى لا تدرك إدراكا عميقا ما دمنا

عالقين بأساليب الناس فى الفهم ، إنما نحن هنا فى حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – إزاء نغمة علوية ، "فأحد" أصابته هذه النغمة ، وكأنما اقترب من رسول الله، واقترب رسول الله منه ، وصَفَتِ العلاقة المتبادلة بينهما ، ولم تعد تشى به شائبة من حوادث عابرة يتعلم الناس منها ، ويبقى ذلك الحب بين أحد والمؤمنين نبراسا .

وبعبارة أخرى : زالت النقمة والهزيمة ، والتعجيل وطلب الدنيا ، وما إلى ذلك ، وبقى جوهر الحب صافيا ، أو مجازا نعبر إليه الطريق تاركين وراءنا كل حب آخر .

إن مغزى "أحد" مغزى جليل تجاوز به الجبل سائر الجبال ، واستطاع أن يلهم المتلقى لهذه القصيدة إلهاما يعجز النطق عنه ، وإنما يحس فى داخل النفس ، فإذا ترجمته كلاما بدا الكلام كليلا ، أو ضئيلا ، ولا أدل على ذلك من أن "أحدا" وصف بما يوصف به الإيمان ، فالإيمان حق لا شبهة فيه من ريب ، وقد أصبح الإيمان موزعا بين قلوب المؤمنين وقلب "أحد".

وفى الجزء الأخير من الفقرة الأولى يقول الشاعر :

..... إن نطقَ المصطفى وَحْيٌ فَصَلْ

وذلك قد يعنى أن المصطفى فصل بين العوارض من الأحداث التى تطرء و تزول ، وإرادة الله الباقية .. هذه الارادة هى إرادة الإيمان أصابت "أحدا" من بين سائر الجبال.

وفصل المصطفى صلى الله عليه وسلم – بين هزيمة عابرة ، ونصر مقدر بإرادة الله.. هذا النصر الذى يمحص الباطل ، ومع ذلك ، فإن هذا الفصل ليس بالشيء الذى يثير الحفيظة ، أو الاستكبار ، أو العلو بغير حق.

وربما استطعنا أن نحمد للشاعر هذا البدء الذى يتركز فى أن "أحدا" أحد أحباب رسول الله ، فالمؤمن لا يتنكر لما يصيبه من أحداث ، فالأحداث كلها – خيرها وشرها – لا تترك فى نفس المؤمن إلا زيادة فى المحبة ، وكيف يستطيع الشعر الذى دأب على الافتخار ، والمدائح الأرضية ، وأغراض الدنيا، أن يتعمق حب رسول الله "لأحد"، وحب المؤمنين له ، ونحن الآن نرى "أحدا" طاهرا مطهرا ،

نريد صورة و

إن "أحدا" عار من أسباب الجمال العادية المألوفة ، فليس عليه من النبات ما على جبال أخرى كثيرة .. أحد عاطل من هذا كله:

عاطل الهيكل إلا أنّ في مَسْحِهِ العاطلِ حسناً مشْتَمَلْ

لكن في "أحد" قوة باطنية .. هي قوة الحب ، وقوة الحب تضفي عليه قوة الحسن ، وحسن الجبال الأخرى حسن عرضي ، أما حسن "أحد" فهو حسن جوهري :

وجمال الشيء في جوهره ليس في حوك يوشّى وحلل

لا وشي فيه ولا حلل .. لا زهر فيه ولا نبات ، ولكن قوته النابعة من باطنه ، المستوحاة من جوار رسول الله تطل علينا منه .

وإذا كانت حمرة سائر الجبال تثير في أنفسنا نوعا من الزهو ، فإن حمرة "أحد" تلقي في أنفسنا الاطمئنان ، وتجتث الملل .

زيّنته حمرة زاهية تشرح الصدر وتجتثّ المَلَلْ

لا جدال في أن الشاعر رأى "أحدا" معلما من معالم الإيمان يشرح صدورنا ، ويجتث منها الملل ، ويعود المؤمن أنقى ، وأجمل ، وأروح ، وتذهب عنه كلالته وملله ، فالجبل الساكن يبدو كالمتحرك ، والجبل القاحل يبدو كالمُنْبِتِ ، والجبل الذي يتعالى ويشمخ بحمرته يتواضع أمامنا ، وكأنما يدعونا إلى أن نقترب منه ، فهو يحتضننا ، ويقربنا ، ويبحث عنا .

إن "أحدا" [illegible] .. جبل يوشك أن يذكرنا بالخلد :

غير بدعٍ (لجبال) الخلد أنْ يسكن اللألاء فيها ويَحِلْ

ويوشك (أحد) كذلك أن يذكرنا بالجنة ، وليس أدل على ذلك من أن الفرح التام يسكن في جوار "أحد" ، أو يصفو من العلائق ، والزهو ، والحركة المضطربة :

تسرح الأبصار في رونقه فترى الغبطةَ ألا تَرْتَحِلْ

ويصبح فرحا خليقا بحمد المؤمنين ، وسكينة الإيمان ، وكلما طالعت "أحدا" طالعتك منه الغبطة الدائمة التي لا ترتحل ، فالغبطة قوام "أحد" ، وهي قوام نفس المؤمن .

وظل الشاعر عبر قصيدته (أحد) التي تعد أطول قصيدة قالها (٥٠ بيتا) يستنطق التاريخ ، ويستعيد الذكرى للتذكر والتأمل .

وقد ضرب على وتر (الرمل) ، وهو بحر تساعد نغمته على حركة سير الخيل المنطلقة لدخول المعركة " فاعلاتن / فاعلاتن / فاعلن " ، ثم ختمها بحرف الروى " اللام الساكنة " الذي يعطي نهاية محسومة ، وليس بعدا صوتيا يؤول إلى صدى ،

وهو ما يناسب الجبال أحيانا ومخاطبتها ، حتى يضيع الصوت فيرجع صدى ، بيد أن جبل "أحد" لا يخاطب بمثل ذلك ، فكان حرف الروى حرفا ينتهى بنفسه .

النص(٤٥):

١-جال شعـرى فى ذراه وَرَفَـلْ ... أيوفّى أحداً وصفٌ حفَـلْ
٢-أتـراه جبـلا من حجـر؟ ... أم ترى هو رَوْحٌ فى جَبَـلْ؟
٣-خلّد(المختارُ) فـيه نُخَبـا ... من نعوتٍ تتعالـى وتَجـلْ
٤-ماهو (الحبّ) الـذى أضمـرهُ؟ ... أفهل للصـلد قلبٌ يعتَمِـلْ؟
٥-أهو الحـبُّ الـذى نَعْرِفُـهُ؟ ... أم مجازٌ من بلاغـاتِ الرُّسُـلْ؟
٦-أجهدَ الأبحاثَ مغـزاهُ. وقـدْ ... يعجزُ الإدراكُ حـينا وَيَكِـلْ

****

٧-وهو حق ليس فـيه ريبـة ... إن نطقَ المصطفى وحيٌ وفَصْلْ
٨-عاطـلُ الهـيكل إلا أن فـى ... مسجِـهِ العـاطلِ حسناً مشتمـلْ
٩-وجـمالِ الشىء فى جوهـره ... ليس فـى حَـوْكٍ يُوَشّى وحُلَـلْ
١٠-زَيّنَـتْـه حمـرةٌ زاهيـةٌ ... تـشرح الصـدرَ وتجتثُ المَلَلْ
١١-غـير بـدع(لجـبال الخلد) أن ... يسكـن اللألاء فيـها ويحـل
١٢-تسـرح الأبصار فـى رونقه ... فتـرى الغبطـة ألا تـرتحـل
١٣-كلـما زاد بـه إعجابهـا ... دعـت الأنفـس معها للجـذل
١٤-وإذا (قِلْتَ) عـلى (مِهْرَاسِـهِ) ... تنهـل السلسـلَ منـه وَتَعِـلْ

النموذج الثانى:

أما النموذج الثانى الذى اختاره الباحث فهو قصيدته التى ألقاها بين يدى الملك عبد العزيز فى "روضة الخفس" اعتمدت على الجملة الاسمية -فى عشرين بيتا منها- بداية كل بيت؛ لتدل على الثبات والديمومة، فجاءت هذه الجمل لتكون بمثابة إعلان لثبات الأمن واستقراره، بيد أن الشاعر استفتح النص بجملة فعلية تدل على الحركة والترقب " بدت المعالم"، وحين حصلت المفاجأة جعل الفعل الثانى " فاستوفز"، وهو فعل يدل على التهيؤ والترقب، وبعد افتتاح النص بهذه الحركة الفعلية الماضوية كرر الشاعر "حيث" الظرفية، وظلت تتكرر؛ لأنها بدلت هنا كلمة تحريضية للمتلقى لأن يستزيد من "حيث"، فجاءت ست مرات أتبعها بسابعة،

ولكن لم تكن في هذه المرة تحريضية، بل جاءت ملغية لما سبقها من تكرار "حيث"، إذ استعمل الشاعر "بل حيث، عاهل يعرب وإمامها"، وكأن الأبيات الستة السابقة تعداد لمقدمات تهيئ للدخول في قضية تبعها الشاعر بملاحقة عجيبة. وحين يأتي على صفات الممدوح يميل إلى استعمال الاسم "جامدا كان أم مشتقا"، فهو:" قيس، أحنى والد، حدب".

وحين استعمل الفعل لجأ إلى الفعل الماضي بداية لكل بيت، ليقرب من الديمومة، حيث سجل حركة ماضوية، أصبحت في حكم الثابت " الأبيات: ١/ بدت، ١٤/ أنهلتهم، ١٥/ ودوا، ٢٨/ وتشرد، ٣٠/ جنبتها، ٣١/ لم تقتنع، ٣٢/ حتى أفضت، ٣٣/ ووسعتها".

واستعمال الشاعر للجملة الاسمية،وللفعل الماضي"+ مضارع مسبوق بلم = ماضي، ٣١ / لم تقتنع" يؤكد أنه أمام ثبات، واستقرار؛ فكما أن الحياة كانت مضطربة غير آمنة، فقد بدا الاستقرار على الحياة في عهد عبد العزيز، حتى إن النص حمل هذا العبء، ليعلنه للمتلقين أسلوبا ولغة، وليس ماتحمله اللغة من معنى فقط؛ بل جاءت معنى وتركيبا، واستعمالا.

ولم يأت استعمال الفعل المضارع بداية للبيت في النص كاملا إلا مرة واحدة، وذلك حين أراد الشاعر أن يبين الحاضر والاستمرار في المستقبل، وليس الماضوية لمن يحتاجون الاستمرارية المتحركة.

يترسمون خطاه في أحكامهم فتكون مصدر حكمة ورشاد

فهم محتاجون لهذا الترسم في صورة مستمرة ومتحركة.

والقصيدة قيلت قبل خمسٍ وخمسين عاما في عصر كانت الأمة آنذاك تتعطش للأمن، وتسعى للوحدة، وتنتظر المنقذ من هموم نزلت، وتفكك حدث، ولذا فإنها لم تأت بصيغة المفرد، ولم يكن الشاعر لسان نفسه، وإنما كان لسان قومه:

١٣- مولاي: إنا وفد من خلفتهم يشكون شجو تشوقٍ وبعادِ

١٥- ودوا لو استطاعوا المثول جميعهم ليسكنوا بك لوعة الأكبادِ

١٩- لولا تصبرهم بطلعة (فيصل) نفدت جلادتهم وأيّ نفادِ

٢١- إنا نبثك ماتكن صدورهم من صدقِ تضحيةٍ وعمق ودادِ

ولذا لم يكن الشاعر حاضرا في النص إلا ثلاث مرات:

" ١٣/ مولاى إنا، ٢٥/ مولاى قد هز، ٣٦/ لاأسأل الله" وفى الأولى والثانية: استعمل ياء المتكلم مع "مولى"، ليكون المختص بذلك، بيد أنه أسرع يتكلم بلسان الجمع " إنا"، وفى الثالثة: أراد أن يكون هو صاحب المفاجأة تحسبا لغضب، أو ترقبا لقول:

لا أسأل الله الكريم لأمتى.....

وهى جملة توحى فى ظاهرها بذنب اقترفه القائل، فأصبح المتلقى بين مستعجل فى حكم قاس على الشاعر، وبين منتظر لعبارة قادمة تزيل ما علق فى الأذهان من شك وهى قوله: إلا بقاءك فهو خير مراد

فالقصيدة تحمل بيت المفاجأة خاتمة لها [٣٦] ، وبيت سلطوى [٩]، وسلطته: أمر سبق الرغبة، فرغبة الحاضرين الوقوف، بيد أن البيت جعل وقوفهم تنفيذا لأمر، وليس تدليلا على الرغبة الكامنة فى نفوسهم، فكأنه سرق منهم رغبة الطاعة إلى امتثال الأمر، فكان -بحق- يمثل: "سلطة البيت".

عبد العزيز ومن إذا ذكر اسمه قام الجميع له ودوى النادى

والكامل من الأوزان التى تحقق للنفس الطويل طموحه، وللثبات استمراره وتكراريته؛ لتكرار تفعيلته " متفاعلن. متفاعلن. متفاعلن"؛ فالحياة آمنة مستمرة، والايقاع متكرر. ثبات فى الحياة.. ثبات فى الايقاع.. ثبات فى حركة اللغة "اسم . ماض".

النص(٤٦):

١-بدت المعالمُ من شفيرِ الوادى فاستوفزَ الركبَ الشعاعُ البادى
٢-حيث الجلالةُ فى أجلِّ صفاتها موصولةُ الإسنادِ بالإسنادِ
٣-حيث الحميةُ والبطولةُ والقوى محفوفةٌ بكماتها الآسادِ
٤-حيث التقى والدين فى أوجيهما ومناهلُ التقويم والإرشاد
٥-حيث العروبة مشمخر مجدها فى طارف من عزها وتلاد
٦-حيث الفصاحةُ فى روائع سبكها متَصَوَّرٌ فيها جمالُ (الضادِ)
٧-حيث السماحةُ والطلاقةُ والندى ومراتعُ الزوار والوُرَّادِ
٨-بل حيث (عاهل يعرب) وإمامها وملاذها فى الأمنِ والإرعادِ
٩-(عبد العزيز) ومن إذا ذُكِرَ اسمُهُ قام الجميعُ له ودَوَّى النادى
١٠-(ملك) يرى فيه الملوك صحيفة يستلهمون بها الصواب الهادى
١١-يترسمون خطاه فى أحكامهم فتكون مصدرَ حكمةٍ ورشادِ

١٢-قَبَسٌ يشع الهَدْيُ من جنباته فيشيعُ نورُ الحق للآبادِ

****

١٣-مولاى. إنا وفد من خلفتهم يشكون شجْوَ تشوُّقٍ وبعادِ
١٤-أنهلتهم بالقرْبِ منك هنيهةً والآن كلهُمُ ببعدِكَ صادِ
١٥-ودُّوا لو اسْطاعوا المثولَ جميعهم ليسكِّنوا بك لوعةَ الأكبادِ
١٦-ماكنتَ فيهم غير أحنى والدٍ حَدِبٍ وكانوا خيرةَ الأولادِ
١٧-وملأت بالإكبار كلَّ نفوسهم وعَمَّرْتَ بالإخلاص كُلَّ فؤادِ
١٨-والعرش ماترسو قواعده على أُسُسِ الجوانح لاعلى الأعوادِ
١٩-لولا تصبُّرهم بطلعة (فيصل) نفدت جلادتُهم وأىَّ نفاد
٢٠-هو مثْلُ ماأمَّلته وعهدته من رأفةٍ وعدالةٍ وسدادِ

****

٢١-إنا نبثك ماتكن صدورُهم من صدق تضحيةٍ وعمقِ وداد
٢٢-هذى رسالةَ أمة أنشأتَها فتظللتْ بلوائك المتهادى
٢٣-علمتَها معنى الحياة فحطَّمت بقواك كل عوائقِ الأصفادِ
٢٤-علقتْ بعرشك والأمانى جمة فاسترسلتْ لطماحها المتمادى

****

٢٥-مولاى. قد هز الشعوب ودكها هولُ ألم ففتَّ فى الأعضادِ
٢٦-فتكت بها الحربُ الضروس وزلزلت أركانها وأتتْ على الأطواد
٢٧-صرع الرجال وغادروا أعراضهم يلجأن إلى الأغوار والأنجاد(!)
٢٨-وتشرَّد الأطفالُ فى أنحائها يتسكعون على طَوَىً وقتادِ
٢٩-أما بلادُك فهى فى استقرارها بالراية الخضراء خير بلادِ
٣٠-جنَّبتها الأحداث حتى أصبحتْ رمز الهدوء وصورة الإخلادِ
٣١-لم تقتنع إن صنتَها ورعيتَها وحكمتها فى منعة (وحيادِ)
٣٢-حتى أفضتَ لها الهناءة شاملا بالعطف كل ثنية ومهادِ
٣٣-ووسعتَها بالصالحاتِ وبالحجى وحبوتها بالأمن والإرفادِ
٣٤-هذا سبيل الملك إلا أنه وعرٌ لغيرك بالغ الأبعاد

٣٥-هل كُلُّ مَنْ قاد الشعوبَ مُحَقِّقٌ ماتشرئبُّ لـه مـن الأمجـــــادِ
٣٦-لاأسـأل اللـه الـكريـم لأمتـى إلاّ بقاءكَ فهـو خـيرُ مُـــرادِ

النموذج الثالث:

أما رثاؤه زوجه "أم عدنان"، فهو يحمل صراعا نفسيا كبيرا، وتصويرا صادقا في تأرجحه وقلقه، وصدقا في معانيه، ونبلا في مشاعره، وتشخيصا للحادثة والحدث: بدءا من الفاجعة، وانتهاء باللجوء إلى الله، فقد بدأ القصيدة بكلمة تحمل بكاء في معناها ونطقها "أواه"، ولكنه ظل يساور نفسه شك كبير، أو يحاول لنفسه أن تكون شاكة فيما حصل، فكانت القصيدة متأرجحة بين الشك والاستسلام، وهي تصور نفسية الشاعر أتم تمثيل، فيهرول شاكا: "إنها لم تمت، ثم يرجع إلى تصديق الواقعة" صبر لعلي أستطيع.. وليتني.. أأكون مكتوف اليدين.." ثم فجأة يستسلم " لو كان لي أن أفتديك... لكن أمر الله"، وتظل هذه القصيدة في غاية الاضطراب المعنوي كالاضطراب النفسي للشاعر، فجاءت معانيها يلغي بعضها بعضا، فيبلى الشك كأقوى مايكون، ليزرع هذا الشك أملا عند الشاعر، بيد أنه مايفتأ يواجه بأسئلة ملحة، وأبناء لحوحين، لايملك معها ومعهم جوابا شافيا، وهنا تبدو معادلة صعبة بين أبناء يسألون: وأب يتألم، وسؤال البراءة أقوى عذابا للعارف، جوابه مفهوم، ونطقه عسير، ليظل السائل آملا، والمجيب مؤملا.

"يتساءلون وأين راحت أمنا؟ .. ومتى تعود؟ .. ومالها لم تأت؟"، فتلاحقت أسئلة ثلاثة، أولها: لم يتضح فيه شك، والثاني: "متى تعود" يلفه استغراب، وثالثها: "ومالها لم تأت" وضع الشك سياجا حولهم، بيد أن محاولة الشاعر أن يكون خالي الذهن تعطي الأبناء نوعا من الطمأنينة، وهويحمل صراعا بين مظهره ومخبره، ولم يستطع أن يستمر في هذا الصراع، بل إنه يقرر حقيقة حتى يعطي نفسه فسحة فيما صنع:

وَتَجَلُّدُ المنكوبِ أوغلُ لوعةً فيما يكابده من الغَمَرَاتِ

فيخلو بنفسه ليكون معها بلا زيف، ولاتصنع، ولاتمثيل؛ فيبسط ما يخفيه؛ بل إنه يتجاوب طائعا ومحبا للنوح، مزدجرا التأني والأناة.

فاستعمل فعلين ماضيين يصوران الحركة "تبذت"، و"اندفعت"، ولم يكن الفعل كافيا لتصوير الاندفاع، فعمد إلى التشبيه "كأن بى مسا"، ثم أضرب عن التشبيه ليكون حقيقة.. "أجل مس المصاب العاتى".

ونبذت صبرى واندفعت كأن بى مسا. أجل مس المصاب العاتى

وفى كل مقطع من القصيدة تبدو الخطى متعثرة، والمعانى -كما مر- مضطربة:

كيف ارتضيت بأن أوسدك الثرى فى مضجع من أعظم نخرات

وأروح عنك وأنت بين جـــنادل وصفائح من جيرة الأمـــوات

ولم يقف عند هذا الحد، بل بدا أكثر اضطرابا؛ لعدم القدرة على فعل شئ

وأنا الذى لا تجهلين حنوه أين الحنو اليوم فى "المعلاة"؟

بيد أن هذا الاضطراب الملتف بسؤال انكارى:أتموت "عـزة"؟ حولـه إلـى حياة ذكرى وتلذذ...

أتموت "عزة"؟ لا "تعزة" لم تغب عن ناظرى يوما ولا خطراتى

ومن اللافت أن القصيدة بدأت بـ "أواه"، واختتمت بـ"رباه"، ليقضى على شكه واضطرابه، بل ليسأل ربه أن يعطيه الطمأنينة فى يقينه، فقد بدا هذا اليقين متزعزعا، يلفه الشك فى كل مكان.

والقصيدة فى مجملها تحمل أسئلة تعطى الأمل وعدم التصديق بما وقع: [٧/ أأكون مكتوف اليدين، ١٤/ أين المجيب، يتساءلون، وأين راحت أمنا، ٢٧/ أرأيت بركاتا، ٢٩/ كيف ارتضيت، ٣٢/ أتموت عـزة؟]، بيـد أن بحـر الكـامل" متفاعلن. متفاعلن. متفاعلن" أعطى القصيدة نفسا طويلا وتكرارا فى النغمة حتى يضع معادلة مع الاضطراب النفسى، والتنوع المعنوى بين "الشك واليقين"، كان البدء "أواه" والختام "رباه" تحيطان بالنص آهة واقعة، ورجاء مأمولاً، وكان للمقطع الصوتى الأخير "القافية" مع وجود الردف الذى ساعد على إطلاق الصوت ثم حرف الروى " التاء" المكسورة وظيفة ساعدت على وجود "الآهات. الزفرات. العبرات. النكبات" فى النص.

النص(٤٧):

١-أواهٌ من رَيْـبِ المـــــنون العاتـــى ماكان أمضـاهُ إلى النكـبات!

٢- لايعرف الرُّحْمَى وأين سبيلُـــــها منه. وفيـه مصرعُ الرَّحمات

٣- أخْنَى على أملي وقوّض بَهْجَتي ... وأتى على صبري وهزّ ثباتي
٤- وجرى إلى عُشّي الوديع فهدّهُ ... وأذاله من وحدةٍ لشتاتِ

****

٥- يا(أم عدنان) رويدك إن في ... ما تزمعين فواجعُ الصدَماتِ
٦-صبرا لعلي أستطيع وليتني ... أجد الدواء وأهتدي لأساةِ
٧- أكونُ مكتوفَ اليدين وأنتِ في ... كفّ السياق رهينة الغمَرَاتِ
٨- لوكان لي أن أفتديك من المردى ... لبذلتُ في طلب الفداء حياتي
٩- لكنّ أمر الله جُلّ جلالُه ... ماضٍ ومالي فيه من شبهاتِ

****

١٠-ومن المهازل والعجائب في الورى ... أن يفتك (السرطانُ) بالظبْيَاتِ

****

١١-قد كنتِ فيما كنتِ رمزا تَقْتَدي ... بك كُلُّ سيدة وكلُّ فتاة
١٢-وجمعتِ أسنى ما تؤمّلُ بعضه ... (حواءُ) من خُلُقٍ ورقة ذاتِ
١٣-دينا وتفكيرا وحسن تصرف ... وكريم إيثار ونبل صفاتِ

****

١٤-أينَ المجيبُ إذا دعوتك حانيا ... (ياأم عدنان) وأين لهاتي؟
١٥-خلّفتِ يوم قضيتِ نحبك لاعجا ... من دونه النيران مضطرماتِ
١٦- وصحبت ماأعطيتيه من صفاءٍ ... وتركتِ لي الويلاتِ والحسراتِ
١٧-وتركتِ (أربعة) وكنتِ حماهُمُ ... مما يلمّ بهم من الأزَمَاتِ
١٨-ترعينهم وتوفرين هناءهم ... وتخططين لهم هدى الخطواتِ
١٩-لم يدر بعضهم المصابَ وبعضهم ... لاقاه محتارا حبيس شكاةِ
٢٠-يتساءلون وأين راحت أمّنا؟ ... ومتى تعودُ؟ ومالها لم تاتِ؟
٢١-فأخذت أصطنع الظهورَ بمظهرٍ ... ينأى بهم عن موضع الريباتِ
٢٢-وتجلّدُ المنكوبِ أوغلُ لوعةً ... فيما يكابده من الغَمَراتِ
٢٣-واذا خلوتُ بسطتُ ما أخفيتُه ... وأطعتُ نوحي وازدجرتُ أناتي
٢٤-أبدو كما يبدو الخليّ وتختفي ... بين الجوانح ثورةُ الزفراتِ
٢٥-ونبذتُ صبري واندفعتُ كأن بي ... مسّاً. لجل مسّ المصابِ العاتي

٢٦-وتـركتُ أنَّاتى تجلجل كيف مـا حـكم الأسى. وتدفقتْ عبراتـى
٢٧-أرأيتَ بـركانا تفجـر فجـأة وطغَـتْ بـه النيرانُ مندلعاتِ؟
٢٨-وإذا أويتُ الى الفـراش وجدتُـه خَـرْطَ القتـادِ (ومَحْبِسَ الزيات)

••••

٢٩-كيف ارتضيتُ بأن أوسدكِ الثـرى فى مضجـعٍ مـن أعْظُمٍ نخِراتِ
٣٠-وأروح عنك وأنت بين جنـادلٍ وصفـائحٍ مـن جِـيرة الأمواتِ

••••

٣١-وأنا الـذى لاتجهلـين حُنُـوَّهُ أيـن الحـنو اليوم فـى (المعلاة)
٣٢- أتموت (عزَّةُ)؟ لا (فعزَّةُ) لم تَغِبْ عن ناظرى يوما ولاخطـراتى
٣٣-ربـاه هـذا ماأردتَ قضـاءه فأنقـذ يقينى من ردى النَّزَعاتِ

النموذج الرابع:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

حضر بيت " الحطيئة " قويا حين رثى " عبيد مدنى " عتيق والده " ناصرا " بقصيدة تموج حركة ، وتنطق وفاء ، وتضرب صفحا عن التباهى بالنسب :

ولئن لم تكن مولود أشرف منتمى فإنك فى هذى المكارم سيد

فضائل قد مثلن فيك وبعضها يقوم لها صعب المعالى ويقعد

ما أجمل الوفاء ، فهو ليس من ابن لابيه ، ولا أخ لأخيه ، ولا صديق لصديقه ، بل هو من سيد لخادمه ، هذا هو الوفاء ، وأن تضفى عليه صفات أنه المحسن إلى الشاعر ، فذلك وفاء الوفاء :

يهمك من شأنى الذى لا يهمنى وتسهر لى فى النائبات وأرقد

وقد حزت من قلبى النياط محله وما بعد هذا للمحبين مقعد

والنص جاء فى جملته بأسلوب تقريرى تأكيدى، ليتفق مع الوفاء الذى هدف إليه الشاعر: [ولئن حياة الطيبين رضية"، "وقد كنت لى فى حادث الدهر عدة"، "وقد حزت من قلبى"].

وكان الرثاء وهو يبعث الطمأنينة فى النص أقرب منه إلى النواح، وتعداد الفضائل، فكان المستقبل أجدى من الماضى، فخاطب "ناصرا" بـ:

نم هادئا لايستفزك حادث هناك فإن العيش أهنا وأرغد

بل إنه تخيل أن "ناصرا" معه لم يفارقه، فخاطبه بـ: [نم، يستفزك، تكن، إنك، بجسمك، فإنك، عنك، كنت، كأنك، يهمك، حزت].

وقد اختار عن قصد أو غير ما قصد بحر الطويل الذى يساعد على إخراج الزفرة والآهة ، وفى هذه الحالة من الاضطراب يحسن به أن يختار حرفا يتميز بوضوحه الصوتى ، وخفته على السامع حتى لا تضيع رسالته التى أراد أن يوصلها للمتلقى ، فاختار حرف الدال ليكون " رويا " ، ولم يعمد أن يكون الروى " الراء " الحرف الأخير من اسم المرثى " ناصر " ، وهى سمة تظهر جلية فى المديح وبعض المراثى.

النص(٤٨):

١-فنم هادئا لايستفزُّكَ حادثٌ هناك فإن العيشَ أهنا وأرْغَدُ

٢-وأنَّ حيـــاةَ الطيبـــين رضيـــةٌ بما قدَّموا مـن صالح وتـزودوا
٣-وإن لم تكن مولود أشرف منتـــمى- فإنك فى هذى المكارمِ سَيِّـــدُ
٤-وماالمـــرءُ إلانفسُـه وفعالُـــــه كذلك يزهو بالمضاءِ المهنَّـــدُ
٥-وفـــاءٌ وتقـــوى،عزة ومـروءة محامدُ شتى أنت فيهن مفـــرد
٦-فضائل قد مثلن فيك وبعضهـــا يقـوم لها صبُّ المعالى ويقْعُـدُ
٧-(أناصر) إن ترحل بجسمك نـــائيا فإنك من تذكارنا لست تبعُـــدُ
٨-وهل أستطيع الصبر عنك وليس لى سواه فهل لى من مضيقى منجدُ
٩-وقد كنتَ لى فى حادث الدهر عـدة كأنك لـــي فى الأمر سَهْمٌ مُسَدَّدُ
١٠-يهمك من شأنى الذى لايهمنـــــى وتَسْهَـدُ لـــى فى النائبات وأرقُدُ
١١-وقد حزتَ من قلبى النيـــاط محلة ومـــابعـد هذا للمحبين مقعـــدُ
١٢-وكم كنت أسعى فى مكافحة الـذى عراك ولكنَّ القضـــــاءَ مُحَـدَّدُ
١٣-وحسبك منى بالوفـــاء قصيـدةٌ وإذا تليت يُثْنَـــى عليك وتُحْمَدُ

****

١٤-فيا هاطل الرضوان لازلت عاكفـا على جَدَثٍ فيه الوفاءُ موسَّـــدُ

النموذج الخامس:

وحين عمد الى العتاب مال إلى عقلنة الحوار، وزهد فى المجاز أى زهد؛ لأن الحقيقة فى مناحى كثيرة أبلغ من المجاز، بل إنها لاتعترف به لما فيه من تمويه للقضية، وسلبها مقوماتها الإقناعية، فكان فى عتابه ينبئ عن محاولته لـلأم الجراح وتضميدها، مبينا خصالا يحسن بالصديق أن يبتعد عنها:

تواصلنى جهرا وتظهر ضاحكا وتكتم فى برديك أىَّ عـداءِ
فحاولت أن أثنيك بالعتب تـارة وباللوم أخرى حافظا لولائى
ينازع فى حبِّك عقلى عواطفى نزاعَ جلادٍ فى رحى الهيجاءِ

ومع هذا ظلت محاولاته الإصلاحية تلاحق صديقه حتى ابتعد عنه على مضض وهو لايرغب:

ربأتُ بنفسى عنك وازورَّ جانبى بقربك واسترضيتُ فيك جفائى

ما أجمل "استرضيت"، وهى طلب من الخارج، وليس نبعا من الداخل.. أخذ يلح طالبا أن يرضى نفسه بفعلته تلك.

وهذا النص لولا تأرخته " ١٣٤٥هـ" لظننت أن هذا العتاب لايحدث إلا من رجل تجاوز الأربعين، لما فيه من رزانة ورجحان عقل، هو عتاب يتجاذبه صراعان واضحان: رغبة أكيدة فى دوام الود والصداقة، وجنوح غير مرغوب فيه لقطيعة هذا الصديق.

ولم يحكم "عبيد" على نفسه بذلك دفعة واحدة، بل حول عتابه إلى أن يرجع صاحبه عما اقترفه بحقه، وإن لم يكن فهو:

وقد كنت أرضى لو كففت مضرتى ... ونفعى، وحسبى منك ود النائى

فلما آل إلى آخر الدواء-الكى- قال:

إذا ساء عضو واستحال علاجه ... ففى بتره للجسم خير وقاء

والشاعر ومايعتوره من هزة نفسية، وتشوق لصورة صديقه، ضرب على وتر الطويل، واختار حرف الهمزة المكسور "رويا"، ليظل الصوت متذبذبا بين الآهة والزفرة، وكأنه أصبح "صدى" يأمل فى أن يسمعه مرة أخرى: [إخائى.. رياء.. عداء.. لولائى.. هيجاء.. إيذائى].

النص(٤٩):

١-تمسكت حينا بالمودة جاعلا ... قصارى منها أن يدومَ إخائى

٢-وفيت وفاءَ المخلصين ولم أجد ... لديك بديل الصدق غير رياء

٣-تواصلنى جهرا وتظهرُ ضاحكا ... وتكتم فى بردِيك أىَّ عَداءِ

٤-فحاولتُ أن أثنيك بالعتْبِ تارة ... وباللّومِ أخرى حافظا لولائى

٥-ينازع فى حبيك عقلى عواطفى ... نزاعَ جلاد فى رحى الهيجاءِ

٦-ولما تمادى الأمرُ فيما سلكتَهُ ... ولمعنتَ فى ضُرّى وفى إيذائى

٧-ربأت بنفسى عنك وازورَّ جانبى ... بقربك واسترضيت فيك جفائى

٨-وقد كنتَ أرضى لو كففتَ مضرتى ... ونفعى وحسبى منك ودُّ النائى

٩-ولكن أبت أوغارُ صدرك أن ترى ... طريق الحجى فى صحبة السُّجَراءِ

١٠-فلم تك لى دون القطيعة حيلة ... وقد عزَّتِ العتبى وفاضَ إنائى

١١-وهل تهجر العينان طيب كراهما ... لغير قذى أعيا على الإغفاء

١٢-إذا ساء عضو واستحال عـــلاجه ففي بتره للجسم خـــيرٌ وقـــاء
١٣-وإن ثبت لاآلـــوك ودا وصحبة وصادقُ إخلاصٍ وذاكَ رجائـــي

النموذج السادس:

ومن قصائده التأملية : " استفتاء قمر " ، أنشأها في سنة " ١٣٤٩ هـ " ، فهي تبحث عن الحقيقة أنى كانت " مليئة بالاستفهامات وأساليب الاستغراب والتشخيص . استحضر القمر ، فخاطبه مخاطبة العاقلين ، وهو بهذا أسقط تغييبه ، واستعمل معه ضمير " المخاطب " " الكاف "..(رويدك. بك. لعلك. ضياؤك. إنك. نراك. تطلعك. تبديك. تخفيك. فيك. شعاعك. يعتريك. يحتويك. عليك. بينك . بلوغك)، ثم استحضره مرة أخرى بفعل الأمر بعد أن شخص أمامه (قف . اسمع . قل) ، ووضع بعض الصياغات في أساليب استفهامية يلفها التأمل حينا ، والاستغراب حينا آخر (أتجتاب . وماهو جرمك . وهل تلد الشموس أم البدور . فهل تبديك . وهل تخفيك . فمن هم هؤلاء . وهل فيهم . وهل هم قبلنا . وهل لهم . وهل دانوا . وهل لهم نظام . وهل هم يعملون . أين كانت . وكيف إذا بدوت . أيغمرها . وماذا يعتريك. أفي حيلولة . وكم بيني وبينك . وهل صعب . أفلا تشير) .

هذه الاسئلة المتلاحقة ختمها بقوله : " أفلا تشير " لأنه كثرت أسئلته ، ولم يأته جواب لها أو لبعضها .

ظل القمر شاخصا أمام الشاعر ، ومن ورائه قضايا غيبية أو مغيبة عن ناظريه لاحقها بأسئلة كثيرة ظلت مغيبة أيضا، ولم يستطع تشخيصها أو استحضارها، بل إن الأسئلة زادتها غموضا ، واستعمل " تغشاها غموض " ، مما زادها حلكة وظلمة ، وظلت تلك الأسئلة عائمة ، لكنها أفضت إلى عظمة الموجد الذي أعطى ظلاله على كل شيء منها ، فكان ذلك الغموض وضوحا عند خالق الأشياء .

هذه القصيدة تحمل أسلوب القص الشعري الذي كان بطله مجموعة لم يهتد الشاعر إليهم فقد حدثوه بـ:

وقالوا إنك ابنُ الشمس فافصحْ وهل تلدُ الشموس أم البدور؟
وقالوا إن فيك -ولست أدري- حياةً ملؤها خلق كثـــير

ثم وجه الشاعر خطابه للقمر يسأل عنهم:

فمن هم هؤلاء ومن أبوهم؟ وهل فيهم كما فينا شعورُ؟
وهل هم قبلنا جاموا فعاشوا وهل لهمُ كهوفٌ أم قصورُ؟
وهل دانوا بدين مستقيمٍ وهل لهمُ نظامٌ أو أميرُ؟
وهل هم يعلمون بنا وفيهم إلى اللقيا بنا شوقٌ مثيرُ؟
أو انَّهمُ وحوشٌ كاسراتٌ تهيم كما أرادت أو طيورُ
أفي حيلولة الأرض ارتباك -كما قالوا- عليك وماالمصيرُ

أسئلة وجهها الشاعر للقمر، ولم يجد منه جوابا.

وشخوص النص هم:" الشاعر، ومجموعة غير معروفة، والقمر"، وأفصح الشاعر أنه كان الصوت المسموع، وأن الآخرين يسمعهم، ولم يرهم؛ فالمتلقى لم يسمع إلا صوت الشاعر، وظلت الأصوات الأخرى وقفا على الشاعر نفسه.. يحاورها، ويسألها أو يسأل عنها، رغم أسئلته الكثيرة واللحوحة أيضا.

والنص تمايل على بحر " الوافر" وهو نغمة تستبشر بالأشياء ، وتكون بها حفية ، ولكنه فى أحايين كثيرة يكون حرف الردف (الحرف ما قبل الروى) تعاقبا، أو تزاوجا بين الواو والياء .

فأصبح المقطع الأخير فى بعده الصوتى على حالين (مسير . ضمير . تدور. نور . كثير..) ، وهو محطة تضفى على نغمة الاستبشار ضربا من التأمل ، والتأرجح، كتأرجح الصوت بين " الواو " و " الياء " لاسيما ما صاحب هذا المقطع من أدوات الاستفهام.

النص(٥٠):

١-رويدك أيها القمرُ المنيرُ تريَّثْ لايجدُّ بك المسيرُ
٢-وقفْ لى ساعةً واسمع حديثا تجيشُ به الخواطر والضميرُ
٣-وقل إن تستطع فى ذاك قولا لعلك إنْ تحدثنى خبيرُ
٤-أتجتابُ السماءَ وأنت تعدو أوَ انَّ الأرضَ-مابرحتْ-تدورُ
٥-وماهو جِرْمُكَ البادى أنارٌ ضياؤك أم وعاءٌ فيه نورُ
٦-وقالوا إنك ابن الشمس فأفصح وهل تلد الشموسُ أم البدورُ
٧-نراك تغيب فى البحر انزواءً وتُطْلِعُكَ الشوامخُ والصخورُ
٨-فهل تبديك آونةً رُوابٍ وهل تخفيك فى أخرى بحورُ

٩-وقالوا إن فيك -ولست أدرى- حياةً ملؤها خَلْقٌ كثيرُ
١٠-فمن هم هؤلاء ومن أبوهم؟ وهل فيهم كما فينا شعورُ؟
١١-وهل هم قبلنا جاعوا فعاشوا وهل لهمْ كهوفٌ أم قصورُ؟
١٢-وهل دانوا بدينٍ مستقيمٍ وهل لهمْ نظامٌ أو أميرُ؟
١٣-وهل هم يعلمون بنا وفيهم إلى اللقيا بنا شوقٌ مثيرُ
١٤-أوَ انهمُ وحوشٌ كاسراتٌ تهيمُ كما أرادتْ أو طيورُ

••••

١٥-وماهذى النجوم وأين كانت؟ وأين مصيرها لما تسير
١٦-وكيف إذا بدوت لها تماما أيغمرها شعاعك أم تغورُ
١٧-وماذا يعتريك بما دعوه خسوفاً يحتويك فلا تنيرُ
١٨-أفى حيلولة الأرض ارتباكٌ -كما قالوا- عليك وماالمصيرُ
١٩-وكم بينى وبينك من ذراعٍ وهل صعب بلوغك أم يسيرُ
٢٠-مسائل قد تغشاها غموضٌ وأعيا فهمها أفلا تُشيرُ؟

النموذج السابع:

من اللافت للنظر فى غزليات " عبيد مدنى " أن المؤرخ منها - وهو يشمل ٩٠ ٪ - كان بين سنتى ١٣٤٣ هـ و ١٣٦٥ هـ ، وما عدا هذين التاريخين مقطعات قصيرة لا تخرج عما قبلها فى الفكر والروح ، فالغزل عنده قد اتكأ على حسى ومعنوى " ليلى / الحب " ، وهما لا يجتمعان فى قصيدة واحدة إلا قليلا ، وقد توسع فى مفهوم الحب ، فهو عنده(٥١):

الحب فى الدنيا حياة بنيها وحديقةٌ تسمو المشاعر فيها
لولاه لم تجدِ النفوسُ سعادةً فيما تعانيه ولا تَرْفيها

وهو سلطان لا يعصى(٥٢) :

الحب سلطان له ما شاءهُ لا فيه تشريع ولا دستور
ينْهى ويأمرُ فى الرعية كيفما يهوى وما من حكمِه تحريرُ

وبعد أن وضع دائرتين للحب " الحياة / السلطان " أعطاه خصوصية ، أو دائرة أصغر، بحيث كان جزءا من الإنسان ، أو نسيجا داخله(٥٣) :

قد يبلغ الحبُّ فى الإنسانِ منزلةً ينسى بها نفسَهُ فيها ويلغيها

تراه إن حاول المحبوبُ خِدْعَتَهُ . جارى مشيئتَهُ مهما يكن فيهـــا

وحاولت قصائده أن تتخلص من الوصف الحسى الذى شاع فى الغزل العربى القديم ، وأن تميل إلى الصفات المعنوية والعلائق النفسية ، بيد أن الشاعر يحيلنا إلى مواقف من الشوق والهيام لم تبلغ فى حرارتها وصدق لواعجها ما يجعل المتلقى يتجاوب معها ، وفى الاعتقاد أنه يساق حينا إلى الغزل سوقا ، فلا ضير ألا يبدع فيه ، وألا يبلغ شأوا بعيدا.

ولو تتبعنا قصائده الغزلية لوجدنا أكثرها تدور فى استحياء من نفسها ، فجاءت لتسجيل ظاهرة كمناقشة الحب ، أو حديثا عن حبيبة رَمْز " ليلى " ، مما نقلت الغزل من الخصوصية الخاصة إلى المشاع ، ومن اللواعج النفسية واهتمامه بحبه وحنينه ، إلى إشراك المتلقى بتذوق هذا الحب ، فكأنه صنع غزله لغيره ، ولم يكن له خاصة .

وقد يبدو لك وأنت تقرأ هذه النصوص الغزلية أنها تقدم باستحياء تلبية لطلب . وإذا وقع فى الحب بمعناه الخاص ، فإنه يكون حذرا حتى فى وضع عنوان له ، فيصفه بما لا يكون للشك فيه مأخذ وتأويل " الحب النزيه ٢/٨٠ " وهو ابن العشرين . إن الغزل لا يشكل عنده تألقا شعريا فى عامته ، بيد أنه مع حرصه على وقار الكلمة بعد وقار الموقف يسجل الحركة والحدث بطواعية وهدوء(٥٤):

دعى الدموعَ لعينى والابتسامُ لـــثغرك
وللشـــقاءِ حـــياتى والابتهاج لعمـــرك
ولـلفضيـحة حبى والاحتفـــاظُ لـسرِّك
لا تعجبى فمصيرى جميعُهُ تحت أمـــرِك
إنى أمـوتُ ولحيا ولن أعيشَ لغـــيرِك

ويلحظ من هذا النص أنه بنى على ثنائية " الترح / الفرح " ، فهو عنده (الدموع / الابتسام / الشقاء / الابتهاج / فضيحة / سر) ، وكان طرف الثنائية الأول متصلا بضمير المتكلم " الياء " ، وحضوره ليس مثل حضور " تاء " المتكلم ، فهو حضور فيه استسلام ، ولذلك مهد له بطريق " الترح " (دموع – شقاء) ، أما حين جاء على الفرح ، فقد استحضر الشاعر " كاف الخطاب " ، وهو من الضمائر التى لا تخلو حين تخاطب من حضور قوى ومبهج فى آن واحد ، بيد أن صفات : " الفرح / الابتسام / الابتهاج / الاحتفاظ " لم تتصل بضمير المخاطب اتصالا مباشرا ، وإنما كانت فى

جميعها مستقلة بذاتها.. لم تتعلق بالضمير ، وكان ضمير المخاطب " الكاف " متصلا بكلمات أخرى ، مما جعل هذه الصفات وقفا على الكلمة المتصلة بالضمير، فالابتسام: وقف على " ثغرك " ، " والابتهاج " جميعه " لعمرك " ، والاحتفاظ :" لسرك "، ومصيرى : " تحت أمرك " ، ولو كانت الكلمات الدالة على الفرح متصلة بضمير المخاطب لحرمت المتلقى من وضع المعادلة بين الابتسام والثغر ، والابتهاج والعمر، والاحتفاظ والسر.

وجاءت نغمته على " المجتث " وهو من الأوزان الهادئة " متفع لن فعلاتن " ، وتوحى نغمته بعدم التداخل كعناصر النص تماما ، التى لم تختلط ؛ فالترح ومستلزماته للمتكلم، والفرح ومقوماته للمخاطب .

ملامح فنية فى شعره:

أ- المعجمية:

إذا كانت اللغة -أى لغة- تحمل معجما لغويا؛ فإن اللغة العربية فى معجمها شديدة التشابك والترابط؛ بل إن اللغة أسرة واحدة يتصل بعضها ببعض، وهذا التشابك أحدث التمايز والتميز والخصوصية لها، وكان الاشتقاق ميدانا رحبا وفسيحا للحركة القولية.

ودراسة المعجم الشعرى عند أى شاعر يخضع -فيما يزعم الباحث- لعدة فرضيات بدونها لن تعطى الدراسة المعجمية نتائج كبيرة، لأنها ستظل إحصاء رقميا، وحتى الدراسات الإحصائية التى خضعت لقاسم مشترك كبير كدراسة الاسم، والفعل "ماضى. مضارع. أمر"، أو "مشتق. جامد"، أغفلت جوانب كبيرة، وليس فى وسع هذه الفرضية أن تعطى النتائج التى يرغبها النقاد.

ودراسة المعجم الشعرى عند "عبيد مدنى" قد تعطى نتائج لصالح الشعرية عنده، أو لضدها.

فمن الدراسة الإحصائية اتضح أن الجملة الاسمية تتصدر قائمة المعجم الشعرى، وأنها تفوق "الفعل والظرف والحرف مجتمعة"، بل إن الفعل فى زمنه ستسحبه الجملة الاسمية إذا كان ماضيا، أو مضارعا منفيا؛ لأنه فى حكم الحدث الذى استقر فعله أو انتهى حدثه، وظل تسجيلا لظاهرة؛ بيد أن الجملة الاسمية حين اقترنت بضمائر متعددة، وسبقت فى أحايين كثيرة بحروف العطف، أو أدوات الاستفهام،

حولها من كونها جملا خبرية تقريرية إلى جمل تحمل حركة "استفهامية. انكارية. تعجبية"، غير أن الجمل الاسمية لم تكن فى تراكيبها جملا مشاعة بين النثر والشعر، بل إنها تكونت من جملة شعرية بحكم ألفاظها، واحتفاظها باشتقاق يكثر فى الشعر؛ لاتصاله أيضا بتلك الأدوات التى تحركه، وتغير معناه، وتضفى عليه إيقاعية شعرية.

وكذلك أعطت الدراسة الاحصائية: أن الجملة الفعلية تفوقت على الاسمية فاتحة كل بيت، فمثلا: الجزء الأول من الديوان حوى (١١٦٢) اثنين وستين ومائة وألف بيت، كان منها ستمائة وخمسة عشر بيتا (٦١٥) مبدوءة بجملة فعلية، والجملة الاسمية المسبوقة بأفعال ناسخة -وهى كثيرة- ستكون فى جانب الجملة الفعلية، ولم تدخل فى الاحصاء؛ بل إن بعض النصوص بدأت كل أبياتها بجملة فعلية، وكانت هذه النصوص قصيرة "الأنصار" / أربعة أبيات ٥٣/٢، "متى"؟ ستة أبيات ٧١/٢، وستة أبيات أخرى ١١٤/٢).

والجزء الثانى أبياته ثلاثة عشر وأربعمائة وألف (١٤١٣)، كان نصيب الأبيات المبدوءة بجملة فعلية ثمانمائة وستة عشر (٨١٦)، ومن اللافت أن هناك قصيدة تبلغ ستة عشر بيتا كان منها خمسة عشر بيتا مبدوءة بجملة فعلية "نتيجة حب وأمل ٣٦/٢، ٣٧" وهناك نصوص أخرى قصيرة تصدرت أبياتها جملة فعلية ("أيها الأمل" ٦ أبيات ٤١/٢، "هنئوها" ٣ أبيات ٥٨/٢، "ارتباك نفسى" ٣ أبيات ٦٤/٢، "تبرج العجائز" ٣ أبيات ١٠٣/٢، ٣ أبيات ١٣٨/٢).

والجزء الثالث أبياته ثمانمائة وتسعة وتسعون (٨٩٩ بيتا)، كان منها خمسمائة وخمسة وأربعون (٥٤٥) بيتا بدأ بجملة فعلية.

وقد بلغت الأبيات المبدوءة بجملة فعلية "١٩٧٦ بيتا" من "٣٤٧٤ بيتا" بنسبة ٥٦،٨ ٪ تقريبا.

بيد أن هذه الأبيات ماتفتأ تنطلق من جملة فعلية إلا وتتحول فى حشوها أو أشطرها الثانية إلى الجملة الاسمية، ولذا فإن الجملة الاسمية ظلت مسيطرة على النص الشعرى فى عمومه.

وامتاز المعجم الشعرى عنده بتنوعه، واتساع قاعدة جذره، فكانت لغته ثرة وغنية، واستعماله للغة استعمال غنىٍّ لغةٍ لافقيرها.

ب- التكرار:

هناك ملحظ فى شعر "عبيد مدنى"، وهو تكرار كلمة بعينها أو كلمتين بداية لكل بيت، بتتابع أو تعاقب فى النص الشعرى، وهذه التكرارية التى تلحظ فى شعره، وفى نصوص متعددة بلغت عشرين نصا، ولم تقم الدراسة بإحصاء التكرارية مرتين متعاقبتين، أو متباعدتين؛ بل إننا نجد نصا كاملا يتكون من خمسة عشر بيتا، كان فاتحة كل بيت "ومن البلية" (١٦٨/١). فقد أرسل شعوره حين قال: "ومن البلية"، ولفظ التكرار -إذا أمعنا النظر- بدا مخيفا للنص، ومثقلا له، بيد أن الشاعر لم يستطع أن يتخلص من هذه التكرارية؛ لأن لديه قضية لم تنته بعد، فحين ظن أن المتلقى مازال يرغب فى الاستزاده، أخذ يكرر "ومن البلية"؛ لأن النص أوقفه على هذا المعنى، ولم يرغب فى التخلص منه، فالإصرار عليه بهذا التكرار قلل من ثقله، وحوّله من شبه جملة متكررة إلى "منتظرة"، وكأنها بوابة كل بيت أو حارسه، وماعداها سُخّر لها، وجاء ليحقق هذه اللزمة المتكررة، واستدعى هذا التكرار أحد عشر مصدرا مؤولا " أن يود. أن يسوس. أن يبسط. أن يغش. أن يبيع. أن يهيمن. أن يدير. أن يذل. أن يصيب. أن يموت. أن يكن".

ثم بعد أن خلص من المصادر المؤولة كرر كلمة "والبلايا" مرتين، ثم استعمل فى المرتين الأخيرتين "البيتين ١٤،١٥"، "أن من تجتاحه. أن من فى وسعه"، فجاء النص على بناء فنى يبدو فى ظاهره تكرارية تصل إلى حد النفور، بيد أن هذه التكرارية بقدر ماكانت حرية بالتنفير كانت حفية بالتذكير.

وفى نص آخر جاءت "من" ست مرات " ومن جرائر. ومن رغائب. ومن حثالة. ومن مهازل. ومن خفافيش. ومن مخارج" ٤٨/٢.

والتكرار عنده مابين "شبه جملة" -كما مر-، وجملة كـ: "وأسأله" من قصيدة بعنوان: "ياصريخ المكروبين"، حيث تكررت خمس مرات متتابعة فى قصيدة من تسعة أبيات (٥٩/١).

والاستفهام تكرر فى القصائد بأدوات مختلفة حينا بـ: "أين الأولى. أين الألى. أين الحدائق. أين القصور. أين (ابن عائشة). أين (القريض)" ٥٥/١، وحينا آخر بـ: "فهل ترى، وهل مشينا، وهل عرفنا، وهل قبسنا" ٣٨/٢، وفى نص آخر: "هل أنت. هل أنت. هل هن. هل بايزيد" ١٣١/٢ - ١٣٢، وثالثة تتكرر: "هل تذكرين (٣

مرات)" ١٠٥/٢. ومرة ثالثة بـ: " كم لنا، كم لنا، كم لنا" ٩٤/٢، ومرة بالجزم المنفي: "أولم يكن، أو لم تكن، أولم تحب، أولم يكن" ١٦٨/٢، ومرة أخرى "لمن هفت الجوانح" "ومن إن سار" ٤ مرات (٩٦/١)، "من راح. من كافح. من خاض" (١٢٩/١، "ومن لم ينل"، "ومن لم تقومه"، "ومن ظن بالأصحاب" (١٥٨/١).

وجاء أسلوب القصر "وما المجد إلا" في الأبيات (١١، ١٢، ١٣، ١٤) (١٠١/١)، ثم المبتدأ مسبوقا بـ: "كأن".. وهو نص يتكون من أربعة أبيات جاءت فيه "كأنها" ثلاث مرات (١٧٤/١).

ثم جاءت (إذا) متكررة ثلاث مرات في نص يتكون من ثمانية أبيات ٩٢/٢، و"لو كنت" تكررت (٤ مرات) في نص من ستة أبيات.

وتجنبت الدراسة تكرارية "رد الأعجاز على الصدور" أو تكرار كلمة في البيت مرتين، أو استعمال "الحقل الدلالي" (كلمة" ومعانيها باشتقاقات أخرى)، لأن الدراسة اتجهت للملامح التي تكون واضحة في النص الشعري، وخصيصة بارزة في شعره، قد تكون عند آخرين، بيد أنها تلفت إليها النظر، وتجعل القارئ يشعر بهذه التكرارية بداية في كل بيت.

ومن اللافت أيضا أن التكرار كثر على بحر الكامل، فجاء في عشرة نصوص شعرية، وكانت النصوص التي على بحر الكامل أكثر تكرارية من غيرها بداية لكل بيت، بل إن القصيدة الكاملة التي ابتدأت بـ:" ومن البلية"، هي من بحر الكامل، وهذا الوزن في نمطيته ساعد على تكرارية ألفاظ فيه.

ج-التضمين:

كانت وحدة البيت قضية محسومة عند "عبيد مدني"، فجاء بيت شعره يحمل معنى كاملا بذاته، لايحتاج إلى غيره، يعضد هذا الاتجاه أن الجزء الثالث من ديوانه وضعه على شقين "المثنيات"، "والآحاد"(٥٥)، ولذا فإن فكرة البيت عاشت معه، فالقصيدة التي تحمل رؤى وأفكارا متعددة، ولايفهم من ذلك أنه من أصحاب المقطعات لايبرحها؛ بل إنها صارت خصيصة تميز بها؛ إذ إن وحدة البيت عمل إبداعي لايطارده، ولايطرده إن قدم، فكان همه أن ينجز فكرته بأسلوب شعري سواء كانت في بيت أو مجموعة أبيات، لذا كانت شريحة من نصوصه يتعلق أبياته بالقادم منها، وليس بما سمعه لأنه لم يكتمل المعنى بعد، وهو ما يعرف عند علماء العروض بـ :

"التضمين" – وهى ميزة تجعل المتلقى يلاحق النص، ويطارد اكتمال الفكرة حتى يجدها بعد بيتين، أو ثلاثة، أو أربعة. –

وظل النقاد أمام هذه الظاهرة "التضمين" بين من يجعلها عيبا من عيوب القافية، ومن يجعلها عيبا من عيوب الشعر(٥٦)؛ هذا الحكم اتخذه هؤلاء النقاد لأن: "وحدة البيت" ظلت تسيطر على تفكيرهم، وكأنها ضربة لازب، والتضمين من أكبر خصومه "وحدة البيت".

فجاء التضمين عند "عبيد" فى القصائد التى تتعلق بموقف روحانى، يجعله مشدودا للقادم من القول، لاالمنجز منه، فاسمعه يقول(٥٧):

فزادنى شرفا منه فأوصلنى ... من جانبيَّ بقُرْبى سَيِّدَ الأممِ
قرابةٌ تزدرى بالنجم رفعتَها ... ويستقلُّ علاها نَيِّقَ القِمَمِ

وتجد أكثر من تضمين فى قصيدة واحدة مثل(٥٨):

فإن لغوتُ بشكوى أو لفظتُ بها ... من الزمان ومن لأوائه القُحَمِ
فتلك نزعةُ شيطانِ الشباب بَدَتْ ... كالحق لكنه فى جَوْرِ مهتضمِ

وقال فى قصيدة أخرى(٥٩):

فلو خَرَّ بدرُ الأفقِ فى زيِّ غادةٍ ... وفى جيدها عقدُ الثريا منظَّمُ
لأعرضتُ عنها وازدريتُ جمالَها ... ولم يصْبِنى وردُ الخدودِ المضرَّمِ

وقد وجد عند "عبيد مدنى" أن "التضمين" ضرب على وتر لم يكن منتشرا عند الشعراء القدامى؛ إذ جل التضمين عندهم أن يكون فى بيتين ومن بحر الوافر(٦٠)، وإذا كان فى أكثر من ذلك، فإن القصيدة قد تكتب بطريقة نثرية، إذ يكون الصدر متعلقا بالعجز، والعجز متعلقا بالبيت الذى يليه، وهكذا(٦١)، بيد أن عُبيد مدنى كان تضمينه على بحور أخر، هى البسيط والطويل، وكانت فى أكثر من بيتين، وهذا ما يجعل المتلقى أشد تعلقا بالقادم منها؛ لأنه لم يجد ضالته بعد.

ومن قصيدة: "ياطارق الحى" [٢/٤٨]، جاء بخمسة أبيات لا يستقل معنى أحدها بمعزل عن الآخر:

فإن رأيت جراحا فى جوانحنا ... أو إن رأيتَ دموعا فى مآقينا
أو إن بدا لك وَقْدٌ فى مضاجعنا ... أو لوعةٌ من مسيس الشجو تضوينا
أو إن سمعتَ شكايات مروعةً ... تكاد من شدة التبريحِ تُبْلينا

فليس ماكتشفت عيناك لو سمعت أنناك من عشقنا أو من تصابينا
لكنّما هي أنّاتٌ تفورُ بها صدورُنا فتناديها تراقينا

د- التدوير:

وموسيقى عبيد مدني واضحة في استعماله لكلمات يقف عندها الصدر مستقلا عن العجز، ولذا فإن التدوير عنده في البحور التامة لم يأت إلا ثلاث مرات في بحر الخفيف [مرة واحدة ٣٢/٢، وفي البسيط مرتين ٤٨/٢، ٣٨/٣] بيد أنه مع مجزوء الكامل بالذات اضطر أن يستعمل التدوير لأن الكامل في جريانه، وتكرار تفعيلاته يساعد على استقلالية الصدر عن العجز وزنا، أما مجزوءه: فإن التفعيلات الرباعية قد لاتسعف الشاعر أن يقف عند نهاية التفعيلة الثانية، فلذا تكرر التدوير في مجزوء الكامل في اثنى عشر نصا ثلاثا و ثلاثين مرة [٤٠/١، ١٢٦، ١٦٣، ١٧٩، ٦٣٢، ١٣٠، ١٤٢/٢، ٢٢٠، ٣٩/٣، ٥٧، ١٢٣، ١٢٥]

وفي إحدى القصائد جاء التدوير في تسعة أبيات (١٣٠/٢ - ١٣٢).

هـ- الموسيقى:

والشاعرية تمنع صاحبها عن البحث عن لفظة تحقق الوزن، وتظل اللغة الشعرية أيضا طوقا يحمي اللغة من توجهها للنثرية، فيكون هنا همّ الشاعر هو بناء النص الشعري واكتماله، وليس تعبئة قوالب البيت بكلمات تحقق الوزن، وتهمل الشعر، و"عبيد مدني" مع وضوح الشعرية عنده تمحور شعره حين بنائه في محورين:

الارتجال، والصنعة، وقد أفصح عن كثير من قصائده بأنه قالها ارتجالا(٦٢)، أما ماسكت عنها، فتؤخذ على أنه عدل فيها وبدل، يؤيد ذلك أن الديوان طبع بجميع تعليقاته وحواشيه(٦٣).

ومن اللافت للنظر أن القصائد التي أشار إليها ارتجالا كانت من بحر الكامل [٢٢٥/١، ٤٣/٢، ١٧٧، ١٧٩]، والطويل [١٣٧/٢]، والبسيط [١٢٢/٢]، وفي شبه ارتجال الرمل [١٥٢/٢]، وهذه النصوص ما بين أربعة أبيات وسبعة وعشرين بيتا، وقد قال في احداها: "وإن قدر الله لها الظهور فلابد من حذف بعض أبيات منها".

وقصائده جاءت على الأوزان الشعرية في قوالبها المعروفة، وفي قلة منها جاء على شكل دور من موشحه ١٣٦/١، ٧٨/٢.

ونفسه طويل إذ ضرب على البحور التامة، وقد تبين أن المجزوءات عنده توشحت بالتدوير، حتى يظل نَفَس الشاعر مستمرا -كما مر-، وجاءت بحور الشعر فى دواوينه الثلاثة مرتبة حسب الكثرة.

فقد نسج شعره على الكامل [٢٤٣ مرة]، والوافر [١٧٠ مرة]، والطويل [١٣٢ مرة]، والرمل [٤٥مرة]، والخفيف [٣٩ مرة]، والمجتث [١٥ مرة]، والرجز [٨ مرات]، ومرة فى كل من "الهزج"، "والمتدارك"، وكأنه بهذا قد تجنب السريع لقربه من الكامل والرجز.

وكانت دواوينه خلوا من بحر المديد أيضا.

ومن نتائج الدراسة الإحصائية أن الشاعر أهمل بحر المتقارب، وهو من البحور التى يكثر منها الشعراء لتكراريتها، وكان البحر الأوحد من البحور الخالصة التى لم يضرب عليها "عبيد مدنى" وتره. أما البحران "المضارع"، "والمقتضب"، فهما قليلا الاستعمال فى الشعر العربى عامة. "والمنسرح" بنغمته ذات الإيقاع المختلف عن المزاوجة أو المراوحة حرم نفسه من أن يكون فى شعر "عبيد مدنى".

و- القوافى:

ويميل إلى أن ينوع القوافى بدءا من "مثنياته" التى جعل كل بيتين منها على قافية، بيد أن "المثنيات" تلك أعطته مجالا رحبا ليقلل تنوع القوافى فى القصائد، فجاءت فى خمسة نصوص شعرية.

فى ثانيها [١٣٦/١]، ورابعها [٧٨/٢]، صاغهما على شكل دور موشحة.

وفى أولها [٤٠/١]، وخامسها [٦٩/٢ "مثنيات"].

وفى ثالثها [١٧٠/١] قصيدة رجزية يحمل كل بيت منها حرف روى مغاير لما سبق على عادة الرجاز النظامين.

وفى الخامسة "مثنيات" [٩٦/٢] أربعة، تمثل فى مجملها نصا شعريا "مع البلبل" ويتبين أن تنوع القوافى فى شعر "عبيد" كان قليلا، حيث عوض تلك الرغبة بأن أفرغها فى مثنياته وآحاده.

ولذا فإن قوافيه فى مجملها جاءته طائعة لاتنوء فيها ولاتكرار.

ز- الروى:

كثير من الشعراء لم ينظم إلا على عدد محدود من حروف الهجاء، قد لاتبلغ نصفها، فمحمد بن بشير الخارجى كان شعره على "عشرة حروف"(٦٤)، وزياد الأعجم "أربعة عشر حرفا"(٦٥)، والأقيشر الأسدى "خمسة عشر حرفا"(٦٦)، وأعشى قيس "ستة عشر حرفا"، و محمد على السنوسى "سبعة عشر حرفا"(٦٧)، وطرفة بن العبد "اثنين وعشرين حرفا"(٦٨)، "والبارودى على سبعة وعشرين حرفا"(٦٩).

وقد أرسل "عبيد مدنى" إيقاعه على "ثلاثة وعشرين حرفا"، وهذه الاختيارات للأسماء كانت اختيارات غير مقصودة، وإنما تنوعت من الجاهلية حتى العصر الحاضر، وتبين منها أن الشعراء مختلفون فى تناول الحروف حتى وإن اتفقوا فى العدد؛ لأن الحرف يخضع لحركته وموقفه من القافية، وهل سبقه ردف أو تأسيس؟، ولذا فإن الروى عند"عبيد مدنى" كان ثريا، بحيث جاء فى مرات كثيرة بحركاته المتعددة "الضم. الفتح. الكسر"، وفى أحايين كثيرة السكون عليه انتهاء، ثم مرة أخرى يطالعنا بوصل، وقبله مردوفا أو مؤسسا، وهذه أعطت حروف الروى -وإن اتحدت اسما- اختلافا فى مقاطعها الصوتية ووزنها الشعرى.

وقد جاءت بصور مختلفة منها مثلا:

البسيط ٤٦/١ (نِعَمِ)، الطويل ٧١/١ (مقامُ)، الوافر ٨٩/١ (القرومُ)، الكامل ٩٣/١/ (ننظِمُ)، الرمل ١٣١/١ /(الأُمَمُ)، الكامل ١٣٤/١ /(وطغامِ)، البسيط ١٣٨/١/ (الأُمَمِ)، البسيط ١٤٤/١ / (إعلاما)، الكامل ٤٣/٢ (بالإظلامِ)، الوافر ٥٢/٢ (الجحيمِ)، الطويل ٥٣/٢(عنهما)، مجزوء الكامل ٩٢/٢ (فأنظِمُ)، مجزوء الرمل ١٠٢/٢(ومدامى).

واختيار حرف الميم لم يكن مبنيا على الإحصاء الذى تم، وإنما لكونه من الحروف التى يكثر الشعراء من النظم عليها، وسيقابله أيضا اختيار حرف "الحاء" وهو من الحروف متوسطة الاستعمال، إن لم تكن قليلته، فعبيد مدنى استعمله على هذه الشاكلة: الوافر ١٥٢/١(قرائِحْ)، الكامل ١٦٥/١ (نجاحُ)، الخفيف ٥٧/٢(رائِحْ).

وهكذا يتبين أن حرف الروى بمجاورته وحركته يعطى بعدا وتنوعا، وهنا يبدو جليا المخزون اللغوى عند الشاعر والتعدد الموسيقى، بحيث يكون الحرف فى أوضاع مختلفة تطرد الملل والتكرارية.

الخاتمة:

قد يبدو للمتلقى أن الباحث قد اعتمد على الاختيار الذى يقوم أساسا على اصطفاء نصوص دون غيرها، ليست متكررة فى موضوعاتها، وتعطى نتائج خاصة بها.

والباحث حين اختار هذه النماذج أراد أن يعطى عينة؛ ومن حسنات العينة أنها تختصر المسافة، وتعطى النتائج المبتغاة من الدراسة الإحصائية الاستقصائية.

ويشفع لهذه الدراسة أنها ادَّعَتْ لنفسها أنها ستكون قراءة أولى، وأنها ستعتمد على الاختيار الرأسى والأفقى، فلذا ناقشت نماذج شعرية حققت البعدين: اللغوى والمعنوى فى النصوص، ولو قام الباحث بدراسة نصوص أخرى لأعمل فيها رؤيته التى لن تخرج عن تناول النماذج الواردة فى هذا البحث؛ ورؤيته هذه لم تكن مبيتة أو سابقة؛ بل فرضها النص نفسه، وللنص حياته ومفتاح شخصيته التى تبدو واضحة أمام الناقد؛ وهى ميزة الشعر الحقيقى الذى يُكَوِّنُ مع تكراره -غَرَضاً " كالغزل والرثاء والمدح"، أو اشتماله على قاموس لغوى واحد تشابه نصين فى اللغة الشعرية" -حياة خاصة به، وخصوصية ينفرد بها عن النصوص الأخرى، فملاحقة النصوص- على الاعتبارات السابقة- ضرب من تكرارية النموذج التحليلى، وليس النموذج الشعرى.

وحين احتاج البحث إلى الإحصاء أعمل الباحث ذلك فيما يتصل بالتكرار، والتضمين، والتدوير، والموسقة؛ لأن ذلك يعطى أبعادا للدراسة النقدية.

ووظيفة النموذج أن يعطى مفاتيح، ويساعد على قدرة الاستكشاف لمعالجة النص تفكيكا، وتشريحا، والنظر إليه أسلوبيا.

ويحسب الباحث أن أية قراءة أخرى لشعر "عبيد مدنى" ستتجه إلى جزئيات تجاوزها هذا البحث؛ ليس لعدم أهميتها؛ بل لأنها لم تدخل فى توجهه لهذه القراءة، فيكفى هذه الدراسة أنها قراءة أولى، لقطت الومضات الرئيسة، وأعطت نتائج خاصة لشعر "عبيد مدنى"، ثم مالت إلى الملامح الفنية عنده، ممهدة لنفسها بأن يكون شعره مفصحاً عن شخصيته، أو مايتمنى لنفسه أن تكون.

١- محاضرات النادى الأدبى - المجلد ١١/ ص (٤٨٠-٥٠٤) ١٤١٣/٣/١ هـ = ١٩٩٢/٨/٢٩ م.

٢- طبع هذا البحث بعنوان:" مرصاد الفلالى وإنجاز النقد المبكر" فى مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد الرابع عشر - الجزء الثالث / شوال ١٤١٥ هـ = مارس ١٩٩٥ م.

٣- أنظر ترجمته إضافة إلى مصادر حياته فى مقدمة ديوانه (١/١٣ - ٣٣)، ومنه مقتطفات على غلاف ديوانه "المدنيات"، ومجلة المنهل عدد رجب ١٣٨٦هـ = نوفمبر ١٩٦٦.

فقد ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٣٤هـ = ١٩١٦م، وله العديد من المؤلفات منها: تاريخ المدينة المنورة فى خمس مجلدات. توفى -رحمه الله- فى القاهرة صباح يوم السبت ١١ ذى القعدة ١٣٩٦ هـ، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة، ودفن فى بقيع الغرقد.

٤- المنهل: ربيع الأول ١٣٧٨هـ ص (١٧٦-١٧٧).

٥- مقدمة الديوان: ١/٢٠

٦- المنهل: نفس العدد ص (١٧٧).

٧- لم يخل الديوان فى أجزائه الثلاثة من اضطراب عروضى فى بعض الأبيات، والتعليقات أحيانا تستدرك ذلك، جاء بعضها من الطباعة، والآخر من النظم نفسه، يعضد ذلك ما يقوله الشاعر عند الارتجال أو التعليق على النص.

أنظر أمثلة لذلك:

١/٥٩ البيت الرابع

ماهو الحب الذى أضمر؟ أفهل للصلد قلب يعتمل

صدر البيت مضطرب وزنا، ويستقيم بزيادة (هاء) ليكون:

ماهو الحب الذى أضمره

٦٨/١

إن هذه البقاع عزت مكانا

ويستقيم الوزن بتحويل اسم الإشارة من الهاء إلى الياء ، ليكون الشطر:

إن هذه البقاع عزت مكانا

٨٤/١

صرع الرجال وغادروا أعراضهم يلجأن إلى الأغوار والأنجاد

العجز مضطرب لأن هناك تبديلا فى حرف الجر -على ماييدو-، ولو وضعت "فى" بدلا من "إلى" لاستقام الوزن:

يلجأن فى الأغوار والأنجاد

٤٣/٢

فى سوحك الأحداث وأى زحام

الشطرة تستقيم بحذف الواو، ليصبح:

فى سوحك الأحداث أى زحام

٤٧/٢

استدرك الشاعر الشطرة حين كتبها

منك مما يرى الأبناء

إذ قال : منك مما هنا يرى الأبناء

وعلى هذا يستقيم الوزن

٥٤/٢

عهدنا الماضى وفاء وملزما

ربما كان هناك سقط ليكون:

عهدنا على الماضى وفاء وملزما

٦٤/٢

الشطرة الأولى من البيت الثانى:

ترى العين شيئا وأشياء جمة

صدر البيت مضطرب ولعلها:

ترى العين أشياءً وأشياء جمة

٩٤/٢

الشطرة الأولى من البيت الثانى هكذا:

واستبدت بى لوعة جامحة

و"بى" زيادتها جعل الشطرة مضطربة، والوزن يستقيم بدونها:

واستبدت لوعة جامحة

٦٧/٣

وردت الشطرة:

وفيها معانى اللطف والإيناس

"الواو" زائدة هنا، ويستقيم الوزن:

فيها معانى اللطف والإيناس

٦٨/٣

على من تصدى فتزاحمت حواليه والتقت جواب مناها

هذا البيت مضطرب، إذ البيت الثانى له:

ومن بعث الآمال وهى سواكن تعهدها حتى تصيب رجاها

فهو من الطويل، والبيت الأول لايستقيم به وزن.

كما أن ضبط بعض الأبيات بالشكل أوقعها فى خلل وزنى

انظر مثلا ٤٢/١ فقد ضبط حرف الروى "الكاف" مرة بالفتح وأخرى بالكسر، مما أوقع النص فى الإقواء: (من عرلكِ. سولكَ. فى هدلكِ)، ولو بقيت بلا ضبط حركة لقرئت الكاف ساكنة.

وانظر مثلا لذلك(٥٥/١، ٧٩/١، ٩١/١، ١١٦/١، ١٨/٢، ٢٦/٢، ٢٧/٢، ٢٨/٢، ٤٠/٢، ٤٨/٢، ١٠٣/٢)، ومسألة ضبط الشكل وما يصحبها من هفوات لاتخفى على فطن.

٨- ديوانه: ١٣٤/٣.

* لم تتعرض مصادر حياته للكتابات التى كانت فى الصحف، فليس من هَمِّ البحث أن يتجه لدراسة حياته، وأخباره، وتتبع من تحدث عنه تقريظا، أو عرضا فى موضوع صحفى يناقش مسألة جاء الحديث عن الشاعر فيها لماما، أو توطئة، أو نتيجة؛ ولذا فباستطاعة أى دارس أن يتتبع الصحف التى أشار "عبيد مدنى" لها فى حياته تورد أشعاره (ضمها ديوانه)، أو مجلة المنهل حيث كانت تنشر "المثنيات" له فى أغلب أعدادها.

وانظر المنهل (ربيع الأول ١٣٦٨هـ)، مقالة لابراهيم الغزاوى بعنوان: أدباؤنا فى الجيل الماضى والحاضر (ص ١٠١)، وكذلك الصحف حين وفاته، وانظر كذلك مقالتين للدكتور عاصم حمدان سبق أن نشرها فى صحيفة، ثم ضمها فى كتابه: "المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ" ص (٧٥-٧٨).

٩- المنهل: عدد ربيع الأول ١٣٧٨هـ ص(١٧٢-١٨٣).

١٠- المنهل: السنة ٤٢، المجلد ٣٨، عدد شوال وذى القعدة ١٣٩٦هـ ص (٦٧٥-٦٨٠).

١١- المنهل: السنة ٤٣ مجلد ٣٨ عدد محرم. صفر ١٣٩٧هـ - يناير ١٩٧٧م ص (٨٥٩-٨٦١).

١٢- مجلة معهد المخطوطات: المجلد الثالث والعشرون/ الجزء الأول جمادى الأولى ١٣٩٧هـ مايو (آيار) ١٩٧٧م ص (١٣٦-١٣٧).

١٣- الجزء الثالث

١٤- ص ١٤٢

١٥- أنظر فصل [المحافظون].

١٦- السابق

١٧- بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين: (٥٥١/٢ - ٥٥٦)

١٨- الشعر الحديث: (ص ٩٦)

١٩- أعلام الحجاز: (ص٢٥٦ - ٢٧٣)

٢٠- ص ١٧٨

٢١- أنظر غلاف ديوانه، وبحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين (٧٢٣-٧٤٠)

٢٢- ديوانه: ١٠٢/٣

٢٣- ديوانه: ٦٥/٢

٢٤- ديوانه: ٢٦/٢

٢٥- ديوانه: ٦٥/٢

٢٦- ديوانه: ١٥/٢

٢٧- ديوانه: ٢٧/٢

٢٨- ديوانه: ٥٣/٢

٢٩- ديوانه: ٦٦/٢

٣٠- ديوانه: ٢٧/٣

٣١- ديوانه: ٢٨/٣

٣٢- ديوانه: ٢٩/٣

٣٣- ديوانه: ١١/٢

٣٤- ديوانه: ١١/٢

٣٥- ديوانه: ٥٥/٢

٣٦- ديوانه: ٢٢/٢

٣٧- ديوانه: ١١/٢

٣٨- ديوانه: ٥٥/٣

٣٩- ديوانه: ٢٩/٣

٤٠- ديوانه: ٥١/٣

٤١- ديوانه: ١٦/٢

٤٢- ديوانه: ١٦/٢

٤٣- أنظر هامش الديوان رقم "٣" ج ٥٩/١، أنظر البخاري باب الجهاد ٧٤،٧١ ومسند الإمام أحمد ١٤٠/٣، ١٤٩، ١٥٩

٤٤- في الشطرة (أضمر)، ولايستقيم الوزن إلا بـ: (الذى أضمره)

٤٥- ديوانه: ٦٠/١، والنص فى الديوان خمسون بيتا، والنموذج ناقش منه أربعة عشر بيتا.

٤٦- ديوانه: ٨٣/١

٤٧- ديوانه: ٢٦/٢

٤٨- ديوانه: ١٣/٢

٤٩- ديوانه: ١٢/٢

٥٠- ديوانه: ١٨/٢

٥١- ديوانه: ١٢٤/٣

٥٢- ديوانه: ١٢٢/٣

٥٣- ديوانه:١٢١/٣

٥٤- ديوانه: ٨١/٢

٥٥- الجزء الثالث من ديوانه أسماه: "المثنيات"، وهى تتكون من بيتين، ثم فى آخر الديوان أردفها بـ : "الآحاد"، وهى أبيات مفردة ليس لها ثان.

وكان مجموع المثنيات ٨٩٩ بيتا توزعت على الروحانيات(٧٤ بيتا)، حكم ونصائح (٣٣٣ بيتا)، وصور إجتماعية(١٤٢ بيتا)، وذاتيات (٢٥٠ بيتا)، وغزليات ٥٦ بيتا، ومتفرقات ٧٤ بيتا، أما الآحاد فكانت واحدا ومائة بيت (١٠١).

٥٦- أنظر بحث آراء على بن عثمان الإربلى فى القافية (ص٤٢).

٥٧- ديوانه: ٤٦/١

٥٨- ديوانه: ٤٧/١

٥٩- ديوانه:١١/٢

٦٠- أنظر مثلا: الكتب التى عنيت بالقافية، وانظر آراء على بن عثمان الإربلى "دراسة د.عبد المحسن القحطانى" ص ٤١-٤٦.

٦١- السابق ص ٤٢، وانظر قوافى الإربلى "قصيدة ابن المعتز" ورقة ٤٨ب /٤٩أ

٦٢- ديوانه: ٣٩/١، ٤٣/٢

٦٣- الديوان نقل كما هو فى المسودة، فجاءت بعض قصائده مذيلة بالتعديلات التى كان ينوى الشاعر أن يستبدلها لو قدر له أن يطبع الديوان.

٦٤- ديوانه: (لم يضع المحقق فهرسا للقوافى، وقام كاتب هذا البحث بإحصاء ذلك من واقع الديوان)

٦٥- ديوانه: الفهرس ص ١٦٤

٦٦- ديوانه: فهرس القوافى ص ١١٠

٦٧- الأعمال الشعرية (قام الباحث بتصفح القصائد)

٦٨- ديوانه: ١٩٩

٦٩- ديوانه: ٦٨١/١، ٨٢٨/٢

المراجع

* أبو بكر: عبد الرحيم: الشعر الحديث في الحجاز - دار المريخ / طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠.
* الإربلي: على بن عثمان، كتاب القوافي مخطوط صورته بجامعة الملك عبد العزيز برقم ١٥٨٢.
* الأسدي: الأقيشر: تحقيق د. خليل الدويهي -دار الكتاب العربي / بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
* الأعجم: زياد : تحقيق د. يوسف حسين بكار -دار المسيرة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
* البارودي: محمود سامي/ تحقيق على الجارم وآخر/ طبع الهيئة العامة للكتاب الطبعة الأولى (مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى) ١٩٩٢م
* الحامد: د.عبد الله: الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥- ١٣٩٥هـ). من منشورات نادى المدينة المنورة الأدبي- الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
* حمدان: د. عاصم حمدان: المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ - دار العلم للنشر/ جدة ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
* الخارجي: محمد بن بشير: تحقيق محمد خير البقاعي -دار قتيبة- الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
* الساسي: عبد السلام طاهر: الموسوعة الأدبية [دائرة معارف لأبرز أدباء المملكة العربية السعودية] ج٣/ مطبوعات نادى الطائف الأدبى ١٤٠٠هـ.
* الساسي: د. عمر الطيب: الموجز فى تاريخ الأدب العربى السعودى - مطبوعات تهامة الطبعة الأولى/ جدة ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
* السنوسي: محمد على، الأعمال الشعرية الكاملة - نادى جازان الأدبي- الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
* شيخ أمين : د. بكرى: الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية- دار صادر/ بيروت ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

• ابن العبد: طرفة: تحقيق د. رحاب خضر عكاوى- دار الفكر العربى/ بيروت- الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
• القحطانى: د.عبد المحسن فراج
أ- مرصاد الفلالى وإنجاز النقد المبكر- مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة/ العدد الرابع عشر/ الجزء الثالث- شوال ١٤١٥هـ = مارس ١٩٩٥م بحث من ص ٢٥٢ - ٣١١.
ب- حسين سرحان ولمحات نقدية - محاضرات النادى الأدبى- جدة (المجلد ١١) ص ٤٨٠-٥٠٤ - ١٩٩٢/١/١٣م
ج- آراء على بن عثمان الإربلى(٦٠٢ - ٦٧٠هـ) فى القافية /مجلة جامعة تشرين سوريا (١٩٩٢).
• مدنى: عبيد
أ- ديوانه ٣أجزاء. دار العلم للطباعة والنشر- المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
ب- "شعراء المدينة والشعر الملحمى" ٧٢٣- ٧٤٠، بحث ضمن بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين.
ج- دفاع عن اللغة العربية، مقالة بمجلة المنهل، عدد رجب ١٣٨٦هـ = نوفمبر ١٩٦٦م.
• مغربى: محمد على: أعلام الحجاز فى القرن الرابع للهجرة (١٣٠١-١٤٠٠هـ) جـ٢ - دار العلم للطباعة/ جدة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

المجلات:

• مجلة معهد المخطوطات العربية- المجلد الثالث والعشرون- الجزء الأول/ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ = مايو (آيار) ١٩٧٧م.
•مجلة المنهل: عدد ربيع الأول ١٣٦٨هـ.
• مجلة المنهل: عدد ربيع الأول ١٣٧٨هـ.
• مجلة المنهل: عدد رجب ١٣٨٦هـ = نوفمبر ١٩٦٦م.
• مجلة المنهل: عدد شوال، وذو القعدة ١٣٩٦هـ.
• مجلة المنهل: عدد محرم، وصفر ١٣٩٧هـ = يناير ١٩٧٧م.

الظروف الاجتماعية و الأدب التركى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين

د. رشيدة رحيم للصبروتى
مدرس بقسم اللغة العربية و اللغات الشرقية
جامعة الإسكندرية

لعبت الإصلاحات السياسية التى أجريت فى الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر دورا هاما فى تاريخ تركيا الحديث. وقد أدت هذه الإصلاحات إلى تطوير أجهزة الدولة المركزية وتطوير الجيش،كما أدت إلى القضاء على مراكز السلطة القديمة والإصلاح المالى والضريبى.[1] وتمت هذه الإصلاحات بمبادرة نخبة المفكرين الأحرار من الوزراء والبيروقراطيين الذين امتازوا ببعد النظر فى شئون الدولة الخارجية والداخلية. وكان هدفهم من هذا كله تعزيز نظام السلطة المركزية وإضعاف النزعة الانفصالية بين الأتراك أنفسهم وبين مختلف الشعوب غير التركية التى كانت تنزع إلى الاستقلال. وجدير بالذكر هنا أن هذه الإصلاحات قد تمت لمصلحة الدول العظمى، وعلى الرغم من هذا كان لها دور إيجابى فى إنعاش الحركة التجارية، وإنشاء السوق الداخلية، وتكوين طبقة التجار الجديدة التى بدأت تتطلع إلى الأسواق العالمية.

وكان تطور الرأسمالية فى الدولة العثمانية أساسا للتطورات فى المجال الأيديولوجى، وأخذ المثقفون الأتراك يقتبسون التيارات الفكرية الجديدة من الغرب، ويستخدمون الصحافة لنشر الأفكار والمبادئ المستقاة

---

[1] أحمد عبد الرحيم مصطفى : فى أصول التاريخ العثمانى، ص٢١٦ ، القاهرة ١٩٨٢

من الأدب الغربى، مثل مبدأ المساواة والتعليم والجمال والأخلاق، فبدأ دورهم يزداد فى المجتمع التركى يوما بعد يوم.وأصبحت الأفكار الجديدة تغير الأدب العثمانى القديم الذى كان محدودا فى الشكل والمضمون،كما كان فى خدمة الطبقة الحاكمة، و تحت تأثير الأدب الفارسى.[1] وقد أدى الاهتمام بالحياة الاجتماعية إلى ظهور الموضوعات الجديدة فى الأدب العثمانى. وترك الشعراء والكتاب الموضوعات التقليدية التى سادت أدب الشرق، والتى كانت بعيدة عن الحياة اليومية، واتجهوا إلى وصف حياة الإنسان البسيط وعالمه الداخلى.

أما تطلعات الكتاب الأتراك الموضوعية والفنية فتعود إلى اهتمامهم بأدب الغرب. وتجد الموضوعات التى ترجمت فى ذلك الوقت، تشهد طابعا جديدا لمثل طبقة مثقفى الأتراك العليا الذين ولعوا بأفكار روسو وموليير وزولا وهوجو وآخرين من كتاب وفلاسفة العصر البارزين. وهنا يجب أن نذكر كتاب فترة التنظيمات[2] الأوائل كضيا باشا وشناسى اللذين اشتركا فى تحويل اتجاه الأدب العثمانى، وتطوير لغته عن طريق ربطها بلغة الحياة اليومية، وإثرائها بأفكار ومفاهيم جديدة. وأكبر دليل على هذا مسرحية شناسى " زواج الشاعر" (شاعر اولنمسى") التى أصبحت أول مسرحية فى الأدب التركى، ومقالات ضيا باشا النقدية-الأدبية. ونجد التطور الجديد فى شعر عبد الحق حامد، ونامق كمال، ورجائى زاده أكرم، فهم من شعراء الأتراك الأوائل الذين بدأوا كسر الأوزان التقليدية الموروثة، واتجهوا إلى

---

١ Olçay Önertoy: Edebiyatımızda eleştiri. s.29-30, Ankara 1980

٢ فترة التنظيمات: فترة الإصلاحات السياسية فى الدولة العثمانية التى تميزت ب(تنظيم) شئون الدولة فى جميع المجالات.

استخدام الأوزان الأوربية،[1] وعملوا على إثراء الشعر التركى بوصف مشاعر الإنسان وخوالجه النفسية.

وهناك عمل ضخم بذله كتاب التنظيمات فى فن النثر. فلقد كان النثر القديم،مثل الشعر، مقيدا بالتقاليد، يصعب على القارئ البسيط فهمه. وإذا كان الشعر محكوما بالأوزان والقواعد التقليدية التى فرضت الاستعانة بكلمات معينة فى القصائد، ومنعت دخول التعبيرات المتكلفة والضخمة فيها، كما عسرت استخدام التعبيرات العربية والفارسية، فإن النثر كان خاليا من تلك القيود. ومن ثم فقد تحول النثر إلى وسيلة إظهار مهارات الكتاب الكلامية الذين أفرطوا فى استخدام الجمل الطويلة والمتكلفة، صعبة الفهم من كثرة الزخارف اللفظية والمجازات، كما تحول النثر إلى حلبة مسابقات فى معرفة "دقائق" الأسلوب العربى والفارسى. ويشير ضيا باشا فى مقالته "شعر وإنشاء" [2] إلى أن الكتاب الأتراك "محصورون بالقواعد ومقيدون بالأفكار والشخصيات الجامدة، فهم لا يستطيعون التقدم خطوة واحدة إلى الأمام." ومن ثم رأى ضيا باشا أن مثل هذه اللغة كانت غير صالحة لمواكبة العصر وتطلعاته.

ويعد نامق كمال من رواد النثر التركى الحديث الذى ترك مؤلفات فى المسرح والرواية والتاريخ،وهو صاحب أول رواية تاريخية "جزمى"(١٨٨٠) وأول مسرحية وطنية "وطن ياخود سلستراً"(١٨٧٣).

١Cevdet Perin: Tanzimat Edebiyatında Fransiz Tesiri. s.75, Istanbul 1941

٢Smirnov.V.D: Obraztsoviye proizvedeniya osmanskoy literaturi.SPb 1891,s.266

وفى هذه الفترة ظهرت مؤلفات أدبية تدور حول موضوع القرية، لكن معظم هذه المؤلفات تعكس اثنوغرافيا-الأتراك، أو تدور موضوعاتها حول المغامرات العاطفية. ونجد بعض الكتاب يدافعون فى مؤلفاتهم عن حرية المشاعر، وينادون بترك التقاليد القاسية وبصفة خاصة عقد الزواج قهرا. وهنا نذكر على سبيل المثال مسرحية نامق كمال "الطفل المسكين"("زواللى جوجق")، ورواية شمس الدين سامى "حب طلعت وفتنت"(تعشق طلعت و فتنت")، و مسرحية ابوضيا توفيق "القدر المحتوم"("أجلى قضاء")،لكن لم ترتق هذه المؤلفات إلى مستوى الأدب الغربى بسبب المغالاة فى الاستطرادات والزخارف اللفظية والمناجاة الذاتية، حيث انقسم أبطالها إلى أشرار وأخيار. ولم يرتق الأسلوب فيها إلى فن الرواية أوالمسرحية بالمفهوم المعاصر.

وقد لعب أحمد مدحت الذى ألف قصصا وروايات قريبة من ذوق الكاتب الفرنسى الشهير ألكسندر دوما، دورا يذكر فى تطوير فن النثر. وعلى الرغم من تدنى قيمتها الفنية إلا أنها امتازت بأسلوبها الديناميكى الشيق، وجذبت اهتمام جماهير القراء بلغتها البسيطة والمفهومة. ونستطيع أن نطلق على هذه الفترة "فترة التنوير" إذ أنها تميزت بنشر المعلومات والمعارف الأولية بين الأتراك فى التاريخ والطب والجغرافيا وعلوم أخرى. وقد لعب هذا كله دورا كبيرا فى نشر العلوم الحديثة التى تعتمد على العقل و الملاحظة و التجريب، وتحد من تعصب المجتمع للقديم الموروث.

وأدى تسخير الأدب لخدمة المجتمع إلى تغيير لغة الأدب التى تكونت بنسبة تسعين فى المائة من الألفاظ الفارسية والعربية. ومن هنا أطلق كتاب التنظيمات شعارا لهم وهو"نكتب مثلما نتكلم". وقد تميزت هذه

الفترة أيضا باهتمام الكتاب بالأدب الشعبى الموروث، ومن ثم بدأ الكتاب يدخلون فى مؤلفاتهم الأمثال والأساطير والأغانى الشعبية، وأخذت لغة المحادثة اليومية تظهر فى المسرحيات بظهور الشخصيات من سواد الشعب. لكن رغم هذه التغيرات كلها ظل الأدب العثمانى مقيدا بالتيار التقليدى، وكان استخدام الكتاب للغة المحادثة لا يتعرض للتهذيب والمعالجة الفنية مثلما نجدهما فى مؤلفات أحمد مدحت، أما الألفاظ الجديدة التىعبرت عن روح العصر، فكان يتم اشتقاقها من اللغة الفارسية والعربية. ونجد أسلوب ولغة الأدب العثمانى الموروث يظهران بوضوح فى معظم المؤلفات الشعرية والنثرية بغرض الاحترام لجمال الأدب العثمانى ومستواه الراقى، أضف إلى ذلك أن الكتاب والشعراء الذين نادوا بنقاء اللغة العثمانية، لم يتحرروا من عنصرية الدولة العثمانية العظمى. والدليل على هذا نجده فى مقالة نامق كمال التى نشرت فى جريدة "تصوير أفكار" فى عام ١٨٦٣، حيث يقول الكاتب: " لقد أخطأنا حين أخضعنا لغتنا وأدبنا لتأثيرات الشعوب الإسلامية الأخرى التى نمثلها نحن أيضا. وقد تجردت لغتنا التركية من دور قومى مشترك، لدرجة أنها لا تستطيع أن تجبر الشعوب التى ليست لها الأبجدية، مثل الألبان واللاز، على نسيان لغتهم القومية."

ونجد فى حركة أدباء التنظيمات السمات الإصلاحية التى وجهت نشاط ومصير العثمانيين الجدد (يكى عثمانليلر) الذين ظهروا على مسرح التاريخ العثمانى فى النصف الثانى من القرن العشرين. وكانت هذه الحركة تهدف إلى حصر صلاحيات السلطان المطلقة وإعلان النظام الدستورى فى الدولة العثمانية. إلا أن مطالب المنادين بالإصلاح كانت محدودة، فلم تتجاوز سوى المطالبة بإنهاء حكم السلطان المطلق والتأكيد على سيطرة

النظام العثمانى على شعوب غير تركية، ومن ثم فهم ابتعدوا عن الشعب التركى نفسه، كما أظهروا المعاداة لمصالح شعوب غير تركية، مما جعلهم يلجأون إلى أسلوب التآمر والانقلاب فى تحقيق أهدافهم، فلم يكتب لهم نجاح. وفى عام ١٨٧٨ انتهز السلطان عبد الحميد الأزمات السياسية والصعوبات التى كانت تواجهها الدولة العثمانية، لإنهاء الدستور وفض البرلمان. ومن هنا بدأت فى التاريخ العثمانى الفترة التى أطلقت عليها "فترة الاستبداد"، وهى الفترة نفسها التى بدأت فيها الإمبراطورية العثمانية بشعوبها العديدة والمختلفة تتحول إلى فريسة مطامع الدول العظمى.

وأصبحت تبعية الدولة العثمانية للدول العظمى أكبر عقبة فى سبيل تطورها. وقد لعبت إدارة الدين العام العثمانى التى كانت تحت إشراف مجلس الدائنين الأجانب، دورا كبيرا فى تدخل الدول الأوربية فى شئون الدولة العثمانية، إذ أصبحت تلك الإدارة تتحكم فى موارد الدولة الرئيسية، وفى تحصيل أهم الضرائب من بلاد لشعوب غير تركية.[١] وكان عدد الشركات والمؤسسات والبنوك الأجنبية يزداد فى الدولة العثمانية مع مرور الوقت. وتركزت فى أيدى الأجانب أهم خيوط حياة الدولة الاقتصادية كالتجارة الخارجية، والحركة المالية، والقروض، والمواصلات. وأصبحت سوق الدولة الداخلية تحت إشراف الشركات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ومن ثم أخذت الصناعة والتجارة التركية القومية فى التدهور المستمر. وقد نستطيع القول إن الشعب التركى فى نهاية القرن التاسع عشر كان قد شارك مصير معظم شعوب الشرق التى كانت تتمتع بالاستقلال السياسى شكليا، لكنها فى حقيقة الأمر قيدت بحبال التبعية الاقتصادية

---

[١] أحمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع نفسه، ص٢٥٧

والديبلوماسية. ونجد فى مذكرات الكاتب المعاصر خالد ضيا عددا كبيرا من الحقائق والمعلومات التى تصف الحياة السياسية والاقتصادية فى الدولة العثمانية. ونأخذ على سبيل المثال وصف الكاتب لحياة مدينة إزمير فى ذلك الوقت: " كان مظهر المدينة حينذاك مأساويا، حيث يحتشد فيها كل محصول سوق الأناضول الضخم على وجه التقريب، ويتجمهر القوم. وكان مئات الأجانب الذين وفدوا من كل أرجاء العالم،يمضون فيها ذهابا و إيابا، و يعلم الله وحده من أين وفدوا ، لكنهم أقاموا فى إزمير منذ وقت بعيد، وهم يحملون فى جيوبهم شهادات الجنسية المختلفة: فرنسية أو يونانية أوأرمنية وما إلى ذلك. وكانت المدينة تشبه الخلية حيث يطير النحل، فينقل، ويلتهم العسل، ويبدوأن العمل ليس له نهاية. ونادرا ما ترى متاجر تركية يتنافس أصحابها الأفندية فى تكريم الضيوف بالقهوة والشاى، ويبيعون نظير مبلغ ما التجارة القومية لأشخاص مشبوهين من جنسيات أخرى. وإذا لم يتصل مزارع الأناضول بالمصدرين الذين يمنحون له قروضا، فكان عليه أن يدفع ضريبة اسمها "عشر المحصول". أما إذا وقعت داره فى يد الملتزم فكان عليه أن يدفع لعماله قروشا، ثم يدفع الفوائد المتعددة نظير المال الذى اقترضه. وبعد سداد هذا كله كان عليه أن يسلم معظم محصوله للتجار السماسرة. وأصبح كل التجار الأتراك بلا استثناء يلعبون دور الوساطة بين المنتجين الأتراك والتجار الأجانب. وقد اكتظت السوق بالقمح والشعير والحمص والشوفان والفواكه. أما أولئك الذين لم يبق لهم صبر أو وقت أن ينتظروا أمام مخازن الأفندية فكانوا يحتشدون فى الشوارع أمام المتاجر، ويسرع إليهم التجار الأجانب للبيع والشراء. وكان وزن البضاعة وقيمتها يعتمدان على ضمير السماسرة. ويبدو أن نهر المحاصيل التى تصل إلى إزمير أغنى مدينة فى الأناضول، يقع فى ماسورة تصريف مياه

مليئة بالثقوب، فيتناقص فيها إلى أن يصبح فى حجم الخيط الذى يتكور بدوره فى جيوب الأجانب إلى بكرة ضخمة. وماذا يفعل بنك المزارعين الأتراك؟ قد ينشر الإعلانات عن بيع الأراضى التى امتلأت بها الجرائد المحلية، معلنا عن "نشاطه". أما الضحايا فى ميدان المعركة فكانوا التجار الأتراك،والمنتصرون هم الأجانب، والمشاهد هوالشعب التركى."[1]

وباءت كل محاولات الأتراك لنيل حقهم فى إنشاء المصانع وتعمير الثروات القومية بالفشل، إذ أنهم اصطدموا بالحواجز والعقبات من رجال السلطة، وتعرضوا للنهب الحقيقى من الموظفين المرتشين فى الدوائر المتعددة التى أشرفت على مثل هذه الأمور. ولم ينجح فى تركيا إلا هؤلاء الذين كانوا فى خدمة الأجانب، ولم تمنح أحسن الوظائف فى البنوك والشركات إلا لغير الأتراك. ويشكو خالد ضيا من حالة الأتراك فى السطور التالية: " كان معظم من يعمل فى المؤسسات ومن ضمنهم الحراس وعمال النظافة، من الأجانب، وكان على كل عشرين تركى أكثر من مائتين أجنبى يتقاضون مكافآت عالية، ويحتلون مناصب لا فائدة منها."[2] " أما التركى فكان موظفا صغيرا يتقاضى مكافأت ضئيلة، أوحرفيا يعمل بأسلوب تقليدى قديم، أوصاحبا لمتجر صغير يتوقف نشاطه مع مرور الوقت أمام المنافسين الأجانب، أوحمالا، أوقواربيا، أوتاجرا متجولا."[3]

---

[1] Halid Ziya: KIRK YIL .c2 {32} Istanbul 1936

[2] Halid Ziya: a.g.e.,c.7,s.103-104

[3] Halid Ziya: a.g.e.,c3 {32}

وكان نظام تركيا السياسى فى القرن التاسع عشر مماثلا للنظام الذى ساد فى القرون الوسطى، فلم تتجاوز التغيرات التى طرأت فى الدولة، تحويلها إلى مطامع الدول العظمى وتوظيفها لخدمة الأجانب. وأصبح النظام السياسى وسيلة للمحافظة على الإنتاج الذى يتم بطريقة بدائية، وكان هذا فى صالح الأرستقراطية الريفية التى ما زالت تتمتع بالنفوذ فى الدولة، وفى صالح الدول الإنتاجية العظمى التى حولت تركيا إلى ما يشبه المستعمرة. وقد أدى ذلك كله إلى تغيير القوانين التى بدأت تدافع عن حقوق وامتيازات الأجانب وملكيتهم،وإلى إحداث تغيرات فى الجيش وأجهزة الدولة المركزية تهدف إلى خدمة الأرستقراطية الريفية والأجانب. وأصبح تنظيم الجيش و الأجهزة البيروقراطية يتطلب الإحاطة بالمعارف فى العلوم والتقنية الحديثة.

ولم تهتم حكومة السلطان أثناء تزايد النفوذ الأجنبى بغير المحافظة على الحكم الذى تركز فى أيدى الحاشية ورؤوس الأرستقراطية الريفية. وكانت الميزانية التى تصرف على احتياجات القصر، بلا حدود.وقد سادت البيروقراطية ورواسب الماضى فى أجهزة الحكم الذى أخذ ينهار بالفساد والرشاوى. يقول خالد ضيا:" كانت الدولة كلها من الولايات إلى الأرياف مصابة بالسوس. وقد وجهت الحكومة كل موارد الدولة إلى أفواه القصر الشرهة . وامتلأ كل ركن من أركان الدولة بالجواسيس الذين أمطر عليهم رجال السلطة بسخاء أموال الدولة والمناصب والأوسمة. وكان هذا كله يتم فى الدولة المشئومة، حيث ذهب كل شىء إلى البطون النهمة، وتم تجنيد الحشم من الخونة واللصوص. وكانت الأوسمة الموشاة بالأحجار الكريمة تعلق على الصدور التى لم تحو شيئا سوى القذارة، كما كانت

المناصب توزع على السفلة الذين سقطوا فى هاوية الفساد. ويتراءى الشعب التركى المظلوم وراء كل هذه الرتب والمناصب."[1]

ومارس السلطان عبد الحميد سياسة تذويب الأقليات فى الدولة العثمانية، كما كانت حكومة السلطان تشعل نيران الصراع القومى، مما أدى إلى تحريض الأكراد ضد الأرمن، وحدوث المذابح حيث فقد كثير من الأرمن فيها أرواحهم. وكانت شعوب البلقان تتطلع إلى الاستقلال، فرفعت لواء الثورة ضد السلطان ونظامه. ثم انضم إليها عرب الشام، ويونانيو مقدونيا وكريت، وجورجيون فى لازستان. وأخذت الأوضاع الاقتصادية فى الدولة العثمانية تزداد تعقيدا يوما بعد يوم. ويصف خالد ضيا هذه الفترة قائلا:" كان التمرد يسود الجيش، وقد انهارت قوة الشعب وقدراته. وتناسى وزراء المالية كرامة الشعب وشرفه من أجل إطعام الجيش وصرف مرتبات الموظفين التى كانت تصرف مرة كل ثلاثة أشهر، وطرقوا أبواب الشركات الأجنبية التى اغتنت من موارد هذه الدولة. وأصبح تسولهم هذا موضع السخرية والاستهزاء فى الأوساط الأجنبية والصحف الأجنبية المعادية."[2]

وقد وجهت سياسة السلطان ضد الشعوب غير التركية وضد الشعب التركى نفسه، ولقيت تأييد الدول الأوربية الرأسمالية، كما اعتمدت على قوة الرجعية الداخلية. يقول خالد ضيا:" اليوم يصدر القصر أمرا بأن يلبس الوزير عمامة باسم الخليفة، ويسافر لتهدئة شيوخ اليمن، وفى اليوم التالى يتم إرسال الوزير نفسه فى الملابس الأوربية الفخمة إلى سالونيك

---

[1] H.Ziya: a.g.e.,c5 {101}

[2] H.Ziya: a.g.e.,c5 {101}

لتنفيذ أوامر الدول العظمى. وأثناء هذه الاستعراضات كانت الجيوش توجه إلى مناطق القلاقل، ويحاط القصر نفسه بالجيش في استانبول لحالة الطوارئ. وكان الجيش يتكون من الألبان والشركس والعرب والأكراد."[١]

ويسخر أحد الباحثين في التاريخ التركي الحديث قائلا إن السياسة الخارجية لعبد الحميد كانت في "غاية السماحة"، أما الداخلية ففي "غاية الظلم".[٢] وكلما اصطدم تطور الرأسمالية في الدولة العثمانية مع النظام الإقطاعي لجأ السلطان إلى سياسة العنف والإرهاب التي أصبحت وسيلة وحيدة لمد النظام المحتضر. وكان الانتقال من مدينة إلى أخرى دون إذن السلطات ممنوعا في الدولة، كما كان السفر إلى الخارج أمرا صعبا للغاية. وقد منعت السلطات اجتماع أكثر من أربعة أشخاص، وحتى للاحتفال بالزواج كان يجب أن تؤخذ موافقة الشرطة، وتقدم لها القائمة بأسماء الضيوف. يقول خالد ضيا:" وتحجرت شوارع العاصمة المظلمة من الخوف، وكان الانتقال من حي المدينة إلى الأخر يتطلب شجاعة كبرى."[٣] ويقول في مكان آخر:"جواسيس، جواسيس... كل الناس يخافون من بعض: الأب يخاف من ابنه،والزوج يخاف من زوجته.وكانت رؤوس المباحث معروفة في كل مكان، وبمجرد رؤية ظلالهم كان الناس يسرعون بالاختفاء في أي مكان."[٤]

---

[١] H.Ziya: a.g.e.

[٢] Ismail Habib: Tanzimattan beri edebiyat tarihi.c1,s234, Istanbul 1942

[٣] H.Ziya: a.g.e.,c5 {117}

[٤] H.Ziya: a.g.e.,c5 {121}

و قد كشفت سياسة عبد الحميد عن جوهرها بطريقتين: المحافظة على النظام الإقطاعي من ناحية، وتوفير حرية مطلقة للدول العظمى في فتح المدارس التبشيرية وإنشاء وكالتها السياسية في الدولة العثمانية من ناحية أخرى. وكان أسلوب الحياة اليومية في تركيا يتضافر بصفة غريبة مع الإنجازات الأخيرة لحضارة الغرب، كما كانت التقاليد الإسلامية الموروثة تتضافر مع الاستهانة بكل شيء تركي قومي.و بدأت "علية" القوم تظهر المعاداة للتراث القومي و اللغة التركية، وتتفنن في التقليد الأعمى لكل شيء أجنبي.

وتجمد نشاط الأدب والصحافة التركية ،كما قل عدد الصحف، وتغير مضمونها. فأصبحت تلك الصحف تنشر الأخبار عن صحة السلطان، وعن حالة المحاصيل الجيدة، وعن انتصارات الجيش التركي "الدائمة". و لم تصدر في مدينة إزمير سوى النشرة الدورية باللغة اليونانية والفرنسية، والمنشور الرسمي للولاية. وقد امتلأ سوق الكتاب التركي بمؤلفات متدنية الجودة، فكانت معظمها مترجمة من الأدب الفرنسي. ونالت تلك الكتب رواجا كبيرا في قصر السلطان وخاصة الروايات العاطفية و البوليسية.

و نجد في مذكرات خالد ضيا وصفا شيقا للبيئة الأدبية في استانبول:"تجد بجوار متاجر الجزارين و التجار الآخرين متاجر الأرمن للكتب، حيث يجلس الشبان و الشيوخ الأتراك في قمصانهم المتسخة وهم يعانون من الفراغ، لكنهم في النهاية يوفرون لأنفسهم النبيذ الليلي نظير تصحيح تجارب الأرمن في ترجمة الكتب. وكانت ترجمة الروايات في ذلك الوقت عملا تجاريا رابحا. لقد اكتظت رفوف المتاجر بروايات الإثارة

للكتاب مثل روشبورج و جابوريو ،أما ترجمة شمس الدين سامى لرواية الكاتب الفرنسى الشهير هوجو "البؤساء" فتركت جانبا بلا مشتر."[1]

و فى تلك الفترة تعالت أصوات ممثلى الأدب التركى القديم. يقول خالد ضيا:" كانت هذه الفترة هى فترة سيطرة الشاعر معلم ناجى الذى يشبه رمزا للقوة: فهو يمد يده إلى تقاليد السلف، و يحضن بالأخرى أوصاف المأكولات العربية والفارسية، أو كل ما زال وفيا لأيديولوجيا المدارس القديمة، ويتكأ بظهره على مطبعة صحيفة "ترجمان حقيقت". وعلى الرغم من أنه لم يرتق إلى مكانة نامق كمال و شهرته اتخذ موقف المعارضة للشعراء البارزين مثل عبد الحق حامد، و رجائى زاده أكرم ،[2] وكل من أيدهم من الشباب. كان يشوه سمعة بعض الناس و يحطم قواهم ، و يمنع فرصة تطور الآخرين. وكان معلم ناجى حينئذ إله الأدب، وإذا ألف قصيدة فى الغزل بدأت تنهمر فى الحال قصائد منسوجة على منوالها، يكتبها كل الناس حتى موظفو الدوائر."[3]

---

[1] H.Ziya: a.g.e.,c5 {132}

[2] الشاعر رجائى زاده أكرم: بدأ حياته الأدبية فى فترة نشاط حركة العثمانيين الجدد (يكى عثمانليلر)، وهو مؤلف لعديد من المقالات الأدبية النقدية، ولروايتين "محسن بك" و "عربه سوده سى"(الحب فى النزهة). تولى رئاسة حركة "ثروت فنون" الأدبية فى بداية نشاطها. سماته الأساسية فى إنتاجه الشعرى: رهافة الحس و الرومانسية، أما الحالة النفسية التى تسود فى قصائده، فهى الحزن. موضوعات مؤلفاته محدودة للغاية، له كثير من المرثيات التى كتبها لذوى القربى. تعرض لاضطهاد السلطات بسبب نشرمؤلفات نامق كمال وعبد الحق حامد فى المجموعة الأدبية تحت عنوان "تعليم ادبيات". نجد الناقد التركى إسماعيل حبيب يمنح لهذا الشاعر وصفا مميزا فى قوله:" كان مؤدبا و نقيا للغاية لكى يفوز بعطف و إحسان حكومة عبد الحميد، لكنه لم يكن خطيرا كى يتعرض للاضطهاد."(I.Habib: Tanzimattan beri edebiyat.,c1,s) {63

[3] H.Ziya: a.g.e.,c5 {132}

وقد أثار ظلم السلطان و سيطرة رأسمالية الأجانب فى الدولة العثمانية غضب الرأى العام. يقول خالد ضيا:" كان كل الناس حتى أولئك الذين استفادوا من مثل هذه الأوضاع،يعانون من فساد النظام و ضعف الدولة و عجزها أمام الأخطار المتعددة."[1] ولم يستطع القيام بالمعارضة الواعية إلا المثقفون الأتراك. وقد حددت الحركة الإصلاحية مدى معارضتهم التى أثرت قبل كل شىء فى نشاطهم السياسى ضد استبداد السلطان.

وفى عام ١٨٩٥ أنشأت مجموعة المثقفين الأتراك ومعظمهم من الضباط و الطلبة الذين مثلوا مصالح البورجوازية التركية و الإقطاعية الليبرالية، جمعية سرية "الاتحاد والترقى"التى اتخذت برنامجا لها و هو: إعادة الدستور، والمطالبة بزيادة الحقوق للأتراك. وقد تركز نشاط هذه الجمعية فى مدينة سالونيك، حيث قامت بإعداد الانقلاب الذى كان يهدف إلى نزع القيود على حقوق السلطان المطلقة. و اتحد العثمانيون الجدد فى بداية كفاحهم، من أجل حقوق الديموقراطية ضد القوى الرجعية، مع جمعيات ثورية يمثلها غير الأتراك، لكنهم حين أمسكوا بزمام الحكم سرعان ما قاموا بجميع الإجراءات للقضاء على حركة الجماهيرالعريضة، كما قاموا بفض صلاتهم مع كل القوى الثورية غير التركية.

وفى أثناء الركود الثقافى فى نهاية القرن التاسع عشر بدأ صوت الأدب التركى يعلو فى تهيب شديد. وعلى الرغم من استمراره فى تقاليد أدب التنظيمات إلا أنه بدأ فى اكتساب سمات جديدة نتيجة للظروف التاريخية المستجدة، ولتطور الرأسمالية القومية البطىء.وظهرت المعارضة

---

[1] H.Ziya: a.g.e.,c5 {100}

ضد نظام عبد الحميد فى شكلين رئيسيين: التآمر العسكرى والمحاولات الإرهابية لبعض الجمعيات من ناحية، والنقد الضعيف فى المجال الأيديولوجى، وخاصة فى الأدب، من ناحية أخرى. إلا أن غيبة العلاقات الوثيقة بين هذين الشكلين للمعارضة قد حدت من تعاظم حركة المعارضة ومد نطاقها. وإذا كان الكتاب البارزون فى فترة التنظيمات مثل شناسى ونامق كمال قد اشتركا فى عديد من المعارك السياسية، وتعرضا للاضطهاد من حكومة السلطان، فإن معظم الكتاب فى نهاية القرن التاسع عشر يتجنبون أى حركة سياسية. يقول خالد ضيا:" لم نعرف شيئا عن وجود مثل هذه الجمعيات، وهذا الحدث (أى محاولة اغتيال السلطان عبد الحميد) أكد لنا أنه يوجد فى الدولة أيد تحاول إنقاذها. أيدى من؟ كان الناس يعتقدون أنه يوجد تنظيم فى باريس."[1]

وظهرت فى مجلات استانبول و سالونيك قصائد الشعراء الجدد مثل توفيق فكرت و جناب شهاب الدين، وقصص الكاتب رجائى زاده، و المجموعة القصصية لسامى باشا زاده سزائى تحت عنوان "كوجوك شيلر"(أى "توافه الأمور") وروايته "سركذشت"(أى"المغامرة"). وفى الوقت نفسه بدأ فى مدينة إزمير إصدار جريدة "خدمت" التى أسسها الكاتب الشاب المبتدئ خالد ضيا مع المحامى توفيق نوزاد الذى توفى فيما بعد فى المنفى.

وبدأت مجموعة الشعراء والكتاب يتجمعون حول جريدة استانبول المعروفة باسم "ثروت فنون" (أى "ثروة العلوم") التى أسسها أحمد إحسان فى عام ١٨٩١، ثم انتقلت إلى توفيق فكرت فى عام ١٨٩٦. وقد اكتسب الأدب التركى من تلك الجريدة تسمية له تخص هذه الفترة. ولم تمثل

H.Ziya: a.g.e. {133}

مجموعة "ثروت فنون" مدرسة أدبية، ولم يكن عند كتابها برنامج مشترك أو مصادر محددة، ويبدو هذا من اختلاف الموضوعات والطرق الفنية وخاصة فى اللغة والأسلوب. وعلى الرغم من هذا عبر كتاب "ثروت فنون" عن كل ما يخص هذه الفترة من أفكار ومفاهيم المثقفين الأتراك واعتقاداتهم.

وقد اشتهر كتاب "ثروت فنون" فى تاريخ الأدب التركى بصفتهم الكتاب المتشائمين و بنظرتهم اليائسة إلى الأمور. وربما تقترب مؤلفاتهم من سمات الرومانسية الأوربية، لكن تشاؤم الكتاب الأتراك كان مصدره جذورا اجتماعية أخرى، كما أنه نشأ فى ظروف تاريخية مختلفة. كان هذا التشاؤم انعكاسا طبيعيا على الواقع السائد، إنه مأساة المثقفين الأتراك الذين بدأوا حياتهم فى سنوات الظلم و الاضطهاد. يقول سامى زاده باشا :"كان وطننا المسكين غارقا فى اليأس الذى شمل كل بيت."[1] و يقول خالد ضيا :"كنا منقبضين تحت السحابة السوداء التى تعلقت فوق العالم. لماذا العيش؟ ما يمكن أن يحدث؟ لماذا الأهداف؟ إن ملجأ السعادة الوحيد الذى نراه فى الآفاق، هو السماء الزرقاء و السلطنة الزرقاء والحلم."[2]

وكان جمهور القراء لدى كتاب "ثروت فنون" محدودا. ولم تتجاوز معظم مؤلفاتهم النثرية قصصا رومانسيَة مسلية. أما موضوعات قصائدهم فقد اقتصرت على وصف المشاعر والانفعالات التى يشوبها التكلف و المغالاة. لكن هناك كتابا أخرين عبروا عن حياة المجتمع الواقعية، وأظهروا صوت غضبهم للخافت والمحبوس الذى بدأ يزداد قوة

---

[1] Ali Canip: Türk edebiyat antolojisi.,s86

[2] H.Ziya: a.g.e., c5 {123}

يوما بعد يوم ضد الأوضاع السائدة. وقد انتقد هؤلاء الكتاب الظلم و الرجعية، و قدموا صورا من حياة سواد الشعب، وتركوا لنا مقالات فى شكل أدبى متميز حول الثقافة والأخلاق. ونجد الكاتب محمد رؤوف يصور مشاعر وميول كتاب "ثروت فنون" فى قوله:" كنا (كتاب "ثروت فنون") ألد أعداء سياسة السلطان، لكن أى شىء مكتوب ضده كان يعرض الكاتب للخطر الجسيم، لذلك لجأنا إلى الصمت.و قد امتدت كراهيتنا إلى العادات و التقاليد ومظاهر الحياة التى سادت فى الدولة بسبب هذه السياسة. وكان هدفنا الأكبر هو هدم هذه العادات و التقاليد. كنا نعشق الجمهورية التى وعدتنا بحقوق الحرية، ونكره النظام و الناس الذين ينتهكون هذه الحرية."[1]

وقد تناول كتاب "ثروت فنون" فى مؤلفاتهم قضية المرأة، وأدخلوا فى معالجة هذه القضية أشياء جديدة. وإذا قام كتاب التنظيمات بتصوير المرأة كمخلوق معذب ومسلوب الإرادة (جارية، أو ضحية استبداد الوالدين، أو ضحية نظام الحريم) نجد كتاب "ثروت فنون" يقدمون لأول مرة صورة المرأة بعالمها الداخلى.وفى حقيقة الأمر كان هؤلاء الكتاب يختارون النماذج من أوساط المثقفين، لكن أحيانا تبرز فى مؤلفاتهم نماذج من سواد الشعب. ولم يعد استبداد الأسرة يظهر فى صور رومانسية نمطية (عذاب العشاق الذين فرقوا بينهم، أو موت من السل الرئوى) بل بدأت تتبين أهوال مظاهر الحياة اليومية التى تعيشها المرأة.

و على الرغم من وجود الاختلاف الواضح بين كتاب "ثروت فنون" فقد تناول كل واحد منهم مظاهر الحياة اليومية، وعبر عن انتقاداته للواقع المر فى إطار موضوعات مختلفة. ونجد فى مؤلفات الكاتب

---

[1] Ali Canib: a.g.e., s209

الموهوب محمد رؤوف (١٨٧٤-١٩٣١) تغلب موضوع الحب، ومجموعة قصائده تحت عنوان "سياه اينجيلر" (أى "اللآلئ السوداء") نموذج واضح لتشاؤم الشاعر العميق الذى نحس من خلاله كيف قيدت ظروف زمانه أجنحته. وقد عالجت روايته "ايلول" (أى "سبتمبر") المأساة العاطفية للمرأة المتزوجة، كما اكتسبت هذه الرواية قيمة اجتماعية، حيث إنها قدمت عديدا من صور حياة الأسرة التركية، وتحدثت عن ضيق الأفق و ضيق العالم الداخلى للمثقفين الأتراك فى ذلك الوقت.

يجب أن نشير هنا أيضا إلى كاتب موهوب آخر وهو حسين رحمى (١٨٦٤-١٩٤٤) الذى قام بهجاء عنيف لكل مظاهر التفرنج فى المجتمع التركى، وعرض للسخرية اللاذعة التقليد الأبله لكل شىء أجنبى،مثلما نراه فى روايتين "شيك" و "المربية". وقد قدم الكاتب صورا من حياة فقراء استانبول، و أدان التقاليد الرجعية القاسية فى روايتين "المطلقة" و "عفت".

ونجد عاشق الحضارة الغربية خالد ضيا يلقى الأضواء على فساد "زبدة " المجتمع فى مدينة استانبول، وفى الوقت نفسه يقدم صورا من حياة الأسرة التركية و مثلها العليا. ويدخل الكاتب فى مؤلفاته شخصيات من الطبقات الدنيا مثل الخدم والحرفيين والفلاحين والموظفين الصغار، ويظهر صفاتهم الإنسانية الإيجابية، فهو يتعاطف مع مصيرهم المر، ويحاول أحيانا أن يكشف أسباب عذاب و فقر الناس البسطاء.

أما موضوع القرية التركية فنراه فى رواية "قره بيك" لنبى زاده ناظم الذى تأثر تأثيرا بالغا بكتاب فرنسا الطبيعيين، كما نرى هذا الموضوع فى قصيدة "نصيب" لرضا توفيق التى تحدثت عن مصير الفلاحين الشاق و استبداد الحكام. وقد بلغت قصائد الشاعر الموهوب توفيق فكرت (١٨٦٧-١٩١٥) ذروة و عمقا عند احتجاجه ضد النظام القائم، ومنها قصيدته

المعروفة "بر لحظة تأخر" التى كتبها الشاعر بمناسبة محاولة اغتيال السلطان عبد الحميد، وقصيدته "سيس" (أى "الضباب") حيث يشبه الشاعر نظام السلطان بالضباب الذى غطى الدولة ليمنع الناس من الرؤية الواضحة، بل من التنفس و الحياة. و له قصيدة "صباح اولورسه" (أى "إذا حان وقت الصباح") التى بشر فيها الشاعر بقدوم الثورة.

ويعد توفيق فكرت من أكثر شعراء زمانه إيمانا بالحرية و الديموقراطية. وقد عكس إنتاجه الأدبى عقل و روح المجتمع التركى فى نهاية القرن التاسع عشر. وكانت حياة ذلك الشاعر بأفكاره المتقدمة، إذا قيست بأفكار زمانه، فى غاية المأساة. لقد قاسى كثيرا من أجل وطنه، وكره الظلم و الرجعية. يقول خالد ضيا: "لم يخرج توفيق فكرت وراء حدود استانبول. و بعد أن أنهى دراسته وجد فروقا شاسعة بين الواقع و أحلامه. كان يمشى شبه مجنون أو سكران، لأنه لا يعلم كيف يستطيع العيش فى هذه الدولة و هو يحبس فى داخله الثروات الروحانية التى لا توجد فيها فرصة استخدامها. كان مصير كل ما يلمع و يشرق في هذا الشاعر أن يدفن إلى الأبد."[1]

ومن أشهر كتاب "ثروت فنون" الشاعر جناب شهاب الدين (١٨٧٠-١٩٣٤). وقد تميز هذا الشاعر بالنزعة العاطفية التى وجهت فى غالب الأحيان إلى موضوعات الحب، و وصف الطبيعة، و المشاعر الذاتية. ويجدر بالذكر هنا أيضا الشعراء مثل جلال ساهر(١٨٨٣-١٩٣٥)، وحسين سيرت، و حسين سعاد(١٨٦٧-١٩٤٢) الذين رغم اختلافهم الذاتى تناولوا نفس الموضوعات و وصفوا نفس المشاعر

---

[1] Ziya, o.g.e., c4 {100}

كالتشاؤم، و الحزن، و الخوالج النفسية التى تثيرها فى النفس الطبيعة والحب. أما الشعراء كسليمان نظيف(١٨٦٩-١٩٢٧) و فائق عالى(١٨٧٦-١٩٥٠) فقد استمروا على نهج مدرسة نامق كمال و عبد الحق حامد من حيث الشكل الأدبى.

وقد واصل شعراء "ثروت فنون" اتجاه السلف من شعراء التنظيمات إلى تجديد الشكل و القوافى فى الشعر التركى، وعملوا على إثراء الشعر بموضوعات إنسانية دافئة، وإظهار الحياة الواقعية. ونذكر على سبيل المثال قصيدة "خسته جوجق"(أى "الطفل المريض") لتوفيق فكرت التى تعد من القصائد الجديدة فى الشكل و المضمون، لأنها مكتوبة باللغة التركية النقية وتقترب من لغة النثر. وقد امتاز شعراء "ثروت فنون" بتقديم الصور الحية من الطبيعة التى تختلف تماما عن صور أدب الديوان التقليدية. وتأثر هؤلاء الشعراء بالتيارات الأدبية التى شاعت فى فرنسا فى ذلك الوقت مثل الرمزية و البرنسية،والتى جذبتهم بروح التشاؤم، والشك، والسعى وراء دنيا الجمال النقى و الفن النقى. ويعد انتشار فن المرثيات من مظاهر تأثر الشعراء الأتراك بالرومانسية الفرنسية.

واختلف أمر النثر فى نهاية القرن التاسع عشر، إذ بدأ يحتل مكان الصدارة فى الأدب التركى، بعد أن كان فن الشعر فنا سائدا حتى ذلك الحين. وتم توظيف النثر لخدمة المجتمع التركى و أهدافه، لأنه كان غير مقيد بتقاليد السلف التى سيطرت على الشعر، وكان يملك إمكانيات ضخمة من حيث التعبير عن موضوعات جديدة فى الحياة. لكن النثر التركى قد اصطدم فى بداية نشأته بتأثير الأدب الأوربى القوى و خاصة الأدب الفرنسى. وقام الكتاب الأتراك باقتباس الموضوعات و الأشكال و الأساليب الفنية المختلفة، لكن هذا الاقتباس لا يدوم طويلا، و يشكل خطرا جسيما

على تطور الأدب المستقل. وفى أحيان كثيرة انعكس التعلم الآلى والسطحى من آداب الغرب بصورة سلبية على النثر التركى الأصيل، ومن ثم وجدنا قصص كتاب "ثروت فنون" أقل عمقا فى المضمون من مؤلفات نامق كمال النثرية الساذجة و البسيطة من المنظور الفني. وعلى الرغم من هذا كله يجب أن نعترف بأن كتاب "ثروت فنون" بذلوا جهدا كبيرا فى تطوير فن النثر، حينما استطاعوا أن يتغلبوا على الضعف الفنى فى القصة والرواية، كالضعف فى البناء و المعالجة النفسية. كما استطاعوا أن يتجاوزوا النزعة التعليمية، والأوصاف الساذجة،والانجذاب إلى الرومانسية الفاخرة. لقد وضع كتاب "ثروت فنون" بداية حقيقية لفن الرواية التركية بالمفهوم الفنى المعاصر، وكذلك الأمر بالنسبة إلى فن القصة والقصة القصيرة بسماتها المحددة، و بنائها الفنى، والتوافق بين الوصف و المعالجة من ناحية والحدث و الشخصية من ناحية أخرى. ومن خصائص أدب "ثروت فنون" عدم وجود المسرحيات و المقالات الاجتماعية، إذ اقتصرت فنونه على فن القصة و الرواية.

وتشهد مقالة خالد ضيا تحت عنوان "حكايت" التى كتبها فى بداية نشاطه الأدبى، ونشرها فى إحدى صحف استانبول فى عام ١٨٨٩، عن تأثر كتاب "ثروت فنون" بأدباء الغرب البارزين، وعن نظرة خالد ضيا نفسه تجاه الأدب، حيث ناقش موضوع تفوق النثر على الشعر بإمكانياته الضخمة فى التعبير عن روح الإنسان و دوره فى الحياة، وعن حياة المجتمع بكل جوانبها. يقول الكاتب:" كيف لا أعبر عن استيائى حين أجد فن النثر الذى يتمتع باحترام وتقدير فى البلاد الأوربية، ويعد وسيلة مثلى للتعارف بين الناس، لا يستخدم عندنا إلا فى شكل الحواديت؟ كيف لا أعبر عن أسفى حين أجد ازدهار القصة و الرواية هناك، وبقاءهما هنا فى

المرحلة الجنينية؟ لا يوجد عندنا حتى الآن كاتب موهوب قد حاول أن يغير نثرنا، ولا مترجمون قد قاموا بترجمة أحلى القصص الأوربية، أو المؤلفات التى تعالج المشاعر الإنسانية. والمترجمون لدينا يترجمون أشياء مرفوضة فى الغرب، أو يترجمون قصصا-حواديت لا تحمل فى طياتها أية قيمة أدبية، لتسلية الناس حين يجتمعون حول المدفأة، أو قصصا عن السلف تخلو من الحقائق التاريخية، أو مغامرات ومجازفات من المجلات لإثارة دهشة القراء. لقد سئمنا من هذا كله! هل تظل الأساطير و المغامرات الساذجة التى انقرضت فى كل المكان، تعيش عندنا؟ وهل نظن دائما أن الأشياء مثل "امرأة ذات المخالب" أو "المرأة الباردة" تعد نثرا حقيقيا؟ وقد قام الأستاذ أحمد مدحت منذ خمس سنوات مضت بترجمة بعض المؤلفات الممتازة للكتاب المشهورين، وعرفنا لأول مرة بالنثر الغربى. لكن أين الأشياء التى ننتظرها فى المستقبل؟ إلى أى مدى تستمر ترجمة القصص من هذا النمط التى ينفر منها الكتاب الحقيقيون. لقد اضطر أن يعترف بهذا أحمد مدحت نفسه. ونحن فى انتظار أشياء جديدة من هذا الكاتب. وانتهى الوقت حين عرفنا لأول مرة روايات كسافى دى مونيتيين، وبيير زاكو، وبونسون دو تيرايل الذين بهرونا عندما كنا لا نملك شيئاً. ومضى الزمن على مؤلفات "حسين ملاح" و"باريسده بر تورك"(أى "تركى فى باريس") لأحمد مدحت، ولا يرضى القارئ الناضج والموضوعى الآن بالمؤلفات مثل "الطاحونة الحمراء" و"السر الهندى".

ونجد التجديد فى الفنون الأدبية واستخدام المناهج الفنية الجديدة قد تركا آثارهما فى أسلوب ولغة كتاب "ثروت فنون" الذين استمروا فى تطوير وتعميق العمل الذى بدأه كتاب التنظيمات، وطالبوا بتحرير الأدب التركى من التأثير الفارسى و العربى فى النحو و الأسلوب والمعاجم، وبإثراء لغة

الأدب بأفكار ومصطلحات جديدة، ولكنهم فى أداء هذه الرسالة لم يستفيدوا من ثراء لغة الشعب. وكان الإطار الموضوعى محدودا لديهم، كما كان التغنى بالطبيعة والحب، وتصوير المشاعر الذاتية بعيدة عن القضايا الاجتماعية. واستخدم هؤلاء الكتاب الأسلوب الخاص بعلية القوم، وأفرطوا فى الاهتمام بالمذهب الانطباعى فى الشعر، والطبيعى فى النثر اللذين يؤديان إلى عرقلة تطوير الأسلوب و لغة الأدب. وقد امتازت معظم مؤلفات كتاب "ثروت فنون" بالإطالة فى الأوصاف والتشبيهات، وإثقال الأسلوب بالرموز والصور المجازية صعبة الفهم. وكانت مفردات المصطلحات الجديدة فى مجال الاجتماع، والفلسفة، والأدب تقتبس من المصادر القديمة أى اللغة العربية والفارسية. ولم يلجأ معظم كتاب "ثروت فنون" إلى لغة الحديث الحية إلا فى وصف مشاهد الحياة اليومية. وكان الأسلوب القديم و اللغة القديمة يتغلبان فى وصف الطبيعة و المشاعر. ومن هنا نجد عند الكاتب نفسه وفى الكتاب نفسه تتضافر لغة الحديث البسيطة مع اللغة الصعبة، و مع النحو المعقد، والمغالاة، والتفنن فى التشبيهات. وعلى الرغم من أنصاف الحلول لقضية الأسلوب واللغة يجب أن نعترف بأن إثراء لغة الأدب بالمفاهيم الجديدة كان شيئا إيجابيا فى نشاط كتاب "ثروت فنون". و الفضل الأكبر الذى يعود إليهم، هو إنشاء النحو والصرف التركى فى الأدب، ما لم يفعله الكتاب السابقون. ونجد فى مؤلفاتهم كل الأزمنة وقواعد النحو والصرف المستخدمة فى الأدب التركى المعاصر على نحو التقريب، مما جعلها تتميز بشدة عن الأدب القديم الذى استخدم الأفعال و الأزمنة المختلفة استخداما محدودا، واستعمل التعبيرات الجامدة.

وكان نشاط كتاب "ثروت فنون" يمر فى ظروف صعبة، إذ أنهم تعرضوا لقسوة رقابة عبد الحميد، والمعارضة العنيفة من قبل ممثلى

الأدب القديم الذين رفضوا أقل التجديدات فى الشعر و النثر، وأى تغيير فى قواعد الأدب العثمانى القديم الذى تتلمذ قرونا طويلة على تقاليد الأدب العربى و الفارسى. وقد قام ضد كتاب "ثروت فنون" الصحف مثل "معلومات" و"اقدام" و"ترجمان حقيقت" و"خزينه فنون". وكان ممثلو الأدب القديم يعارضون كل شيء جديد بحجة الدفاع عن بلاد الشرق من التأثير الغربي. يقول خالد ضيا:"نشأ هؤلاء الشعراء (شعراء المدرسة القديمة) فى جو الأدب القديم، وتشربوا منه حتى عظامهم. وكانوا متعصبين فى ارتباطهم بتقاليد السلف، ومقلدين لأسلوب معلم ناجى، وشيخ وصفى، وفائق أسد وآخرين. ولم يسمحوا بأى تجديد إلا فى حدود توجيهات معلم ناجى. كان التحول من الشرق بالنسبة لهم جريمة آثمة."[١]

لا شك أن المعارضة كانت أساسا موجهة ضد تأثير الغرب، وقامت فى شكل إدانة كتاب "ثروت فنون" واتهامهم "بالخيانة الوطنية"، و"الخيانة القومية"، و"الانحطاط الفنى". وكانت تلك المعارضة تساعد السلطان فى القضاء على الأفكار والمفاهيم الجديدة التى تسربت من أوربا، و بدأت تنتشر فى تركيا.يقول خالد ضيا:" كانت الحكومة تخاف من المدارس، فتقيم عليها رقابة مشددة. ولم يستطع رجال السلطة القضاء على المعاهد العسكرية والبحرية والطبية، لأنها كانت ضرورية فى الجهاز الحكومى،لكن أى فرصة لتسرب الأفكار التقدمية كانت توقف هناك فى الحال.لقد غطت شبكة التجسس كل هذه المؤسسات. وكانت مظاهر الاستبداد قوية، و خاصة فى المدارس. ولم يذكر فى كتب التاريخ شيء

---

١ H.Ziya: a.g.e., c1 (102)

عن الثورة الفرنسية، بل عن أى ثورة على الإطلاق.وفى مثل هذه الظروف كان ينشأ الشباب، وكأنهم فى السجن وراء الأسوار السود."[1]

واستخدم كتاب "ثروت فنون" فى كفاحهم ضد أيديولوجيا القرون الوسطى الأفكار التقدمية المستقاة من الغرب. وكانوا ينتقدون التعصب و الركود والجهل المتفشى فى المجتمع التركى، لكنهم ولعوا بحضارة الغرب، وهم أنفسهم يعترفون بهذا. ونأخذ على سبيل المثال اعترافات خالد ضيا:" وفى ذلك الوقت أدان المعارضون تقليدنا للأوربيين، وكأنه يجب على الأمة التركية أن تكون مرتبطة إلى الأبد بالأمة العربية و الفارسية. وحتى الشعر الذى ظل أسيرا فى الشرق، ولقى مجالا واسعا فى الغرب، أسموه بالخيانة."[2]

وكان المحافظون على القديم يبحثون عن نقاط الضعف عند كتاب "ثروت فنون"، فاتهموهم بالارتداد عن الدين والقوانين الأدبية، وعن كل شىء قومى أصيل، كما أدانوهم فى التفرنج و الانحطاط الفنى. ولا شك أن المفهوم القومى لدى المحافظين لم يكن بالمفهوم التركى، بل كان بالمفهوم الإسلامى المقدس فى الدين. وحينما كان المحافظون يسخرون من أدب "ثروت فنون"، لم تقتصر انتقاداتهم على نقاط الضعف مثل التفنن، و المغالاة فى التعبير، والميل إلى كثرة البكاء و ما إلى ذلك، بل امتدت إلى الأشياء الإيجابية مثل الأفكار و المفاهيم الجديدة، والموضوعات الجديدة، و الشكل الفنى، والشخصيات. يقول خالد ضيا:" هم (المحافظون) يهدمون كل شىء جديد، ولا يهمهم إذا كان هذا الجديد قد ساهم بشىء مفيد فى عالم

---

[1] H.Ziya: a.g.e., c4 {117}

[2] H.Ziya: a.g.e., c3 {103}

الفكر ودنيا المشاعر. وهم لا يفكرون لحظة: ألم يؤثر هذا الجديد فى توسيع الآفاق، ألم يأت بالنظرة الجديدة إلى الحياة و الناس؟"[1]

وكان المحافظون فى انتقاداتهم لولوع كتاب "ثروت فنون" بالغرب، يعارضون قبل كل شيء اهتمامهم بمؤلفات كتاب الغرب التقدميين. ونأخذ على سبيل المثال أحمد مدحت الذى نشأ فى فترة نشاط العثمانيين الجدد، واشترك فى حركة "التنوير"، قد انضم فيما بعد إلى المحافظين، وعارض بشدة تفرنج الأدب التركى. ونجد فى مذكرات معاصري أحمد مدحت أنه أدان كتاب "ثروت فنون" فى "المادية"، واهتمامهم البالغ بالكاتب الفرنسى زولا الذى ألف روايات(وفق رأيه) تخلو من النماذج الإيجابية، والذى"أظهر الأمة الفرنسية فى مجموعات تعانى من الفقر، ومجموعات تغوص فى الثراء والفساد. وهذا أمر مبالغ فيه، ويؤدى إلى تشويه حياة الشعب الفرنسى."[2]

وكانت رقابة السلطان بمثابة الكرباج الذى ترك آثاره على نشاط كتاب "ثروت فنون"،وعلى الشكل الفنى، وموضوعات مؤلفاتهم. ويكفى أن نقرأ قانون الرقابة فى ذلك الوقت لنفهم صعوبة الأوضاع التى كانت تعانى منها حركة النشر. وقد عملت الرقابة على تقليل عدد الكتب المنشورة فى الدولة إلى الحد الأدنى. وكانت الرقابة تضطهد و تشوه بلا رحمة القلة الباقية من الكتب المنشورة. يقول حسين رحمى:" كان تأليف الكتب فى ذلك الوقت جريمة. وكان الكاتب مكروها ومرفوضا فى كل مكان...وكلمة واحدة حرة فى المؤلف سببت هلاك الأسر."[3]

---

[1] H.Ziya: a.g.e., c4 {102}

[2] حسين رحمى: مقدمة إلى رواية "عفت" استانبول ١٨٩٦

[3] حسين رحمى: المرجع نفسه

وكانت الرقابة تحذف سطورا من القصائد، وتشطب بعض الفصول أو الأجزاء من القصص و الروايات إذا شكت فيها. وكانت أفكار المؤلفين تشوه بإدخال سطور بلا معنى. كما كانت هناك قائمة للألفاظ الممنوع استخدامها، التى كبرت مع مرور الوقت إلى حجم غير مسبوق. ولم تحذف الألفاظ التى تلمح إلى مظهر أو أسلوب حياة السلطان فحسب ، بل كان موظفو الرقابة يشطبون كل ما وجدوه إشارة إليهم. وكانت هناك الرقابة على علامات الترقيم، حيث كان ممنوعا استخدام ثلاث نقط. وقد ترك اضطهاد الرقابة آثاره على الأساليب الفنية عند الكتاب،مما جعلهم يلجأون إلى المجاز والرموز، إذا أرادوا التعبير عن أفكارهم فى القضايا الاجتماعية، و من ثم اضطروا أن يعبروا عن أفكارهم فى الشكل التجريدى.

ويكتب خالد ضيا فى مذكراته بتاريخ نوفمبر عام ١٨٩٩ السطور التالية:" لم تتعرض روايتا "عشق ممنوع" و"مائى وسياه"("الأزرق و الأسود") للتغيير الملحوظ فى الرقابة. وكان كل منهما عملا أساسه الاختراع و الخيال. وقد استعنت بهما لإخفاء فواجع الحياة،لكنى فى النهاية قررت أن أصور هذه الفواجع بشكل صريح فى رواية "قيريق حياتلر"(أى"المحطمون فى الحياة"). وفى حقيقة الأمر بذلت قصارى جهدى لأقلل عمل موظفى الرقابة، لكن مضت ستة أشهر و أنا فى صراع مع القلم الأحمر، فأصبحت الرواية ممزقة. ليتنى تمتعت بوصف تلك الحياة التى تجرى أمامى، الحياة التى امتلأت بالفواجع و الفساد، أصفها كما أحسها، بلا زخارف و لا رموز." و فى مذكراته بتاريخ ٦ديسمبر عام ١٨٩٩ نجد السطور التالية:" صدر القرار بمنع كتابة الأشعار، وبمنع النشر حتى مصراع من الشعر... إذن أصبحنا مضطرين أن نتوقف عن الكتابة، وهو

العمل الوحيد الذى يمنح الحياة قيمة. ويجب أن نترك وصية لأولادنا، وننهى الحياة، لأن كتابة أى شىء ممنوع."[1]

وقد اشتد الاضطهاد الموجه ضد النشاط الأدبى فى فترة القضاء على لجنة "الاتحاد والترقى" باستانبول فى عام ١٨٩٩، حين كانت تجرى محاكمة أعضاء هذه اللجنة، ومطاردة أعضاء اللجان الأخرى. وتوقفت حركة العثمانيين الجدد حتى عام ١٩٠٥. وأغلقت جريدة "ثروت فنون" فى عام ١٩٠١، وتفرق كتابها. وتوقفت حياة الأدب الاجتماعى تماما حتى قيام الثورة فى عام ١٩٠٨، حيث ظهر التيار الأدبى الجديد المعروف باسم "فجر آتى"، فبدأت معه الفترة الجديدة فى تاريخ الأدب التركى.

ويجب أن نتوقف قليلا عند انعكاس القضية القومية على الأدب التركى، تلك القضية التى اتخذت أشكالا حادة بالنسبة لتركيا فى تلك الفترة.كان الأتراك فى نهاية القرن التاسع عشر شعبا مطحونا، إذ سلبت الدول العظمى وعملاؤها المجندون حقوقه المشروعة. كما كانت تركيا فى ذلك الوقت امبراطورية، حيث تعرضت الشعوب غير التركية بحضاراتها المختلفة للظلم و الاضطهاد وسياسة التذويب من نظام السلطان. وهذه الخصائص للدولة العثمانية، أى حينما كان الأتراك شعباً حاكما و مظلوما فى الوقت نفسه، قد أدت إلى التعقيد التام لحل القضية القومية التركية التى ارتبطت ارتباطا وثيقا بقضية القوميات الأخرى فى الإمبراطورية العثمانية. وكان المثقفون الأتراك يحاولون حل تلك القضية مع المحافظة على سيادة الأتراك على القوميات الأخرى. لكن التاريخ أثبت أنه من المستحيل على الشعب الذى يضطهد شعوبا أخرى، أن يصبح حرا. وقد أشار كتاب

---

[1] هذه المذكرات يكتبها خالد ضيا فى مقدمة رواية "فيريق حياتلر"

التنظيمات ثم كتاب "ثروت فنون" إلى عجز الأتراك عن حل القضية القومية.وعلى الرغم من هذا شارك هؤلاء الكتاب مشاركة فعالة فى تكوين الوعى القومى، والدليل على هذا مضمون مؤلفاتهم. ونجد نقد الأوضاع الاجتماعية والانقياد للثقافات الأجنبية يشهد بسعى الكتاب الأتراك إلى تأكيد الثقافة القومية. كما يشهد اتجاه الكتاب إلى الموضوعات الاجتماعية، وتصويرهم لحياة سواد الشعب، واهتمامهم بالتراث الشعبى والمواد الاثنوغرافية بنمو الوعى القومى لديهم. ويتضح اشتراك الكتاب فى تكوين الوعى القومى أيضا فى تبسيط وتنقية لغة الأدب، وتقريبها من لغة المحادثة اليومية، وإثرائها بالمصطلحات والمفاهيم الجديدة التى أتى بها تطور العلاقات التجارية و الثقافية فى البلاد. وفى الوقت نفسه نجد ظاهرة التقليد الأعمى لآداب الغرب تشير إلى ابتعاد بعض الكتاب عن الجذور الشعبية، وضعف الوعى القومى لديهم.

أما قضية الشعوب الأخرى فى الامبراطورية العثمانية التى اتصلت بقضية القومية التركية، فلم نجد فى الأدب التركى انعكاسا ملحوظا لها. لقد تجنب الكتاب الأتراك هذا الموضوع فى مؤلفاتهم، باستثناء الكاتب شمس الدين سامى الذى تناول حياة الفلاحين الألبان فى مسرحيته "بسا ياخود عهده وفا"(أى "وفاء للعهد"). ونود أن نشير هنا أيضا إلى انعدام معالجة المشاعر الوطنية تجاه الدولة العثمانية لدى كتاب "ثروت فنون"، فلا نجد عندهم التعصب، أو النعرة القومية التى تميز بها الأتراك كشعب حاكم.

وكما ذكرنا من قبل لقد تعرض كتاب "ثروت فنون" لنقد المعارضين من أنصار الاتجاه المحافظ القديم. ونجد النقاد الأتراك المعاصرين يوجهون لهم نفس الاتهامات بسبب خلطهم بين مفهوم التركى القومى والتميز القومى. وإذا أخذنا على سبيل المثال قصتى خالد ضيا

"برافو مايسترو" و"مسيو كنغر"، حيث الأبطال ليسوا من الأتراك، و يتعاطف الكاتب مع مصيرهم، وجدنا النقاد المعاصرين يضعون هاتين القصتين مع قصص غير قومية أو شعبية فى الروح والمضمون، لأنهما تخلوان من وصف "التركى القومى". ويشكو خالد ضيا من أن المفهوم القومى لدى النقاد يحمل صفة تعصبية، فيقول:" أصبح الكاتب يتعرض للإدانة إذا لم تكن البيئة و الأبطال فى مؤلفاته تركية."[1] ويرد الكاتب على الاتهامات حول قصة "برافو مايسترو" قائلا:" صورت شخصية أحد من أحب المدرسين... وكل ما كتبته شيء إنسانى، وهل لا يكفى هذا للكاتب؟"

أما موقف كتاب "ثروت فنون" من الحروب التى خاضتها الدولة العثمانية، فنجده كالآتى: أنهم لم يروا شيئا إيجابيا فى انتصارات السلطان، إذ أن الحروب، وفق آرائهم، تؤدى إلى تخريب البلاد. ويدين خالد ضيا فى قصيدته "مزاردن سسلر"(أى "الأصوات من القبور") الحضارة التى لا تستطيع حتى الآن القضاء على الحروب بين الناس. و فى روايته "بر اولينك دفترى"(أى "مذكرات الميت") حيث تدور الأحداث حول الحرب، نلاحظ عدم وجودالمشاعر الحربية الوطنية فيها. ويذهب بطل الرواية إلى ميدان المعركة للأسباب الذاتية البحتة، وعندما عرف المحيطون به أنه تطوع فى ذهابه إلى الحرب، أبدوا دهشتهم الشديدة. أما هزائم السلطان فى الحروب فقد عبر عنها خالد ضيا و كتاب آخرون بأنها خطر جسيم على حياة الدولة والأمة التركية، لأنها كانت مرتبطة لديهم بالحفاظ على الدولة العثمانية.

---

[1] Hikmet Feridun: Bugün de diyorlarki. Istanbul 1932

مجلس الصحابة خلال العصر العباسى الأول

الدكتور سليمان الرحيلى

أستاذ التاريخ المشارك بجامعة الامام بالرياض

مجلس الصحابة خلال العصر العبّاسى الأول

ملخص البحث

يعد مجلس الصحابة احدي المؤسسات السياسية المهمة خلال العصر العباسي الاول ، واحدي صور الشوري التى عرفت فيه ، واستعان بها خلفاؤه .

ويتناول هذا البحث ظهوره ، وصفات اعضائه ، وعددهم ، وأوقات اجتماعه ، وآدابه ، والقضايات التى تناقش فيه . وما طرأ عليه من تغيير ، وما ينبغى ان يكون عليه ، والدعوة الى وجود فروع له فى الاقاليم وتعليل ذلك .

البحث :

تعد الشورى احدى دعائم الحكم المهمة فى الاسلام، وركيزة أساسية فى صلاحه واستمرار نجاحه فى الداخل والخارج فى مختلف المجالات[١]. وقد امر الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم بصريح النص (وشاورهم فى الأمر) [٢]. مع انه اكمل الخلق فيكون غيره بها الزم والتكليف أوجب، لتحرى فعل الصواب والبحث عن مظانه. ومن ثم امتدح رأى الجماعة واثنى عليهم باتباع الشورى [٣](وأمرهم شورى) [٤]. وذم الاستبداد بالرأى واتباع الهوى (افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله) [٥].

وقد شاور عليه السلام أصحابه فرادى ومجتمعين فى أمور عدة قبل اتخاذ القرار، ودعاهم للاجتماع للتشاور اذا ما حزبه أمر وناداهم لذلك بما يشبه نداء الصلاة، لتأكيد الأهمية، وخاطبهم بقوله: « اشيروا على » [٦].

ولما كان هذا مبدأ في الحكم وعظيم الأمور فقد سار عليه خلفاؤه من بعده فهذا أبو بكر رضى الله عنه يستشير الصحابة في الموقف من الردة، وكان مجلس عمر بن الخطاب يغص بالعلماء والقراء من الكهول والشباب وربما استشارهم كلهم ويذكرهم بأن يبدى كل واحد منهم رأيه أنى كانت حداثة سنه (٧). وكان يوجد في عهد الخليفة معاوية بن ابى سفيان مجلس الأشراف وقد خاطبهم عند دخولهم عليه بقوله: « يا هولاء انما سميتم أشرافا لأنكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس » (٨). وكتب عمر بن عبد العزيز حين ولى الخلافة الى الحسن البصرى أن أعنى بأصحابك (٩). وكان لبعض الولاة في العصر الأموى رجال يحضرون مجالسهم ويشيرون عليهم بالرأى وكان عمر بن هبيرة يتعوذ ممن كانت صحبته من أجل نفسه وتحقيق مآربه الخاصة، ونسيان المصالح العامة للناس وتذكير الحكام بهاوحثهم على فعلها (١٠). وهى اشارة الى ما اعترى مجالس بعض الخلفاء والولاة من خلل وغشيانها من قبل أصحاب الأطماع والحاجات الفردية.

وفى العصر العباسى الأول يعد مجلس الصحابة أحدالمؤسسات السياسية المهمة فهو بمثابة مجلس للخليفة يتألف من مشاهير الناس وأعلام الأقاليم . يحضرون مجلسه ويشركهم في أمر البلاد والعباد ويحفون به في مناسبات الدولة المختلفة مثل استقبال الناس والسفراء وتقليدولايةالعهد والأعياد وكانوايختارون بعناية لأهمية الدور الذى يقومون به ونيل الهدف الذى يستصحبهم الخلفاء من أجله، وهو ابداء الرأى للخليفة في أمور الدولة ومعايش الناس وتصريف شئون أقاليم بلدانهم وذلك لسببين مهمين أولهما : تأسيا بالرسول عليه السلام واقتداء بسنته في الحكم ، فقد أمره الله

بالشورى فيه وأثنى على من يقومون بذلك وحسن عملهم على نحو ما مر وقد جاء هذا بحقه والوحى يتنزل عليه وهو خير الناس وأبر وأعلم بأمور الحكم ممن سواه (١١).

ثانيهما : كثرة انشغال الخليفة لعظم وظيفته واتساع الدولة وتعدد أقاليمها وكثرة أمورها وقضاياها مما قد يفوت عليه بعضها أو يشغله عنها أو لا يعطيها الاهتمام المناسب أو لا تصله بما فيه الكفاية (١٢).

كمايظهر أن الدولة العباسية أسست هذا المجلس منذ قيامها لاظهار الاختلاف بين عهدها والعهد الأموى السابق من حيث تغليب الشورى والحكم بالعدل والمساواة وعدم الاستبداد بالرأى فلا أعز على الناس وثقتهم فى الحاكم من احاطته بأهل العلم والخبرة والحذق بتدبير الأمور والوعى بمقتضياتها وتقريبهم ومجالستهم والركون اليهم وتقديمهم على غيرهم واتخاذهم أصحابا (١٣) يشاورهم في معضلات الأمور وفق مجالها وطبيعتها فيشاور القادة فى أمر الحروب، وأرباب السياسة فى الحكم والادارة، والمعيار هو كل فى بابه بحيث لا يعتمد على رأى واحد (١٤).

ويقرر الطرطوشى أن مشورة ذوى الرأى والتجربة تعد من الملك وقواعد السلطة ، ويفتقر اليها الرئيس والمرؤوس (١٥). فهى لهم بمثابة الشعار والدثار. وكذلك لاضفاء بعض مظاهر الاسلام الأولى على الحكم العباسى الجديد مثل اعلان النسب الهاشمى وليس البردة والاعتماد على رجال يعرفون باسم الصحابة كانوا يلازمون الرسول عليه السلام والخلفاء الراشدين من بعده.

ويعد رأى ابن المقفع حول مجلس الصحابة أوسع الاراء المعاصرة التى وصلتنا حوله، ولكن الرسالة التى وسمها بهذا الاسم لم تكن مقصورة عليه وحده فقد تحدث فيها عن موضوعات أخرى كالجند الخرسانى والخراج وأهمية الحرمين وانما سماها برسالة الصحابة (١٦) من باب التغليب وانا عرفنا أن المؤلف توفى سنة ١٤٢هـ وأنه يخاطب فيها الخليفة المنصور فان تاريخ كتابتها يعود الى السنوات الست الأولى من خلافته وأرجح أنها كتبت فى السنوات الثلاث الأولى منها ، وذلك أن مثل هذه الرسائل تنشأ وتوجه للخلفاء فى بداية توليهم الحكم.

ولهذا كان ابن المقفع من أوائل الذين ابدوا رأيهم فى أعضاء هذا المجلس ومراعاة عدة صفات فيهم، فقد كتب الى الخليفة أبى جعفر المنصور قائلا:« ولصحابة أمير المؤمنين – أكرمه الله – مزية وفضل ، وهى مكرمة سنية ، حرية أن تكون شرفا لأهلها، وحسبا لأعقابهم ، وحقيقة أن تصان وتحظر ، ولا يكون فيها الا رجل بدر بخصلة من الخصال ، أو رجل له عند أمير المومنين خاصة بقرابة أو بلاء ، أو رجل يكون شرفه ورأيه وعمله أهلا لمجلس أمير المومنين وحديثه ومشورته، أو صاحب نجدة يعرف بها ويستعد لها ، يجمع مع نجدته حسبا وعفافا، فيرفع من الجند الى الصحابة ، أو رجل فقية مصلح يوضع بين أظهر الناس لينتفعوا بصلاحه وفقهه ، أو رجل شريف لا يفسد نفسه أو غيرها » (١٧) .

وحث أحد الناس المنصور بعد أن جهد نفسه فى مقابلته على اتخاذ صحابته ومعاونيه فى تدبير أمور الدولة من الأئمة الأعلام المرشدين ففيهم صلاح للراعى والرعية (١٨) وقد وصفوا بأنهم كالبنيان المرصوص يشد

بعضه بعضا ، فالخليفة يستعين بهم على أمور الدولة (١٩) وقد مثل أحد الخلفاء العلاقة بينهم وبين الحاكم بقوله: « انى وأصحابى كأصابع الراحة فى حاجة بعضها الى بعض وقوة بعضها ببعض » (٢٠) . فهم على مسئولية خطيرة (فانهم يوم يقتل أحدهم بالبعض قد قتلوا جميعا) والفعل الحسن والسلوك القويم يحيون به جميعا (٢١).

كما كتب القاضى العنبرى (٢٢) للمهدى بشأنهم يقول:« فان رأى أمير المؤمنين أن يكون بحضرته قوم منتخبون من أهل الأمصار ، أهل صدق وعلم بالسنة ، أولو حنكة وعقول وورع لما يرد عليه من أمور الناس وأحكامهم، وما يرفع اليه من مظالمهم فليفعل » (٢٣).

وقد وجه المامون أبناءه باتخاذ هؤلاء وأمثالهم أصحابا ومشيرين بقوله: « ارجعوا فيما اشتبه عليكم الى آراء أهل الحزم من أعوانكم المجربين، والمشايخ المشفقين فانهم يرونكم ما لا ترون ، ويكشفون لكم أغطية ما لا تعلمون ، فقد صحبوا لكم الدهور ، وما رسوا لكم الأمور ، وعرفوا حوادث الأزمنة وأعراضها ، وأقبالها ، وأدبارها ، فروضوا أنفسكم لهم ، وتجرعوا مراراتهم، فقد قيل : من جرعك مرا لتبرأ أشفق عليك من جرعك حلوا لتسقم ... واعتبروا فى علو الهمة بمن ترون من وزرائى وخاصتى .. واستكفوا الثقاة»(٢٤).

ومن مجموع تلك الأقوال نستخلص بعض الصفات المهمة التى ينبغى أن يتحلى بها هولاء مثل العلم والورع والصدق والحنكة ورجاحة العقل وحسن البلاء والقرب من أمير المومنين وعلو النسب والحسب من مختلف الأمصار والأجناس .

ويمكن أن نستقرئ ذلك بوضوح أيضا من خلال أسماء بعض أعضاء مجلس الصحابة التى وصلتنا ذلك أن بعضهم كانوا قضاة وبعضهم قادة ووزراء وكتابا وأشرافا ، وسواء من البيت العباسى أو من خارجه أو من علية القوم فى أقاليمهم أو بين قبائلهم ، مثل خالد بن صفوان الذى اشتهر بالفصاحة والبلاغة ، وكان من جلساء الخلائف عمر بن عبد العزيز وهشام وأبى العباس (٢٥). والحجاج بن أرطاه وهو من علماء الحديث فى القرن الثانى ، وكان من خواص الخليفة المنصور الذين أشركهم فى التخطيط لبناء مدينة بغداد والاشراف على تنفيذه (٢٦). وسلم بن قتيبة الباهلى أحد جلساء المنصور وهو واحد من الذين استشارهم فى القضاء على أبى مسلم الخراسانى قبل أن يتم (٢٧). وجعفر بن حنظلة البهرانى وكان من رجال المنصور ، وقد دخل عليه ساعة الانتهاء من مقتل أبى مسلم فكان أول من أيده فى ذلك (٢٨). ومعن بن زائدة الشيبانى أحد المشهورين بالفروسية والشجاعة والجود ، أحد قواد الدولة الأموية ، وبعد ذلك جعله المنصور من خواصه (٢٩). ومنهم الوليد بن حصين المشهور بالشرقى بن القطامى كان عالما بالأدب والأنساب استقدمه المنصور وجعله من صحابته ، وضم ابنه المهدى اليه لتعليمه (٣٠). وضم هارون الرشيد عبد الواحد بن بشر النضرى الى صحابته عندما قدم عليه وافدا على رأس جماعة من أهل الشام فتكلم فى قضية دم فى مجلس الخليفة بكلام بليغ فأعجب به الخليفة وبرأيه فضمه الى صحابته (٣١). وغير هؤلاء كثيرون ممن تناثرت أسماؤهم فى كتب التراجم والتاريخ والأدب سواء ممن عرفنا أم ممن لم تصلنا أسماؤهم فقدخرج صالح بن على من مصر عند توليته على فلسطين فى عهد أبى العباس ومعه عدة من أهلها صحابه لأمير المؤمنين (٣٢). ويذكر معن بن زائدة الشيبانى الذى

كان من لشهر أعضاء هذا المجلس أن عددهم فى وقته كان سبع مائة اذ يقول : « كنا فى الصحابة سبع مائة رجل فكنا ندخل على المنصور فى كل يوم »(٣٣) وعندما اتخذ المهدى يعقوب بن داود وزيرا له فى سنة ١٦١ هـ ضم اليه عددا كبيرا من متفقهة أهل البصرة والكوفة والشام وجعل على كل أهل بلد رئيسا عليهم(٣٤).

وكل ذلك يشير بوضوح الى كثرة أعضاء مجلس الصحابة خلال هذا العصر ، كما يشير أيضا إلى ما روعى فى اختيارهم من أقاليم مختلفة مثل خراسان والعراق والشام ومصر . بغية ارضاء أهل أقاليم الدولة كلها ولا سيما المهم منها ، ولعدم استئثار أهل اقليم بصحبة الخلفاء والتأثير عليهم دون غيرهم. وهو ما ظل مرعيا فى هذا العصر الى حد كبير ، واختل فى العصر التالى فاستبدت بحجب الخلفاء وصحبتهم بعض الشعوب كالترك والديلم دون غيرها.

وعلى الرغم من أن أكبر رقم نعرفه لعدد أعضاء هذا المجلس هو ما أشار له أحد أعضائه من قبل وهو سبع مائة فان دخولهم على الخليفة كل يوم فيه نظر، ولا سيما مثل المنصور الذى وصلنا تفصيل عن برنامجه اليومى يظهر منه انه كان مشغولا بأمور الدولة سحابة نهاره من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وولاية وعزل والنظر فى أخبار الأقاليم العسكرية والادارية والمالية (٣٥). ومن ثم لا نجد فى هذا البرنامج ما يشير الى احتمال استقبال مجلس الصحابة كل يوم الا أن يكون بعد العشاء الاخرة حيث كان يشاور سماره فيما يستجد من أمور (٣٦)، وهذا أيضا ما يقرره أحد الفقهاء من لزوم اجتماع الخليفة بخاصته المستعان بهم فى التدبير فى كل الأيام (٣٧) ويرى الجاحظ أن أنسب وقت ذلك يكون فى صدر كل يوم (٣٨). أما ابن حزم فقد

حدد وقته ما بين صلاتي العصر والمغرب (٣٩) والراجح أن أكثر الخلفاء في هذا الوقت كانوا يجتمعون ببعضهم وأحيانا بهم كلهم في كل يوم وهذا أقرب للقبول لضيق وقت الخليفة وكثرة العدد وربما ضيق المكان أيضا.

وعلى العموم فان هذا المجلس لم تكن له صفة الهيئة السياسية المنظمة التي تتخذ مقرا وأوقاتا محددة لاجتماعاتها ومن ثم ابداء الرأي الجماعي في أمور الدولة وتقديمه للخلفاء، وانما كانوا في الغالب يرجع لهم فرادى أو يبدون رأيهم فيما يعرض بحضورهم في مجالس الخلفاء (٤٠). أما من حيث ترتيبه وجلوس أعضائه فقد كان الناس في مجلس الخليفة المنصور يجلسون على قدر أنسابهم ومراتبهم ، وكان لصحابه الخليفة من بينهم مكان قريب نظرا لعلو مرتبتهم وتقدمتهم على كثير من الناس ، وربما كان جلوسهم على عشرة أذرع من الخليفة على نحو ما كان يراعى في مجالس ملوك الفرس(٤١). ولما أراد أحد أعضاء مجلس الصحابة وهو معن بن زائدة أن يكون آخر من يدخل على الخليفة قال له وزيره عند بابه : « لست بأشرفهم فتكون أولهم ولا بأخسهم نسبا فتكون في آخرهم ، وان مرتبتك لتشبه نسبك»(٤٢).

ولصحبة الخلفاء قواعد وآداب مرعية سواء من جانب الخليفة كمالاقتهم بالسلام والتحية واظهار المودة؛ ومخاطبتهم بلين الكلمة، وانزالهم في مجلسه على أقدارهم ومراتبهم والتجاوز عن هفوات بعضهم (٤٣). أم كانت تلك الآداب من قبل أصحابه لزاءه مثل التجمل والوقار في مجلسه والتزويد بالعلم فانه صفة مهمة في الصاحب والجليس والمشير وغيرهم، ومحض الرأي والنصح له دونما مواربة أو هوى أو مصلحة في غير ما استبداد أو تعصب أو عجب. والوقوف في حدود المعرفة والخبرة حول ما يطلبه الخليفة ، وترك ما لا يعرفه

او يحيط به للآخرين لافادته فى بابه (٤٤). فضلا عما ظهر منها مثل اعتدال الجلوس وهدوء الجنان، وعدم الضحك أو التثاوب ونحو ذلك (٤٥). وهى قواعد وآداب وان لم تكن مقصورة على مجلس الصحابة فى هذا العهد الا أن الطرفين كانا على علم ومراعاة لها وكتب سياسة الملك وسير الحكام الفارسية واليونانية والعربية تفيض بهذه الآداب ، وكانت منتشرة فى ذلك العصر وكان بعض الخلفاء يخصص جزءا من وقته لقراءتها والاطلاع عليها.

ولم يكن ايضا مجلس الصحابة مقصورا على جنس دون غيره فقد كان من بين أعضائه العرب والموالى من فرس ونصارى نحو بعض الوزراء والكتاب والأطباء ولكن أظهر عناصرهم العرب والفرس حيث شكل هولاء سواء موظفى الدولة فى هذا العصر ورجالاتها. بل ان التنافس بينهم انعكس أيضا على صحبة الخلفاء من حيث الانفراد والتأثير والحجابة لهم.

ويروى الطبرى أن أبا عبد الله وزير المهدى عندما كان وليا للعهد لما رأى من غلبة الموالى عليه وخلوتهم به « نظر الى أربعة رجال من قبائلشتى من اهل الأدب والعلم فضمهم الى المهدى فكانوا فى صحابته فلم يكونوا يدعون الموالى يخلون به .. » (٤٦).

وفى عهد المهدى حدث تحوير فى اسم مجلس الصحابة الى اسم الخاصة أى خاصة الخليفة وقد تجاوز هذا التحوير – فيما يبدو – الاسم الى وظيفته السياسية والادارية لسببين أولهما أن هذا المجلس لم يعد يشابه الصحابة الأوائل أو حتى يليق أن يحمل اسمهم . وثانيهما انه غدا تشريفيا ينعم الخليفة أو يتألف به من يشاء من رجال دولته (٤٧).

وقد يكون هذا الاتجاه هو ما دفع أحد الفقهاء فيما بعد الى القول بوجوب اتخاذ الخليفة له مجلسين أحدهما عام والآخر خاص للمواءمة بين صفة صحابة الخلفاء الأوائل وما طرأ على مجالس المتأخرين ويكون الأول من ذوى المنزلة والجاه والصلاح للفتيا والشورى فى الدولة . والثانى ممن غلب عليه المرونة وتحمل مجالس الحكام واشتهر ببعد نظره وسعة علمه وأدبه ورجاحة عقلة وكثرة خبرته بأمور الحكم والقدرة على مواجهة الناس (٤٨).

ولا شك أن هذا التحول هو اتجاه نحو ضعفه وتوزعه ومظهريته فى سدة الدولة واضمحلال دورة فى قرارها السياسى والمظهر الأوضح منه هو عندما بدأ الوزراء يتخذون لهم خاصة يحيطون أنفسهم بهم اما تقليدا للخليفة أو لاستمالة عليه القوم بالانخراط فى خاصتهم لانضاج قرارهم أمام الخليفة ودعم ما يقدمونه له من رأى ومشورة أو ليبزوا بهم منافسيهم لا سيما عندما تمكن هولاء الوزراء ومن هؤلاء مثلا البرامكة فى عهد الرشيد حيث كان لهم مجالسهم الخاصة وصنائعهم وكتابهم دون الخليفة حتى قصدهم الناس دونه وأصبحت دورهم تغص بهم وارتفعت جلبتهم وانصرفت نحوهم الوجوه(٤٩). وقد انتقد مجلس الصحابة فى هذا العصر منذ وقت مبكر من حيث شروط اختيار أعضائه وتدخل الوزراء والحجاب فى ذلك ، وحرص البعض عليه وزهد الأكفاء فيه .

ولهذا عدت الشفعة فى اختيار أعضاء مجلس الصحابة عيبا يلحق بالعضر القائم بواسطتها وخطرا ما حقا يضر بمصالح الدولة يؤدى فيما يؤدى إلى تأخير الأكفاء وعدم مباشرتهم ومشاركتهم فى ادارتها وملازمتهم لأولى الأمر فيها ومعاونتهم ، ومن ثم يوسد الأمر بهذه الوسيلة لغير أهله.

وكثيرا ما يقوم بها الوزراء والكتاب والحجاب نحو أناس تربطهم بهم علاقة أو مصلحة مشتركة دون بلاء أو رتبة أو سابقة فضل تقدمهم على غيرهم (٥٠).

وأشهر من عاب هذا المجلس وطريقة أعضائه فى عهد أبى العباس ابن المقفع فقد وصف تدخل الوزراء والكتاب والحجاب فيه قبيل مجئ المنصور بأن كان (عملا قبيحا مفرط القبح مفسدا للحسب والأدب والسياسة داعيا للأشرار وطارد للأخيار ، فصارت صحبة الخليفة أمرا سخيفا)(٥١).

وهذا الرأى بليغ ويحمل بين ثناياه نقدا لاذعا لمجلس الصحابة عندما يتساهل فى أمره ويساد اختيار أعضائه وبدون شك فالنتائج خطيرة من فساد لسياسة الدولة وتكالب الأشرار عليه وابتعاد الأخيار وزهدهم فيه حتى يقرر ابن المقفع أن أمير المؤمنين أبا العباس دعا أناسا من وجوه أهل البصرة لضمهم لأصحابه (فأبوا أن يأتوا فمنهم من تغيب فلم يقدم ومنهم من هرب بعد قدومه اختيار للمعصية على سوء الموضع)(٥٢).

ويرى ابن المقفع أن شروط اختيار أعضاء مجلس الصحابة قد اختلت وأصبح من أعضائه من ليس أهلا أن يكون فيه فتقدم فيه أناس وينادى بأسمائهم ليس لهم بلاء أو شرف فى الدولة وتأخر آخرون لهم الحق فى أن تكون لهم منزلة مقدمة على غيرهم (٥٣). اذ يقول :

« وان أمر هذه الصحابة قد كان فيه أعاجيب دخلت فيها مظالم . أما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول : ما رأينا أعجوبة قط أعجب من هذه الصحابة ممن لا ينتهى الى أدب ذى نباهة، ولا حسب معروف ، ثم هو مسخوط الرأى، مشهور بالفجور فى أهل مصره، قد غير عامة دهره صانعا يعمل بيده ، ولا يعتد مع ذلك ببلاء ولا غناء ، الا أنه مكنه من الأمر صاغ ،

انتهى (الى) حيث أحب ، فصار يؤذن له على الخلية قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار ، وقبل قرابة أمير المؤمنين وأهل بيوتات العرب ، ويجرى عليه من الرزق الضعف مما يجرى على كثير من بنى هاشم وغيرهم من سروات قريش ، ويخرج له من المعونة على نحو ذلك . لم يضعه بهذا الموضع رعاية رحم ، ولا فقه فى دين ، ولا بلاء فى مجاهدة عدو معروفة ماضية شائعة نديمة ، ولا غناء حديث ، ولا حاجة اليه فى شئ من الأشياء ولا عدة يستعد بها، وليس بفارس ولا خطيب ولا علامة » (٥٤). والملاحظ أن ابن المقفع يتحدث بصيغة الماضى أى عن حال هذا المجلس فى عهد أبى العباس وفى ذلك حذق سياسى منه فى توجيه النصح للخليفة أبى جعفر المنصور لكى يصلح من شأن هذا المجلس ويحاول عدم تكرار بعض الأخطاء التى أخذت عليه من قبل . ولكن بدون شك فقد كان نقده لاذعا ولكن بصورة تتفق ومخاطبة الخلفاء والأدب معهم وهو أمر لم يخف على ابن المقفع.

كما انتقد أحد الناس المنصور بقصر الدخول عليه على نفر سماهم الخليفة ووثق فيهم واستخلصهم دون عامة الناس حتى نال من هؤلاء بقوله: «فاقصروا على ألا يصل اليك من علم أخبار الناس الا ما أرادوا » (٥٥).

كما ذكر ابن المقفع الخليفة بالمعاناة والفساد الذى يعانى منه الناس فى أقاليمهم ودعاه الى تعهدهم بمجالس خاصة من أهل الثقة والفضل والصلاح وفى ذلك دعوة الى انشاء مجالس اقليمية خاصة أو فروع لمجلس الصحابة فى الدولة هناك أو دعوة الى عدم مركزية مجلس الصحابة ويعلل وجود فروع لمجلس الصحابة فى الأقاليم أو انشاء مجالس خاصة بها بأمرين هامين أولهما ثنى أهل الفساد والفرقة عن الثورة والزلل وحملهم على الصلاح والألفة

واجتماع الكلمة وثانيهما مراقبة أحوالها ومتابعتها (حتى لا يتحرك متحرك في أمر من أمور العامة الا وعين ناصحة ترمقه) فلا يستطيع أهل الفساد والأهواء التحريض للناس على الفتن والاخلال بالأمن في تلك الأقاليم (٥٦). وهو نظام يؤدى الى ضبط أمور الدولة ، وحضور سلطتها وحسن توزيع رعايتها سواء في مركزها أم في أقاليمها الأخرى (٥٧). وأينما كان مجلس الصحابة سواء في مركز الدولة بالنسبة للخليفة أم في الأقليم بالنسبة للوالى فالعبرة بأهلية هذا المجلس وكفاءة أعضائه والدقة في اختيارهم وجعل سواده من أهل العلم والبصر بأمور الدول وأحوال الناس في كل ناحية أو اقليم أو مجتمع فهم أهل للثقة والمعاونة في ذلك وأجدر بأن يكونوا البطانة وأهل الخاصة (٥٨). وقد شبه وجودهم في مجالس الخلفاء والحكام بمثابة المصابيح في قصورهم التى تزينها وتضئ لهم الطريق ، كما أنعطاءهم يزداد بالحرص عليهم وتقريبهم وتعهدهم بالسؤال والمشاورة (٥٩). وتفريغهم لهذه الوظيفة الجليلة وعدم شغلهم بالكدح في معايشهم فان خلو مجالس الخلفاء منهم نتيجة لذلك مؤشر على تدهور الدولة وتمكن أهل الأهواء والفساد والهزل فيها (٦٠).

والخلاصة أن أهداف مجلس الصحابة تركزت في عدة أمور أهمها رفع حاجة من لاتصل حاجته أو خبره الى الخليفة من فرد أو فئة أو مدينة أو اقليم(٦١). ومساعدة الخلفاء في اشاعة الحق والعدل والمساواة بين الناس في مناحي حياتهم ورفع الظلم والجور والفقر عنهم حيثما كان وأنى كان نوعه أو علو منزلة فاعله من الولاة والوزراء وغيرهم (٦٢).

ومناقشة هذه الأمور فى مجالس الخلفاء يساعدهم فى معرفة أحوال الدولة فى مختلف أحوالها وأقاليمها فالرعية لا تزال ذات سلطان واحد ما وصل ممثلوها وهم أعضاء هذا المجلس وأمثالهم وأوصلوا أحوالها الى الحاكم وأعانوه عليها ، فاذا احتجب عنهم وحجبوا عنه ساءت الأوضاع وتعدد السلاطين (٦٣). وتوزعت الأهواء وساءت بهم الظنون . ولهذا كله عاشت الدولة العباسية قوية فى عصرها الأول الى جانب عوامل أخرى أسهمت فى ذلك مثل قوة خلفائها وقتذاك ، وهى القوة التى أحسنت الاختيار والتوظيف للأكفاء فكان مجلس الصحابة جملة من ذلك وهو بدوره كان السند لها والدعامة التى اعتمد عليها الخلفاء وأمدتهم بالرأى والمشورة كما يأملون وما ينبغى أن يكونا عليه .

ولما ضعف مجلس الصحابة فى الدولة واختلت شروطه وبعد عنه الأكفاء وحادت أهدافه وأغرضت ، كان ذلك من علائم ضعف الدولة وانحسار عصر القوة وتوارى ملامحه الى جانب عوامل أخرى بالطبع أسهمت فى ذلك أيضا ولكن مهما كانت تلك العوامل واضحة الا أن المعاصرين للأوضاع أدركوا وضوح ضعف المشير وغيابه عن نصح الخلفاء ومراقبة الوزراء والولاة (٦٤). ومن ثم فقد كان مجلس الصحابة أحد مظاهر الشورى فى هذا العصر وصورة واقعة من صور تطبيقاتها وتوظيف أهل الرأى والخبرة ليكونوا معاونين لصاحب القرار وافادته فى الوقت والمجال المناسبين فهو أحد دعائم الحكم التى اعتمد عليها الخلفاء العباسيون الأوائل فى ادارة أمور الدولة ، ولا يعنى هذا أنه كان الوسيلة الوحيدة فى ذلك أو قصر مفهوم الشورى عليه أو أنه كان يوازى وظيفة أهل الحل والعقد فى صدر الاسلام أو كما ينبغى أن يكون عليه، بقدر ما كان مناطه ابداء الرأى حول عظيم الأمور ، وعدم

الاستبداد فيه ، واستكفاء الثقاة والاعتماد عليهم فى تدبير شؤون الدولة وعمرانها ومعايش أهلها.

(١) عن موضوع الشورى، انظر : الشيزرى، عبد الرحمن بن عبدالله بن نصر، المنهج المسلوك فى سياسة الملوك .

تحقيق على عبد الله الموسى (مكتبة المنار. الزرقاء . الأردن١٩٨٧م) ص ص ٤٧٥– ٤٩٠.

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩.

(٣) ابن الأزرق ، أبو عبد الله محمد بن على ، بدائع السلك فى طبائع الملك .

تحقيق على سامى النشار (دار الحرية . بغداد ١٩٧٧م) ج١ ص ٣٠٣ .

(٤) سورة الشورى آية٣٨ .

(٥) سورة الجاثية آية ٢٣.

(٦) ابن هشام، محمد بن عبد الملك ، سيرة النبى صلى الله علية وسلم ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٣٧م) ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٧) ابن الأزرق، بدائع السلك فى طبائع الملك ،ج١ ص ٣١٣ .

(٨) المسعودى ، أبو الحسن بن على بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر.

(دارالأندلس . بيروت ١٩٦٥م) ج٣ ص ٣٠.

(٩) الغزالى ، أبو حامد محمد بن محمد، التبرالمسبوك فى نصيحة الملوك (مطبعة الآداب.القاهرة ١٣١٧ هـ) ص ٦٩ .

(١٠) الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد ، سراج الملوك (نشر انطون غندورد .م ١٢٨٩ه) ص ١٣٤ .

(١١) رسالة القاضي العنبري للخليفة المهدي عند وكيع ، محمد بن خلف ، اخبار القضاة . (المكتبة التجارية الكبرى.القاهرة ١٩٤٧م) ج٢ ص ١٠٧ .

(١٢) نفسة .

(١٣) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص ١٢٣

(١٤) ابن حزم ، على بن محمد ، كتاب السياسة ، شذرات منه ملحقة بكتاب ابن الأزرق ، بدائع الملك في طبائع الملك ، ج٢ ص ٥١٧

(١٥) الطرطوشي، سراج الملوك ص ١٣٢ .

(١٦) ابن المقفع، عبد الله ، رسالة الصحابة منشورة في كتاب رسائل البلغاء اختيار وتصنيف محمد كردعلي ط ٤ (لجنة التأليف والترجمةوالنشر القاهرة١٩٥٤ م)من ص ١١٧حتى ص١٣٤وما يخص مجلس الصحابة منها ثلاث صفحات ص ص ١٢٩ – ١٣١ .

(١٧) ابن المقفع، رسالة الصحابة عندمحمد كردعلي، رسائل البلغاء ص١٣١ .

(١٨) الغزالي ، أبوحامد محمد بن محمد ، احياء علوم الدين ، (دار المعرفة بيروت . د . ت) ج٢ص ص ٣٥١ –٣٥٢ .

(١٩) المرادي ، أبوبكر محمد بن الحسن، كتاب الا شارة الى ادب الامارة .

تحقيق رضوان السيد (دار الطليعة. بيروت ١٩٨١ م) ص ١٣٧.

(٢٠) نفسة .

(٢١) نفسة .

من (رجال الدين والدولة) هناك يجولون أقاليم البلاد ويبلغون ولاتها مراسيم الدولة ويتفقدون نظمها الدينية والأدارية ويطلعون على أحوالها عن كتب ويرفعونها الى الملك . الباز العريني ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، (دار النهضة العربية ،بيروت ١٩٦٨م) ص ص ٢٨٦- ٢٨٩ .

(٥٨) ابن المقفع، رسالة الصحابة ،عند محمدكردعلى ،رسائل البلغاء،ص١٣٤

(٥٩) ابن الداية، الفلسفةالسياسية،ص٦٨ .

(٦٠) نفسة.

(٦١)المسعودى ، مروج الذهب ، ج٣ص ص ٢٢٠- ٢٢٣ .

(٦٢) الغزالى احياءعلوم الدين ، ج ٢ص ص ٣٥١ - ٣٥٣ .

(٦٣) الطرطوشى، سراج، الملوك ،ص ٥٧.

(٦٤) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٣٩٦ . يقول أحمدشعراء بغداد فى عهد الأمين :

أضاع الخلافة غش الوزير ، وفسق الامام وجهل المسير .

(٤٩) الجهشيارى ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، الوزراءوالكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وزميلية(البابى الحلبى ،القاهرة ١٩٣٨ م) ص ٣٥٥ .

ابن خلدون ، عبدالرحمن ، المقدمة، ط ٤(دار(٢٣)رسالة القاضى العنبرى عند وكيع ، ابن خلدون، عبدالرحمن، المقدمة ، ط٤ (دارلحياء التراث العربى ، بيروت . د . ت) ص ص ١٦-١٧ .

(٥٠) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ،عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء . ص١٣٠ .

(٥١) ابن المقفع ، رسالة الصحابة،عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء ، ص١٢٩.

(٥٢) ابن المقفع ، رسالةالصحابة،عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء . ص١٢٩.

(٥٣) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء ، ص١٢٩ .

(٥٤) ابن المقفع، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء، ص١٣٣.

(٥٥) الغزالى ، احياء علوم الدين ،ج٢ ص ٣٥١ .

(٥٦) ابن المقفع ، رسالة الصحابة ، عند محمد كرد على ، رسائل البلغاء ، ص ١٣٠ .

(٥٧) وهى دعوة الى عدم مركزية الادارة فى الحكم التى تطبق فى بعض الدول بصورة من الصور فى العصرالحديث ، وقد كان قريبا من هذا النظام ما كان يعرف فى دولة الفرنجة فى غرب أوربا فى عهد شارلمان المعاصر لهارون الرشيد باسم نظام المبعوثين ويتلخص فى ارسال ثقاة

(٢٢) القاضي العنبري، هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين من أهل البصرة ، وتولى القضاء فيها ما بين سنتي ١٥٧ و ١٦٦ ه ، اشتهر بعلمه وتبريزه في الحديث ، توفي سنة ١٦٨ ه . الزركلي ، خيرالدين الأعلام ، (د . ت ، م) ط ٣ ج ٥ ص ٣٤٦ .

(٢٣) رسالة القاضي العنبري عند وكيع ، أخبار القضاة ص ١٠٧ .

(٢٤) الشيزري ، المنهج المسلوك في سياسةالملوك ص ص ٤٨٨ – ٤٨٩ .

(٢٥) ابن خلكان ، ابوالعباس أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان . تحقيق أحسان عباس (دار الثقافة . بيروت ١٩٦٨ م) ج ٦ ص ١٨٢ .

(٢٦) الخطيب البغدادي ، الحافظ لحمد بن علي ، تاريخ بغداد (دار الكتاب العربي بيروت . دت) ج ٨ ص ٢٣٠

(٢٧) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ص١٥٣ .

(٢٨) المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٥٤.

(٢٩) المصدر السابق ،ج٣ ص ٢٤٧ .

(٣٠) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ، ج ٩ ص ٢٧٨.

(٣١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٨ ص ٧٩٧ .

(٣٢) المقريزي تقي الدين أبو العباس لحمد بن علي ،كتاب المواعظ والا عتبار بذكر الخطط والآثار ،(دار صادر . بيروت . دت) ج١ص ٣٠٤ .

(٣٣) الطبري ،أبو جعفرمحمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (دار المعارف . القاهرة ١٩٧٩ م) ج ٨ ص ٦٤ .

(٣٤)الطبري، ج ٨ ص ١٣٦.

(٣٥)الطبرى . ج ٨ ص ٧٠ .

(٣٦) نفسة .

(٣٧) ابن رضوان ، أبو القاسم المالكى ، الشهب اللامعة فى السياسة النافعة ، تحقيق سامى على النشار (دار الثقافة . الدار البيضاء ١٩٨٤ م) ص ٥٩. ابن الأزرق : بدائع السلك فى طبائع الملك ،ج١ ص ٣٦٣ .

(٣٨) الجاحظ ، عمر بن بحر ، كتاب التاج فى أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكى باشا (المطبعة الأميرية . القاهرة ١٩١٤ م) ص ١٥١.

(٣٩) ابن رضوان الشهب اللامعة ، ص ٥٩.

(٤٠) شاكر مصطفى ، دولة بنى العباس ، (وكالة المطبوعات . الكويت ١٩٧٣ م) ج ١ ص ٥٢٦ .

(٤١) الجاحظ، كتاب التاج ، ص ٢٤ .

(٤٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ص ٦٤ .

(٤٣) المسعودى ، مروج الذهب ، ج٢ ص ٣٠ ، المرادى، كتاب الاشارة الى أدب الامارة ، ص ص٩٩، ٢٠١.

(٤٤) ابن الأزرق ، بدائع السلك فى طبائع الملك ، ج١ ص ص ٣١٠ – ٣١٣ .

(٤٥) الشيزرى ، المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ، ص ص ٥٧٥–٥٧٦ .

(٤٦) الطبرى ، ج٨ ص ١٣٧.

(٤٧) شاكر مصطفى ، دولة بنى العباس ، ج١ ص ٥٢٦ .

(٤٨) ابن الداية ، أحمد بن الداية ، الفلسفة السياسية عند العرب . تحقيق عمر المالكى (الشركة الوطنية . الجزائر١٩٧١ م)ص ٦٨ .

ملامح الاستراتيجية العثمانية مع مصر والحجاز حول مخصصات الحرمين الشريفين

د. عبد الوهاب بن صالح بابعير
الأستاذ المشارك بقسم التاريخ
وعميد كلية التربية
فرع جامعة الملك سعود بأبها

تمهيـــد :-

هذه الدراسة تتناول بعض الصلات بين الحجاز وبين بعض الدول الإسلامية ، التي خضعت لها الحجاز، في فترة من فترات العصور الإسلامية المختلفة ، مثل دولة المماليك، ثم الدولة العثمانية التي تلتها في السيطرة على العالم الإسلامي منذ عام ١٥١٧م إلى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م.

وأهمية هذه الدراسة تنبع من أهمية الحجاز - على مر العصور - ومنذ ظهور الإسلام لأنها تقترن بالإسلام أكثر من أية دولة أخرى في العالم الإسلامي ، وبذلك فهي موطن مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وقبلة المصلين ، والحجاج المسلمين ، فهذه الميزة الدينية التي أكسبتها المهابة والهيبة والوزن الكامل والثقل التام في كافة المجالات، والإسلام كدين ودولة، هو مصدر الشرعية السياسية ، فهو يواجه سياسات الدولة ونشاطاتها، ويصوغ مبادىء المجتمع الأخلاقي. وبناء على هذا الطابع تأتي أهمية الحجاز في نظر العالم الإلاسي بصفة خاصة ، والعالم على وجه العموم. وكل حاكم مسلم على مر الأزمان ، يستمد شرعيته من بسط نفوذه على الحرمين الشريفين ، والحجاز الذي يمتد على طول الساحل الشرقي من البحر الأحمر، وكانت تحت حكم شريف مكة ، الذي كان خاضعاً لدولة المماليك ، ثم جزءاً من الممتلكات العثمانية بعد ذلك ، ومن حيث الوضع الأقتصادى ، كان الحجاز مزهراً ، فالحجاج الذين يوافدون سنوياً على مكة المكرمة والمدينة المنورة وفروا للحجاز مصدر ثروته الأول ، والحج إلى مكة كان موسمه يعتبر بحق مؤتمر إسلامي كبير يفد إليه المسلمون على اختلاف أجناسهم ، يتدارسون فيه أحوالهم ، ويبحثون فيه خير الوسائل لأعلاء كلمة الدين وحفظ المسلمين ، لذلك يعتبر الحج أهم ركن تستند إليه الوحدة الإسلامية في ذلك الحين .

كما أن مواسم الحج أمنت اتصالاً ثقافياً بالعالم الخارجي ، يضاف إلى ذلك كثرة العلماء والفقهاء ووفرتهم في هذه البلاد ، فلعبوا دوراً هاماً في تنسيق العلاقات الإجتماعية والثقافية والدينية ، وكان أمير مكة في الأزمان السابقة يعتبر حاكم مسلم يجرى أحكام الشريعة، ويجوز القبول بسلطنة وأحكامه في الفتوى ومصادر التشريع. كما كانت في مكة المكرمة النظم الإدارية المتقدمة منذ أيام المماليك والعثمانيين ، فكانت تضم عدداً من الدوائر ؟ منها للصحة العامة وللشئون البلدية ، ومنها للموارد المالية ، والشئون القضائية ، وقد نسقت بإشراف مجلس المدينة العامل، وبامرة الشريف الحاكم بصورة مباشرة. وقد حافظت هذه الدوائر على أوضاعها ردحاً من الزمن .

دخل الحجاز تحت السيطرة العثمانية دون حرب ، لأن شريف مكة عندما سمع بانتصار السلطان سليم الأول ودخوله القاهرة سنة ١٥١٧م - أرسل إليه ابنه ليقدم فروض الطاعة ومفاتيح الكعبة ، وظلت هذه البلاد تابعة للدولة العثمانية عدة قرون، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . وفي الواقع أن السلطان سليم عندما ضم إلى دولته بلاد العرب وفيها أقدس مكانين عند المسلمين وهما الكعبة في مكة ، وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، أضاف إلى ألقابه عبارة " حامي حمى الحرمين الشريفين " . وأصبحت ألقابه تبدأ بالعبارة التالية :-

" سلطان البرين وخاقان البحرين حامي حمى الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان " .

ومعنى هذا أنه شعر بأهمية حمايته للحرمين الشريفين في كسب ولاء المسلمين سواء في دولته أو خارج دولته ، يضاف إلى ذلك أيضاً نقطة هامة جداً ، فإن السلطان العثماني فيما بعد، وخاصة في القرن التاسع عشر اعتبر نفسه خليفة للمسلمين .

إن هذه المسألة ، لازالت حتى الآن لغزاً لم يكشف عنه التاريخ . وكل مايقال فيها أن الخليفة العباسي المتوكل على الله الذي كان يتولى الخلافة العباسية في مصر (من قبل المماليك) في مصر وقت الفتح العثماني حاول أن يقوم بحركته ضد العثمانيين لصالح السلطان المملوكي قانصوة الغورى ، لذلك اصطحبه السلطان سليم إلى الأستانة عند عودته من مصر ، فاسكنه قصراً جميلاً فيه جميع وأنواع وألوان النعيم ثم قيل أن الخليفة المتوكل قبل أن يموت تنازل عن الخلافة للسلطان . فكان السلطان العثماني أخذ الخليفة بالتنازل عن الخليفة العباسي وقد يكون هذا صحيحاً وقد يكون غير صحيح، ولكن الصحيح في الموضوع أن السلطان العثماني لم يكن يهتم بهذا اللقب قدر اهتمامه بلقب " حامي حمى الحرمين " أما لقب الخلافة فقد شاع استعماله في القرن التاسع عشر ، وخاصة عندما قامت انجلترا بتشجيع السلطان العثماني باعتباره خليفة المسلمين لكي يطلب من الجنود المسلمين عدم القيام بالثورة ضد الإنجليز، فكأن استخدامه هذا اللقب لأغراض سياسية .

ومهما يكن من أمر فإن السلطان العثماني ، كان يكتفي بسلطة اسميه في الحجاز ، فيرسل باشا عثماني إلى جدة ليمثل الدولة العثمانية ، أما النفوذ الحقيقي فكان لشريف مكة . وقد كتب بعض الرحالة الأوروبيين يصف أحوال بلاد العرب تحت الحكم العثماني فقال : " إن العرب البدو في بلاد العرب لايعترفون للعثمانيين بسلطة الحكم ولا بالسيادة ، بل أنهم لم يكونوا يعتبرون أنفسهم من رعايا الدولة العثمانية " .

لم تحاول الدولة العثمانية أن تخضعهم بالقوة ، وإنما كانت تسترضيهم حتى تؤمن طريق الحج من هجمات الأعراب كما سيجيء تبيان ذلك أما نفوذها الحقيقي فكان قاصراً على جدة ، أما الأراضي المقدسة فكانت تخضع لشريف مكة . وكان هذا الشريف لايعترف للدولة بالسلطة إلا في بعض المناسبات ، عندما يتسلم فرمان التولية (مرسوم السلطان) أو يعترف بالقاضي التركي وشيخي الحرمين الشريفين وغيرهم من الموظفين العثمانيين الذين يعينهم السلطان . وقد حرصت الدولة العثمانية على أن ترسل سنوياً الخلصة والمرتبات والمؤن والغلال إلى بلاد العرب، يحملها أمير الحج المصرى وأمير الحج الشامي ، وهذا هو موضوع البحث .

أما مصر التي هي طرف أصيل في موضوعنا هذا ، فتأتي الأهمية بها باعتبار أنها كانت مركز العالم الإسلامي في بعض فترات التاريخ الإسلامي خاصة في زمن الدولة الأيوبية والدولة المملوكية . وكان لدولة المماليك أهمية كبرى في تاريخ العالم الإسلامي لأنها استطاعت أن تتصدى للخطر المغولي الذي حطم بغداد ، ووصلت موجة المغول إلى فلسطين ، حيث أنزل سلاطين مصر المملوكية بالمغول هزيمة ساحقة في عين جالوت عام ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م ، ولم تزل دولة المماليك في طور النمو . وكان لهذا النصر أهميته الكبرى لأنه أنقذ المدينة والشرق الإسلامي من الدمار على يد المغول . كذلك استطاع المماليك أن يكافحوا الخطر الصليبي والاستعمار الغربي الذي تستر تحت اسم الدين ، بل أن الفضل يرجع إلى سلاطين المماليك في القضاء النهائي على الصليبيين بالشرق الأوسط .

ومن أهمية عصر المماليك أن القاهرة حلت محل بغداد التي دمرت على يد المغول وأصبحت القاهرة مركز العالم الإسلامي والمدينة الإسلامية ، ولاسيما بعد أن انتقلت اليها الخلافة العباسية ، وحفظت القاهرة مابقى من العلوم الإسلامية والمدينة الإسلامية بعد كارثة المغول ، وزادت بفضل ماصار اليه مركزها بعد قيام الخلافة العباسية فيها ، وتشجيع سلاطين المماليك للعلماء والأدباء حتى صار بلاط المماليك مركزاً للعلماء وأصحاب الفنون من شتى بلاد العالم الإسلامي وبرز عدد كبير من العلماء في عصر المماليك ، ساهموا بقدر كبير في ميادين العلم المختلفة من فقه وتفسير ولغة وأدب ، فضلاً عما دونوه من نظم وأخبار عامة عن الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . وكان سلاطين مصر من المماليك أسمى ملوك العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، باعتبارهم حماة الخلافة الإسلامية والمتمتعين ببيعتها .

ومن هنا جاء الاهتمام بهذا الموضوع المتشابك والمترابط الأطراف ، موضوع " مشاكل مخصصات الحرمين الشريفين ، بين الدولة العثمانية ومصر والحجاز .... " .

تعددت عبر العصور التاريخية صورة ومظاهر اهتمام الدول الإسلامية بالحرمين الشريفين لما لهما من مكانة دينية وسياسية في قلوب المسلمين في شتى بقاع الأرض ، أضف إلى ذلك مكانة الحج في الإسلام ، حيث يعتبر أحد أركانه الخمس ، فضلاً عن أن من يدين له الحجاز بالولاء يستطيع أن ينشر نفوذه السياسي على الأقل والروحي بصفة عامة على جميع أرجاء العالم الإسلامي .

من هنا حرصت الدول الإسلامية على رصد العديد من الأوقاف والمخصصات للحرمين الشريفين وعلى مر العصور . ولعل أهم هذه المخصصات هي " الكسوة الشريفة " وهي الأوقاف والإيرادات التي رصدت لاسيما في عهد سلاطين المماليك وأيضاً في عهد الدولة العثمانية لخدمة الكسوة الشريفة للكعبة . وأيضاً " أوقاف الخاصكية " من العصرين المملوكي والعثماني ، وصرة الحرمين الشريفين ، ومخصصات أشراف الحرمين ، وأوقاف الدشايش الكبرى والصغرى والتي يرجع بعضها إلى العصر المملوكي ومعظماً إلى العصر العثماني ، فضلاً عن أوقاف السلاطين والباشوات العثمانيين الموقوفة على منفعة الحرمين الشريفين ، وغير ذلك من الأوقاف والمخصصات المرصودة على الحرمين الشريفين .

ومايهمنا هنا ليس الحديث عن أوقاف ومخصصات الحرمين الشريفين[1] وهو الموضوع الذي تطرق إليه البعض ، وإن كان مايزال في حاجة إلى المزيد من البحث والدراسة المتأنية استناداً إلى الأراشيف التركية والمصرية والوثائق الأهلية في الحجاز ، إنما مايهمنا هنا هو القاء أضواء جديدة على نقطة هامة لم يتطرق اليها الباحثون ، وهي المشاكل المتعددة المظاهر لمخصصات الحرمين الشريفين ، ومدى مايسببه ذلك من ازعاج لدى كل من استانبول والقاهرة والحجاز ، ثم الأجراءات التي اتخذتها كل منهم لمواجهة هذه المشاكل .

والحق أن المشكلات العديدة المتعلقة بمخصصات الحرمين الشريفين سابقة على العصر العثماني ، فعلى سبيل المثال في عصر سلاطين المماليك أنشأت العديد من المشكلات بين القوى الدولية حول مخصصات الحرمين الشريفين لعل من أبرزها مايتعلق بكسوة الكعبة والمخصصات المالية المقدرة لها من مصر ، لاسيما الكسوة الشريفة ، وهي الأوقاف المرصودة لإرسال كسوة الكعبة سنوياً من مصر . وتأتي المشكلة عندما عرفت المنطقة الإسلامية دخول قوى كبرى جديدة، لاسيما بعد ما اهتدى المغول إلى الإسلام وأصبحوا من أهم دعائم الإسلام ، فكانوا بمثابة دماء جديدة في المنطقة الإسلامية .

من هنا نشب النزاع بين دولتي المغول وسلاطين المماليك حول كسوة الكعبة ، نتيجة لرغبة المغول – بعد إسلامهم – في اكتساب هذا الشرف ، بحيث يحصلون على لقب حماة الحرمين الشريفين . وبدأت الأزمة عندما أرسل شاه رخ بن تيمورلنك إلى السلطان المملوكي في مصر برسباى[٢] بأن يقوم شاه رخ بكسوة الكعبة . لكن السلطان برسباى أدرك مدى عظم الأمر، ولم يريد أن يتحمل وزر ذلك لوحده ، لاسيما وأن الموضوع له جذور دينية ويمس المشاعر الدينية من هنا أرسل السلطان برسباى بأسئلة إلى علماء الديار المصرية حول هذا الشأن. وصدرت الفتاوى من هؤلاء العلماء مجمعة على عدم جواز ذلك، لأن السماح لشاه رخ بن تيمور لنك بكسوة الكعبة غير جائز شرعاً ، لأنه يترتب على هذا السماح تعطيل الوقف المخصص لكسوة الكعبة الشريفة ، واعاقة الوقف عن تأدية عمله يعد كتعطيل تطبيق شريعة الإسلام وهو مالايرضاه الله ولا العلماء .

من هنا أرسل السلطان برسباى برسالة إلى شاه رخ رافضاً سؤاله لكسوة الكعبة ، متعللاً بأن العادة قد جرت على أن ملوك مصر هو الذين يقومون بكسوة الكعبة ، لاسيما أن هناك أوقاف عديدة أوقفها السابقون من أجل هذا الأمر، وبالتالي لايجوز تعطيل هذه المخصصات ترضية لحاكم مهما كان من شأن هذا الحاكم .

لكن شاه رخ لم يرض بهذه الإجابة ، وعاوده الحنين مرة أخرى إلى كسوة الكعبة من هنا انتهز شاه رخ فرصة مجيء السلطان جقمق إلى عرش مصر ، فأرسل مرة ثانية طالباً كسوة الكعبة في عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م[٣] واعترض العلماء والأمراء في مصر على هذا الطلب أيضاً ، وردوا عليه كما ردوا أول مرة برفض ذلك. لكن السلطان جقمق الذي كانت تحكمه موازين القوى السياسية في منطقة الشرق الأوسط، حرص على كسب رضاء شاه رخ ، وسمح له بكسوة الكعبة متذرعاً بأن كسوة الكعبة تقرباً إلى الله وبالتالي يجوز أن يقوم بها أى مسلم. لكن هذا الأمر لم يرضى أمراء وعلماء مصر ، إلا أنهم لم يستطيعوا فعل شيء وكسب شاه رخ الجولة هذه المرة .

وبعد الفتح العثماني لمصر[٤] واجه السلطان سليم العديد من المشاكل الخاصة بمخصصات الحرمين الشريفين ، لعل على رأسها مشكلة الأوقاف المصرية وعظم حجمها مما يؤثر على جمع الضرائب ، وعلى الخزانة المرسلة من القاهرة إلى استانبول ، لاسيما وأن أراضي الأوقاف كما نصت عليه الشريعة الإسلامية السمحاء معفاة من الضرائب .

لكن السلطان سليم بفتحة لمصر وترحيب أهل الحجاز به أدرك أنه أصبح من الآن فصاعداً حامي حمى الحرمين الشريفين ، وأن أى انتقاص أو تعدى على هذه المخصصات سيؤثر حتماً بالسلب على صورة السلطان سليم، بل وعلى هيبة الدولة العثمانية كلها، وهي الدولة التي أصبحت بعد توسعات السلطان سليم في منطقة الشرق الأوسط، القوة الإسلامية الأولى في المنطقة ، وحامية الحرمين الشريفين ، وأيضاً فهي الدولة التي تمر بأراضيها قوافل الحج التي تفد إلى الحجاز من جميع أنحاء العالم الإسلامي . من هنا عمد السلطان سليم إلى الحفاظ على هذه المكانة التي اكتسبتها الدولة العثمانية ، بتقديم الرعاية الكافية لمخصصات الحرمين الشريفين وحل المشكلات المتعلقة بها .

ويأتي على رأس هذه المشاكل مسألة أدارة أوقاف الحرمين الشريفين بعد الفتح العثماني . . ففي واقع الأمر كانت أوقاف الحرمين الشريفين تابعة إدارياً من قبل – في عصر سلاطين المماليك – لإشراف قاضي الشافعية في الديار المصرية ، لأنه كما نعلم جميعاً كان المذهب الشافعي هو المذهب الرسمي لدولة سلاطين المماليك في مصر . ولكن بعد اندحار قوة هؤلاء السلاطين على يد سليم في موقعة الريدانية في عام ١٥١٧ كان لابد من تغيير هذا الوضع تماماً، لاسيما وأن المذاهب الشافعي ليس بالمذهب الرسمي للدولة العثمانية ، إذ أخذ العثمانيون بمذهب الإمام أبي حنيفة مذهباً رسمياً لدولتهم . ومن هنا أحس السلطان سليم أن هذا التغير السياسي – الفتح العثماني – والتغير المذهبي – ضرورة سيادة المذهب الحنفي – يحتمان عليه ضرورة إجراء بعض التغيرات الإدارية بالنسبة لأوقاف الحرمين ، حتى لاتضطرب أحواله ، وبالتالي تتعثر مخصصات الحرمين الشريفين في أول عام للفتح العثماني ، مما يؤثر على مكانة الدولة العثمانية ، وعلى اقتصاديات الحجاز ويثير بالخطر إذا ثار الحجاز على هذا الوضع .

من هنا قام السلطان سليم في فترة اقامته القصيرة في مصر ببعض التعديلات الإدارية المتعلقة بحسن سير إدارة أوقاف الحرمين ، فانتزع السلطان سليم إدارة أوقاف الحرمين من يد قاضي القضاة الشافعي في مصر وعهد بها إلى قاضي القضاة الحنفي . وزيادة في حرص السلطان سليم على سلامة الجهاز الإداري لأوقاف الحرمين وضمان حسن قيامه بالدور الموكول إليه ، أسند إلى دفتر مصر[٥] مهمة الإشراف على هذه الأوقاف ومراجعة حساباتها والمحافظة على المقررات السنوية المرسلة إلى الحرمين[٦] ، من ناحية أخرى أشار بعض المقربين إلى السلطان سليم

إلى مشكلة أخرى تتعلق بمخصصات الحرمين الشريفين ، وهي أن هذه المخصصات قد قام برصدها سلاطين المماليك السابقين وأصدر السلطان سليم أوامر بالمحافظة عليها والإستمرارية في القيام بدورها ، إلا أنه إذا كان هؤلاء السلاطين قد أسدوا بالخير على الحرمين ، فإنه بالأولى على السلطان سليم أن يبزهم ويتفوق عليهم وأن يزيد من خيراته مخصصات الحرمين الشريفين .

من هنا زاد السلطان سليم في أوقاف الكسوة الشريفة ، حتى أصبحت أضعاف ماكانت عليه من قبل . ولم يكتف السلطان سليم الأول بزيادة أوقاف الكسوة الشريفة ، إذ أضاف من خيراته ٧٠٠٠ أردب من الحبوب تخرج سنوياً من مخازن الغلال السلطانية عبر ميناء السويس إلى جدة وينبع ثم إلى الحرمين الشريفين . وكان يوزع من هذه الحبوب ١٥٠٠ أردب على أهالي ينبع غير القادرين على الذهاب إلى المدينة المنورة ، كما يتم توزيع ١٥٠٠ أردب على أهالي جدة الذين لم يتوجهوا إلى مكة في موسم الحج . كما أمر السلطان سليم لأهالي الحرمين بمبالغ نقدية وصلت إلى ألف دينار ذهبي[٧] .

وتعددت الأوقاف والمخصصات والمبرات التي رصدها السلاطين العثمانيون ونوابهم من الباشوات والولاة على الحرمين الشريفين كقرباء إلى الله وحفاظاً على مكانة وهيبة دولة الإسلام، ورعاية للحجاز لاسيما في موسم الحج الذي يفد إليه المسلمون من شتى بقاع الأرض . وقد أدى عظم هذه المخصصات إلى عظم حجم المشكلات المتعلقة بها أيضاً فلم تعد هذه المشكلات على بساطتها السابقة ، التي واجهها سلاطين المماليك ، أو حتى المشكلات الإدارية والسياسية والمالية التي واجهها السلطان سليم الأول بعد الفتح العثماني ، والتي استطاع أن يجد لها حلاً .

ولعل أهم هذه المشكلات هي مشكلة النقل ، ونقصد بها مايتعلق بنقل مخصصات الحرمين الشريفين من مصر إلى الحجاز . والحق أن هذه المشكلة ستعدد أوجه صعوباتها ، لاسيما فيما يتعلق بالنقل البرى والنقل البحرى لهذه المخصصات . وستصبح هذه المشكلة من أهم المشكلات التي تؤرق كل من الدولة العثمانية وباشوات مصر وأهل الحجاز .

وتنبع أهمية مشاكل النقل البرى بالنسبة للمخصصات العينية للحرمين الشريفين من طبيعة الأوضاع الجغرافية السائدة في طرق النقل البرى بين مصر والحجاز ، فهذه الطرق البرية هي بطبيعتها طرق صحراوية وعرة لاسيما فيما يتعلق بمشكلة نقل الغلال من القاهرة إلى السويس ، ومن بندر ينبع إلى المدينة المنورة ، أو من بندر جدة إلى مكة المكرمة ، وبالتالي نشأت الحاجة إلى الجمال لنقل الغلال عليها في هذه الطرق البرية ، من هنا ترصد لنا وثائق الأوقاف

دائماً " رسم اجارة الجمال المحملة عليها الحيوانات اللازمة في كل سنة " أو مايرد في الوثائق العثمانية للروزنامة " أجرت شتران الغلال " .

إلا أن الطبيعة الصحراوية الوعرة لهذه الطرق جعلتها عرضة لهجمات قطاع الطرق من بعض البدو أو من بعض القبائل التي تتمرد على السلطة في مصر أو في الحجاز . من هنا كثيراً ماتعرضت قوافل غلال الحرمين الشريفين أو مخصصات الحرمين الشريفين المحمولة في ركب قافلة الحج للنهب والسلب على أيدى بعض البدو . ولعل أهم تلك الحوادث مايرويه لنا المؤرخ المصرى أحمدشلبي بن عبد الغنى الحنفى عند ذكره لحوادث عام ١٧١٩/١١٣٢ " جاء الحاج في ثامن صفر الخير سنة ١١٣٢ وكانت سفرة حصلت فيها المشقة من العرب إلا أن الله سلم . ولم يرح من الحاج شيء ، وكان أغة الوجه حمزة أغا تابع اسماعيل بك ، وأما العقابة فأنهم انتهبوا جميعاً ولم يسلم منهم أحد ، ومات من كان خارج القافلة ، ولم ينج منهم إلا الهجان . وأما حمزة فباله الجرح وسلم من نهب القافلة "[٩] .

من هنا كانت الدولة العثمانية تحاول دائماً مواجهة خطر هؤلاء البدو من خلال سياسة الوعد والوعيد ، أما بالاتفاق مع القبائل الكبرى بقيام هذه القبائل بحراسة هذه الطرق في مقابل أتاوات سنوية ، أو بإقامة قلاع عسكرية على طول هذه الطرق ، يوكل إليها حفظ النظام في هذه البقاع المؤدية إلى الحرمين الشريفين أو حتى بإرسال حملات عسكرية تأديبية لقمع عصيان القبائل المتمردة .

ومن ناحية أخرى لجأت الإدارة في بعض الأحيان إلى عقد اتفاق مع القبائل الكبرى على جانبي الطريق لنقل غلال الحرمين على جمال مملوكة لهذه القبائل ستحمى الغلال والجمال معاً ، مقابل الإنتفاع بأجرة نقل هذه الغلال ، وفي حقيقة الأمر فإن هذا الأسلوب الذي لجأت إليه الإدارة كان من الأساليب التي تتفق مع طبيعة الأوضاع الجغرافية والبيئة الصحراوية والعادات السائدة في المجتمعات القبلية .

ولاتقتصر مشاكل نقل المخصصات العينية للحرمين الشريفين على الطرق البرية وحدها، وإنما تصادف مشاكل أخرى تتعلق بالنقل البحرى لهذه المخصصات من ميناء السويس في مصر شمال البحر الأحمر إلى وانيء الحجاز جدة وينبع . حيث كان يتم نقل هذه المخصصات سواء على سفن الأوقاف ، أو حتى سفن الميرى ، أي السفن التابعة للدولة أو حتى تأجير بعض السفن

الخاصة للمساعدة على القيام بهذه المهام الصعبة ، لاسيما مع صعوبة وخطورة الملاحة البحرية في البحر الأحمر في ذلك العصر[10] . وسنلاحظ بصفة خاصة مدى اهتمام الإدارة العثمانية في استانبول والسلطات القاهرة بهذه المشكلة ، فضلاً عن تأثير هذه المشكلة على أهالي الحجاز .

ويلقى الأرشيف العثماني Basbakanlik Osmanli في استانبول أضواء مهمة حول هذا الموضوع المثير[11] Arsivi لاسيما المجموعة الأرشيفية المعروفة بإسم مهمة مصر ، وهي من أهم المجموعات الأرشيفية التي تتعرض لعلاقة الحجاز بالدولة العثمانية من خلال السلطة في مصر .

وهناك تقرير عثماني بشأن مشاكل النقل البحرى لغلال الحرمين يرجع إلى عام ١١٣٧هـ / ١٧٢٥م، يتضمن أمراً صادراً من استانبول إلى والي مصر لإخباره أن علماء ومفتى مكة المكرمة قد أرسلوا بعريضة احتجاج إلى استانبول بشأن المخصصات العينية المقررة لهم من الحبوب من جانب وقف الدشيشة الكبرى والخاصة بعام ١١٣٤هـ إذ أن إجمالي المخصصات العينية من الحبوب لهذا العام من وقف الدشيشة الكبرى يبلغ حوالي ٣١٠٠ أردب من الحبوب . وكان من المقرر أن يتم نقل هذه الكمية من الحبوب على ظهر سفينتين تابعتين للوقف هما السفينة " مليكة " والسفينة " متجرة " ، إلا أنه لم يتم نقل هذه الكمية من الحبوب كاملة ، إنما تم نقل ألفين أردب فقط ، وبقيت ١١٠٠ أردب في مصر تنتظر نقلها إلى مكة . ويبدو أنه قد مر كثيراً من الوقت دون أن يتم شحن هذه الكمية إلى جدة ، مما أثار قلق أهل مكة خشية ضياع حقوقهم من مخصصاتهم من الحبوب المقررة لهم سنوياً ، والتي تضمن الدولة العثمانية وصولها اليهم، نظراً لمكانة مكة المكرمة الدينية والتاريخية ، وحتى تضمن الدولة ولاء الحجاز . كما نظر أهل الحجاز إلى تأخر وصول الحبوب اليهم على أنه اعتداء على حقوقهم التاريخية المقررة عبر الأزمان من أوقاف الدشيشة ، وفطنوا إلى أن تهاونهم في المطالبة بهذه الحقوق ربما يشجع البعض على التهاون في إرسال المخصصات العينية ، وحتى لايتحول الإستثناء إلى قاعدة .

من هنا أرسل علماء ومفتى مكة بعريضة احتجاج مباشرة إلى استانبول – وليس إلى القاهرة – للمطالبة بإيجاد حل لهذه المشكلة ، وسرعة شحن المتبقي من الغلال المقررة لعام ١١٣٤هـ ، والتي لم ترسل إلى مكة حتى الآن .

وبناءاً على هذه العريضة أرسلت استانبول أمراً إلى والي مصر تخبره بقصة احتجاج أهالي مكة على التهاون في إرسال الحبوب إليهم . وأصدرت إليه أوامرها بسرعة إرسال الكمية

المطلوبة من الحبوب والمتبقية من حساب عام ١١٣٤هـ على ظهر السفينة "ملكية " التابعة لوقف الدشيشة والتي كانت راسية – آنذاك – في ميناء القصير المصرى على البحر الأحمر وبالإضافة إلى ذلك نبهت الإدارة العثمانية في استنابول والي مصر إلى سرعة إرسال المخصصات العينية من الحبوب الصادرة من وقف الدشيشة والخاصة بعام ١١٣٥هـ ، والتي لم يكن الوقف في القاهرة قد شحنها بعد إلى الحجاز ، وهكذا تأخر لأهالي مكة مقررات عام ١١٣٤–١١٣٥هـ[١٢] .

وفي عام ١١٣٥هـ–١٧٢٣م واجهت الدولة العثمانية مشكلة حادة فيما يتعلق بالنقل البحرى للمخصصات العينية للحرمين الشريفين . ففي تقرير آخر أرسلته استنابول إلى صنجق جدة على باشا ، أوضحت الإدارة العثمانية أنه من المقرر سنوياً إرسال ٤١٤٢٠ أردب من الحبوب من مصر إلى الحرمين الشريفين . وقد جرت العادة أن يتم نقل هذه الكمية من الحبوب على السفن التابعة للدولة " سفن الميرى " والتي يقدر عددها بستة سفن ، إلا أن التقرير يذكر أن هذه السفن لم تعد قادرة على استيعاب هذه الحمولة أي أن هذه السفن لم تكف للقيام بعملية النقل البحرى لهذه الغلال من مصر إلى الحجاز ، مما ترتب عليه أزمة حادة في الحجاز ، ونقص في المؤن الغذائية ، نتيجة عدم وصول هذه الغلال إليه .

وقد حاولت الإدارة العثمانية إيجاد حل مؤقت لهذه المشكلة عن طريق استئجار بعض السفن الخاصة للمساهمة مع سفن الميرى في نقل الغلال من مصر إلى الحجاز . لكن الإدارة رأت أن الحل لايعد حلاً ناجحاً لهذه المشكلة ، لاسيما في المستقبل ، وأنه من الضروري رفع كفاءة أسطول الميرى حتى يستطيع القيام بالمهام الموكولة إليه ، وهي نقل الغلال سنوياً من مصر إلى الحجاز .

من هنا رأت الإدارة ضرورة زيادة عدد سفن الميرى من خلال شراء سفينة جديدة تنضم لهذا الأسطول . وعلى ذلك أرسلت استانبول أمراً إلى علي باشا صنجق جدة بضرورة شراء سفينة جديدة من النوع الهندى ، حيث أن حمولة هذه السفينة تقدر بحوالي خمسة آلاف أردب من الحبوب ، وهكذا فإن إنضمام هذه السفينة إلى أسطول الميرى سيرفع من قدرته الإستيعابية ويجعله قادراً على نقل كامل الغلال المقررة من مصر إلى الحجاز .

ولقد ظهرت مشكلة خاصة بتمويل شراء هذه السفينة الجديدة ، فمن أين يتم تدبير الأموال اللازمة لشراء هذه السفينة ؟ وقد وجدت استانبول حلاً لهذه المشكلة ، إذ قدرت لشراء هذه السفينة مبلغ ٤٠ كيساً ، تأخذ من حلوان القرى المرصودة لإرسال الغلال المخصصة

للحرمين الشريفين . وبعد توفير الإعتمادات المالية اللازمة لشراء السفينة أمرت الإدارة علي باشا صنجق جدة بسرعة شراء السفينة وتجهيزها ، واصدار الأوامر إليها بالإنجاز إلى ميناء السويس بمصر لكي تشارك مع بقية سفن أسطول الميرى في نقل الغلال المخصصة للحرمين الشريفين[١٣] .

ومن ضمن المشاكل التي عانت منها مخصصات الحرمين الشريفين ونتج عنها بعض القلق لكل من استانبول والقاهرة والحجاز مسألة الإضطرابات السياسية وفتن الجند، والصراعات بين البيوتات العسكرية ومدى تأثير ذلك على سيادة الأمن وعلى جمع مخصصات الحرمين الشريفين من القرى المرصودة لهذا الغرض . وفي القرن الحادى عشر هجرياً، السابع عشر ميلادياً ، يحدثنا الرحالة التركي الشهير أوليا جلبي – وهو المضطلع بشئون المالية في استانبول والقاهرة – عن مدى الأثر الضار الذي تركته الاضطرابات السياسية وفتن الجند وانعدام الأمن في بعض الأوقات على القدرة على جمع مخصصات الحرمين الشريفين من القرى المصرية، أو حتى تجميعها وارسالها إلى الموانىء المصرية على البحر الأحمر السويس والقصير استعداداً لإرسالها إلى الحجاز[١٤] .

وتقدم لنا وثائق الروزنامة المصرية نموذجاً لأثر الإضطرابات السياسية وعدم الإستقرار السياسي على مخصصات الحرمين الشريفين ومدى الإزعاج الذي تسببه هذه الحالة بالنسبة للقاهرة واستانبول والنموذج الذي تقدمه الوثائق المصرية يتعلق بفترة الصراع على النفوذ والقلق السياسي في مصر قبيل وصول على بك الكبير[١٥] إلى السلطة في مصر .

لقد أدت الصراعات السياسية بين البيوتات العسكرية في مصر من عام ١١٦٠هـ حتى عام ١١٦٢هـ إلى عدم إرسال المخصصات العينية من الحبوب إلى الحرمين الشريفين بل والأكثر من ذلك أن هذه الفرق المتناحرة قد استحلت لنفسها هذه المخصصات واستولت عليها ، واستثمروا قيمتها في نيران الصراعات العسكرية فيما بينهم . وعلى الرغم من عودة الهدوء والاستقرار السياسي مرة أخرى إلا أن هذه الفتن قد ابتلعت هذه المخصصات وضاعت على أهالي الحرمين الشريفين أو على حد تعبير الوثائق " أن الغلال المطلوبة لأهالي الحرمين الشريفين إلى غاية ١١٦٢هـ قد استهلكت بتمامها وكمالها بلغم الأمراء الفارين والمقتولين بمصر " .

وهكذا ظهرت مشكلة حادة بالنسبة للدولة العثمانية نتيجة عدم وصول الحبوب إلى الحجاز . ولم تأتي العرائض التي رفعت إلى استانبول – مطالبة بسرعة إرسال الغلال المتأخرة – من جانب علماء وأهالي الحرمين الشريفين فحسب وإنما تضامن من أهل مصر مع أهل الحجاز في

ارسال العرائض إلى السلطان العثماني للمطالبة بسرعة إرسال الغلال المتأخرة إلى الحرمين الشريفين " العرض المرسل قبل تاريخه من أهالي مصر المحروسة من علمائها وأمرائها والسادات والبكرية وغيرهم ".

وبناء على ذلك أرسل السلطان العثماني " الخط الشريف الهايوني بالشوكة مقرون من طرف الدولة العلية العثمانية " إلى والي مصر عبد الله باشا بضرورة إيجاد حلولاً سريعة لهذه المشكلة ، مهماً ترتب على ذلك من التزامات مالية سواء على استانبول أو القاهرة .

ولقد عهد عبد الله باشا والي مصر إلى الأمير خليل أفندى الروزنامجي[١٦] ، بتقصي أحوال هذه المشكلة التي أرقت كل من استانبول والقاهرة والحجاز ، مع بيان قيمة المتأخر من الغلال للحرمين الشريفين عن السنوات السابقة ، التي استولى عليها الأمراء العاصين . ووجد الأمير خليل أفندى الروزنامجي أن المتأخر من الغلال التي لم ترسل للحرمين الشريفين عام ١١٦٠هـ – (١٨٠٨١) أردباً ، بينما أرسل بقية المقرر لهذا العام من قبل ، ولم يتبق سوى القيمة المذكورة سابقاً ، أما فيما يخص عام ١١٦١هـ ، فقد بلغ إجمالي كمية الحبوب لهذه السنة – والتي لم ترسل على الإطلاق إلى الحرمين الشريفين – (٤١٧٥١) أردباً . وبالنسبة لعام ١١٦٢هـ فقد بلغ إجمالي كمية الحبوب السنوية المخصصة للحرمين الشريفين (٤١٧١٦) أردباً بانخفاض طفيف عن العام السابق ، وهذه الكمية لم يتم ارسالها أيضاً في ميعادها إلى الحرمين الشريفين ، وضاعت كما ضاعت مقررات السنوات السابقة في أثناء الصراعات العسكرية بين الأمراء .

من هنا قرر الروزنامجي إجمالي كمية الحبوب المتأخرة عن السنوات السابقة لصالح الحرمين الشريفين بحوالي (١٠١٥٤٨) أردباً . وكان نصيب مكة المكرمة من إجمالي هذه الكمية حوالي (٤٦١٥٥) أردباً ، بينما كان نصيب المدينة المنورة (٥٥٩٣) أردباً .

ولقد ظهرت مشكلة حادة لكل من استانبول والقاهرة بشأن كيفية تدبير هذه الكمية وارسالها إلى الحرمين الشريفين عوضاً عما ضاع في أثناء صراعات الأمراء في مصر . إذ أن المشكلة أصبحت الآن من أين سيتم تمويل هذه الكمية الجديدة من الحبوب ، ومن الذي سيقع عليه عبء ذلك ؟

وفي البداية رأت استانبول أنه ينبغي على القاهرة أن تقوم بإرسال هذه الكمية إلى الحرمين الشريفين ، لأنها تتحمل جريرة التمرد العسكرى الذي قام به الأمراء في مصر آنذاك ، وليس على استانبول أن تتحمل مسئولية الصراعات بين البيوتات العسكرية المصرية . إلا أن تفاقم المشكلة وعظم أثارها ، وعجز الخزانة في مصر عن سداد وتدبير الإعتمادات المالية اللازمة لإرسال الحبوب إلى الحجاز ، فضلاً عن عرائض الإحتجاج التي رفعها علماء الحجاز ومصر إلى استانبول بهذا الشأن دفعت هذه الأمور كلها استانبول إلى إيجاد حل وسط لهذه المشكلة التي سببت لها بعض القلق . وجاء ذلك من خلال الإتفاق على أن تتحمل الدولة العثمانية ماقيمته (٦١٥١٠) أردباً، على أن تتحمل مصر بقية كمية الحبوب الخاصة بالحرمين الشريفين .

وبناء على هذا الاتفاق بين استانبول والقاهرة ، عقد والي مصر إجتماعاً مع الأمير خليل أفندى الروزنامجي المصرى ، حيث تم تحرير وثيقة تشهد بكمية الحبوب المرسلة إلى الحرمين الشريفين وتقدير قيمتها المالية وتسليم ذلك إلى أمير الحج المصرى ، الذي يقوم بنقلها إلى الحجاز " وعليه حمله وتسليمه لمن له ولاية ذلك في الحجاز" [١٧].

ومن ناحية أخرى عانت مخصصات الحرمين الشريفين العديد من المشاكل الأخرى، منها مسألة الفساد الإداري واعتداءات بعض كبار الموظفين على مخصصات الحرمين الشريفين، لم تبتدع في عهد الدولة العلية العثمانية ، وإنما سابقة عليها . إذ تحدثنا مصادر عصر سلاطين المماليك في مصر – على سبيل المثال لا الحصر – عن القاضي " علم الدين البلقيني " في النصف الأول من القرن التاسع الهجرى حيث استغل فرصة انتشار وباء الطاعون وتسلط في تحصيل الأموال من التركات والأوقاف ، وكتب مرسوماً " استكتب فيه خطوط جميع شهود المراكز " فكان " الرجل يوصي بما تسمح به نفسه ، ويموت من يومه غالباً ، فيرسل نقيبه ما أوصى به ، ولم يحصل لأهل الحرمين من ذلك الدرهم الفرد " ويؤكد ابن حجر ذلك فيقول " ولاوجدنا في حساب السنة التي باشرها أنه ورد للحرمين شيء إلا من جهة واحدة من بلدة بالريف بمبلغ تافه ، مبلغه فضة أربعمائة درهم ، ولعله حصل من الجهة المذكورة وحدها عشرة أضعافها ذهباً وأما أوقاف الحرمين والصدقات فتحيل على الإنفراد بها بكل حيلة "[١٨] .

من هنا عملت الدولة العلية العثمانية منذ بداية عهدها على حسن تدبير إدارة أوقاف الحرمين الشريفين لضمان عدم اعتداء أصحاب النفوذ عليها ، ولذلك أمر السلاطين العثمانيون بأن يتبادل الأشراف على أوقاف الحرمين الشريفين – بمعاونة وباشتراك رجال الهيئة الدينية – كل

من رئيس الخصيان البيض " باب السعادة أغامي " ، ورئيس الخصيان السود " قيزلر أغاسي " ، كما كان يساعدهم عدد من رجال القصاء يطلق عليهم " حرمين مفتشي " أي مفتشي الحرمين[١٩] .

ومن جانبها حرصت الإدارة في القاهرة على حسن تدبير إدارة أوقاف الحرمين . ولاسيما باشوات الديار المصرية ، حتى أن المصادر التاريخية المصرية تحدثنا أن أول مادة كانت تعرض على الباشوات الجدد، هي مادة مخصصات الحرمين الشريفين ، وأن أول فرمان يصدر من ديوان مصر هو مايتعلق بخدمة الحرمين الشريفين " قدموا له حوالات الحرمين الشريفين عرض حال مادة تعلق الحرمين لأنها عادة قديمة أول فرمان في ديوان مصر مايتعلق بالحرمين الشريفين"[٢٠] .

وعلى الرغم من كل الاحتياطات السابقة التي اتخذتها كل من استانبول والقاهرة لضمان حسن إدارة مخصصات الحرمين ، إلا أن أوقاف الحرمين الشريفين والمخصصات السنوية للحرمين تعرضت في بعض الأحيان – كما شاهدنا من قبل – وكما اعترفت الوثائق التركية والمصرية للعديد من محاولات النهب والاعتداء من جانب بعض كبار رجال الإدارة .

هكذا توضح لنا الأمثلة السابقة مدى تعدد وتنوع المشاكل المتعلقة بمخصصات الحرمين الشريفين ، ومدى أهمية هذه المشاكل وإثارتها لإنتباه كل من استانبول والقاهرة والحجاز ، وهو الموضوع الذي لم يتطرق إليه الباحثون ، إذا كان جل همهم دراسة مخصصات الحرمين الشريفين وطرق صرفها ، دون التعمق في النظر إلى المشاكل المترتبة على هذه المخصصات ومتابعة تطورها في كل من استانبول والقاهرة والحجاز .

- الخاتمة -

في الختام فإنه يمكن القول ، بأن الإهتمام ينبع بالأهمية القصوى التي يتمتع بها الحرمين الشريفين ، عبر العصور التاريخية ، واهتمام الدول الإسلامية وشعوبها وحكامها بالحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والمكانة السامية التي يضعها المسلمون في قلوبهم في شتى بقاع الأرض لأقدس مكانين عندهم وهم الكعبة المشرفة في مكة المكرمة ، وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، فضلاً عن أن من يدين له الحجاز بالولاء يستطيع أن ينشر نفوذه السياسي والروحي على جميع أرجاء العالم الإسلامي ، حدث منذ أيام دولة الخلفاء الراشدين ثم الأمويين العباسيين إلى قيام دولة المماليك والسلطنة العثمانية . ويجدر بنا أن نذكر في هذا المقام ، أنه عندما قامت الدولة الأموية في الأندلس ، ونشأت الدولة الفاطمية في مصر وشمال أفريقيا ، حمل حكام هذه الدول ألقاب لم تكن لها أي أهمية تذكر عند المسلمين ، لأن الحرمين الشريفين كان خارج نطاق نفوذهما ، فكانت الخلافة العباسية في بغداد ، هي التي يعترف بها المسلمون بالسيادة والنفوذ .

ولأهمية الحجاز من هذه الجوانب الدينية والروحية والسياسية ، حرصت الدول الإسلامية على اختلاف مشاربها ، أن تستمد منها التوجيه والإرشاد ، لوجود الحرمين الشريفين وإلى مكانة الحج في الإسلام ، وأن تبذل قصارى جهدها في سبيل أن ينظر إليها المسلمون في شتى بقاع الأرض بأنها الحامية والحارس الأمين للحرمين الشريفين ، لذلك وضعت تلك الدول كل امكاناتها ولرواتها لرصد العديد من الأوقاف والمخصصات للحرمين الشريفين على مر العصور ، ولعل أهم هذه المخصصات هي الكسوة الشريفة ، التي رصدت من أجلها الأوقاف والإيرادات ولاسيما في عهد سلاطين المماليك ، ثم عهد الدولة العثمانية التي اهتمت هي الأخرى إهتماماً بالغاً بخدمة الحرمين الشريفين ، تمثلة بالكسوة للكعبة المشرفة .

والجدير في هذه الدراسة ، هي المشاكل المتعددة التي أظهرت التنافس بين بعض الدول الإسلامية وسعيها المتواصل للفوز بهذا الشرف العظيم ... فكل دولة من تلك الدول المشار إليها تسعى جاهدة إلى أن تحقق بعض أهدافها من وراء رصد المخصصات المالية وكسوة الكعبة الشريفة ، هذا بالإضافة إلى ظهور مشكلة إدارة أوقاف الحرمين الشريفين ، ونقل الحبوب وتأمين طرق الحج والقوافل إلى بلاد الحجاز .

لذلك جاءت هذه الدراسة المتأنية لتتناول مشاكل مخصصات الحرمين الشريفين التي لتجت بين الدول العثمانية ومصر والحجاز ، ومما أثار إهتمامي أيضاً سعي الدول الحثيث واهتمامها الجاد لأسباب متعددة ، إلا أننا نستطيع أن نلقي الضوء على هذه المنطقة والإهتمام بها، بإعتبار الميزة الدينية التي عرفت بها ، وهي بذلك موطن مكة المكرمة والمدينة المنورة وقبلة المصلين واالحجاج والمسلمين ، ومكة الحج في الإسلام فهو أحد أركان الإسلام الخمسة .

• الهوامش •

١ – عن مخصصات الحرمين الشريفين أنظر :–

Istanbul, Basbakanlik Osmanli Arsivi, Muhimme-imisir, Registre3, Document 353, 484, Page 32 & 197, 1723, 1725.

– دار الوثائق المصرية ، دفاتر مرتبات الصرة لأهالي مكة والمدينة •

– أرشيف وزارة الأوقاف المصرية ، على سبيل المثال حجة وقف السلطان مراد بن السلطان سليم ، حجة رقم ٩٠٦ •

– أحمد الرشيدى : حسن الصفاء والإبتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج ، تحقيق الدكتورة/ ليلى عبد اللطيف ، القاهرة ١٩٨٠ •

٢ – السلطان الأشرف برسباى من أهم سلاطين دولة المماليك الشراكسة في مصر وتولى الحكم من عام ٨٢٥ – ٨٤١هـ / ١٤٢٢ – ١٤٣٧ م •

٣ – الدكتور / محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الإجتماعية في مصر ٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠–١٥١٧م، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ •

٤ – عن الفتح العثماني لمصر أنظر :

الدكتور / أحمد فؤاد متولى: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته ، القاهرة ١٩٧٦م•

٥ – دفتر دار : هو شخصية بارزة يتولى الإشراف على الإدارة المالية من بين رجال الخزينة السلطانية •

٦ – ابن اياس ، محمد أحمد : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ٥، القاهرة ١٩٦١م، تحقيق محمد مصطفى ، ص ١٩٢ •

البكرى ، ابن أبي السرور : الكواكب السائرة في ملوك مصر والقاهرة ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، وأيضاً لنفس المؤلف :

الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٢٤ تاريخ •

٧ – البكرى ، ابن أبي السرور : المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٩٢٦ تاريخ ، ص ١٧٩ •

النهرواني ، قطب الدين : الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٧٩ •

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، القاهرة ١٩٢٥ ، ص ٢٨٤ .

٨ - وزارة الأوقاف المصرية دفتر خانة الأوقاف ، قسم الحجج الشرعية ، وثيقة وقف رقم ٩٠٦ الخاصة بالسلطان مراد خان بن السلطان سليم خان ، تاريخ الحجة عام ١٥٥٨/٩٩٧، ص ٥٥ .

دار الوثائق المصرية بالقاهرة ، الروزنامة دفتر رقم ٥٧٧٧ ، لعام ١١٦٤هـ .

٩ - بن عبد الغنى ، أحمد شلبي : أوضح الأشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، تحقيق الدكتور/ عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ١٩٧٨، ص ٣٠٣ .

١٠- عن الملاحة والتجارة في البحر الأحمر في العصر العثماني انظر :

الدكتور/ عبد الرحيم عبد الرحمن : النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني ١٥١٧-١٧٩٨، ضمن كتاب فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والإجتماعي في العصر العثماني ، القاهرة ١٩٩٠م

١١- عن الأرشيف العثماني لرئاسة الوزراء باستنابول انظر الكتالوج التالي :

Basbakanlik Ismanli Arsivi Rehberi, Amkara 1992.

12 - Basbakanlik Osmanli Arsivi, Muhimme-Imisir, Registre 3, Document 484, Page 197, 1137, 1725.

13- Basbakanlik Osmanli Arsivi, Muhimme-i Misir, Reggistre 3, Document 353, P. 132, 24/1/1723.

14- Evliya Celebi, Seyahatname, Volume X, Jstanbul 1938.

١٥- عن هذه الفترة والاضطرابات السياسية انظر :-

عبد الكريم رافق : بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ، دمشق ١٩٦٨م ، ص ٣٩٦ - ٤١٩ .

١٦- الروزنامجي : هو رئيس ديوان الروزنامة في القاهرة ، وهو الديوان الخاص بجمع الأموال الأميرية وصرفها على الوجود المقررة لها ، عن الروزنامجي والروزنامة في مصر انظر أيضاً: الدكتورة/ ليلى عبد اللطيف أحمد : الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ م .

١٧- دار الوثائق المصرية بالقاهرة ، ديوان الروزنامة ، دفتر رقم ٥٧٧٧ قديم ، لعام ١١٦٤هـ .

١٨- أمين محمد محمد : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

١٩- الشناوى - عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠ ، الجزء الأول ، ص ٤٤٣

٢٠- القينلى ، مصطفى بن الحاج ابراهيم المداح ، تابع المرحوم حسن أغا غزبان :
مجموع لطيف يشتمل على وقائع مصر القاهرة من عام ١١٠ إلى آخر تاريخ المجموع ، المكتبة الوطنية بفيينا - النمسا تحت رقم H.O, 38 ورقة ٩ ب .

مصادر البحث :

أولاً :

الأرشيف التركي باستانبول – تركيا .

Basbakanlik Osmanli Arsivi, Muhimme- I Misir, Registre 3, 17233, 1725.

ثانيا :

- الأرشيف المصرى : دار الوثائق المصرية بالقاهرة .
- مجموعة الروزنامة : دفاتر الصرة لأهالي مكة المدينة .
- وزارة الأوقاف المصرية – أرشيف الحجج الشرعية : حجة السلطان العثماني مراد بن السلطان سليم – حجة رقم ٩٠٦ .

– المخطوطات والمصادر :

* ابن اياس ، محمد أحمد : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جـ٥ ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٦١ م .
* ابن عبد الغنى ، أحمد شلبي : أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ١٩٧٨م.
* البكرى ، ابن أبي السرور : الكواكب السائرة في ملوك مصر والقاهرة مخطوط بدار الكتب المصرية .
* الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة – مخطوط بدار الكتب المصرية .
* أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج ، تحقيق الدكتورة ليلى عبد اللطيف ، القاهرة ١٩٨٠م .
* القينلى ، مصطفى بن الحاج ابراهيم المداح ، تابع المرحوم حسن أغا عزبان : مجموع لطيف يشتمل على وقائع مصر القاهرة من عام ١١٠٠ إلى آخر تاريخ المجموع ، المكتبة الوطنية بفيينا – النمسا H.038 .

* Evliya Celebi, Seyahatname, Volume X, Istanbul 1938 .

المراجع

- ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، القاهرة ١٩٢٥ م .
- أحمد فؤاد متولى : الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
- عبد الرحيم عبد الرحمن : النشاط التجارى في البحر الأحمر في العصر العثماني ، ضمن كتاب فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعي في العصر العثماني ، القاهرة ١٩٩٠ م .
- عبد الكريم رافق : بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ، دمشق ١٩٦٨م.
- عبد العزيز محمد الشناوى الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
- ليلى عبد اللطيف أحمد : الإدارة في مصر في العصر العثماني ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ م .
- محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، ٦٤٨-٩٢٣/١٢٥٠-١٥١٧، القاهرة ، ١٩٨٠ .

أندرونيقوس كومنين
وسياسة بيزنطة الخارجية فى عهده
١١٨٣ - ١١٨٥م

إعداد

دكتـــور

محمد محمد عبد الحميد فرحات

مدرس تاريخ العصور الوسطى - كلية تربية العريش

جامعة قناة السويس

تعتبر أسرة كومنين من أهم وأعظم الأسرات البيزنطية التى تربعت على عرش القسطنطينية ، حيث واكب فترة حكمها تغيرات سياسية خطيرة لم يقتصر أثرها على الدولة البيزنطية فحسب ، بل على الغرب الأوروبى والشرق الأدنى الأسلامى ، لذا كان على أباطرة هذه الأسرة ينتهجوا سياسة خارجية حكيمة للتصدى لهذه التغيرات ، وقد أتسمت تلك السياسة بصفة عامة بالمرونة ، فلجأوا إلى الدبلوماسية حينا وإظهار القوة أحيانا ، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد كبير وذلك إبان فترة حكم كل من الكسيسوس الأول AlexiosI مؤسس الأسرة ١٠٨٠- ١١١٨ م ، ويوحنا John ١١١٨- ١١٤٣ م ومانويل Manuel ١١٤٣- ١١٨٠م . وبموت الأخير أخذت بوادر الضعف والأنهيار تدب فى جسد تلك الأمبراطورية خاصة وأن الأمبراطورمانويل كان أوربى الطابع والنزعة شغوفا بكل ما هوغربى ، فاعتمد كثيرا على الغربيين فى كثيرمن الأمور خاصة الأقتصادية والعسكرية ، مما أوجد نوعا من السخط والكراهية أخذت تتفشى بسرعة هائلة بين أبناء الأمبراطورية البيزنطية ، ولم يحد من غلوائها سوى ما تمتع به الأمبراطور مانويل من قوة فى السيطرة على زمام الأمور فى دولته .

وبعد وفاة الأمبراطور مانويل ١١٨٠م وتولية زوجته مارى الأنطاكىMaria of Antioch الوصاية على أبنها القاصر اليكسيوس الثانى Alexiox II وجد هذا السخط متنفساً له ، فنظراً للاتينيتها وأنتهاجها نفس سياسة زوجها الغربية وإسنادها الإشراف على الحكم لخليلها اليكسيوس البروتوسباستوس(١) Alexios Protosebastos ، كرهها الشعب وقامت عدة محاولات للإطاحة بها ، إلا أنهاباءت بالفشل لافتقارها إلى

١- معنى هذا اللقب (الجيل الأول) وهو لقب شرف دون لقب قيصر Caesar وكان يسمح لحاملى هذا اللقب وزوجاتهم أن يتناولوا الطعام عى المائدة الإمبراطورية. أنظر من ذلك.
Runciman, Byzantne Civilization , Seventh Impression, Great Britain , 1975, P. 84.

أنظر أيضاً : إسمت فنيم : الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية دار المعارف ١٩٨٢ص ٤٠ حاشية رقم ٢.

التخطيط السليم والزعامة القوية ، ولكن سرعان ماوجدت تلك المعارضة ضالتها المنشودة فى شخص عضو بارز من البيت الكومنيتى وإن كان من فرع آخر غير الفرع الحاكم وهو الأمير أندرونيقوس كومنين Andronikos Comnen الذى كان يراقب من منفاه ببونطس Ponts- على البحرالأسود – ما يجرى من أحداث فى القسطنطينية فاستغل فرصة اضطراب الأحوال بالقسطنطينية وتحفز المعارضة الداخلية ليثب على العرش مشاركاً الإمبراطور اليكسيوس القاصر فى الحكم فى أول الأمر، ثم منفرداً بالحكم بعد ذلك ليدير بمفرده سياسة الدولة البيزنطية فى فترة من أخطر وأحلك الفترات التى شهدتها البلاد خلال تاريخها رغم قصرها الواضح من ١١٨٣–١١٨٥م .

ولد أندرونيقوس كومنين سنة ١١٢٠م ، ووالده هو اسحق كومنين Isaac Comnen شقيق الإمبراطور يوحنا الثاني John II ، ويعتبر أندرونيقوس كومنين مثالاً متكاملاً للفارس البيزنطى فى العصور الوسطى بكل محاسنه ومساوئه ، فقد كان فارع الطول ذا قوة هرقلية ، حاد الذكاء ، فصيحاً صريحاً لدرجة أن الأخرين كان يخشونه وكان من اليسير عليه الإنسحاب بلباقة إذا شعر بحرج موقفه ، وكان شديد الإقناع صعب المعارضة(١) ، ذا علم واسع يعرف جيداً الأدب المقدس . كما كان مقداماً لايبلى بالأعداء يقتحم صفوفهم دون أن يهاب شيئاً (٢) .

١– Niketas , Ocity of Byzantium , Annals of Niketas Choniates, Translated by Harry J. Magoulias , wayne State University Press Detroit, 1984, P. 193, Cf. also . Hussey, the Later Macedonians , the Comneni and the Angeli 1025-1204, C. M. H., IV, PT. Part. 1. 2nd edited in 1976(P.P. 193-259), P. 244; Ostrogorsky, History of the Byzantine State, English Thrans by Hussey , Oxford, 1968,P. 394

٢– Niketas , OP. Cit., P.P. 193, 194 Cf. also, A. Vasiliev , History of the Byzantine Empire, 324-1453, London , 1971, Vol. 11, P. 377; Boundrillart, M. V. C. Dictionnaire d'Histoire et de Geographie Ecclesiastique, Vol. 11, Paris, 1914, P. 1174; Tout , the empire and the Papacy , London , 1924, P. 340

ورغم كل الصفات الطيبة التى تتمتع بها ، إلا أنه لم يبال بالدين ، فكان لا يخشي الله أو الشيطان ، إضافة إلى أنه كان متشائماً ويؤمن بالخرافة والسحر (١) ، وليس لدية مبادىء ولا يخشى شيئا ، ولم يمسكة شيء ولا يمنعة أى قلق تجاه خلق عام ولا الشعور بالواجب أو الجميل (٢). كان فخورا بنشأته يحلم بالعرش وهو بعد صغير ، يستخدم جميع الأساليب ، كل الطرق كانت فى نظرة نافعة من السيف إلى السم ، التآمر والعنف والقسوة والخبث ، ولذلك كان منافقا كبيرا وممثلا بارعا وحرباء متعددة الألوان ، وازدادت مع الكبر قسوتة وخلاعتة وأصبح لا يحتمل ، وقد ملأ القرن الثانى عشر بمغامراتة العاطفية التى أصبحت مثار حديث أهل القسطنطينية (٣).

نشأ أندرونيقوس كومنين وترعرع فى بلاط القسطنطينية مع ابن عمة مانويل وعاش الإثنان حياة ملؤها الحب والوئام(٤) وظلا على هذا الحال حتى سنة ١١٤٣م عندما اشتركا معا فى الحملة العسكرية التى قادها الإمبراطور

١- Niketas , OP. Cit., P.P. 187-88

٢- Eustathius of Thessalonica, De Capta Thessalonika narratio, edited by I. Bekker. P.G. T 136,P.P. 25-26

انظر ايضاً روبرت كلارى ، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ترجمها من الفرنسية القديمة لها د. حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٤م، ص ٥٦ . انظر ايضاً : لرمان : الإمبراطورية البيزنطية ، تعريب د. مصطفى طه بدر، دار الفكر العربى ، بدون تاريخ ص ٢١١

٣-لمزيد من التفاصيل عن مغامرات اندرونيقوس العاطفية انظر :

Charles Diehl, Les romaneesques aventures d'Andeonic Comnene dans Fiures Byzantines . dans la Deuxiéme Serie, 1908,Pairs , 1908,P.P. 86-133.

٤- Kinnamos . Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans by Charles M Brand, New York, 1976, P. 100.

يوحنا ضد بلاد الشام (١). وعندما وافت المنية الإمبراطور يوحنا فى قيليقية عام ١١٤٣م أسرع إبنة مانويل بالعودة إلى القسطنطينية مارا بأسيا الصغرى حتى يصل إليها فى أقرب وقت ليخلف أباه على العرش (٢) ، بينما تخلف أندرونيقوس عن صفوف الجيش بغرض الصيد ، فوقع فى أيدى أتراك قونية . ولما كان مانويل حريصا على الوصول بأقصى سرعة إلى عاصمته فإنه لم يبذل أى جهد من أجل إنقاذ حياة أبن عمة أندرونيقوس ، ومنذ تلك اللحظة تصدعت العلاقة بين الصديقين وأنفصمت عرى المودة بينهما وحل الحقد والكراهية محل الود والوئام خاصة وأن مانويل لم يحاول تبرير موقفه ولم يقدم اعتذارا لما حدث منه بعد أطلاق سراح أندرونيقوس ، ومما دفعه إلى ذلك أنه كان يغار من قدرات أبن عمة الجسمانية والذهنية الأمر الذى أوغر صدر أندرونيقوس علية ولم يعد بالإمكان بقاء الرجلين فى مكان واحد (٣).

أخذ أندرونيقوس يكيد لأبن عمة محاولا النيل منه ومن سمعته مستغلا العلاقة الآثمة التى كانت تجمع بينه وبين عشيقته إيودوكيا Eudokia – إبنة أندرونيقوس شقيق الإمبراطور مانويل وأخت ثيودورا Theodora محبوبة الإمبراطور – للتشهير بمانويل وعائلته (٤)، الأمر الذى لم يحتمله الأخير . وحتى يبعد عنه هذا الخصم العنيد لجأ عام ١١٥١ م إلى

١–الجدير بالذكر أن الإمبراطور يوحنا كان يهدف من وراء حملته تلك انتزاع إمارة أنطاكية من أيدى ريموند الف بواتيه (١١٣٦ – ١١٤٩م) وعودتها ثانية إلى الحظيرة البيزنطية ولكنه فشل فى ذلك ، ولمزيدمن التفاصيل عن تلك الحملة أنظر

Kinnamos, OP . 26 . Cit , P.P . 26 - 27 : Niketas, OP . Cit .,P.P.25- 27

2- Kinnamos , OP . Cit ., P.P . 27, 33 -4 : Niketas , OP . Cit ., P . 30

٣– أشار نيقتاس إلى أن السلاجقة أطلقوا سراح أندرونيقوس دون أن يدفع فدية : وللمزيد أنظر :

Niketas , OP . Cit ., P . 30

4-Ibid ., P.P . 59 - 61

منحة لقب دوق قيليقية وكلفه بمهمة إخضاع الأمير ثوروس الثانى الأرمينى ThorosII (١١٤٤ – ١١٦٧ م) (١) إلا أن هذه الحيلة لم تنطل على أندرونيقوس الداهية الذى وجد أن هذه المهمة ما هى إلا حيلة لإبعاده عن القسطنطينية ، فعزم على الظهور بمظهر من لا يليق بما كلف به ، فلم يثبت أمام قوات ثوروس وفر منهزما إلى أنطاكية ، ومنها عاد أدراجه ثانية إلى القسطنطينية (٢) .

ورغم ما حدث من أندرونيقوس ، لم يبد الأمبراطور مانويل أى ضيق أو سخط تجاهه ولم يقم حتى بتوبيخه ، بل على العكس من ذلك فقد كلفه بمهمة الدفاع عن حدود الإمبراطورية ضد الخطر المجرى ومنحه لقب دوق بلجراد Belgrade وبرانسيفو Branicevo (٣) .

١– أرسل الإمبراطور مانويل حملته العسكرية بقيادة ابن عمه أندرونيقوس كومنين لاستعادة النفوذ البيزنطى بقيليقية وتأديب الأمير ثوروس الإرمينى الذى شق عصا الطاعة على السيادة البيزنطية واستولى على عدد من المدن البيزنطية بالإقليم ، ولمزيد من التفاصيل عن تلك الحملة راجع :

Kinnamos ,OP . Cit ., P.P. 96 - 7 : Gregoire le Pretre ,Chron ique de gregoire le Pretre , Cf. R. H. C. Dos. Arm ., I , (P.P. 151 - 201) ,P.P. 168 - 170 ; Guiragos de Kantzag Histoire d, Armenie , extrait , CF. R. H. C. Dos. Arm ., I, (P.P. 413-430) ,P .414 : Vahram d'Edesse , Chronique Rinee des Rois de la Petite Armenie , Cf. R. H. C. Doc . Arm ., I, (P.P. 493 - 535) ,P.P. 503 -6

ولمزيد من التفاصيل عن دوافع تلك الحملة وأهم نتائجها راجع : محمود سعيد عمران : السياسية الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣ – ١١٨٠ م ، دار المعارف ١٩٨٥ م ، ص ١٨٩ – ١٩٤

2- Kinnamos , OP . Cit., P.P 98 -100

3- Ibid., P.89 : Niketas , OP . Cit ., P . 58

والجدير بالذكر أن الإمبراطور مانويل قام فى عامى ١١٥٠–١١٥١ بشن الحرب على المجر لتحالفها مع الصرب ونورمان صقلية فى جنوب إيطاليا أعداء الإمبراطورية البيزنطية ولمزيد من التفاصيل انظر :

Gy Moravcsik,Hungry and Byzantium in the Middle Ages,C. M.H., IV, PT .I. (2nd. ed. 1976, P.P. 567-595). P. 582

وهنا نتساءل ما الذى دفع مانويل للتصرف على هذا النحو مع أندرونيقوس ؟! هل هو سعة صدر ونبل أخلاق منه ، أنه كان مضطرا إلى ذلك اضطرارا ؟ الواقع أن مانويل كان مضطرا للتصرف على هذا النحو لأن ابن عمة أندرونيقوس يكاد يكون هو الأمير الوحيد فى البلاط الذى يجرؤ على معارضته وجها لوجه ، فضلا عما اشتهر به من تدبير المؤامرات المستمرة ضده (١) . وخير شاهد على صدق ما ذهبنا إليه هو أن أندرونيقوس بعد ما كلف بمهمته الجديدة ومنح لقب دوق بلجراد وبرانسيفو لم يكف عن التآمر ضد مانويل ، بل حاول أيضاً الإطاحة به فعرض على جيزا Geza ملك المجر التنازل له عن ولايته مقابل مساعدته فى الأستيلاء على العرش البيزنطى والقضاءعلى مانويل (٢) ، كما أنه أرسل السفارات إلى إمبراطور المانيا فريدريك الأول بربروسا FrederickI Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) لطلب المساعدة منه فى الوقت المناسب (٣) .

وتعددت القرائن والأدلة فى أيدى مانويل وتأكد من خيانة ابن عمة له فذهب إليه فى معسكر بلاجونيا Pelagonia -غربى مقدونيا-وهناك حاول أندرونيقوس إغتيال الإمبراطور أكثر من مرة ، إلا أنه فشل فى ذلك وقبض عليه الإمبراطور وزج به فى سجن القصر الكبير بالعاصمة (٤) .

1- Ostrogosky, OP . Cit ., P. 395

٢- والجدير بالذكر أن جيزا ملك المجر وافق على عرض أندرونيقوس السابق وتوجه إلى برانسيفو ، وهناك علم بالقبض على أندرونيقوس ففشل مخططه ونجحت القوت البيزنطية من رد قواته علىأعقابها، وللمزيدانظر :

Kinnamos ,OP . Cit ., p.p. 86 - 133

3-Ibid ., P. 100: Cf . also , Gy Moravsik , OP . Cit ., P.P. 581- 82 : Baudrillart, OP. Cit., P. 1174

ولم تمدنا المصادر المتاحة بمعلومات توضح لنا رد فريدريك بربروسا على طلب أندرونيقوس

٤- أسهب كيناموس Kinnamos فيذكر تفاصيل أندرونيقوس ضد الإمبراطور مانويل ، عن ذلك أنظر :

Kinnamos , OP. Cit., P.P. 100 -3 : Niketas ,OP . Cit ., P.58

لقد كانت فترة أسر أندرونيقوس الطويلة والتى امتدت من عام ١١٥٥ م إلى عام ١١٦٤ م مادة خصبة لسلسلة من القصص والطرائف (١) ، إذ حاول خلالها الهرب أكثرمن مرة ، إلا أنه فشل فى ذلك (٢) . وظل يعاود المحاولة تلو الأخرى إلى أن نجح أخيرا فى ذلك عام١١٦٤م بفضل مساعدة زوجته له، والتجأ إلى دوق روسيا العظيم ياروسلاف Iaroslave فى جاليشيا Halitich الواقعة على نهر الدينستر Dneister حيث أكرم يارسولاف نزله وأحسن وفادته مما أثار قلق الإمبراطور مانويل الذى لم يكن يأمن قط جانب أندرونيقوس ففضل مسامحته والعفو عنه عن أن يتركه بعيدا عنه لا يدرى شيئا عما يدبره ضده من مؤامرات ، فاستدعاه إلى القسطنطينية ليكون تحت سمعه وبصره ، إذ خشى أن يتحالف أندرونيقوس مع ياروسلاف ويشكلا خطراجديدا على دولته فعاد أندرونيقوس ثانية معززا مكرما إلى القسطنطينية (٣) .

أمل الإمبراطور مانويل هذه المرة أن يعيش أندرونيقوس فى العاصمة فى سلام ويتخلى عن تدبير المؤامرات وإثارة الفتن ضده ، ولكن خاب أمله ، إذ لم يكن بوسع ابن عمه أن يتخلى عن روح الغدر والخيانة التى تأصلت فى دمه . فمن المعروف أن مانويل حتى ذلك الحين (أواخر سنة ١١٦٥ أوائل سنة

Charlecit.es Dichl , OP. Cit., P.P. 86 - 133

Kinnamos , OP . Cit., P.P. 175- 77 Cf . also , Vasilicv, OP . Cit., P. 378

Kinnamos, OP. Cit., P.P. 175 , 188 , Cf . also , Ostrogorsky , OP. Cit., P. 395

١١٦١ م) لم ينتجب وليا للعهد فاراد توحيد إمبراطورية المجر مع إمبراطورية بيزنطة عن طريق المصاهرة بان يزوج ابنتة مارى Mary من الأمير بيلا Bela الذى سيئول إلية عرش المجر فى مابعد ليكونا خليفية على عرش البلاد(١) . وعندما طلب من اندرونيقوس أن يحلف يمين الولاء لهما باعتبارهما ورثة العرش رفض أداء اليمين . وكان من الممكن أن يتغاضى مانويل عن اعتراض أندرونيقوس إذا توقف الأمر عند ذلك الحد ، إلا أنه حينما راي أن رفض اندرونيقوس يلقي صدي لدي العديد من أمراء البلاط الآخرين خشي ما نويل من عواقب ذلك ، فاضر إلي إبعاد أندرونيقوس عن القسطنطينية وإرساله إلي قيليقية مرة أخري عام ١١٦٦م (٢) ، إذ عهد إليه الإمبراطور مانويل مهمة إخضاع الأمير ثوروس الأرميني فلم يكن من أندرونيقوس سوي تكرار مافعله في المرة السابقة (٣) ، وأكثر من ذلك قام بقتل ستيفاني Stephani شقيق الأمير ثوروس مما أثار حفيظة الآرمن الذين

١- من المعروف أن الإمبراطور مانويل نظرا لعدم وريث يخلفة على عرش البلاد حتى ١١٦٦م عمد إلى زواج ابنته مارى من الأمير المجرى بيلا ليخلفه على عرش القسطنطينية ويوحد بذلك عرش المجر وبيزنطه ، إلا أنه فى نهاية ١١٦٩م ولد لمانويل ابنه اليكسيوس من زوجته مارى لأنطاكية فتغيرت خططة السابقة لوراثة العرش فبدلا من أن يتزوج بيلا إبنه الإمبراطور تزوج من أن دى شاتيليون Anne de Chatillon وغادر القسطنطينية عام١١٧٢م للتربع على عرش المجربعد أن ادى يمين الولاء له موضحا أنه سيرعى دائما جانب الإمبراطورالإمبراطورية وسيحافظ على صداقتة وتحالفة مع بيزنطه ، ولمزيد من التفاصيل راجع:

Kinnamos, OP. Cit., P.P. 163 ,214 . : Niketas , OP. Cit., P.P. 73, 78
Cf .also , Moravcsik, OP. Cit., P.P. 583 - 84

2- Kinnamos ,OP. Cit., P.P . 163 , 188 Cf . also , Hussey J . M. The Byzantine
World , London, 1967 , P.61

3- Niketas ,OP. Cit., P. 79

قاموا بالإنتقام من الرعايا البيزنطيين بالمنطقة وقتلوا منهم أعداداً كبيرة (١) . ولما رأي أندرونيقوس انه لامقام له بقيليقية وسط ثورة الأرمنت وانتقامهم رحل إلي أنطاكية حيث دخل في علاقة غرامية جديدة مع الأميرة فيليبا Philipa شقيقة الإمبراطورة ماري زوجة مانويل ، مما أثار غضب الأخير وحنقه عليه (٢) . ولما رأي أندرونيقوس أن الجو لم يعد مناسباً للإقامة في أنطاكية والإستمرار في تلك العلاقة ، تركها متوجهاً صوب مملكة بين المقدس التي وصلها أثناء غياب الملك عموري الأول ١١٦٣ – ١١٧٤م في حملته علي مصر (٣) . وعندما عاد الملك من حملته أعجبه ما عليه أندرونيقوس من وجاهة ووسامة ، فضلاً عما جلبه معه من جنود وأموال كانت عوناً كبيراً للملك (٤) . وطلب أندرونيقوس من الملك عموري التوسط بينه وبين الأمير

١–من ظروف تولية أندرونيقوس إقليم قيليقية وقتله الأمير استيفانى شقيق ثوروس ورد الفعل الأرمينى انظر:

Sempad , le Conetable , Chronique du Royaume de la Armenie , extrait Cf . R. H. C.Doc. Arm., 1, (P.P. 616-19)P. 621;Guiragos de Kantzag, OP. Cit., P. 416 ; GregoirelePretre,Op.Cit., P. 198.

٢–كسهب النيقيتاس على تفاصيل علاقة أندرونيقوس بفيليبا انظر:

Niketas ,OP. Cit., P.P. 79-80; Kinnamos , OP. Cit ., P. 188.

٣– ماتت الأميرة فيليبا كمداً بعد سنوات قليلة من غدر أندرونيقوس بها، ولمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

Niketas ,OP. Cit., P. 79

بينما ذكر الصورى أن أندرونيقوس قد تزوج من فيليبا ثم طلقها، وهذا خطأ وقع فيه المؤرخ ، انظر :

William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond The Sea , Trans . by Bad Cock and Krey, 2 vols, New York, 1943Vol. 2, P.P. 416 - 17.

وعن وصول أندرونيقوس إلى مملكة بيت المقدس انظر :

Ibid ., P. 345.

٤– ذكر نيقيتاس أن أندرونيقوس أخذ الضرائب التى من قبرص وقيليقية وذهب بها إلى بيت المقدس وبرفقته أعداد لا بأس بها من الفرسان عن ذلك انظر:

Niketas ,OP. Cit., P. 78 ; Kinnamos, OP. Cit., P. 188; William of Tyre, Op. Cit., P. 345.

ثوروس فوعده بذلك (١) ، ولما قام الإمبراطور مانويل بعزل أندرونيقوس عن حكم إقليم قيليقية ترضيةً لخواطر الأرمن جهة ، وعقاباً لأندرونيقوس من جهة أخري ، قام الملك عموري بمنحة إقطاعية بيروت تعويضاً له وذلك في عام ١١٦٧م(٢) . والواقع أن حكم أندرونيقوس لبيروت كان حكماً صورياً إذ لم يكن لديه من الوقت ما يقضيه في تصريف شئون إقطاعيته ، بل كان مشغولاً بعلاقته الغرامية الجديدة مع ثيودورا أرملة الملك بلدوين الثالث وقريبة الإمبراطور مانويل ، وهي شابة في مقتبل العمر وعلي قدر كبير من الجمال وكانت تملك إقطاع عكا كميراث من زوجها الراحل وشاعت في أرجاء مملكة بيت المقدس تفاصيل تلك العلاقة الآثمة (٣) ، فاستشاط الإمبراطور غضباً عند سماع أنباء تلك العلاقة ، فأرسل علي الفور خطاباً إلي الملك عاموري ملك بيت المقدس يحثه فيه علي ضرورة القبض علي أندرونيقوس وسمل عينيه وإرساله إلي القسطنطينية (٤) . ولحسن حظ أندرونيقوس وقع ذلك الخطاب في أيدي لأميرة ثيودورا التي أطلعته علي فحوي ماجاء به ، ولما رأي أندرونيقوس أنه ليس من الحكمة الإستمرار في الإقامة في بيت

١- Michel le Syrien , La Chronique de Michel le Syrien , Cf. R,. H. C. Doc. Arm. T. 1 (P.P. 309-409)P. 355

٢- أرسل الإمبراطور مانويل القائد قسطنطين كولمان Constantine Colmon ليحل محل أندرونيقوس في حكم قيليقية من جهة ، وفي قلب فيليبا إن أمكن من جهة أخرى ، عن ذلك أنظر :

Niketas ,OP. Cit., P. 80

أما عن منح الملك عموري بيروت لأندرونيقوس راجع :

William of Tyre , Op. Cit., Ii, P. 395

٣- عن حكم أندرونيقوس لإقطاعية بيروت وتفاصيل علاقته بثيودورا راجع : محمد محمد فرحات : بيروت ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ١١١٠- ١٢٩١م/ ٥٠٣-٦٩٠ هـ رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، الإسكندرية ١٩٩٤م ص ٢٣٠-٣٣

٤- Niketas ,OP. Cit., P. 80 Cf. also , Vasiliev , OP. Cit., P. 378

المقدس ، نظراً لأن الملك عموري لم يكن بوسعه رفض طلب الإمبراطور ، هذا من جهة ، ورفضت الكنيسة زواجه من ثيودورا نظراً صلة القرابة الوثيقة بينهما (١) من جهة أخري ، لذا فضل الرحيل معها عن المنطقة والتوجه صوب دمشق حيث الملك نور الدين محمود الذي أكرم وفادتهما . ومن دمشق أخذاً يجوبان بالاط أمراء الشرق حتي استقرا في النهاية في إحدي القلاع علي الحدود التركية البيزنطية لدي أحدي الأمراء الأتراك ومنها أخذ أندرونيقوس يعترض طريق القوافل التجارية ويشن الغارات علي الحدود البيزنطية (٢) .

مما سبق يتضح لنا أن أندرونيقوس قد تعمد الكيد لإبن عمه والنكاية به والعمل علي إذلاله والتشهير به وبسمعته عن طريق تلك العلاقة العاطفية الآثمة ، فوقع اختياره علي كل من لها صلة قرابة بالإمبراطور مانويل ليكون ذلك أشد في الإذاء والمهانة . ولعلنا لم نجانب الصواب عندما نؤكد أن ما لاقاه أندرونيقوس من شهره بسبب مغامراته العاطفية في القرن الثاني عشر ، لم يكن مرده إلي كثرة مغامراته أو علاقته مع الأميرات البيزنطيات علي وجه الخصوص بقدر ما كان لهؤلاء الأميرات من مكانة ومنزلة وعلاقة وثيقة بالإمبراطور مانويل .

وينفرد الرحالة ابن جبير برواية ذكر فيها أن أندرونيقوس قد أعتنق الإسلام ، وسيق له صليب ذهبي قد أحمي عليه في النار ، فوضعه تحت قدمه

١- يعتبر أندرونيقوس ابن اسحق شقيق الإمبراطور يوحنا الثانى فى حين كانت ثيودورا ابنة اسحق بن يوحنا الثانى أنظر :

Niketas ,OP. Cit., P. 128 ,N. 610

٢- Kinnamos , OP. Cit., P. 188; Niketas , OP. Cit ., P. 81

انظر أيضاً : ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٣٤

وهي عندهم أعظم علامات الترك لدين النصرانية والوفاء بذمة دين الإسلام»(١) . والواقع أن الباحث لا يميل إلي الأخذ بما أوردته تلك الرواية السابقة ، فالثابت أن أندرونيقوس قد أقام فترة ليست بالقصيرة لدي السلطان قلج أرسلان الثاني سلطان قونيه (١١٥٦ – ١١٨٨م) الذي كان له فضل كبير عليه أثناء تلك الفترة وما بعدها (٢) ، فقد سمح له خلال إقامته عنده باتخاذ بلاده قاعدة لشن الغارات علي حدود الدولة البيزنطية وإعتراض طريق القوافل وغير ذلك من الأعمال . وعلي الرغم من كل ذلك فإن الباحث لا يميل إلي الأخذ بما أوردته رواية ابن جبير ، نظراً لأن مبادىء الإسلام وسماحته تنهي عما قام به أندرونيقوس من أفعال لاحقة . وإن صح أن أندرونيقوس أعتنق الإسلام فمن غير شك أنه كان يتظاهر به فقط دون الإعتقاد فيه وربما فعل ذلك ترضية للسلطان قلج أرسلان الثاني ، وليس عن إقتناع شخصي بالإسلام ليستدر عطفه وليبقي علي تلك الرعاية التي يوليها إياه السلطان قلج أرسلان الثاني (٣) ، ولربما يكون ذلك من التمثيليات التي كان يجيد لعب أدوارها ليتفادي بذلك قرار الكنيسة بحرمانه الزواج من ثيدورا – التي كان مولعاً بها – لصلة القرابة بينهما .

ومن العجيب أن بعض المصادر المعاصرة أشارت إلي أن الوحشية التي أتسم بها أندرونيقوس خلال فترة حكمه إنما كان مردها إلي المدة الزمنية الطويلة التي قضاها في بلاد المسلمين ، وقد أقتفي بعض المؤرخين

١– ابن جبير : نفس المصدر والصفحة

٢– أمد السلطان قلج ارسلان الثاني أندرونيقوس بأعداد كثيرة من الأتراك عند دخوله القسطنطينية في ربيع ١١٨٢م، عن ذلك أنظر : ص ١١ من هذا البحث

٣– ابن جبير : المصدر السابق ص ٢٣٤

المحدثين أثر هذه المصادر وأيدوها فيما روته(١) . فلو صح إسلام اندرونيقوس كما أشار ابن جبير لتحسنت أخلاقه ، فالاسلام يحض علي حسن الخلق هذا من جهة ، ولوسلمنا بما أوردته المصادر والمراجع الأجنبية عن أزدياد وحشية أندرونيقوس كومنين أثناء فترة حكمه للدولة البيزنطية ، فإننا لانتفق مطلقاً مع هذه المصادر في أن سبب هذه الوحشية هو معاشرته للمسلمين وتأثره بسوء طباعهم وأخلاقهم من جهة أخري .

أزداد غضب الإمبراطور مانويل على ابن عمه أندرونيقوس لمقامه لدى الأمراء المسلمين من جهة ، وما يقوم به من أعتداءات على الحدود البيزنطية من جهة أخرى ، ولم يدخر وسعا للقبض عليه والإنتقام منه ، إلا أنه فشل فى ذلك وإن تمكن من الإيقاع بزوجته وأولاده (٢) . ولما كان أندرونيقوس مخلصا فى حبه لثيودورا فإنه لم يتحمل فراقها وحزن لذلك حزنا شديدا ، وأضطر إلى المثول بين يدى أبن عمه مانويل متذللا طالبا الصفح والغفران ، فرق قلب مانويل له وعفى عنه فى يوليو ١١٨٠م، إلا أنه لم يبقه معه فى القسطنطينية، بل منحه حكم إقليم بونطس Ponts على البحر الأسود ليقيم فيه بعيدا عنه وكان ذلك بمثابة منفى مكرم لقريب خطر يخشى جانبه (٣) . ولم يمض

1-Nikefas ,OP. Cit., P.194 , Cf . also,Charles Diehel , OP , Cit.,P. 123

2- -Niketas ,OP. Cit., P. P. 81-128.

3-Ba rHebraeus,the ChronographyofGregory Abu'l faraj. Translated from the Syriac by Ernest A. Wallis Budge , Vol .I, London , 1932 , P.312 : William of Tyre , Op. Cit., P. 463 : Niketas ,OP. Cit., P. 123 ,Cf . also , Husscy , the latre Maccdonians , the Comneni and the Ang'eli,1025-1204,C.M.H.IV Pt. Part.1, 2nd. ed.Husscy , Cambridg'e 1976, (P.P. 193 - 259) , P. 244

أنظر أيضا : محمد الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار المعارف الجامعية ، اسكندرية ١٩٩٤ ، ص ٣٧٧

أكثر من ثلاثة شهور على مقامه ببونطس حتى مات الإمبراطور مانويل عام ١١٨٠م ليتجدد الأمل مرة أخرى فى نفس أندرونيقوس ويتطلع للتربع على عرش القسطنطينية (١) .

تربع على عرش القسطنطينية بعد موت مانويل أبنه القاصرالكسيوس الثانى ALexis II من زوجته اللاتينية مارى الأنطاكية Mary of Antioch التى تولت الوصايا عاى أبنها لحين بلوغه سن الرشد (٢) . ولم تكن مارى تتمتع بأى شعبية فى القسطنطينية على الإطلاق ، إذ كانت تمثل بالنسبة لشعبها امتدادا لسياسة مانويل اللاتينية الممقوتة من قبل عامة الشعب ، ومن رجال الكهنوت البيزنطيين الذين يرفضون الأتحاد مع كنيسة روما الكاثوليكية ، كما كانت مكروهة من قبل الطبقة البرجوازية التى لم تحتمل تلك المنافسة الكريهة من قبل الجاليات الإيطالية التى تمتعت بامتيازات عديدة داخل حدود الإمبراطورية (٣) . ومما قلل أيضا من شعبيتها سحبها السلطة

1- -Niketas ,OP. Cit., P. 128.

2- Ibid ., P. 153 , William of tyre , OP . Cit., P . 461

أنظر أيضا : روبرت كلارى : المصدر السابق ص ٥٥ ، ابن جبير : ارحلة ص ٢٣٤ ، فى حين ذكر إرنول ان مانويل قبل موته اسند الوصاية إلى اندرونيقوس وهذا خطأ وقع فيه المؤرخ أنظر :

Ernol , Chronique d' Ernol et de Bernard le Tresorier , Ed . L. d Mas Latrie , Paris , 1871, P .89

٣- أرجع المؤرخ ويليم الصورى سبب كراهية البيزنطيين للأتين إلى عاملين رئيسيين هما العامل الدينى والعامل الإقتصادى عن ذلك أنظر :

William of tyre , OP . Cit., P . P . 461-62 Cf. also , R. Cessi ,Venice to the eve of the fourth crusade , C.M.H.,IV,Pt, 2nd . ed ., 1976 , (P.P. 251- 274) , P.P. 273- 74

أنظر أنظرأيضا : روبرت كلارى : فتح القسطنطينية ص ٥١- ٥٣

من بين يدى جميع أمراء الدولة لتمنحها كاملة إلى محبوبها الكسيوس كومنين الملقب بالبروتوسباستوس (١) Aexios Protosebastos ابن أخ الإمبراطور مانويل الذى لم يحظ بتأييد وحب الشعب بل على العكس من ذلك كان ممقوتا بغيضا وقد استحوذ على كل السلطات وأخذ يتصرف فيها وفق هواه (٢) ، لذلك أخذت البلاد تغلى من الداخل منتظرة الوقت المناسب للتخلص من تلك الزمرة الحاكمة .

قامت عدة محاولات يتزعمها أفراد من البيت الكومنينى تساندها الكنيسة والشعب للإطاحة بهذا النظام ولكن ذهبت مثل هذه المحاولات جميعها أدراج الرياح وذلك لأن المعارضة كان يعوزها القائد المؤثر فى القسطنطينية (٣) وتطلعت أنظار المعارضة إلى أندرونيقوس كومنين الذى كان مقيما وقتئذ باقليم بونطس ولجأ إلية عدد كبير من الثائرين على تلك الأوضاع (٤)، مما جعل الفرصة سانحة أمامة للتحرك خصوصا وأنه يعلم بواطن الأمور وخفاياها من أبنائه المقيمين بالقسطنطينية وقد أتخذ أندرونيقوس من اليمين الذى سبق أن حلفه لأليكسيوس الثانى أمام مانويل

١- من هذا اللقب أنظرما سبق ص١ من هذا البحث حاشية رقم(١)

٢- أوضح لناويليم الصورى أن أليكسيوس لم يكن مكروها من قبل البيزنطيين فحسب بل من قبل الاتين أيضا ، فذكر أنه كان جبنا وبخيلا لا يريالإنفاقمن اخزينة الإمبراطورية وكأنه كان قدجمعها بنفسه وبعرق جبينه . وأشيع أيضا أنه قد أقام علاقة إجرامية معالإمبراطورة معأنهاكانت قد ترهبنت بعدموت زوجها ، وعلاوة عليذلك كان رجلا متعجرفا وفيغاية التكبر وعدنفسه متفوقاعليالجميع واستخدم كلشىء حسب رغباته الخاصة ودون مشاورة السادة الآخرين ، وبدا أنه لايهتم بشىء بالنسبة لباقين معأنهم كانوارجالا عظماء منزلة مساوية تماما لمنزلته. أنظر :

Willam of Tyre, OP . Cit., P . 461, Cf. also, Niketas, OP . Cit., P . 167

3- Ostrogorsky, Hist. of the Byzantine State, P.P. 350-51

4- William of tyre, OP . Cit., P.P. 462-63

ذريعة لكتابة عدد من الرسائل موجهة إلى كل من البطريق والوصية يحتج فيها على تلك الأضطرابات التى من شأنها تهديد ملك اليكسيوس الثانى (٢).

وفى ربيع ١١٨٢م حشد أندرونيقوس عددا متواضعا من القوات من بينهم بعض الأتراك (٢) وسار متوجها صوب القسطنطينية وفى الطريق أخذت قواته تنمو باضطراد نتيجة للأعداد الغفيرة من الساخطين التى انضمت إليه. وعندما حاول اليكسيوس البروستيفانوس منع أندرونيقوس من عبور البرسفور عن طريق غلقة باسطوله الذين كان تشكل فى معظمه من الغربيين (٣)، وانحاز قائد الاسطول الأميرال أندرونيقوس كونتوستيفانوس Andronicus Contostephonus وعدد كبير من الفرق العسكرية إلى جانب أندرونيقوس كومنين مما عزز موقفه (٤).

أما على الجانب الآخر من البسفور فقد انتهز الشعب الغاضب فى القسطنطينية هذه الفرصة لينفس عن الحقد والكراهية التى يكنها للاتين من وجهة، والقائمين على الحكم من جهة أخرى فقام بالقبض على اليكسيوس البروتوسباستوس وقادوه إلى أندرونيقوس الذى عقد له محاكمة صورية، وأمر بسمل عينية وزج به فى غياهب السجن (٥). ثم أخذ الشعب

1- Niketas, OP. Cit., P.P. 136-37, Cf. also, Charles Diehl, OP. Cit., P.P. 114-15

2- Niketas, OP. Cit., P. 137

انظر أيضاً: ابن جبير: الرحلة، ص ٢٣٤، فى حين ذكر ويليام الصورى أنهم من البرابرة

Cf. William of Tyre, OP. Cit., P. 462

3-Niketas, OP. Cit., P. 139

انظر أيضاً: هايد: المرجع السابق، جـ١، ص ٢٣٢

4- William of Tyre, OP. Cit., P.P. 461-67; Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P.P. 30-4, Cf. also, Ostrogorsky, OP. Cit., P. 395

5- Niketas, OP. Cit., P. 140; William of Tyre, OP. Cit., P.P.463-64

يفرغ تلك الشحنة الهائلة من الكرهية والحقد فى كل من وجدوه أمامهم من اللاتين وارتكبت مذبحة مروعة راح ضحيتها عشرات الآلاف منهم . كما أرسل أندرونيقوس بعض الفرق العسكرية للمشاركة فيها (١) . وهذا خطأ انزلق فيه أندرونيقوس وكان من الأجدى له أن يعبر سريعا إلى العاصمة ليكبح جماح هذه الثورة ، ويضع حدا لتلك المذبحة الرهيبة حتى يظهر أمام الغرب الأوربى بأنه لم يشترك فى هذا العمل البغيض ، بل عمل على وضع حد له ، ليبدوا أمامهم وكأنه غير معادى لهم ، مما كان سيجنبه الكثير من الأخطار . فلم يستطع أندرونيقوس أن يكبح جماح نفسة أو شعبه عن هذا الأمر وتناسى أنه سيصبح عما قريب أمبراطورا لهذه البلاد وبفعله هذا جلب على نفسه وعلى دولتة أخطارا كان فى غنى عنها .

على أى حال بعدما عبر أندرونيقوس البسفور إلى العاصمة استقبلة الناس على أختلاف طباقتهم على أنه المنقذ والمخلص (٢) لهم ورفعة البعض إلى درجة التبجيل . وظهر أندرونيقوس فى قمة النفاق عندما أعلن أنه لم يأت سوى للحفاظ على الإمبراطور القاصر وحمله إلى كنيسة سانت صوفيا حيث توج هناك (٣) .

١- لمزيد من التفاصيل عن ثورة القسطنطينية ورد الفعل الاتيني عليها راجع :

William of Tyre, OP.Cit., P.P. 461-67; Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P. P. 33-35; Michele le Syrian, OP. Cit., P.P. 389-92; Bar Hebraeus, OP. Cit., P. 312; Vartan I Grand, Abrege, d'Histoire Universelle, Cf. R.H.C., Doc. Arm., I, (P.P. 431-43), P. 437

2- Niketas, OP. Cit., P. 147 Cf. also, Charles Diehl, History of the Byzantine; EmPire, Translate dfrom the French by George B. Ives, New york, 1945, P. 113, 132

3- Nikets, OP. Cit., P.P.,147

أخذ أندرونيقوس يعمل جاهدا على إحلال أنصاره ومؤيدية محل معارضيه ومناوئية الذين أخذ يتخلص منهم بشتى الطرق ولم يفرق فى ذلك بين قريب له أو بعيد ، ولكى يحقق ذلك اقترف الكثير من الجرائم البشعة ما بين خنق وقتل وسجن ودس للسم ونفى وسمل للأعين إلى غير ذلك من ألوان التنكيل والتعذيب التى لم يستطع أن يترفع عنها رغم أنه حقق تقريبا ما كان يصبوا إليه من قبل ، فنراه مثلا يجبر الإمبراطور اليكسيوس الثانى القاصر على توقيع قرار يقضى بإعدام والدته مارى الأنطاكية الخيانة وتحريض ملك المجر على غزو الدولة البيزنطية (١) . أما الأميرة مارى إبنة الإمبراطور مانويل وزوجها فقد لقيا حتفهما من جراء تناولهما طعاما مسموما (٢) . وتتوالى الأحداث حتى يصدر مجلس الشيوخ قراره بإشراك أندرونيقوس فى أمور الإمبراطورية. وبقدرته المعروفة على التمثيل يرفض أندرونيقوس الجلوس على العرش العرش فى بداية الأمر ، ولكن الجموع الغفيرة من الشعب تجبره على قبول ذلك ليصبح إمبراطورا مشاركا مع اليكسيوس الثانى وذلك فى شهر سبتمبر من عام ١١٨٣م (٣) .

لم يبق أمام أندرونيقوس للإنفراد بعرش القسطنطينية سوى التخلص من الإمبراطور القاصر اليكسيوس الثانى الذى وجد مخنوقا – بإيعاز من أندرونيقوس على الأرجح – فى فراشه ليلا وتم إلقاء جثته فى البسفور فى

1- William of Tyre, OP. Cit., P. 467; Niketas, OP. Cit., P. 149; Bar Hebraeus, OP. Cit., P. 312

2- Niketas, OP. Cit., P.P. 144-45

بينما ذكر ابن العبري أنهما لقيا حتفهما غرقاً ، انظر:

Bar Hebraeus, OP. Cit., P. 312

3- Niketas, OP. Cit., P.150;Eustathius of Thessalonica, OP. Cit., P. 51

انظر ايضاً : أرمان : المرجع السابق ص٢١١

نوفمبر من عام ١١٨٣م (١). أما الأميرة الفرنسية أجنس Agnes زوجة اليكسيوس الثانى ذات الأحد عشر عاما وإبنه الملك الفرنسى لويس السابع فقد تزوجها أندرونيقوس على الرغم من بلوغه سن الثالثة والستين ، والغريب فى الأمر أن أندرونيقوس لم يخجل من فعل ذلك رغم أنه بلغ من الكبر عتيا ، والأعجب من ذلك أن الأميرة لم تبد أى معارضة وتقبلت الأمر بصدر رحب رغم فارق السن الكبير بينهما (٢) . ولعل أندرونيقوس قد أقدم على هذا الزواج ليضفى على حكمه صفة الشرعية بزواجه من أرملة الإمبراطور السابق .

ومهما يكن من أمر ، فبعدما انفرد أندرونيقوس بحكم الدولة البيزنطية كان عليه أن يدير شئون البلاد خارجيا وهى تبعة مثقلة بالمتاعب جلبها على نفسه ودولته نتيجة لموقفة أثناء وبعد ثورة القسطنطينية ١١٨٢م – كما سبقت الإشارة (٣) – وقبل أن نستعرض تفاصيل تلك السياسة يجب أن نشير هنا إلى أن المصادر المتعلقة بفترة حكم أندرونيقوس كومنين (١١٨٣ – ١١٨٥م) بصفة عامة وسياسة بيزنطة الخارجية إبان فترة حكمه بصفة

1-Niketas, OP.Cit., P.153; Bar Hebraeus, OP.Cit., P.321; Ernoul, OP. Cit., P. 90 Cf. also, Ostrogorsky, OP. Cit., P. 396

2- Niketas, OP. Cit., P. 153: William of Tyre, OP. Cit., P. 467; Franz Dölger, ed., Regesten der Kaiserurkunden des Ostromis Chen Reichs Von 566 - 1453 , in C.G.U.M.N.Z. ., Munich and Berlin , 1924- 1960 , No . 1555 : Bar Hebraeus , OP. Cit., P. 312

ولمزيد من التفاصيل عن شخصية الأميرة أجنس وزواجها من اليكسيوس الثانى وأندرونيقوس كومنين وما حدث لها بعد ذلك ، راجع:

Charles Diehl, Figures Byzantines Deuxiem Serie,Paris,1908, P.P.191-205

٣– راجع ما سبق ص١١ من هذا البحث

خاصة ، قليلة للغاية ولم تمدنا بمعلومات تشفى غلة الباحث واكتفت بذكر إشارات مقتضبة عن علاقات بيزنطة الخارجية مع بعض البلاد المجاورة وصمتت عن البعض الآخر (١) . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى قصر الفترة الزمنية التى تربع فيها أندرونيقوس على عرش الدولةالبيزنطية هذا من جهة ، وانشغاله بالسياسة الداخلية وتصفية معارضيه من جهة أخرى(٢)، الأمر الذى لم يعطة فرصة للإهتمام بالسياسة الخارجية للدولة البيزنطية .

على أى حال فرضت العلاقات المجرية البيزنطية نفسها على مسرح الأحداث السياسية حتى قبيل تربع أندرونيقوس على العرش ، إذ قامت الوصية مارى الأنطاكية – عندما استشعرت رغبة أندرونيقوس فى الأستحواذ على العرش – بإرسال عدة خطابات إلى زوج أختها بيلا الثالث Bella III ملك المجر تلح عليه بضرورة الإسراع إلى القسطنطينية لحمايتها وابنها الإمبراطور القاصراليكسيوس الثانى من أطماع أندرونيقوس (٣). وعندما علم أندرونيقوس بتلك المراسلات قام على الفور بالقبض عليها وعقد لها

١– والجديربالذكرأن المصادر لم تمدنا بمعلومات توضح لنا سياسة بيزنطة الخارجية سوى مع المجر، البندقية ، البابوية ، صلاح الدين فى الشرق وأخيرا معبورمان صقلية

٢– ينفرد المؤرخ نيقيتاس خونياتس بذكر تفاصيل اعمال أندرونيقوس الداخلية ، وأوضح أنه نجح فى إنعاش الاقتصاد البيزنطى عن طريق محاربة الطبقة البرجوازية وإجبارهم على رد الأراضى التى اغتصبوها بغير حق من أهالها ورفع رواتب حكام الأقاليم لمنعهم من بتزاز الشعب ، كما منع محصلى الضرائب من المطالبة بالتحصيل مقدما مبلغ العام التالى ، وعدم استغلال نفوذهم . كما أرسل فى كل الولايات مراقبين مهمتهم وضع حد للتجاوزات والإنحرافات بكل صورهاواصدر قانونايقضى بعدم نهب السفن التى تتحطم فى الموانى البيزنطية وشدد العقوبة على المخالفين ، غير أنه أسرف فى معاداة الطبقة البرجوازية التى وجدت نفسها فى عداء صريح معه ، وللمزيد عن السياسة الداخلية انظر :
Niketas, OP. Cit., P.171-74

3- Ibid, P.149: Cf . also ,Moravcsik, OP.Cit.,P. 584: Ostrog'orsky, OP. Cit.,P. 399

محاكمة قضت بإعدامها لخيانتها وتحريضهاملك المجرعلى غزو القسطنطينية . وإمعانا فى النكاية بهاجعل ابنها اليكسيوس يوقع بنفسه – راغبا أو راغما – على قرار إعدامها (١) . ولم يقض وقت قصيرحتى قام أندرونيقوس بالتخلص من اليكسيوس الثانى نفسه ليفوت بذلك على بيلا الثالث فرصة الحضور إلى القسطنطينية بحجة حماية شقيقة زوجته وابنها القاصر.

عندما وصلت أنباء موت مارى الأنطاكية وابنها اليكسيوس إلى مسامع بيلا الثالث تميز من الغيظ لإجتراء أندرونيقوس على تلك الفعلة وأدرك الغاية من ورائها . ومع ذلك لم يغير بيلا من عزمه على غزو القسطنطينية ، فبدلا من أن يحضرإليها بوصفه مدافعا عن شقيقة زوجته وابنها تذرع بخطط مانويل السابقة والتى كان تتخول له حكم الدولة البيزنطية ، فتحالف مع ستيفن نيمانجا Steven Nemanja ملك الصرب وسار جنوبا متوغلا داخل حدود الدولة البيزنطية حتى يوصل إلى بلجراد وبرانسيفو وعاثا فى المنطقة فسادا(٢) .

عندما علم أندرونيقوس بالتحركات المجرية أمر قائدية الكسيوس براناسAlexios Branas وأندرونيقوس لابارداسAndronikos Lapardas بالتصدى لبيلا وقواته ، غير أن لابارداس تمرد على سلطة الإمبراطور وترك قيادة الجيش وفر إلى المناطق الشرقية أملا أن يلفت حوله المعارضون لحكم أندرونيقوس ، إلا أنه فشل فى ذلك وأنتهى به الحال إلى وقوعة فى أيدى رجال أندرونيقوس الذى أمر بسمل عينية وإيداعه فى أحد الأديرة ليقضى نحبه هناك(٣) . أما القائد براناس فقد تمكن من التصدى للقوات المجرية وأوقف

1- Niketas, OP. Cit., P.149

2- Idem ., Cf. also, Hussey , the Later Macedonians, the Commen andthe Ang'eli, P. 245

3- Niketas, OP. Cit., P.159

زحفها داخل الحدود البيزنطية وأجبرها على التقهقر إلى داخل أراضيها (١) ، ثم استدعاه أندرونيقوس للإستعانة به في إخماد ثورات بعض المدن التي تمردت على حكمه لواخرعام ١١٨٣م (٢) .

ظل بيلا الثالث ملك المجر يحدوه الأمل للفوز بعرش بيزنطة رغم فشله في المرة السابقة فحاول في هذه المرةعام ١١٨٤م التقرب من البيت الكومنيني عن طريق طلب الزواج من ثيودورا شقيقة مانويل الكبرى – الوحيدة التي بقيت في عائلة مانويل والتي أغتيل زوجها الثاني على يد أندرونيقوس–ليعيد التحالف البيزنطي المجري مرة أخرى ، وليكسب ولاء المزيد من نبلاء البيت الكومنيني وغيره وما كاد أندرونيقوس يسمع بأنباء تلك الإتصالات حتى قام بإرغام الأميرة ثيودورا على دخول الدير والتدرج في سلك الرهبانيجة رغماً عن إراداتها ، بينما ظلت قوات بيلا الثالث على الحدود البيزنطيةمنتظرة الإذن بالدخول إلى العاصمة (٣) ولم يغيرمن مقدها سوى سماعها بأنباء زحف القوات النورمانية داخل الحدود البيزنطية فم تبرح مواقعها منتظرة ما ستسفر عنه الأحداث (٤).

١–لمزيد من التفاصيل من ذلك انظر :

Ibid., P.P. 154- 55 : Oxford Dictionary of Byzantium , Vo1. 1, New York , 1991 , P. 94

٢– من اهم المدن التي تمردت على حكم أندرونيقوس : لوبايون Lopadion وبروسا Prusaea . ولمزيد من التفاصيل عن ثورات تلك المدن ودور القائد براناس في إخمادهاانظر :

Niketas, OP. Cit., P.P. 155- 56

3- Moravcsik, OP. Cit., P. 584

٤– الجدير بالذكر أن العلاقات المجرية البيزنطية على عهد أسرة انجليوس شهدت تغيرا كبيرا فتحولت من العداءإلى الصداقة والتحالف ، إذ تزوج اسحق انجيلوس من مرجريت إبنةبيلا الثالث ملك المجروتلقبت باسم ماريا Maria وقدم بيلا إلى اسحق انجليوس الأراضي التي استولى عليها من الدولة البيزنطية على عهد أندرونيقوس كبائنة لابنته وبذلك تربعت الأميرة ماريا على عرش الدولة البيزنطية وذلك في نهاية ١١٨٥م وللمزيد انظر :

Ernoul, OP. Cit ., P.P. 95-96 Cf. also, Moravcsik, OP. Cit., P. 584; Ostrogorsky OP. Cit.,P. 403

إزدادت الضغوط الخارجية وطأة على الدولة البيزنطية بعد مذبحة عام ١١٨٢م التى راح ضحيتها عشرات الألف من اللاتين وفرار أعداد كبيرة منهم وعودتهم إى بلادهم رواين تجاربهم المأسوية محين فطلب الأخذ ثارهم من البيزنطين (١). وكانت جمهوريات إيطاليا متوترة بصفة خاصة لما لحق بتجارتها من أضرار(٢)، فضلاً عن أن بعض نبلاء بيزنطة الذين فروا من وجه أندرونيقوس إلى صقلية حاولوا تأديب حكومتها عليه (٣). وزاد من حرج موقف أندرونيقوس قيام اسحق كومنين بالتمرد عى سلطته وانفراده بحكم قبرص عام ١١٨٤م، الأمرالذى أضر بالدولة البيزنطية فحرمها من قاعدة استراتيجية هامة ومن موارد مالية كثيرة كانت تجنيها من تجارتها (٤). ولكى يخفف أندرونيقوس من وطأة هذه الضغوط اضطر إلى إعادة علاقاته مع الغرب رغم مقته له إدراكاً منه أن قطع الصلات معه غير مجدى ويضربمصالح بيزنطة الحيوية. فعقد معاهدة مع جمهورية البندقية فى أواخر عام ١١٨٤م، وقام بإطلاق سراح ك من تبقى فى الأسر من البنادقة الذين كانوا لا يزالون

١- لمزيد من لتفاصيل عن ذلك راجع:

William of Type , OP. Cit., P.P. 466-67;Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P. 34

٢- تمتعت الجمهوريات الايطالية بصفة خاصة بامتيازات تجارية واسعة فى الامبراطورية البيزنطية ، كما تقلدوا العديد من المناصب المرموقة فى الدولة ، فضلا عن انخراطهم فى الجيش بأعداد غفيرة كجنود مرتزقة وتقاضوا نظير ذلك مرتبات عالية حتى أن البيزنطين كانوا يشعرون انهم غرباء فى داخل بلادهم مما أوغر صدورهم عليهم وتحينوا الفرصة المناسبة للإنتقام منهم، فقاموا باضرام النيران فى الحى اللاتينى بالعاصمة وأحرقوه عن بكرة أبيه ، ولمزيد من التفاصيل عن ذلك راجع :

William of Type, OP. Cit., P.P. 461-65; Michele le Syrien OP. Ct., P.P. 389-92; Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P.P 33-35

3-Niketas , OP. Cit., 164; Eustathios of Thessalonica. OP Cit., P. 58

لنظر أيضا : ابن جبير الرحلة ص ٢٢٩

فى القسطنطينية منذ عام ١١٨٢م، كما وعد بدفع تعويض سنوى لهم نظير ما لحق بتجارتهم من أضرار.وقد بدأ فعلاً فى تنفيذ تلك الوعود وقام بدفع أول قسط فى عام ١١٨٥م (١). وفى نفس العام ولكى يكسب جانب بابا روما قدم مزايا للكنسية الكاثولوكية بالقسطنطينية – رغم المعارضة الشديدة التى أبداها بطريق بيزنطة الأرثوذكسى – ومنحها أموالاً كثيرة ولا تزال تعرف حتى يومنا هذا بالكنيسة اللاتينية (٣).

رغم تلك المحاولات الجادة التى قام بها أندرونيقوس لتحسين علاقاته بالغرب ، إلا أنها لم تجد شيئا أمام الخطر النورمانى الذى كان يمثل بحق تهديدا خطيرا بحق تهديداً خطيراً للقسطنطينية ك لذا لم يجد أندرونيقوس

1-Niketas , OP. Cit., 161; Ernoul, OP. Cit., P. 91 Cf. also , Vasiliev, OP. Cit., P. 436; Ostrogorsky, OP. Cit., P. 399

والجدير بالذكر أن اسحق كومنين ظل يحكم قبرص إلى أن انتزعها منه ريتشارد قلب الأسد وهو فى طريقه إلى عكا فى الحملة الصليبية الثالثة ١١٩١م ولمزيد من التفاصيل عن ذلك أنظر:

Geoffery de Vinsauf, History of te Expedition of Richard Ceour Lion to the Holyland , London , 1848 P.P. 187 - 88 ; Mahkairse, Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus entitled " Edited with a Translation and Notes by R. M. Dawkins, Vol. 1,Oxford , 1937, P. 12; Ambroise , the Crusade of Richard Lion -eart, Transe., From the old French by M.J.hubert , New York . 1941,P.P. 106-8.

2- Cognasso, Partoto Politici e Lotte dinastiche in Bizanzio alla morte de Manuele Conneno (Reale Accadermia Delle Scienze di Torino , 1911-12) Turin, 1912P.P. 294-95Cf. Vasiliev, OP. Cit., P. 436

ويشير هايد هنا إلى أنه فى عامى ١١٨٣، ١١٨٤م كان بعض البنادقة فى القسطنطينية يمتلكون عقارات خاصة بهم ، عن ذلك أنظر : هايد : المرجع السابق جـ١ ص ٢٣٤

3- Benedicit le Troburgensis Abbatis , Vitaet Gestis Henric II Anliae Regis, ed. R. H. . F. Paris , 1818, Vol. XVII. (P.P. 436-456)Cf. also Vasiliev, OP. Cit., P. 436; Baudrillart, OP. Cit., P. 1176

بدأ من محاولة الإتصال بقوة كبرى لها وزنها وتعادل القوة النورمانية، فاتصل بسلطان الشرق صلاح الدين الأيوبى عارضا عيه التحالف ضد النورمان وغيرهم من الأخطار المشتركة التى تواجه كل منهما (١).

ولذلك أرسل أندرونيقوس كومنين سفارة إلى الشرق فى سبتمبر ١١٨٥م عارضا على صلاح الدين قيام تحالف بينهما. وعرضت السفارة شروط القسطنطينية لإبرام معهدة معه تمثلت فى أن يقسم صلاح الدين يمين الولاء والطاعة للإمبراطور أندرونيقوس بإعتباره الإمبراطور ، وأن يقوم خو وصلاح الدين بفتح بلاد الشام وأن تقسم فيما بينهم على أن ينال البيزنطيون بيت المقدس والمدن الساحلية ماعدا عسقلان ، وأنه اذا تم الاستيلاء على آسيا الصغرى فسوف تعود إلى الدولة البيزنطية حتى أنطاكية وأرمينيا. وفى مقابل ذلك وعد أندرونيقوس صلاح الدين المساعدة فى صراعه ضد الصليبين فى الشام (٢).

١- من الاخطار المشتركة الاخرى التى كانت تواجه كل من أندرونيقوس وصلاح الدين : الأتراك السلاجقة فى قونية الذين تمكنوا بعد معركة ميريوكيفالون ١١٧٦م من إحكام قبضتهم على أيل الصغرى واقتطاع لجزاء اخرى من ممتلكات الدولة البيزنطية ، كما أنهم بسيطرتهم على أسيا الصغرى شكلوا تهديدا مماثلاً مانويل ١١٨٠م مما شكل تهديدا للدولة البيزنطية ، كما أنهم بسيطرتهم على أسيا الصغرى شكلوا تهديدا مماثلا لممتلكات صلاح الدين فى شمال بلاد الشام. وهناك أيضاً خطرجزيرة قبرص التى انفصلت عن الدولة البيزنطية وشكل حاكمها اسحق كومنين خطراً كبيرا على اندرونيقوس ، فضلا عن حرمان القسطنطينية من قاعدة استراتيجية هامة وموارد مالية كثيرة كانت تجنبها من تجارتها ،وفى نفس الوقت كان قرب قبرص من الإمارات الصليبية بالشرق يعد تهديدا لصلاح لدين من جهة وفائدة كبيرة لصليبى الشرق من جهة اخرى . وهناك أيضا خطر صليبى الشرق وحلفائهم فى الغرب الأوربى الذى كان يهدد كلا من الدولة البيزنطية والمسلمين فى الشرق على حد سواء.

2-Franz Dölger, Reg. 1563

ويجدر بنا قبل أن نستعرض تفاصيل رد صلاح الدين على شروط تلك المعاهدة أن نشير إلى أن وثائق دولجر Dölger هى المصدر الوحيد الذى أشار إلى شروط تلك المعاهدة دون غيره من المصادر مما يجعلنا نأخذ جانب الحذر عند تناولنا لها.

وإذا أمعنا النظر فى شروط تلك المعاهدة نجد أنها تميل أكثر لصالح أندرونيقوس كومنين وليس إلى صلاح الدين رغم أننا إذا قارنا بين موقفيهما داخليا وخارجيا لوجدنا أن كفة الميزان تميل أكثر لجانب صلاح الدين ، فقد كان الإمبراطور أندرونيقوس كومنين يواجه صعوبات داخلية كثيرة منها تخليص الدولة البيزنطية من الامتيازات التى يتمتع بها اللاتين ، وإضعاف الأرستقراطية القابضة على الوظائف وكبار أصحاب الضياع الذين تسببوا فى إنهاء واختفاء طبقة المزارعين مما جعله فى خصومة دائمة مع كبار نبلاء الدولة ، فضلا عن تمرد بعض الولايات البيزنطية على حكمه (١) . أما خارجيا فكانت الأخطار محدقة به من كل جانب مثل تهديد المجر والجمهوريات الإيطالية (٢) ، فضلا عن نورمان صقلية وغيرهم (٣) . وفى الجانب الآخر نجد صلاح الدين قد نجح فى ضم المدن الإسلامية وجعلها دولة موحدة قوية (٤) . أما بالنسبة للأخطار الخارجية فلم تكن بنفس القدر الذى

1-Niketas,OP.Cit., P.P.170-4:Eustathius of Thessalonica OP.Cit., P.P. 25-6 Cf.also , Baudrillart, OP. Cit., P. 1175 : Vasiliev, OP. Cit., P. 434

٢- عن تهديد المجر والجمهوريات الإيطالية للدولة البيزنطية انظر ص١٢ ، ١٤ من هذا البحث

٣- عن التهديد النورمانى للقسطنطينية انظر ص ١٩ ، ٣٦ من هذا البحث

٤- عمد صلاح الدين بعد وفاة نور الدين محمود ١١٧٤م/ ٥٧٠هـ إليمهادنة الصليبيين فى أول الأمر درءا لخطرهم ليتفرغ هو لمواجهة الزنكيين وضم المدن الإسلامية إلى حكمه وتكوين جبهة إسلامية قوية يكون بوسعها التصدى للصليبيين وبالفعل أبرم هدنة معهم وبدأ على الفور تنفيذ الشطر الثانى من خطته ، فأخذ يضم المدن الاسلامية الواحدة تلو الاخرى فتمكن من ضم حمص وحماة وكذلك بعلبك وشيزر وغيرها من المدن الاسلامية وحاول أن يضم حلب إلا أنها إستعصت عليه عدة مرات إلى أن تمكن من فتحها فى نهاية الامر فى ١١٨٣م / ٥٧٩ وللمزيد من التفاصيل انظر : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ٩جـ بيروت ١٩٧٨ جـ٩، ص ١٣١ ، ١٠ ، أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين، النورية والصلاحية مطبعة وادى النيل بمصر- القاهرة ١٢٨٧ جـ١ ص٢٣٦ ، ٢٢٧ ،ابن شداد: سيرة صلاح الدين الايوبى المسماه بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق د . جمال الدين الشيال - ط . أولى القاهرة ١٩٦٤م ص ٩٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج٢ تحقيق د . جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٦٠ص ١٢٤ ، البزاوى سنا البرق الشامى اختصار كتاب البرق الشامى للعماد الكاتب الاصفهانى تحقيق د. فتحية البنزاوى القاهرة ٧٩ص ٨٣- ٨٤ ، ص ١٠٤ - ١٠٥

كان يواجهه أندرونيقوس كومنين فالصليبيون فى الشرق كانوا يمرون بمرحلة من الضعف والتفكك (١) ولم تمثل قبرص تهديدا خطيرا للدولة الإسلامية فى ذلك الوقت فكيف يتأتى للإمبراطور البيزنطى مع حرج موقفه أن يعرض مثل هذه الشروط على سلطان الشرق صلاح الدين الأيوبى والذى كان موقفه أفضل بكثير من موقف أندرونيقوس كومنين . وخيرشاهد على ذلك ماذكره المؤرخ أبو شامة عن صلاح الدين من قول عن الإمبراطور البيزنطى (والله ما أفلح ملك الروم قط ولا نفع ولا نفع أن يكون صديقا ولا ضر أن يكون عدوا) (٢) .

أما عن رد صلاح الدين على شروط المعاهدة فهو غير معروف إذ لم تمدنا المصادر المتاحة بمعلومات توضح هذه النقطة ولعله قد عدل فى شروط هذه المعاهدة بما يتفق مع مصلحة دولته . والثابت أن رده وصل إلى الدولة البيزنطية بعد الإطاحة بحكم أندرونيقوس كومنين وتربع الإمبراطور اسحق انجليوس على العرش ١١٨٥ –١١٩٥م (٣) ، ومن المرجح أن الأخير تلقى

١- مات الملك عمورى الاول فى ١١٧٤م وورثه الملك بلدوين الرابع ١١٧٤–١١٨٥ م الذى حال مرضه بينه وبين إحكام قبضته على المملكة . كما تفجرت العداوات الشخصية بين الامراء الصليبيين بعضهم البعض واهتموا بمصالحهم الشخصية دون المصالح العام ولمزيد من التفاصيل انظر:

William of tyre,OP. Cit., Vol,11, P.P.492 - 93: Ernol,OP, Cit., P.P. 105- 6, 116 - 18 : L'Estoire d'Eracles, Empereur et la Conqueste de la Terre d'Outremer'ed R.H.C.H.Occ., (T.11,Paris, 1859, P.P.1-481) P.2

٢- أبو شامة : المصدر السابق جـ٢ ص١٢٨

٣- تولى عرش الدولة البيزنطية فى الفترة من ١١٨٥–١٢٠٤م الباطرة من بيت انجيلوس، وتنسب هذه الأسرة إلى قسطنطين انجيلوس Constantine Angelus الذي يعد جد إسحق الثاني انجيلوس اول الباطرة هذه الأسرة : اسحق الثاني ١١٨٥–١١٩٥م ثم من ١١٩٥–١٢٠٣م والكسيوس الثالث ١١٩٥–١٢٠٣م والكسيوس الرابع ١٢٠٣–١٢٠٤م ، انظر: حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية القاهرة ١٩٨٣ص ٢٣٧ حاشية رقم ١٥٩

Cf, also, Vasiliev.,OP. Cit.,Vol., II, P.438; Ostrogorsky OP.Cit., P.400

سفارة صلاح الدين بالترحيب حيث كان فى موقف لا يحسد عليه (١) .

وبعد غزو نورمان صقلية لأراضى الدولة البيزنطية من أشد الأخطار الخارجية التى واجهت الإمبراطور أندرونيقوس كومنين خلال فترة حكمه . فقد أشارت بعض المصادر البيزنطية والإسلامية إلى أن عددا من النبلاء البيزنطيين الساخطين على حكم أندرونيقوس فروا إلى صقلية حيث رحب بهم الملك وليم الثانى William II وطلبوا منهم مهاجمة الدولة البيزنطية وهونوا عليه هذه المهمة .كما أن أحد أدعياء العرش ويدعى أليكسيوس كومنين التجأ هو الآخر إلى وليم الثانى حيث طلب مساعدة صقلية فى محاولته الفوز بعرش القسطنطينية ، كما أن اللاتين الناجين من مذبحة ١١٨٢ م جابوا أنحاء الغرب الأوربى بما فية صقلية حيث حرضوا ملوكها للأخذ بثارهم من البيزنطيين (٢) . وقد استجاب وليم الثانى لهذه المطالب وأعد حملة كبيرة لمهاجمة الدولة البيزنطية وللوهلة الأولى تبدو هذه الأسباب السابقة الذكرمقبولة إلى حد ما لقيام وليم الثانى بحملته ضد الدولة البيزنطية . ولكننا إذا أمعنا النظر فى تلك الأسباب السابقة نجد أنها لا يمكن أن تكون أسبابا قوية لقيام مثل هذه الحملة الكبيرة التى أعدها وليم الثانى ضد القسطنطينية ، فلجوء بعض النبلاء الهاربين من بَطش أندرونيقوس كومنين لا يمكن أن يكون بأى حال من الأحوال سببا مقنعا لقيام مثل هذه الحملة ، كما أن لجوء أليكسيوس كومنين إلى صقلية ومناشدته الملك وليم الثانى للفوز بالعرش لا يمكن أن يكون هو الآخرالسبب الجوهرى لقيام هذه الحملة خاصة وأن أليكسيوس كومنين هذا لم يكن من أفراد الفرع الحاكم من

١- لمزيد من التفاصيل من السفارات المتبادلة بين صلاح الدين وأسحق انجيلوس والمعاهدة التي أبرمت بينهما انظر:

أبو شامة : المصدرالسابق ، جـ٢، ص١٠٢، ابن سداد:المصدر السابق ص ٢٠٥- ٢٠٨

2- Niketas, OP. cit., P. 164; Eustathius of Thessalonica, OP. Cit., P. 85

ابن جبير : الرحلة ، ص٢٢٩، انظر أيضاً : هايد: المرجع السابق ص٢٣٤

بيت كومنين ليدعى وليم الثانى أنه إنما قصد بمهاجمته القسطنطينية استعادة عرش بيزنطة من مغتصبه . هذا وإن كان هناك من المصادر من أشار إلى أن اليكسيوس هذا هو اليكسيوس الثانى ابن مانويل وهذا رأى يجانبه الصواب (١) . وربما يذكر البعض أن وليم الثانى قام بحملته ضد بيزنطة ردا على المذبحة التى قام بها البيزنطيون ضد اللاتين بالقسطنطينية عام ١١٨٢م والحقيقة أن هذا افتراض يعوزه الدليل ، إذ أن مذبحة عام ١١٨٢م كانت موجهة بصفة خاصة ضد الإيطاليين الذين كانوا يشكلون الجانب الأكبر من الجاليات التجارية فى الدولة البيزنطية ولم تشر المصادر إلى أن نورمان صقلية كان لهم تواجد ملحوظ بالقسطنطينية أو إمتيازات تجارية بها (٢) . ورغم ذلك فاننا لا يمكن أن نغفل أهمية هذه الأسباب السابقة ويمكن أعتبارها أسبابا مباشرا ولكنها ليست بحال من الأحوال هى الأسباب الحقيقية ، وإن كان الأمر كذلك فما هى تلك الأسباب التى حركت وليم الثانى للقيام بحملته ضد القسطنطينية .

ونستطيع القول أن العلاقات البيزنطية النورمانية فى أغلبها كانت علاقات عدائية يشوبها الحقد والكراهية ولم تكن تلك العلاقات العدائية وليدة تلك الفترة – أى فترة حكم أندرونيقوس كومنين وإنما كان العداء هو السمة المميزة للعلاقات البيزنطية النورمانية طوال عهودها السابقة فلم تكن محاولة وليم الثانى فى عام ١١٨٥ م لغزو القسطنطينية هى الأولى من نوعها بل سبقتها محاولات أخرى على مدار قرن مضى من الزمان ففى عام ١٠٨١م قام روبرت جويسكارد١٠٥٩–١٠٨٥م بغزو الأراضى البيزنطية محاولا الإستيلاء

١–ابن جبير المصدر السابق ، ص٢٣٥

٢–قدم الدكتورعادل سليمان زيتون عرضاً عن الجاليات التجارية الأجنبية في القسطنطينية وناقش النقطة السابقة ،

وللمزيد أنظر: العلاقات بين القوي الإطالية وبيزنطية في القرن الثاني عشرالميلادي ص٢٧٥ ، هليد : المرجع السابق جـ١ ص ٢٣٤

على القسطنطينية وكاد أن يفلح فى ذلك لولا المساعدة التى قدمها سلاجقة الروم فى الوقت المناسب (١) . وفى عام ١١٠٧ م أعاد بوهمند الأول ابن روبرت جويسكارد الكرة وغزا الأراضى البيزنطية ولكنه منى بهزيمة نكراء واضطر إلى عقد معاهدة ديفول (٢) سنة ١١٠٨م . ولم يقتصر الأمر على غزو النورمان لحدود الدولة البيزنطية فحسب ، بل قاموا بغزو الممتلكات البيزنطية فى إقليم قيلقية بآسيا الصغرى عدة مرات وتمكنوا من الإستيلاء على بعضها لفترة من الزمان (٣) .

مما سبق اتضح أن روح العداء التى كان يكنها نورمان صقلية للدولة البيزنطية هى السبب الحقيقى الذى دفع وليم الثانى للقيام بحملته ضدها عام ١١٨٥ م ، وأن تحريض اللاتين الذين نجوا من مذبحة عام ١١٨٢م

1- Raouel de Caen, Gasta Tancredi Siciliac Regis in Expedition Hierosolymitana, in R.H.C.H.Occ., Vol III, P.705

انظر أيضاً : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ١٢٧-١٢٨

٢- من المعروف أن بوهمند الأول أمير أنطاكية قد سافر إلى إيطاليا حيث قابل البابا باسكال الثاني ١٠٩٩-١١١٨م وحصلت على تأييد للقيام بحملة ضد بيزنطة كما نال مساعدة فيليب الأول ملك فرنسا ١٠٦٠-١١٠٨م الذي زوجه من ابنته كونستانس وأرسل شقيقتها سيسليا إلى أنطاكية لتتزوج من تنكريد ابن أخته في ١١٠٦م ثم خرج بوهمند في ١١٠٧م بحملته ضد بيزنطة التي انتهت بهزيمته وخضوعه للإمبراطور اليكسيوس بناء على إتفاقية ديفول Devol التي وقعها معه على أن يحكم أنطاكية كتابع لألكسيوس وأخلافه من بعده ولمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

Anne Comnen, the Alexiad, English Trans. by Elezabeth Dawes, London, 1928, P.P. 302-6, 316, 348-59; Albert d, Aix, Histoir Histoir Hierosolymitana in R.H.C.H.Occ., Vol. IV., P. 260; Raouel de Cean, OP. Cit., P.P. 712-14

انظر أيضاً: حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٩م ، ص ١٣٢ حاشية ١٤١

١-لمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

Albert d, Aix, OP.Cit., P. 582; Raouel d, Caen, OP. Cit., P. 706

بالقسطنطينية ولجؤ أحد أدعياء العرش البيزنطى وعدد من النبلاء البيزنطيين إلى صقلية وحثهم وليم الثانى على غزو القسطنطينية ما هى الا الاسباب الظاهرية التى أعطت له الضوء الاخضر لغزو اراضى الدولة البيزنطية ومهما يكن من أمر فقد أخذ وليم الثانى ملك صقلية يراقب عن كثب ما يجرى بالقسطنطينية من احداث للتعرف على أخبارها بشتى الطرق ومن بينها استجواب الرحالة والتجار القادمين إلى صقلية (١) ، وكذلك عن طريق اللاتين الذين كانوا يعملون كجنود مرتزقة بالقسطنطينية ثم سرحوا والتجأ بعضهم إلى الملك وليم الثانى الذى استمالهم إليه وأغراهم بالمرتبات المرتفعة والوعود الكبيرة ونجح فى تجنيد آلاف من الفرسان فى صفوف جيشه (٢) . كما إتخذ وليم الثانى تدابير كثيرة للحيلولة دون وصول أنباء الإستعدادات العسكرية إلى القسطنطينية ومن هذه التدابير اصداره مرسوما يقضى بإغلاق الموانيء الصقلية وعدم مغادرة أى سفينة لها لحين الإنتهاء من تجهيز الأسطول . وقد بلغت سرية هذه الإستعدادات أن مواطنى الجزيرة لم يعرفوا على وجه التحديد وجهة هذا الأسطول وإن حامت ظنونهم نحو القسطنطينية(٣) . ويستشف مما سبق مدى جدية وليم الثانى ملك صقلية فى مشروعه لغزو الدولة البيزنطية وإصراره على نجاح حملته العسكرية ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

١-ومثال ذلك ما حدث مع ابن جبير ومرافقيه الذي ذكر انه مثل بين دي ملك صقلية هو ورفاقه : فسألنا عن مقصدنا وعن بلادنا بكلام عربي فاعلمناه فاظهر الأشفاق علينا وأمر بانصرافنا بعد ان لحقني في السلام والدعاء فعجبنا من شانه وكان أول سؤاله لنا عن خبر القسطنطينية العظمي وما عندنا منه فلم يكن عندنا ما نعلمه به الرحلة ، ص٢٢٩

2-Niketas, OP.Cit., P. 164

انظر أيضاً : ابن جبير : المصدر السابق ص٢٣٥

٣- ابن جبير : المصدر السابق ص ٢٢٤

على أى حال أخذت الإستعدادات فى صقلية تجرى على قدم وساق للتجهيز لتلك الحملة وذلك لواخر ١١٨٤ م وأوائل ١١٨٥م وتمخضت عن أسطول ضخم قوامه ثلاثمائة سفينة حربية ومائة سفينة لنقل الجند والطعام والذخيرة على حد قول الرحالة ابن جبير(١) ، بينما بلغ عدد القوات البرية نحو ثمانين ألف من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان على حد قول أيوستاث أسقف سالونيك (٢) .

وفى الثالث عشر من يونيو ١١٨٥م بدأت الحملة النورمانية عملياتها العسكرية ضد الدولة البيزنطية واستهلتها بمدينة دورازو التى وصلتها فى الرابع والعشرين من نفس الشهروتمكنت من الإستيلاءعليها فى نفس اليوم الذى وصلت فيه (٣) ، أما الأسطول فلم يهاجم مدينة دورازو بل اتجة مباشرة من ميناء مسينا إلى مدينة سالونيك البيزنطية (٤) .

وقبل الخوض فى ذكر تفاصيل لعمليات العسكرية التالية هناك تساؤل ينبغى التوقف أمامه وهو لماذا استسلمت مدينة دورازو للنورمان بهذه السهولة ؟ هل لضعف تحصيناتها ؟ أم لقلة الحامية البيزنطية ؟ الموجودة بها؟ أم لافتقارها للقيادة الحكيمة التى تدير دفة الأمور؟ أم لهول المفاجأة التى باغت بها النورمان المدينة ؟ الحقيقة أن وليم الثانى ملك صقلية اتخذ تدابير

١- ابن جبير :نفس المصدر والصفحة

2- Eustathius of Thessalonia, OP.Cit., P. 59

3-Niketas, OP.Cit., P. 164

4- Idem.,

تعتبر مدينة سالونيك المدينة الثانية بعد القسطنطينية من حيث الأهمية وقد اشاد أسقف سالونيك بحصانتها وعظم استحكمتها . وذكرها الإدريس بأنها(مدينة حسنة جليلة كثيرة العمارة برا وبحرا) انظر :

Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 59

الإدريس : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ٢م ، مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ جـ٢ ص٨٠٠

كثيرة للحيلولة دون وصول أخبار حملته إلى القسطنطينية، ورغم صرامة تلك التدابير إلا أن الباحث يستشف من رواية ابن جبير أن هناك سفنا تمكنت من مغادرة موانى صقلية رغم الخطر المفروض عليها وذلك عن طريق رشوة المسئولين فى تلك الموانيء (١) . ومن المحتمل أن تكون أنباء تلك الإستعدادات قد تسربت إلى بيزنطة بشكل أو بآخر، ولكن نظراً لإهتمام أندرونيقوس بتصفية حساباته مع معارضيه من جهة وانغماسه فى شهواته مع النساء(٢) من جهة أخرى فلم يكن لديه من الوقت ما يقضيه فى إدارة شئون دولته الخارجية فى فترة تعد من أصعب الفترات التى مرت بها الإمبراطورية البيزانطية فى القرن الثانى عشر الميلادى . ورغم ذلك فمن المؤكد أن أنباء تلك الحملة العسكرية قد وصلت إلى أندرونيقوس كومنين بعد عبورها الأدرياتى ، فما كان منه إلا أن أرسل قائده براناس John Branas المشهود له بالكفاءة والحنكة العسكرية ليتولى مسئولية الدفاع عن مدينة دورازو ضد الهجوم النورمانى المرتقب وبفعل وصل القائد البيزنطى قبيل وصول الحملة النورمانية بأيام وجيزة ، الأمر الذى لم يمكنه من الإشراف الكامل على تحصينات المدينة واستحكاماتها العسكرية من جهة ، وتنظيم الحامية البيزنطية الموجودة فى المدينة من جهة أخرى. وأحدث وصول القوات النورمانية إلى دورازو فى الرابع والعشرين من يونيو ارتباكاً كبيراً فى صفوف الحامية أدى إلى شل حركتها فى الدفاع عن المدينة وسرعان ما سقطت فى أيدى النورمان وتم أسر قائدها وإرساله إى صقلية (٣).

١- ابن جبير : الرحلة ص ٢٣٤

٢- أسهب نيقيتاس فى ذكرتفاصيل علاقات أندرونيقوس العاطفية بعد تربعه على العرش وكيف أنه كان يفضل الذهاب إلى الريف مصطحبا معه محظياته الجميلات ، وكان على رأسهم عازفة الفلوت الحسناء مارابتيك Maraptike ولمزيد من التفاصيل عن ذلك أنظر:
Niketas, OP.Cit., P. P.177-78

3- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 59; Niketas, OP.Cit., P. 175

بينما ذكرابن العبرى أنهم استولوا على عدة مدن دون تحديد لأسمائها أنظر:
Bar Hebraeus, OP.Cit.,P. 313

عمل النورمان على استثمار ذلك النصر السريع الذى حققوه فى مدينة دورازو فى متابعة زحفهم وضم المدن البيزنطية الواحدة تلو الأخرى، فبعد أن تركوا حامية عسكرية فى دورازو واصلوا زحفهم متجهين صوب مدينة سالونيك التى تعد ثانى المدن البيزنطية شهرة بعد مدينة القسطنطينية(١) . وقبل أن تصل القوات النورمانية إلى مدينة سالونيك كانت قد سبقتهم إليها أنباء المذابح الرهيبة التى ألمت بسكان دورازو مما أشاع جواً من الرعب والهلع بين شكان المدينة وغيرها من المدن المجاورة . ورغم أن أندرونيقوس كان مشغولاً بسفك الدماء وعشق النساء – كما سبقت الإشارة – إلا انه أرسل امدادات بحرية لا بأس بها إلى سالونيك ، فضلاً عن خمس فرق عسكرية (٢) كيما تقوى المدينة على الصمود أما الحصار النورمانى المرتقب مما يعكس لنا إهتمامه بالمدينة وإدراكه لأهمية موقعها وضرورة الحفاظ عليها(٣).

ومهما يكن من أمر فقد وصلت القوات النورمانية البرية إلى سالونيك فى السادس من أغسطس ١١٨٥م، بينما وصل الأسطول النورمانى بعد ذلك بتسعة أيام ، وبذلك تم حصار المدينة براً وبحراً وأخذ النورمان يضيقون الحصار على المدينة ويمطرونها بوابل من قذائفهم التى استمرت ليل نهار دون هوادة كان الهجوم البحرى أشد وطأة وضراوة من الهجوم البرى (٤).

ويقدم لنا أيوستات أسقف سالونيك والذى كان متواجداً آنذاك فى المدينة وشاهد عيان لكل أحداثها صورة حية لما وقع من أحداث منذ بداية

1- Niketas, OP.Cit., Loc Cit.,

٢– والجدير بالذكر أن ٥٠٠٠ الفرق لم تصل إلى سالونيك ، بل اكتفت بالتعسكر بالقرب من المدينة دون أن تجرؤ على الإقتراب منها خوفا من القوات النورمانية وللمزيد من التفاصيل أنظر :

Idem.,

3- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 62

4- Idem.,

الحصار النورماني لها وحتى سقوطها في ايديهم في الرابع والعشرين من اغسطس ١١٨٥م. وقد أشار إلى أن قائد الحامية الموجودة في المدينة والذي عهد إليه عنها هوداود كومنين David Comnen الذي يصفه بأنه رجل لاخبرة له (١)، وفاقه المؤرخ المعاصر نيقيتاس في نعته له(٢). وكان هذا القائد يخشى بطش أندرونيقوس كومنين أكثر من خشيته لخطر النورمان، فنراه يرسل بتقارير زائفة إلى أندرونيقوس كومنين يطمئنه فيها على أحوال المدينة وقوة تحصيناتها واستبساله في الدفاع عنها في الوقت الذي كانت فيه المدينة تتعرض لأشد فترات الحصار. وعندما كان يرسل أندرونيقوس الرسائل يسأله عما إذا كان في حاجة للمساعدة فيجيبه بأنه ليس في حاجة إليها وأنه حقق انتصارات كبيرة على الأعداء. وكانت تلك التقارير المتبادلة لا يطلع عليها أحد من سكان سالونيك ولا يحط بها علماً، ومن تصادف وعلم شيئاً عنها، فإنه لا يستطيع البوح بما علم (٣)، وبدلاً من أن يحرض قواته على الإستبسال والصمود في وجه النورمان نراه يثبط من هممهم ويثنيهم ويحقر من جدوى مواصلتهم الدفاع عن المدينة (٤).

على أي حال واصلت القوات النورمانية البرية والبحرية هجومها على المدينة وشددت من وطأته فأخذت استحكامات المدينة تضعف وأسوارها تنهار أمام قسوة القصف النورماني لها(٥). ولما أدركت الحامية أنه لاطائل من

1- Idem.

٢- وتصف المؤرخ نيقيتاس القائد داوود كومنين بأنه كان أكثر أنوثة من النساء وأجبن من الغزال وإن قدر سالونيك التعس أن يكون هذا الرجل هو الذي كلف بالدفاع عنها (لكان ما كلفوا ترصانا للقيام بعمل قبطان أو مشعوذ للقيام بعمل طبيب). انظر:

Niketas, OP.Cit.,P.P. 164- 65

3- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 62: Do'lger, Reg. 1562

4- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., Loc. Cit.,

5- Ibid.,P. 67

مواصلة الدفاع عن المدينة بعد أن نفذت الأقوات والذخائر أعلن قائدها- دواوود كومنين - الإستسلام للقوات النورمانية وذلك فى ٢٤ اغسطس ١١٨٥م(١).

يصف لنا أيوستاث اسقف سالونيك حال المدينة بعدما دخلها النورمان فيذكر أن السيف قد بذل فى أهلها دونما بين رجل وامرأة وكبير وصغير وأن النورمان اغتصبوا النساء وجاثوا خلال الديار ينقبون عن الثروات التى خباها أهلها، كما انتهكوا حرمات أماكن العبادة فدنسوها بأقدامهم ونهبوا ذخائرها وأحرقوا الكتب المقدسة والقوا بالتماثيل والأيقونات على الأرض ووطأوها بأقدامهم وتعقبوا رجال الدين وأذاقوهم أشد ألوان العذاب . ولم يستطع القائد النورمانى أن يستعيد زمام الأمور بالمدينة إلا بشق الأنفس بعد ما غصت طرقات المدينة بجثث القتلى والجرحى ومن نجى من القتل وقع فى الأسر وتمنى من بقى على قيد الحياة الموت من جراء مالا قوة على أيدى النورمان من تعذيب وتنكيل (٢).

وقد أرجع أيوستات أسقف سالونيك ما وقع للمدينة من أهوال إلى غضب الرب نتيجة للآثام لتى إقترفا أهلها وأن هذا هو الجزاء العادل لهم لقاء ما قدمت أيديهم (٣)، بينما أوعز المؤرخ نيقيتاس سبب سقوط سالونيك فى أيدى النورمان إلى خيانة القائد دواوود كومنين الى وجه إليه أقذع العبارت(٤). وإن كنا نتفق مع ما ذكره نيقيتاس من تقاعس القائد دواوود كومنين وخيانته

١-ينفرد المؤرخ أيوستاث بذكر تفاصيل كثيرة عن حصار النورمان للمدينة عن ذلك أنظر:
Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. P. 67- 138

وقد أخطأ نيقيتاس فى تاريخ سقوطالمدينة فذكر أنهفى ٢٥اغسطس أنظر :
Niketas, OP.Cit.,P.165

2- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. P. 138- 40

والجدير بالذكر أن للمؤرخ نيقيتاس نقل هذه المشاهد عن أسقف سالونيك أنظر :

3- Niketas, OP.Cit., P.P. 165- 70

4- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 140

فإننا لا يمكن أن نقنع بأن يكون هذا هو السبب الوحيد لسقوط المدينة فلا بد أن نقر بأن الحامية قد بذلت كل ما بوسعها ولكن أعدادها كانت لا تقارن بما أعده النورمان من قوات، كما أن أسوار المدينة وتحصيناتها لم تكن من القوة ما يكفل لها الصمود أمام ضرارة الهجوم النورماني ، فضلا عن أن الإمدادات والأقوات أخذت تنفد تدريجياً من المدينة ، ومما زاد الطين بلة أن الفرق الخمس التي أرسلها أندرونيقوس لنجدة المدينة لم تجهد نفسها في الوصول إليها حيث اكتفى يوحنا ابن الإمبراطور أندرونيقوس الذي كان على رأس أحد هذه الفرق بالإنشغال بأعمال القنص ، بينما اكتفت الفرق الباقية بالتعسكر بعيداً عن المدينة ومراقبة ما يجرى من أحداث دون أن تجرؤ على الإقتراب وتقديم المساعدة الفعلية للمحاصرين(١). كما أننا لا نستطيع إغفال أهمية تلك المساعدات التي قدمها بعض الاتين – الذين كانوا يقيمون في مجاورات سالونيك–للنورمان وإطلاعهم على عورات المدينة، مما يسر لهم اقتحامها(٢)، مما أدى إلى أن يدب الوهن في قلوب المدافعين فلم يجدوا بداً من الإستسلام خاصة وأن قائدهم كان يفضل ذلك على متابعة القتال .

ومهما يكن من أمر فقد أرجع المؤرخ نيقيتاس أسباب ما حدث بسالونيك إلى كراهية النورمان للبيزنطين وحقدهم عليهم لما حباهم الله من نعم كثيرة ورغد في العيش (٣) وهذا يؤكد صدق ما ذهبنا إليه سابقاً من أن الحملة النورمانية لم يحركها شهوة الثأر لما لحق باللاتين عام ١١٨٢م وإنما حركتها عوامل الكرة والحقد التي كان يكنها النورمان للبيزنطين .

وحينما وصلت إلى القسطنطينية أنباء سقوط سالونيك كان وقعها على الإمبراطور أندرونيقوس وقع الصاعقة فاسقط في يده واضطرب تفكيره

1- Ibid ., P. 175

٢– هايد: المرجع السابق ص ٢٣٤

3- Niketas, OP.Cit.,P.167

وادرك أن الدائرة ستدور لا محالة عليه وأن الخطوة التالية بعد سقوط سالونيك هى القسطنطينية نفسها، فقام بإعادة تحصين العاصمة وإزالة المنازل الملاصقة لأسوارها من الخارج حتى لاتوفر للنورمان وسيلة سهلة لدخول المدينة ، كما قام بتجهيز ما يقرب من ١٠٠ سفينة لتكون على استعداد لمقاومة الأسطول النورمانى إذا ما هاجم القسطنطينية (١)، وظن أنه بذلك قدم كل ما فى وسعة لإنقاذ العاصمة من النورمان واطلق لشهواته العنان، فكان دائما يذهب للتنزه خارج المدينة ومعه مجموعة من الغانيات والحظيات . واليوم الذى كان يعود فيه للمدينة يعد يوما مشئما لسكانها على حد قول المؤرخ نيقيتاس (٢). فقد كان يبدو أنه لا يعود إلا لاستئناف أعمال القتل الوحشية ضد من يتصور أنه يتزمر عليه فأخذ الناس يتزامرون من صنيعه وبدأوا يستجيبون للتحريض على الثورة نتيجة لاقتراب النورمان من القسطنطينية فى الوقت الذى لم يقم فيه هو بعمل شئ كافى للتصدى لهم، بل أمر بإعدام كل من بالسجون وكل من يمت لهم بصلة بحجة أنهم تآمروا عليه وسعوا إلى تدميره وتحالفوا مع الأعداء(٣).

على أى حال بعدما تمكنت القوات النورمانية من الأستيلاء على السالونيك وتركت بها من يدافع عنها واصلت زحفها نحو القسطنطينية فى أوائل سبتمبر ١١٨٥م (٤). وبينما كانت أنباء انتصاراتهم تترى على القسطنطينية كان لإمبراطور أندرونيقوس لايزال مشغولاً بتصفية معارضيه دون أن يعبأ بخطورة الأمر، ففى الوقت الذى أمر فيه بالقبض على أحد صغار النبلاء ويدعى اسحق انجيلوس تمكن الأخير من قتل رسول الإمبراطور الذى كان مكلفاً بتلك المهمة وأشهر سيفه الذى كان يقطر دماً وسار فى طرقات

1- Ibid ., P. 176

2- Ibid ., P. P. 177- 78

3- Ibid ., P. P.184- 86 Cf . also , Baudrillart , Op. Cit., P. 1176

4- Niketas,OP.Cit., P.P.175-176 Cf.also Ostrog'orsky , OP.Cit., P.400

المدينة تتعالى صيحاته بطلب الغوث والحماية من الشعب حتى انتهى به المطاف إلى كنيسة سانت صوفيا(١)، وهناك احتشدت الجموع الغفيرة التى أتت من كل حدب وصوب لترى ذلك الرجل الذى تجرأ على قتل رسول الإمبراطور-الطاغية الذى أزهق أرواح الكثيرين-وبعد مشاورات طويلة أجبروا بطريرق المدينة على تتويجه إمبراطوراً عليهم وإقصاء أندرونيقوس عن العرش وذلك فى ١٢ سبتمبر ١١٨٥م(٢).

حدث كل ذلك أثناء غياب أندرونيقوس عن العاصمة، وعندما عاد وعلم بتلك الأخبار حاول قتل اسحق أنجيلوس خلسة ولكنه فشل فى ذلك. فما كان أمامه إلا محاولة الهرب، فراغ إلى إحدى السفن التى كانت راسية فى الميناء وبرفقته زوجته أجنس إبنة ملك فرنسا وبعض محظياته (٣). ولكن لسوء

١- ويرى المؤرخ نيقيتاس أن الإمبراطور أندرونيقوس أراد أن يعرف شيئا عما يخبئه به القدر وعمن سيخلفه على العرش فأرسل إلى أحد العرافين فى أوائل سبتمبر ١١٨٥ ليتنبأ له الغيب فذكر العراف أوصاف الرجل الذى سيقصيه عن العرش وأن بداية إسمه هى كلمة اسحق ، وحدد أن ذلك سيحدث فى ١٤ سبتمبر من نفس العام فظن أندرونيقوس أنه اسحق كومنين الذى انفرد بحكم قبرص فلم يعر الأمر إهتماما نظرا لبعد المسافة بين قبرص والقسطنطينية ، إذ لم يكن بوسع الأخير أن يقطع تلك المسافة الطويلة فى تلك المدة الوجيزة ليقوم بهذا العمل ، ولما كانت الأوصاف التى ذكرها العراف لأندرونيقوس تنطبق على اسحق انجليوس ، لذا فقد أمر أندرونيقوس بالقبض على اسحق وألزج به فيغياهب السجن للمزيد من ذلك انظر : Niketas , OP. Cit., P.P. 187- 88

2- Ibid, 188- 90 : Ernoul, OP. Cit., P.P. 91- 93 : Bar hebraeus, OP. Cit., P. 319

3- Niketas,OP. Cit., P.P. 191- 92:Niketas , OP. Cit., P.P. Bar hebraeus, OP. Cit., P. 319

والجدير بالذكر أن فيلها ردوين مؤرخ الحملة الصليبية الرابعة ذكر أن الاثين عندما دخلوا القسطنطينية وجدوا بقلعتها عددا من الأميرات وكانت من بينهن الإمبراطورة أجنس زوجة أندرونيقوس التى تزوجت من بعده الأمير ثيودوربراناس Theodore Branas عن ذلك انظر:

Villehardouin and de Joinville, Memoirs of the Crusades , translated and introduced by Sir Frank Maizials, London , 1965, P. 64

قدره بدلاً من ان تتجه السفينة بعيداً عن ايدى من أرادوا الفتك به اضطرتها العاصفة إلى العودة مرة أخرى إلى ميناء القسطنطينية حيث قبض عليه ومثل بين يدى الإمبراطور اسحق انجيلوس الذى وبخه على ما اقترفته يداه فى حق الشعب ثم ترك أمره للجماهير الغاضبة التى إجتمع أمرها بعد جدل طويل على وضعه على ظهر جمل أجرب بطريقة عكس ية – وجهه للخلف وظهره للأمام – وجابوا به طرقات المدينة ليقتص منه كل من الحق به أذى . وقد قدم المؤرخ نيقيتاس وصفاً تقشعر منه الأبدان للمصير البشع لذى لاقاه أندرونيقوس حتى لفظ أنفاسه الأخيرة (١).

وخلاصة القول أن أندرونيقوس كان يسعى للحصول على السلطة بشتى الطرق ونجح فى ذلك، ولكنه لم يسع للحفاظ عليها، إذ كان بمقدوره أن يصبح بمثابة الدم الجديد الذى يبث الروح فى جسد الإمبراطورية الواهن ، خاصة وهو يمتلك كل خصائص السياسى الناجح. كما كان بوسعه أيضاً أن يمد فى عمر هذا البيت الحاكم – الذى تربع أباطرته على عرش البلاد ما يزيد على قرن من الزمان ونجحوا فى ماوجهة أعتى الأخطار وقادوا البلاد إلى بر الأمان – إلا انه آثر الأدنى على الأبقى وأخلد إلى الأرض ولم يستطيع أن يكبح جماح شهوته المتعطشة لسفك الدماء وحب الإنتقام، فلم يقض عى نفسه فحسب ، بل على البيت بأسره . ولعلنا يجانبنا الصَواب إذ قلنا أيضاً أنه كان سبباً هاماً فى سقوط الإمبراطورية نفسها سنة ١٢٠٤م عندما غزاها اللاتين.

وهكذا يطوى التاريخ صفحة أحد لأباطرة البيزنطين الذين تربعوا على عرش البلاد خلال الفترة من ١٨٣–١٨٨٥م، ورغم قصر هذه الفترة الواضح، إلا أنها كانت مليئة بالأحداث الهامة التى أثرت تأثيراً كبيراً على مجريات تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. وبموت الإمبراطور أندرونيقوس كومنين وضعت البلاد على أعتاب مرحلة من تاريخها سارت بها بسرعة رهيبة نحو الهاوية .

1- Niketas , OP. Cit., P.P. 192- 93: Ernoul, OP. Cit., P.P . 94 - 95:Bar hebraeus, OP. Cit., P. 319

بيان بالمختصرات الواردة بالبحث

- C.G.U.M.M.Z/ : Corpus der riecichen Urkunden des Mittelalters Und der Meueren Zeit.
- C.M.M.: TheCambridge Medieval History.
- P.G.: Patrologiae Graecae.
- R.H.C. - Doc.Arm. : Recueil des Historiens des Croisades Documents Armeniens .
- R.H.C.-H.Occ.: Recueil des Historiens des Croisades Historiens Occidentaux.
- R.H. G. F. : Recueil des Historiens des Gaules et de la France

أولاً: المصادر الأجنبية

- Albert d´Aix , Historia Hierosolymitana in R. H. C., H. Occ., Vol. IV.

- Ambroise , The Crusade of Richard Lion-Hert, Trans . from the Old French by M.J. Hubert, New York, 1941.

-Ann Comnen , The Alexiad , English :trans. by Elezabeth Dawes, London, 1928.

-Bar Hebraeus, The Chronography of Greory Abu´l Faraj Tanslated from te Syriac by Ernest A. Walls Budge, Vol. I, London , 1932.

- Benedicti le Troburgensis Abbatis Vitaet Gestis Henrici 11 Angliae Regis , ed R. H, G. F. ; Paris , 1818 Vol. XVII, P.P. 436-546.

- F. Dölger, Regesten der Kaiserukunden des Ostromischen Reichs Von 565-1453 in G.G.U.M.M.Z., Berlin, 1924-1960.

- Eracles, Estoire d´Eracles , Empereus et al Conqueste dela Terre d´Outremer ed. R.H,C.H.Occ., T. 11, Paris, P.P. 1-481.

-Ernoul, Chronique d´Ernoul et de Bernard le Tresorier, ed. L. de Mas Latrie , Paris, 1871.

-Eustathius of Thessalonica Marratio de Thessalonica rrbe a latinis Capta Ed. Bekker , I in P.G. , T. 136.

- Geoffery de Vinsauf, History of theExpedition of Richard Ceòur Lion to the Holyland , London , 1848 .

- Gregoirele Pretre,hronique de Gregoire le Pretre , Cf. R. H. C. Doc. Arm., T. 1, P.P. 151 - 201.

- Guiragos de Kantzag, Histoire d´Armenie extrait ,Cf. R. H. C. Doc. Arm. T. 1, P.P. 413-430

- Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus, Trans. by Charles M. Brad, New York , 1976.

- Mahkairase, Recittal Concerning the Sweet Land of Cyprus entitled "Chronicle" Edited with a Translation and Notes by R.M. DAwkins, Vol. 1, Oxford , 1937.

- Michel le Syrien , La Chronique de Michel Syrien , Cf. R. H. C. Doc. Arm,m T.1, P.P. 309- 409.

- Moketas Choniates Ocity of Byzantium, Trans. by Harry J. Magoulias , Delrsit , 1984.

-Raouel de Caen, Gesta Tancredi Siciliae Regis in Expedition Hierosolymitana,in R.H.C.Occ., Vol. III.

- Robert Clari,Lacoquete deconstantinople.

وقد رجعت إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب وهى تحت عنوان فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، ترجمها من الفرنسية القديمة وقدم لها د. حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٤م.

- Sempad, le Conetable, Chronique du Royaume de la Armenie extrait, Cf. R.H.C. Doc. Arm. , P.P. 610-619.
- Vahram d'Edesse, Chronique Rinee des Rois de LaPetite Armenie , Cf. R.H.C. Doc. Arm., P.P. 493-535.
- Vartan le Grand, Abrege d'Histoire Universelle, Cf. R. H. C. Doc. Arm., I, P.P. 431-443.
- Villehardouin and de Joinville, Memoirs of the Crusades, Translated introduced by Sir Frank Marzials, London, 1965.
- William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, Trans. by Babcock and Krey, 2 Vols, New York, 1943.

ثانياً : المصادر العربية

- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ٩جـ، بيروت ١٩٧٨م.
- ابنجبير : الرحلة ،بيروت بدون تاريخ
- ابن شداد : سيرة صلاح الدين الأيوبى المسماة بالنوادر السلطانية، والمحاسن اليوسيفية ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، ط . أولى القاهرة ١٩٦٤م.
- ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب جـ٢ تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠م.
- أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، مطبعة وادى النيل بمصر ، القاهرة ١٢٨٧هـ.
- الإدريس : نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، ٢م، مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ .
- البندارى : سنا البرق الشامى ، اختصار كتاب البرق الشامى للعماد الكاتب الأصفانى ، تحقيق د. فتحية النيراوى ، القاهرة ١٩٧٩م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية

- Baudrillart, Dictionnaire d´Histoire et de Geographie Ecclesiastiques , T. II, Paris , 1914.
- R. Cessi, Venice to theeve of the fourth Crusade ,C. M. H. IV, Pt.1, 2nd. ed. Hussey , Cambride , 1976, P.P. 251-74.
-Charles Diehl,
- History ofthe Byzantine Empire , Trans. from the french by George B. Ives , New York, 1945.

- Princesses d´Occident a la Cour desComnenes dan figures Byzantines, Deuxiém Série , Paris, 1908,P.P. 191-206 .

- Les reomaneques aventures d´Andronic Comnene dans fiures Byzantines dans la Deuxieme Serie, 1908, Pairs 1908,P.P. 86-133.

- Hussey,

- TheByzantine World, London , 1967.

- The Later Macedonians , the Comneni and the Angeli 1025-1204, C. M.H,. IV Pt. Part. I, 2nd ed. Hussey , Cambridge,1976,P.P. 193-259.

Gy. Moravcsik, Hungary and Byzantium in the Middle Ages, C. M. H. IV, Pt. I, 2nd. ed. hussey , Cambridge , 1976.

-Ostrogorsky , History of the Byzantine State , English Trans. by ussey, Oxford, 1968.

- OxfordDictionary of Byzantium, Vol. 1, New York, 1991.

- Runciman , Byzantine Civilization , Seventh Impression , Great Britain , 1975.

- T.F. Toutt, The Empire and the Papacy , 918-1273,London , 1924.

- Vasiliev, History ofthe Byzantine Empire , 324- 1453, Vol. 11, London , 1971.

رابعاً : المراجع العربية والمعربة

- إسمت غنيم : الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافا ضد القسطنطينية ، دار المعارف ١٩٨٢م.
- أومان : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب د. مصطفى طه بدر، دار الفكرالعربى بدون تاريخ .
- حسنين محمد ربيع: دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٨٣م.
- حسين محمد عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، دار المعرفة الجامعية ، اسكندرية ١٩٨٩م.
- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ١٩٨٢م.
- عادل سليمان زيتون : العلاقات بين القوى الإيطالية وبيزنطة فى القرن الثانى عشر الميلادى ، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد ، القاهرة ١٩٧٥م.
- محمد محمد الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ،دار المعارف الجامعية ، اسكندرية ١٩٩٤م.
- محمد محمد فرحات : بيروت ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى (١١١٠ -١٢٩١م/ ٥٠٣ - ٦٩٠هـ، رسالة دكتوراة لم تنشر بعد ، اسكندرية ١٩٩٤م.
- محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣- ١١٨٠م، دار المعارف ١٩٨٥م.
- هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة أحمد رضا محمد رضا ، مراجعة د. عز الدين فوده ، جـ ا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٥م.

دور مصر من خلال الجامعة العربية
ازاء
قضية الجنوب الافريقى

دكتور / ماهر شعبان

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
بمعهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة

مايو ١٩٩٤

عناصر البحث:

أولا :

موقف مصر والجامعة العربية من التفرقة العنصرية.

ثانياً :

التطورات الأخيرة فى جنوب افريقيا.

ثالثا:

موقف مصر والجامعة العربية من الاحداث الاخيرة فى جنوب افريقيا.

خاتمة:

ملاحق البحث:

هوامش البحث:

الفهرست:

مقدمة :

لما كان جزء كبير من العالم العربى يعيش فى قارة افريقيا- لذا كان طبيعيا ان تتشابك وتتقابل المصالح العربية الافريقية وان تساند الجامعة العربية القضايا الافريقية الهامة. وبالفعل اندفعت الدول الافريقية الى جانب الحق العربى وقضايا العرب المصيرية.

واعتبرت الجامعة العربية القضايا الافريقية قضايا عربية فشاركت فى العديد من هذه المشاكل وعملت على الوقوف إلى جانب الافارقة.

وحدث تلاحم بين منظمة الوحدة الافريقية - وجامعة الدول العربية لمواجهة القضايا المشتركة التى تهم العرب والافارقة.

ومنذ قيام الجامعة العربية فى عام ١٩٤٥ وهى تتابع وتناصر وتؤيد القضايا الافريقية على الصعيد المحلى والدولى.

ومصر باعتبارها دولة عربية افريقية كان لها دور بارز من خلال جامعة الدول العربية فى مناصرة القضايا الافريقية وعلى رأسها قضية جنوب افريقيا.

أولا : موقف مصر والجامعة العربية من التفرقة العنصرية والتحول الديمقراطى فى الجنوب الافريقى

يبرز الموقف المصرى العربى من قضية التفرقة العنصرية فى الاهتمام المبكر والتأييد للاكثرية الافريقية الشرعية من خلال المواقف الايجابية التى تميزت بها مساهمات وفود الدول العربية فى مناهضة سياسة التفرقة العنصرية فى المؤتمرات الدولية، والعمل على ادانة التمييز العنصرى ومكافحته، وتأييد حقوق الشعوب فى الحرية والاستقلال والتعايش السلمى.

ولقد تطور الموقف المصرى والعربى من قضية لتفرقة العنصرية فى افريقيا بتطور القضية ذاتها اثر مذبحة شاربفيل عام ١٩٦٠، إذ قرر مجلس الجامعة العربية « شجب سياسة التميز العنصرى، التى تسير عليها حكومة جنوب افريقيا، واتخاذ جميع الوسائل لمكافحتها، ومناشدة الضمير العالمى على وقف أعمال العنف والدعوة إلى التعاون مع المجموعة الافريقية الأسيوية، وسائر الدول المؤيدة لها لاتخاذ خطة مشتركة فى هذا الشأن فى الأمم المتحدة، بهيأتها ولجانها المختلفة، وسائر المحافل الدولية، ولمضاعفة الجهود بشتى وسائل الاعلام لتبصير الرأى العام العربى والعالمى بعواقب سياسة التميز العنصرى الوخيمة، والدعوة إلى التعاون الدولى للقضاء عليها ودعما للسلام العالمى(١).

وقد أرجا مجلس الجامعة العربية الاعتراف بجمهورية جنوب افريقيا تنفيذا لتوصية لجنة الشئون السياسية المنبثقة عن مجلس الجامعة معللا ذلك بأن حكومة جنوب افريقيا لا تمثل الاغلبية العظمى لسكان البلاد وتنتهج سياسة التميز العنصرى. وقد كان لمصر دور واضح فى اصدار هذا القرار.

(١) انظر قرار مجلس الجامعة العربية رقم ١٧٨٧/د ٣٦/ج٢-فى ١٩٦١/٩/١٩ بملحق البحث.

وفى التاسع من ابريل عام ١٩٦٠قرر مجلس الجامعة العربية الموافقة على توصية لجنة الشئون السياسية الخاص بالتميز العنصرى وجاء فيه:

« ان لجنة الشئون السياسية تدارست ببالغ القلق سياسة التميز العنصرى فى جنوب افريقيا واضطهاد الأقلية للأغلبية الساحقة من اهل البلاد الوطنيين وما ترتب عليها من أحداث خطيرة فى الآونة الاخيرة، تهدد الأمن فى المنطقة والسلام العالمى وما تؤدى إليه من اثارة اسباب العداوة والبغضاء بين البشرية ».

واشار قرار الجامعة العربية إلى قرارات الامم المتحدة المعاقبة منذ عام ١٩٤٦ إلى الان وقرارات باندونج وسائر المؤتمرات الاسيوية والافريقية بشأن مناهضة التميز العنصرى واصرار حكومة اتحاد جنوب افريقية على هذه السياسة.

وقد اوصت اللجنة بعدة قرارات وهى:-

١- سياسة التميز العنصرى ، التى تسير عليها حكومة اتحاد جنوبى افريقيا، واتخاذ كافة الوسائل لمكافحتها، ومناشدة الضمير العالمى العمل على وقف أعمال العنف الجارية هناك.

٢- التعاون مع المجموعة الاسيوية الافريقية، وسائر الدول المؤيدة لها، وفى اتخاذ خطة مشتركة فى هذا الشأن فى الامم المتحدة، بهيأتها ولجانها المختلفة، وسائر المحافل الدولية.

٣- مضاعفة الجهود، بشتى وسائل الاعلام، لتبصير الرأى العربى والعالمى بعواقب سياسة التميز العنصرى الوخيمة، والدعوة إلى التعاون الدولى للقضاء عليها دعما للسلام العالمى (٢).

وقد كان لمندوب مصر فى الجامعة العربية السيد محمود رياض دور بارز فى اصدار هذه القرارات الهامة التى عبرت عن مدى التضامن العربى الافريقى واعتبار قضايا افريقيا قضايا عربية.

واستمرت الجامعة العربية فى تأييدها لكفاح شعب جنوب افريقيا حيث نظرت لجنة الشئون السياسية فى ١٩٦٤/٩/٣٠ مذكرتى الامانة العامة. والجمهورية العربية السورية بشأن الموقف العربى من حكومة جنوب افريقية.

وقدرت ان الكفاح الوطنى فى جنوب افريقية ضد التميز العنصرى وسيطرة الأقلية الاوربية على الشعب، مطابق فى دواعية وأهدافه للكفاح العربى ضد الاحتلال الصهيونى لفلسطين، والتمييز العنصرى الذى قامت عليه اسرائيل واتخذته قاعدة لاعمالها العدوانية المتصلة، لن الجامعة ربطت بين الصهيونية والعنصرية. وتأكيدا للتضامن العربى الافريقى، ولوحدة النضال ضد الاستعمار، يقرر مجلس الجامعة الالتزام بمقررات منظمة الوحدة الافريقية فى موتمر القمة الافريقى الاول بأديس ابابا فى مايو ١٩٦٣، وموتمر القمة الافريقى الثانى بالقاهرة يوليو عام ١٩٦٤.

وقد اتخذت الجامعة العربية مجموعة من القرارات كان لمصر دور كبير فى اصدارها وهى:

١- مناشدة جميع الدول، وبصفة خاصة تلك التى تربطها علاقات تقليدية وتتعاون مع حكومة جنوب افريقية، ان تنفذ بدقة قرارات الأمم المتحدة رقم ١٧٦١ بتاريخ ٦ نوفمبر عام ١٩٦٢ بشأن التفرقة العنصرية.

٢-مناشدة جميع الدول التى ما زالت لها علاقات دبلوماسية وقنصلية واقتصادية مع حكومة جنوب افريقيا ان تقطع هذه العلاقات وان توقف اى صورة اخرى من صور تشجيع التفرقة العنصرية.

٣- تأكيد المسئولية الكبيرة للسلطات الاستعمارية التى تدير مناطق مجاورة لجنوب افريقية فى استمرار انتهاج سياسة التفرقة العنصرية.

٤- ادانة التميز العنصرى فى جميع صوره فى افريقيا والعالم.

٥- التعبير عن القلق العميق الذى تثيره بين جميع الشعوب والحكومات الافريقية اجراءات التميز العنصرى التى تتخذ ضد الجاليات التى تنحدر من أصل افريقى وتعيش خارج القارة وبصفة خاصة فى الولايات المتحدة الامريكية لانهاء هذه التصرفات المشينة.

٦- وطالبت مصر والجامعة العربية باطلاق سراح نيلسون ماندلا، وولتر سيسولو ، ومانجاليسو سوبوكو، وسائر القوميين المعتقلين او المسجونين بناء على توصية السيد محمود رياض.

٧- وناشدت الجامعة العربية جميع البلدان المنتجة للبترول ان توقف فورا، تمويلها للزيت والمنتجات البترولية إلى حكومة جنوب افريقيا.

٨- ودعت الجامعة العربية جميع الدول الأفريقية ان تطبق على الفور، القرار الذى صدر فى أديس ابابا فى مايو ١٩٦٣ بمقاطعة بضائع جنوب افريقيا، ووقف تمويلها بالمعادن والمواد الأخرى، ووقف استيراد بضائع جنوب افريقيا.

٩- ووجهت الجامعة العربية نداء إلى بلاد التجارة الرئيسية تدعوهم إلى مقاطعة جنوب افريقية (٣).

وقد وافقت الجامعةالعربية على توصية لجنةالشئون السياسية بتأليف لجنة برئاسة الامين العام للجامعة العربية السيد عبد الخالق حسونة وعضوية مندوبين من المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية اليمنية والجمهورية العربية المتحدة، والجمهورية التونسية للعمل على توحيد جهود المناضلين الوطنيين فى الجنوب المحتل تنفيذا لقرار مجلس الملوك والرؤساء العرب فى دورته الثانية بالاسكندرية ١٩٦٤، واقتراح خطة عربية موحدة لتأييد حركة التحرير الوطنى فى جنوب افريقيا (٤).

وقد التزمت الدول العربية بتنفيذ قرار المقاطعة السياسية والاقتصادية مع حكومة جنوب افريقيا، وشكلت مع الدول الاسيوية والافريقية قوة ضغط ضد تواجد حكومة جنوب افريقيا فى المحافل الدولية، الامر الذى أدى إلى انسحاب حكومة جنوب افريقيا من منظمة الاغذية والزراعة الدولية فى عام ١٩٦٣ ومن منظمة العمل الدولية، ومنظمة الصحة العالمية فى عام ١٩٦٤، ومن اليونسكو فى عام ١٩٦٥، وكذلك الحيلولة دون مشاركة حكومة جنوب افريقيا فى المؤتمرات الدولية وطردها من عدة مؤتمرات لاتحاد البريد العالمى واتحاد المواصلات السلكية واللاسلكية ومنظمة الطيران المدنى (٥).

وقد اعلنت مصر أنها سوف تنسحب من هذه المؤتمرات فى حالة السماح لمندوب حكومة جنوب افريقيا بالحضور.

واستمرت الجامعة العربية فى سياستها الصلبة نحو السياسة العنصرية فى جنوب افريقيا.

فلقد بحث مجلس الجامعة العربية في السادس والعشرين من ابريل عام ١٩٧٥ الموقف في اتحاد جنوب افريقيا واكد من جديد تضامن الدول العربية مع الدول الافريقية الشقيقة من أجل تحرير كل شبر من أرض افريقية من الاستعمار الاستيطاني والتفرقة العنصرية . وأعلن مجل الجامعة العربية ان قضيا التحرر في القارة الافريقية قضايا عربية افريقية، وأن الدول العربية ايمانا منها بوحدة المصير والنضال لم تألوا جهدا في تدعيم ومساندة حركات التحرر الافريقية والدور الفعال الذى تقوم به منظمة الوحدة الافريقية والدول الافريقية المستقلة لتدعيم الكفاح السياسى والعسكرى لشعب جنوب افريقيا والقضاء التام على الفصل العنصرى في جنوب افريقيا ربيبة الاستعمار الاستيطاني العنصرى الصهيوني في أرض فلسطين المحتلة.

وهكذا ربط مجلس الجامعة العربية بين الفصل العنصرى في جنوب افريقيا والصهيونية في فلسطين واكد أنهم روح لجسد واحد وكثيرا ما اكد المندوب المصرى على هذه العبارة في كل اجتماعات مجلس الجامعة وقد درس المجلس اعلان دار السلام بشأن جنوب افريقيا واعلن ان هذا الاعلان التاريخي يعبر بصدق عن موقف الدول العربية ويعتبر وثيقة تاريخية على درب النضال من أجل التحرير، فضلا عن تأكيده للعالم اجمع لمخاطر وجرائم الاستعمار الاستيطاني العنصرى ضد الشعوب التى اغتصبت حريتها واراضيها .

ومن اجل ذلك قرر مجلس الجامعة العربية الموافقة على كل ما تضمنه هذا الاعلان واعتباره وثيقة من وثائق الجامعة العربية (٦) بعد أن تقدم المندوب المصرى بهذا الطلب.

وفى الدورة رقم ٦٦ لعام ١٩٧٦ استعرض مجلس الجامعة العربية توصية لجنة الشئون السياسية فى أعقاب الاحداث الخطيرة الجارية فى جنوب القارة الافريقية ومناورات الانظمة العنصرية ضد شعب جنوب افريقيا وتصاعد أعمال العنف وزيادة حدة الفصل العنصرى، واستكمالا لهذه الاحداث استعرض المجلس ايضا قرارات القمة العربية فى كل من الجزائر والرباط الخاصة بمقاطعة الانظمة العنصرية فى جنوب افريقيا ومساعدة حركات التحرر الافريقية . ولقد كان للرئيس السادات والرئيس بومدين والملك الحسن الثانى دورا بارزا فى هذه المؤتمرات وانطلاقا من كفاح الشعوب العربية والافريقية المشترك ضد قوى الاستعمار والعنصرية توصى لجنة الشئون السياسية بالجامعة العربية بما يأتى:-

١- تدين الجامعة العربية من جديد الانظمة العنصرية فى جميع اشكالها وصورها فى افريقيا وفلسطين.

ونلاحظ هنا ان الجامعة العربية اكدت من جديد ارتباط النظام العنصرى بجنوب افريقيا بالنظام العنصرى الصهيونى وهى حقيقة اكدتها الجامعة العربية فى كل دورات انعقادها.

٢- أعتبرت الجامعة العربية ان القضايا الوطنية الافريقية قضايا عربية حيث ساندت افريقيا قضية فلسطين فى الهيئة الدولية.

٣- اكدت الجامعة العربية التزام الدول العربية بمقاطعة الانظمة العنصرية ومساعدة حركات التحرير الافريقية فى جنوب القارة لتحقيق امال شعوبها فى الحرية والاستقلال .

---

* قرار مجلس الجامعة العربية رقم ٢٢٣٩ الدورة ٦٣ الجلسة ، بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٦ انظر ملحق البحث.

وهنا نلاحظ ان الجامعة العربية لم تكتف باصدار قرارات الادانة لسياسة اتحاد جنوب افريقيا، انما عملت ايضا على متابعة تنفيذ القرارات التى اصدرتها ومنها المقاطعة العربية لجنوب افريقيا. وقد سارت هذه السياسة والمتابعة مع المقاطعة العربية لاسرائيل لما تشكله اسرائيل وجنوب افريقيا من خطر على المجتمع الدولى.

٤- وقد ادان مجلس الجامعة العربية بشدة عدوان انظمة الأقليات العنصرية على الدول الافريقية المستقلة بجنوب القارة ، وناشد المجلس جميع الدول والشعوب المحبة للسلام والحرية ان تقف إلى جانب كفاح القارة الافريقية ضد قوى الاستعمار والعنصرية وكان للسيد محمد رياض مندوب مصر الدائم دورا هاما فى هذه الدورة.

٥- كما ادان مجلس الجامعة العربية فى دورته رقم ٦٦ النظام العنصرى فى جنوب افريقيا لعدوانه على جمهورية انجولا الشعبية * ولاحتلاله جزءا من اراضيها الوطنية، وطالب المجلس بالانسحاب الفورى غير المشروط لقوات العدوان العنصرى (٧).

هكذا كانت الجامعة العربية تتبع تطورات الاحداث فى جنوب افريقيا بل ووجهت مصر والجامعة العربية نداء إلى ممثلى الدول العربية فى الأمم المتحدة تدعوهم إلى تنسيق جهودهم مع المجموعة الافريقية من أجل اتخاذ موقف موحد ازاء هذه القضايا عند طرحها فى الأمم المتحدة. وقد كانت

---

* وقع عدوان اتجاه جنوب افريقيا على انجولا فى أعقاب استقلالها مباشرة كدليل على مدى الارتباط بين الاستعمار ونظام الحكم العنصرى فى جنوب افريقيا.
انظر القرار رقم ٣٣٨٨ الدورة ٦٥ جـ ٣ -١٩٧٦/٣/٢١.

الاستجابة فورية لنداء مصر فى الهيئة الدولية فاصدرت الامم المتحدة عددا من القرارات الهامة التى تدين سياسة التميز العنصرى.

هكذا كانت متابعة الجامعة العربية لقضية جنوب افريقيا على المستوى المحلى والدولى، بل أننا يمكنا القول بأن الدور الفعال للمجموعة العربية وعلى راسها مصر فى الهيئة الدولية كان وراء صدور العديد من قرارات الادانة للنظام العنصرى فى جنوب افريقيا. فقد التزمت الدول العربية بالمقاطعة. ومحاربة النظام العنصرى فى جنوب افريقيا فى الهيئة الدولية والضغط على الدول التى تتعامل مع العنصرية لاتخاذ موقف اكثر ايجابية.

هكذا اتضح الدور المصرى واثر مصر فى تشكيل موقف الجامعة فى كثير من القضايا التى عرضت على الجامعة منذ انشائها عام ١٩٤٥ وحتى الآن .ونتج عن هذا التأثير المصرى فى مواقف الجامعة من عديد من العوامل التى ترجع اساسا إلى المكانة المصرية فى المنطقة العربية والافريقية وعلى المستوى الدولى عموما وكونها اكبر الدول العربية من حيث الامكانيات المادية والبشرية واكثرها تقدما فى المجال الحضارى، فضلا عن الدور الذى لعبته مصر فى انشاء الجامعة العربية وشغلها مكانا هاما فى ادارتها.

فلا شك ان مصر قد استغلت هذه المكانة الهامة لصالح القضايا الافريقية وعلى راسها قضية التميز العنصرى فى جنوب افريقيا.

ومنذ انشاء اللجنة السياسية المنبثقة عن مجلس جامعة الدول العربية فى نوفمبر ١٩٤٦ والتى تعتبر من أهم أجهزة الجامعة العربية نظرا لطبيعة تكوينها من وزراء الخارجية أو رؤساء الوزرات- ومصر تمارس دورها القيادى فى هذه اللجنة لصالح قضايا الافارقة وعلى راسها قضية التفرقة العنصرية(٨).

لقد جسدت مصر دورها القيادى العربي والافريقى مما جعل الخطوات المصرية تكتسب نوعا من التاييد العربى والافريقى لا سيما بعد ان ربطت بين الصهيونية والعنصرية. وايد السيد/ محمد عبد الخالق حسونة × امين عام جامعة الدول العربية ومن بعده السيد / محمود رياض المواقف المصرية الايجابية من قضية جنوب افريقيا *.

ووقف د/ سيد نوفل الامين العام المساعد للجامعة العربية يؤيد الخطوات المصرية الجادة لريادة الجامعة العربية وحثها على اتخاذ مواقف اكثر ايجابية من قضية جنوب افريقيا وظلت مصر على مدار السبعينيات والثمانينيات تتبنى من خلال الجامعة العربية قضية جنوب افريقيا.

وعبر الرئيس محمد أنور السادات فى مؤتمر القمة العربى الافريقى الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٧٤ عن شجبه وشجب شعب مصر لسياسة التميز العنصرى فى جنوب افريقيا.

وطلب المندوب المصرى فى جامعة الدول العربية ادراج قضية جنوب افريقيا فى كل جلسات الجامعة العربية وحث الجامعة على اتخاذ مزيد من القرارات الصارمة ضدسياسة الفصل العنصرى فى جنوب افريقيا ودعت مصر من خلال جلسات الجامعة العربية إلى الافراج عن الزعيم الوطنى نيلسن مانديلا باعتباره رمزا للمقارمة الوطنية لشعب جنوب افريقيا (١٠).

× محمد عبد الخالق حسونة ثانى امين للجامعة العربية . وهو مصرى الجنسية.

* د/ سيد نوفل : ظل يشغل منصب الامين العام المساعد للجامعة العربية من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٧٨ وهو مصرى ايضا.

ولم يتغير موقف مصر من القضية حتى بعد ان اخذت الجامعة العربية فى أعقاب قمة بغداد قرارا بتجميد عضوية مصر فى الجامعة العربية فى أعقاب سلام كامب ديفيد لم تبتعد مصر عن الجامعة العربية ولا عن القضايا الافريقية وناصرت القضية من خلال عضويتها فى الامم المتحدة ومؤتمرات عدم الانحياز بل ومن خلال اللقاءات الثنائية بين القادة العرب والرئيس حسنى مبارك. وكانت قضية جنوب افريقيا تشغل حيزا هاما من هذه اللقاءات وكانت قرارات الادانة واضحة وصريحة وحين عاد العرب إلى مصر وعادت مصر إلى الجامعة العربية فى ١٩٨٢ تزعمت من جديد الريادة العربية والافريقية وعادت قضية جنوب افريقيا تشغل حيز وتفكير القادة العرب من جديد بسبب الدور المصرى الفعال والمميز والذى اعترفت به الدول الافريقية والعربية.

ثانيا : التطورات الاخيرة فى الجنوب الافريقى:

فى الانتخابات التى جرت فى نهاية عام ١٩٨٩ فى جنوب افريقيا فاز فريدرك دى كليرك وكان الرجل قد اعلن اثناء الحملة الانتخابية عن ايمانه بضرورة قيام تعاون كامل بين جميع المواطنين فى جنوب افريقيا وانه يكفى ما عانت منه جنوب افريقيا نتيجة الصدام الدموى بين العناصر المختلفة بالاضافة لنظرة العالم لها والمقاطعة التى فرضتها الامم المتحدة – فأصبحت تعانى اقتصاديا على الرغم من انها أغنى دولة فى القارة الافريقية.

وبعد تولية السلطة بدأ دى كليرك يخطط لاطلاق سراح المعتقلين السياسيين وعلى راسهم ولزسيزولو، ونيلسون مانديلا وفى الثانى من فبراير ١٩٩٠ بدأت الدورة البرلمانية الجديدة لبرلمان جنوب افريقيا، وفى خطابه امام البرلمان اعن دى كليرك انه سيصدر عددا من القرارات التاريخية

ومن اهمها رفع الخطر نهائيا عن نشاط الاحزاب المختلفة. وايقاف العمل بقانون مصادرة الصحف، وذكر انه على استعداد كامل للتفاوض مع زعماء السود لوضع دستور جديد للبلاد وارساء قواعد الديمقراطية.

وفى ١١ فبراير ١٩٩٠ اطلق سراح مانديلا بعد ان قضى فى السجن سبعة وعشرين سنة وستة أشهر وستة أيام (١٠).

ولا شك ان هناك اسبابا محلية واخرى عالمية دعت دى كليرك لاتخاذ هذا القرارى الجرئ لعل فى مقدمتها صمود الافارقة طوال هذه السنوات ووجود قيادات افريقية واعية كانت على استعداد للاستمرار فى النضال مهما كلفها ذلك، كذلك مساندة منظمة الوحدة الافريقية للمناضلين الافارقة بجنوب افريقيا- فقد اتخذت المنظمة فى ٢١ اغسطس ١٩٨٩ما عرف (باعلان هرارى) دعت فيه دول العالم بمضاعفة جهودها لانهاء التفرقة العنصرية ، كذلك موقف مصر وجامعة الدول العربية – والأمم المتحدة التى استمرت فى ضغطها على حكومة جنوب افريقيا لانهاء التفرقة العنصرية ، وقد عقدت الامم المتحدة فى ديسمبر ١٩٨٩ جلسة خاصة حول الفصل العنصرى دعت فى ختامها حكومة جنوب افريقيا للاستجابة لقرارات الامم المتحدة بخصوص وقف العمل بقوانين التفرقة العنصرية ، وأبدت استعدادها لوقف قرارات المقاطعة الاقتصادية وغيرها من القرارات التى اتخذتها ضد حكومة جنوب افريقيا العنصرية – اذا ما استجابت هذه الحكومة لمطالب الرأى العام العالمى الذى أبدى استياءه من هذه القوانين والاجراءات العنصرية وكان لمصر دور فعال فى هذه الدورة .

وشهدت الفترة التالية لاطلاق سراح مانديلا – عدة اجراءات فى الطريق الصحيح فقد اعلن دى كليرك الغاء العديد من القرارات العنصرية ووعد بالسير قدما فى وضع نهاية للتفرقة العنصرية لخلق مجتمع متجانس فى جنوب افريقيا (١١).

وحاول مانديلا من جانبه مسايرة هذا الاتجاه فعقد فى ٢١ يناير ١٩٩١ اجتماعا مع زعيم حركة انكاثا التى تنتمى اليها قبائل الزولو وذلك فى محاولة لايجاد جو من الصفاء بين السود انفسهم فقد أدى الصراع بين قبائل السود خلال الاعوام الأربعة الأخيرة إلى سقوط اكثر من ٥٫٠٠٠ قتيل ، فكان لابد من وقف نزيف الدم بين الافارقة انفسهم ليواجهوا المتعصبين من البيض.

وفى السادس من يوليو ١٩٩١ انتخب نيلسون مانديلا رئيسا لحزب المؤتمر الوطنى خلفاً للرئيس «اوليفرتامبو» الذى أعفى من منصبة لمرضه ، كما انتخب والتر سيزولو نائبا لرئيس الحزب ، وقد أعطى ذلك لنيلسون مانديلا دفعة جديدة فى مفاوضاته مع دى كليرك (١٢).

وقد قام دى كليرك بجولة فى الولايات المتحدة وانجلترا، والعديد من دول أوربا فى محاولة لكسر الحصار الاقتصادى المفروض على جنوب افريقيا، والذى اخذت اثاره تتفاقم. وفى نفس الوقت قام الزعيم نيلسون مانديلا بجولة لشرح سياسة حزبه ووضح انه يسعى لايجاد صيغة للتعايش بين الاغلبية السوداء والاقلية البيضاء، التى يجب ان تطمئن على مستقبلها فى ظل دولة تقوم على اساس العدل والمساواة ونبذ العنف – ففى مثل هذا المناخ الديمقراطى يمكن ان يعيش جميع السكان من بيض وسود وملونين تحت مظلة واحدة بصرف النظر عن نوع الحكومة التى ستتولى السلطة.

ولا شك ان كلا من الرجلين « مانديلا » ، « دى كليرك» كانا متأكدين ان الطريق ليس سهلا ولا مفروشا بالورد – فلا يمكن مهما كانت النوايا طيبه – الغاء نظام استقر فى هذه البلاد ما يقرب من ثمانين عاما – كما ان الاحزاب الافريقية التى وصل عددها الى ١٩ جماعة وحزب كانت رغم معاناتها تتطاحن فيما بينها ، وبالطبع وجدت جماعة من البيض المتعصبين غير راضية عن حرمانها من الامتيازات التى اكتسبتها على مر السنين غير مدركة لنتائج تحدى المجتمع الدولى ومبادئ العدالة والمساواة التى يؤمن بها الجميع.

وقد بدأت فى اكتوبر ١٩٩١ بمدينة «دربان» بجنوب افريقيا جولة المفاوضات الاولى بين حكومة بريتوريا – والقوى السوداء . وتخلفت عن الاشتراك فى هذه المفاوضات حركة انكاثا ، وحركة ازابو (الوعى الاسود) كما امتنع عن الحضور حزب المحافظين من الاقلية البيضاء . وقد استقر رأى المجتمعين فى هذه الجولة على عدة مبادئ هامة من اهمها:

١– الاتفاق على ان يعمل الجميع من اجل جنوب افريقيا موحدة على اسس ديمقراطية دون تفرقة بسبب اللون او الجنس.

٢– اجراء تحول دستورى سلمى ينبذ العنف ويهدف فى النهاية لوضع نظام سياسى واجتماعى واقتصادى قائم على المساواة بين جميع المواطنين.

٣– تشكيل مجموعات عمل تتولى المسائل الاجرائية إلى ان يتم تشكيل حكومة انتقالية تكون مهمتها الاشراف على انتخاب جمعية تأسيسية لوضع الدستور الجديد للبلاد.

وقد حصل دى كليرك على موافقة البيض على اجراء هذه الاصلاحات الدستورية حيث ايده ما يقرب من ٧٠٪ من الناخبين البيض واستمرت الاجتماعات والمؤتمرات بين حكومة بريتوريا والجماعات والاحزاب الافريقية في مايو ١٩٩٢- ويونية من نفس العام الا ان المذبحة التى حدثت وراح ضحيتها نحو ٤٢ من أعضاء حزب المؤتمر الافريقى ، واتهم افراد من حزب انكاتا بأرتكاب المذبحة، وقد حمل حزب المؤتمر الوطنى حكومة بريتوريا مسئولية هذه الاحداث باعتبارها مسئولة عن امن جميع المواطنين وانها لم تنجح فى الزام قبائل الزولو على التخلى عن اسلحتهم التقليدية وطالب حزب المؤتمر الحكومة بترك مكانها لحكومة انتقالية تعجل بوضع دستور ينهى التفرقة العنصرية . ودعا الحزب للاضراب العام كوسيلة سلمية للضغط على حكومة بريتوريا.

وتوالت الاحداث المؤسفة فى جنوب افريقيا ولكن الجهود المخلصة التى بذلتها الامم المتحدة، ومنظمة الوحدة الافريقية، ودى كليرك ونيلسون مانديلا ومصر ساعدت على تجاوز الازمة التى كانت تعصف بجهود السلام فى جنوب افريقيا (١٣).

واعلن دى كليرك من جانبه على عزم حكومته على اجراء الانتخابات التى سيشترك فيها الكل على قدم المساواة فى ابريل ١٩٩٤ وذلك لصياغة دستور جديد ينهى التفرقة العنصرية ويفتح المجال لاقامة حكومة ديمقراطية تتولى شئون البلاد.

ومن ناحية اخرى دعا نيلسون مانديلا إلى انهاء المقاطعة الاقتصادية وغيرها من العقوبات التى فرضت على جنوب افريقيا ، وقد اعلنت الدانمرك - والسويد - وكندا ، واستراليا وغيرها من الدول أنها ستستأنف علاقتها

مع جنوب افريقيا التى جمدت حسب قراراتِ الامم المتحدة.

ورحبت مصر من جانبها بالخطوات التى اتخذتها حكومة دى كليرك وذكر وزير الخارجية المصرى السيد/عمرو موسى ان مصر التى ترأس القمة التاسعة والعشرين لمنظمة الوحدة الافريقية ترحب بالاصلاحات الدستورية التى اتخذتها حكومة بريتوريا ، وان قيام نظام ديمقراطى فى جنوب افريقيا يتمتع فيه الجميع بالحقوق السياسية والاجتماعية على قدم المساواة سيتيح الفرصة لانضمام جنوب افريقيا كعضو عامل فى منظمة الوحدة الافريقية والمجتمع الدولى وان مصر باعتبارها رئيسة منظمة الوحدة الافريقية تتطلع إلى اليوم الذى تجرى فيه انتخابات حرة نزيهة تعيد للسود حقوقهم .

ثالثا : موقف مصر فى الجامعة العربية من الاحداث الاخيرة فى جنوب افريقيا.

اعربت الجامعة العربية بعد اطلاعها على مذكرة الامانة العامة وعلى توصية لجنة الشئون السياسية عن :

١- الارتياح للاجراءات الرامية الى عقد اول انتخابات عامة ديمقراطية فى جنوب افريقيا فى ابريل ١٩٩٤.

٢- عبرت الجامعة العربية عن تأييدها لقرارات الامم المتحدة الخاصة بالمشاركة الدولية فى مراقبة الانتخابات القادمة.

٣- اكدت الجامعة العربية على اهمية قيام علاقات وطيدة بين الدول العربية وبين دولة جنوب افريقيا الجديدة ودعم التعاون المشترك معها فى

مختلف المجالات وفق اسس التعاون والتضامن العربى والافريقى بما فى ذلك رفع المقاطعة.

٤- حرصت مصر والجامعة على اهمية رفع اجراءات المقاطعة السياسية والاقتصادية المفروضة على دولة جنوب افريقيا -والموافقة على تعامل المؤسسات والهيئات العربية المختلفة مع مثيلاتها فى دولة جنوب افريقيا الجديدة فى اطار خدمة المصالح المشتركة ودعم العلاقات العربية الافريقية(١٤).

وبعد فان الجامعة العربية لم تكن بعيدة عن تطورات الاحداث فى جنوب افريقيا وتابعت هذه التطورات واصدرت نشرة موجزة حول التطورات الاخيرة فى جنوب افريقيا دعت فيها تحالف الحرية المكون من البيض المتشددين وحزب انكاثا الى قبول التجربة الديمقراطية الجديدة فى جنوب افريقيا.

واعربت الجامعة العربية عن الارتياح الشديد للاجراءات الرامية الى عقد اول انتخابات ديمقراطية فى جنوب افريقيا وتأييد قرارات الامم المحتدة بشأن المشاركة فى مراقبة الانتخابات والتأكيد على اهمية بناء علاقات وطيدة مع جنوب افريقيا ورفع المقاطعة السياسية والاقتصادية والثقافية عنها (١٥).

وقد اصدرت الجامعة العربية نشرة رسمية عن تطورات هذه الاحداث فى جنوب افريقيا كدليل على مدى الاهتمام والمشاركة العربية الجماعية فى حل قضية جنوب افريقيا واعتبار حل هذه القضية خطوة عى طريق السلام العالمى الذى تسهم الجامعة العربية بجزء فيه (١٦) *.

* انظر كلمة الامين العام لجامعة الدول العربية فى ملحق البحث.

واكد وزير خارجية جنوب افريقيا في حديث لصحيفة الاهرام القاهرية اهمية كل من مصر وجنوب افريقيا باعتبارهما مفاتيح القارة الافريقية من الشمال والجنوب ، واكد وزير خارجية جنوب افريقيا في مستهل حديثة ان حكومة بلاده تتطلع الى التعاون المثمر الجاد مع مصر لصالح القارة الافريقية وان بلاده تضع خبراتها تحت تصرف مصر باعتبارها اهم دولة عربية وافريقية تتطلع حكومة جنوب افريقيا الى التعاون معها باعتبارها قد مارست دورا كبيرا في الافراج عن الزعيم الوطني نيلسون مانديلا من خلال الهيئات المحلية والدولية – واكد ان مصر قادرة على اعادة التوازن الدولي لجنوب افريقيا في المحافل العربية والدولية باعتبارها اكبر دولة عربية وزعيمة افريقيا وهي دولة جديرة بالاحترام ونحن نتطلع الى التعاون المثمر معها (١٧).

الخاتمة

أثبتت الدراسة عددا من النقاط:

(١) ان مشكلة جنوب افريقيا تعد من اقدم مشاكل القارة الافريقية وانها مشكلة استعمارية فى المقام الاول ومن مخلفات الاستعمار.

(٢) أن دور مصر تجاه هذه المشكلة كان له ابعاد ثلاثة:

على مستوى الهيئة الدولية (الامم المتحدة)

وعلى مستوى منظمة الوحدة الافريقية.

وفى اطار جامعة الدول العربية .

حيث تطلعت مصر بدورها الرائد فى الهيئة الدولية وعلى مستوى ريادتها لمنظمة الوحدة الافريقية باعتبارها من اكبر العناصر الموسسة لمنظمة الوحدة الافريقية . وعلى مستوى زعامتها للعالم العربى وفى المحاور الثلاثة كان دورها رائدا اشاد به الزعيم نيلسون مانديلا اثناء زيارته لمصر فى أعقاب الافراج عنه.

(٣) ان الجامعة العربية تابعت تطورات الاحداث فى جنوب افريقيا منذ عام ١٩٦٠ وتوالت اصدار قرارات الادانة للنظام العنصرى فى جنوب افريقيا بتأثير مصرى كبير.

(٤) كان دور الجامعة العربية رائد فى قرارات المقاطعة السياسية والاقتصادية لحكومة بريتوريا والزمت به البلاد العربية باعتبار ان النضال العربى والافريقى نضال مشترك لا يتجزأ .

(٥) مارست الجامعة العربية ضغطها على حكومة بريتوريا العنصرية من خلال الهيئة الدولية وسجلت ذلك فى عدد من القرارات.

(٦) استمرت الجامعة العربية فى اصدار قرارات الادانة لحكومة بريتوريا وممارستها العنصرية حتى لاحت فى الافق بوادر التحول الديمقراطى فى عام ١٩٩٠.

(٧) شجعت مصر والجماعة العربية التقارب بين حكومة بريتوريا والسود وباركت الاجراءات الديمقراطية التى تشهدها الآن منطقة جنوب افريقيا.

(٨) أعلنت مصر والجامعة العربية استعدادها لانهاء المقاطعة الدولية لحكومة جنوب افريقيا فى حالة احلال السلام فى جنوب افريقيا ومساندتها لحكومة جنوب افريقيا لقبولها عضو عامل فى المجتمع الدولى وقد عززت ذلك بمجموعة من النشرات والوظائف .

(٩) اكدت حكومة جنوب افريقيا على لسان وزير خارجيتها لاهمية الدور المصرى فى افريقيا باعتبار ان مصر ترأس منظمة الوحدة الافريقية فى عام التحولات الديمقراطية فى جنوب افريقيا ١٩٩٤ وانها ترأس ايضا لجنة فض المنازعات فى افريقيا ولدورها العربى والافريقى الواضح. واكد ان بلاده تتطلع الى التعاون الجاد مع مصر لصالح افريقيا.

التمييز العنصرى فى اتحاد جنوبى افريقية : ـ

يقرر المجلس الموافقة على توصية لجنة الشئون السياسية الاتية:

«تدارست لجنة الشئون السياسية ببالغ القلق سياسة التمييز العنصرى فى جنوبى افريقية، وضطهاد الاقلية للاغلبية الساحقة من أهل البلاد الوطنيين، وما ترتب عليها من أحداث خطيرة فى الاونة الاخيرة، تهدد الامن فى المنطقة والسلام العالمى، وما تؤدى إليه من اثارة اسباب العداوة والبغضاء بين البشرية .

« واستذكرت قرارات الأمم المتحدة، المتعاقبة منذ عام ١٩٤٦ إلى الان وبمعارضة سياسة حكومة اتحاد جنوبى فريقية القائمة على هذا التمييز ودعوتها الى التخلى عنها، وقرار مجلس الزمن فى أول ابريل الحالى ، وقرارات باندونج وسائر المؤتمرات الاسيوية والافريقية ، بشأن مناهضة سياسة التمييز العنصرى ، واصرار حكومة اتحاد جنوبى افريقية على هذه السياسة رغم ذلك كله.

« واللجنة اذ تستنكر أشد الاستنكار سياسة اتحاد جنوبى افريقية العدوانية فى التمييز العنصرى، القائمة على التنكر لحقوق الانسان ومجافاة مبادئ الامم المتحدة وقراراتها والعدل الدولى وتحدى الرأى العام العالمى – توصى بما يأتى :

أولا: شجب سياسة التمييز العنصرى، التى تسير عليها حكومة اتحاد جنوبى افريقية، واتخاذ كافة الوسائل لمكافحتها، ومناشدة الضمير العالمى لعمل على وقف اعمال العنف الجارية هنالك.

ثانيا : التعاون مع المجموعة الآسيوية الافريقية، وسائر الدول المؤيدة لها، فى اتخاذ خطة مشتركة فى هذا الشأن فى الامم المتحدة، بهيئاتها ولجانها المختلفة ، وسائر المحافل الدولية.

ثالثا : مضاعفة الحدود، بشتى وسائل الاعلام، لتبصير الرأى العام العربى والعالمى بعواقب سياسة التمييز العنصرى الوخيمة، والدعوة الى التعاون الدولى للقضاء عليها دعما للسلام العالمى »

(ق ١٦٥٩/د ٣٣/ج٢ – ٩/٤/١٩٦٠)

الموقف العربى من حكومة جنوبى افريقية (١٩) :

يقرر المجلس الموافقة على توصية لجنة الشئون السياسية الاتية:

« نظرت اللجنة مذكرتى الامانة العامة والجمهورية العربية السورية بشأن الموقف العربى من حكومة جنوبى افريقية».

وقدرت ان الكفاح الوطنى فى جنوبى افريقية، ضد التمييز العنصرى وسيطرة الاقلية الاوربية على الشعب، مطابق فى دواعيه واهدافه للكفاح العربى ضد الاحتلال الصهيونى لفلسطين، والتمييز العنصرى الذى قامت عليه اسرائيل واتخذته قاعدة لأعمالها العدوانية المتصلة.

وتأكيد للتضامن العربى الافريقى، ولوحدة النضال ضد الاستعمار، يقرر الالتزام بمقررات منظمة الوحدة الافريقية فى موتمر القمة الافريقى الاول بأديس ابابا لمايو (أيار) عام ١٩٦٣، وموتمر القمة الافريقى الثانى بالقاهرة ليوليو (تموز) عام ١٩٦٤.

والموافقة على ما يأتي:

١-مناشدة جميع الدول ، وبصفة خاصة تلك التى تربطها علاقات تقليدية وتتعاون مع حكومة جنوبى افريقية، ان تنفذ بدقة قرار الامم المتحدة رقم ١٧٦١(١٧) بتاريخ ٦ نوفمبر سنة ١٩٦٢ بشأن التفرقة العنصرية.

٢- مناشدة جميع الدول التى ما زالت لها علاقات دبلوماسية وقنصلية واقتصادية مع حكومة جنوبى افريقية ان تقطع هذه العلاقات وان توقف اى صورة اخرى من صور تشجيع سياسة التفرقة العنصرية.

٣- تأكيد المسئولية الكبيرة للسلطات الاستعمارية التى تدير مناطق مجاورة لجنوبى افريقية فى استمرار انتهاج سياسة التفرقة العنصرية.

٤- ادانة التمييز العنصرى فى جميع صوره فى افريقية وفى جميع انحاء العالم.

٥- التعبير عن القلق العميق الذى تثيره بين جميع الشعوب والحكومات الافريقية اجراءات التمييز العنصرى التى تتخذ ضد الجاليات التى تنحدر من اصل افريقى وتعيش خارج القارة وبصفة خاصة فى الولايات المتحدة الامريكية لانهاء هذه التصرفات المشينه التى لايمكن احتمالها والتى قد تودى الى تدهور خطر فى العلاقات بين الشعوب والحومات الافريقية من ناحية وبين شعب وحكومة الولايات المتحدة الامريكية من ناحية اخرى.

٦- المطالبة باطلاق سراح نلسون مانديلا ووالتر سيسولو، ومانجاليسو سوبوكو، وسائر القوميين المعتقلين او المسجونين، بموجب القوانين التحكمية فى جنوب افريقيا.

٧- مناشدة جميع البلاد المنتجة للبترول أن توقف كاجراء عاجل، تمويلها للزيت والمنتجات البترولية الى جنوب افريقية.

٨- دعوة جميع الدول الافريقية ان تطبق على الفور، القرار الذى صدر فى اديس ابابا فى مايو ١٩٦٣ بمقاطعة بضائع جنوبى افريقية، ووقف تمويلها بالمعادن والمواد الخام الاخرى، ووقف استيراد بضائع جنوبى افريقية.

٩-رجاء تعاون جميع البلاد، خلاصة بلاد التجارة الرئيسية، فى مقاطعة جنوبى افريقية.

(ق ٢٠٣٩/د ٤٢/ج٢ - ١٩٦٤/٩/٣٠)

دعم حركة التحرير فى الجنوب المحتل:

يقرر المجلس الموافقة على توصية لجنة الشئون السياسية الاتية:

«نظرت اللجنة موضوع دعم حركة التحرير فى الجنوب المحتل،وتوصى بتأليف لجنة برياسة الامين العام وعضوية مندوبين عن: المملكة العربية السعودية، والجمهورية العربية اليمنية، والجمهورية العربية المتحدة، والجمهورية التونسية، للعمل على توحيد جهود المناضلين الوطنيين فى الجنوب المحتل ووقوفهم صفا واحدا ضد الاستعمار البريطانى تنفيذا لقرار مجلس الملوك والرؤساء العرب فى دورته الثانية بالاسكندرية، واقتراح خطة عربية موحدة لتأييد حركة التحرير الوطنى فى المنطقة ودعمها . وذلك على ان يدعى مجلس الجامعة للاجتماع فور انتهاء اللجنة من اعمالها لنظر تقريرها.

(ق ٢٠٤٠/د ٤٢/ج٢ - ١٩٦٤/٩/٣٠)

الموقف فى جنوب القارة افريقيا :

«ان مجلس جامعة الدول العربية، وقد بحث الموقف فى جنوب القارة الافريقية يؤكد من جديد تضامن الدول العربية مع الدول الافريقية الشقيقة من أجل تحرير كل شبر من أرض افريقية من الاستعمار الاستيطانى والتفرقة العنصرية.

ويعلن المجلس، ان قضايا التحرير فى القارة الافريقية، قضايا عربية - افريقية، وان الدول العربية ، ايمانا منها بوحدة المصير والنضال، لن تألوا جهدا فى تدعيم ومساندة حركات التحرير الافريقية والدور الفعال الذى تقوم به منظمة الوحدة الافريقية والدول الافريقية المستقلة لتدعيم الكفاح السياسى والعكسرى من أجل التحرر الكامل لزيمبابوى وناميبيا والقضاء التام على الفصل والتمييز العنصرى فى جنوب افريقية ربيبة الاستعمار الاستيطانى العنصرى الصهيونى فى أرض فلسطين المحتلة.

وقد درس المجلس اعلان دار السلام بشأن جنوب القارة الافريقية ، ويعلن ان هذا الاعلان التاريخى يعبر بصدق عن موقف الدول العربية، ويعتبر وثيقة تاريخيةعلى درب النضال مناجل التحرير ، فضلا على تأكيده للعالم اجمع لمخاطر وجرائم الاستعمار الاستيطانى العنصرى ضد الشعوب التى اغتصبت حريتها واراضيها.

«من أجل ذلك، قرر المجلس الموافقة على كل ما تضمنه هذا الاعلان ، واعتباره وثيقة من وثائق جامعة الدول العربية ».

(ق ٣٢٣٩/د ٦٣/ج٤ - ١٩٧٥/٤/٢٦)

أ

التأييد العربى للقضايا الافريقية :

يقرر المجلس الموافقة على توصية لجنة الشئون السياسية الاتية:

«استعرضت اللجنة الاحداث الخطيرة الجندية فى جنوب القارة الافريقية ومناورات الانظمة العنصرية ضد شعوب المنطقة وكذلك الموقف المتأزم فى جزر القمر.

واذ تذكر بقرارات القمة العربية فى الجزائر والرباط الخاصة بمقاطعة الانظمة العنصرية فى جنوب القارة الافريقية ومساعدة حركات التحرير الافريقية.

وانطلاقا منكفاح الشعوب العربية الافريقية المشترك ضد قويالاستعمار والعنصرية توصى بماياتى:

أولا: ١-تدين من جديد الانظمة العنصرية فى جميع اشكالها وصورها فى افريقيا وفلسطين وجميع انحاء العالم.

٢- تؤكد تاييدها لكفاح شعوب زمبابوى وأزانيا وناميبيا المطابق فى دواعيه واهدافه لكفاح الشعوب العربية ضد الاحتلال الصهيونى لفلسطين والتمييز العنصرى الذى قامت عليه اسرائيل واتخذته قاعدة لاعمالها العدوانية المتصلة، وتعتبر القضايا الوطنية لهذه الشعوب قضايا افريقية عربية.

٣- تؤكد من جديد التزام الدول العربية بمقاطعة الانظمة العنصرية ومساعد حركات التحرير الافريقية فى جنوب القارة لتحقيق أمال شعوبها فى الحرية والاستقلال.

٤- تشيد بدور الدول المجاورة لزمبابوى وأزانيا وناميبيا فى الكفاح ضد الانظمة العنصرية فى جنوب القارة الافريقية واحكام طوق العزلة حولها مما يتفق مع قرارات جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية ومنظمة الامم المتحدة.

٥- تعلن تأييدها المطلق للاجراءات التى اتخذتها جمهورية موزمبيق ضد نظام الحكم العنصرى فى زمبابوى.

٦- تدين بشدة عدوان انظمة الاقليات العنصرية على الدول الافريقية المستقلة بجنوب القارة تحت ستار ما يطلق عليه باطلا بحق التتبع وتناشد جميع الدول والشعوب المحبة للسلام والحرية ان تقف الى جانب كفاح القارة الافريقية ضد قوى الاستعمار والعنصرية .

٧- تدين كذلك النظام العنصرى فى جنوب افريقيا لعدوانه على جمهورية انجولا الشعبية ولاحتلاله جزءا من اراضيها الوطنية . وتطالب بالانسحاب الفورى غير المشروط لقوات العدوان العنصرى.

(ق ٣٣٨٨/د ٦٥/ج٣ - ١٩٧٦/٣/٢١)

حركات التحرير فى الجنوب الافريقى

ان مجلس الجامعة ،

بعد اطلاعه:

– على مذكرة الامانة العامة

–وعلى توصية لجنة الشئون السياسية.

يقرر

١– الاعراب عن الارتياح للاجراءات الرامية اليعقد اول انتخابات عامة ديمقراطية فى جنوب افريقيا فى ابريل ١٩٩٤، واقترب موعد تحقيق شعب جنوب افريقيالثمرة كفاحه الطويل مناجل الحرية والكرامة والمساواة وتصفية نظام الفصل العنصرى.

٢– التعبير عن تأييده لقراراتالامم المتحدة الخاصة بالمشاركة الدولية فيمراقبة لانتخابات القادمة، الدعوة الى اتخاذ الاجراءات اللازمة لضمان المشاركة الحرة والكاملة فيها من قبلكافة مواطنى جنوب افريقيا.

٣– التأكيدعلى اهمية قيام علاقات وطيدة بين الدول العربية وبين دولة جنوب افريقيا الجديدة ودعم التعاون المشترك معها فى مختلف المجالات وفق اسس التعاون والتضامن العربى – الافريقى ، بما فى ذلك رفع المقاطعة.

٤– التأكيد على اهمية رفع اجراءات المقاطعة السياسية والاقتصادية المفروضة على دولة جنوب افريقيا ، والموافقة عليتعامل المؤسسات والهيئات العربية المختلفة مع مثيلاتها فى دولة جنوب افريقيا الجديدة فى اطار خدمة المصالح المشتركة ودعم العلاقات العربية لافريقية.

(ق ٥٣٧٥/ د .ع.(١٠١) /ج٣ – ١٩٩٤/٣/٢٧)

موجز حول التطورات الاخيرة فى جنوب افريقيا

- تتابعت الأحداث فى جنوب افريقيا منذ ١٣/٢/١٩٩٤ حين انسحب تحالف الحرى، المكون من المشددين البيض وحزب «انكاثا» ، موقفا بمقاطعة الانتخابات الديمقراطية الأولى فى تاريخ البلاد المقرر إجراؤها فى الفترة من ١٦ الى ٢٨ ابريل ١٩٩٤.

- طالب « تحالف الحرية» بتعديل الدستور المؤقت كشرط للمشاركة فى الانتخابات وتقديم ضمانات تشمل تخصيص مناطق حكم ذاتى قوى للبيض وقبائل الزولو، بحجة مخاوف من اقامة حزب المؤتمر الوطنى الافريقى لحكم ديكتاتورى فى حال فوزه فى الانتخابات.

- دعا مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية فى دورته (٥٩)، فبراير ١٩٩٤، الى ضرورة مشاركة مختلف الاطراف والاحزاب فى الانتخابات ، وممارسة جميع مواطنى جنوب افريقيا لحقهم الانتخابى وحث الدول الافريقية والمجتمع الدولى على ارسال مراقبين للانتخابات.

- وافق مجلس الامن بموجب القرار ٨٩٤/ ٩٤، عى ارسال ١٨٠٠ مراقب من الامم المتحدة للاشراف على الانتخابات، ودعت الجمعية العامة فى قرارها رقم ٤٨/٢٣٣ ، كل الحزاب والمنظمات فى جنوب افريقيا الى المشاركة فى الانتخابات والى انجاح عملية التغيير السلمى فى البلاد ، وطالبت الدول الاعضاء بالاستجابة لدعوة لامين العام للامم المتحدة بارسال مراقبين.

- عقد فى هرارى فى ١٩/٣/١٩٩٤، اجتماع قمة للجنة الجنوب الافريقى التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية (١٣ دولة) لبحث الاوضاع فى جنوب افريقيا، واعرب البيان الصادر عن الاجتماع عن الاسف لصاعد اعمال

العنف ، وحث جميع الاطراف على المشاركة فى الانتخابات والعمل على تهيئة الظروف الملائمة لاجرائها، كما رغب بمشاركة المجتمع الدولى فى عملية المراقبة والاشراف.

- قام الامين العام لمنظمة الوحدة الافريقية بجولة طويلة فى انحاء جنوب افريقيا فى مارس ١٩٩٤، اجتمع خلالها مع قادة الاحزاب والمنظمات الرسمية والشعبية فى محاولة لتهدئة الاوضاع واقناع الاطراف المقاطعة بالمشاركة فى الانتخابات.

- اعرب مجلس الجامعة فى قراره رقم ٥٣٧٥ - جـ الصادر عن الدورة ١٠١ فى ١٩٩٤/٣/٢٧، عن الارتياح للاجراءات الرامية الى عقد اول انتخابات عامة ديمقراطية فى جنوب افريقيا، وتأييد قرارات الامم المتحدة بشأن المشاركة فى مراقبة الانتخابات ، والتأكيد على أهمية بناء علاقات وطيدة مع جنوب افريقيا ورفع المقاطعة السياسية والاقتصادية عنها.

- بذلت جهود ووساطات دولية عديدة بغية إيقاف أعمال العنف بين مناصرى الاطراف المتنازعة، وايجاد حل للمعضلة السياسية المتمثلة فى مقاطعة حزب « انكاثا» للانتخابات والمطالبة بتأجيلها.

- اضطر أخروفود الوساطة الدولية والذى ترأسه وزير الخارجية الامريكى السابق ، هنرى كيسنجر ، الى التخلى عن مهمته ومغادرة جنوب افريقيا يوم ١٩٩٤/٤/١٤ ، بعد فشل جهوده.

- بعد يومين من الاجتماعات المتوصلة ، أعلن الرئيس دى كليرك ومانديا وبوتوليزى (زعيم انكاثا) ، يوم ١٩٩٤/٤/١٩ التوصل الى اتفاق بقبول

«انكاثا» المشاركة فى الانتخابات فى موعدها المحدد، وموافقة الحكومة والمؤتمر الوطنى الافريقى على تعديل الدستور للاعتراف بملك الزولو (زويليتينى) ، كملك تقليدى فى منطقة «ناتال».

- اصدر مجلس الامن بيانا اشاد فيه بجهود كل الاطراف فى التوصل الى الاتفاق، واعرب عن الامل فى ان يؤدى ذلك الى وفاق دائم والى وضع حدلاعمال العنف فى جنوب افريقيا.

-وقد تابعت اللجنة جميع التطورات الاصلاحية الجارية على الساحة فى جنوب افريقيا ورات ان هذه التطورات تمثل خطوة بناءة من أجل التوصل إلى ميلاد جمهورية جنوب افريقيا الموحدة وغير العنصرية بطريقة سلمية وبدون اراقة دماء. الى جانب ذلك اكدت اللجنة على عدم قبول اى تجزئة لاراضى جنوب افريقيا وانه لابد من احترام هذه الوحدة تماما، اما هؤلاء الذين يرغبون فى صيغ اخرى مثل حركة انكاثا فلابد ان تتم هذه الصيغ فى اطار وحدة اراضى جنوب افريقيا .

وفى هذا الاطار وخلال الجلسة المغلقة للجنة جرت مشاورات بشأن حث حكومات الدول الغربية الرئيسية على الضغط على العناصر المتطرفة لعدم افساد عملية الانتخابات.

- وجدير بالذكر ان لجنة الجنوب الافريقى تعد اهم اجهزة منظمة الوحدة الافريقية وهى تضم رؤساء حكومات الدول المعنية بجنوب افريقيا، وقد سبق وان وضعت فى جلستها الثالث التى عقدت فى هرارى فى ٣١ اغسطس عام ١٩٨٩ « اعلان هرارى» الشروط اللازمة لتحقيق العملية الديمقراطية فى جنوب افريقيا كشرط مسبق لرفع العقوبات المفروضة ضدنظام بريتوريا . وقد اكد نظام التفرقة العنصرية والى دعم الوحدة

والتحام كافة القوى المناهضة للتفرقة العنصرية ، وايضا على المساندة المستمرة للنضال المشروع لشعب جنوب افريقيا والافراج الفورى وغير المشروط عن جميع السجناء والمعتقلين السياسيين.

- انعقد فى هرارى قمة دول لجنة الجنوب الافريقى المنبثقة عن منظمة الوحدة الافريقية بتاريخ ١٩٩٤/٣١٩ والتى حضرها رؤساء ووزراء خارجية ١٣ دولة افريقية وهى : اثيوبيا ، موزمبيق ، أنجولا ، جزر الرأس الاخضر، ناميبيا ، زامبيا ، تنزانيا ، السنغال، الجزائر ، الكونغو، نيجيريا، جنوب افريقيا . وفيما يتعلق بجنوب افريقيا حضر ممثلون عن منظمة المؤتمر الافريقى ومنظمة المؤتمر الافريقى الجامع ومبعوث خاص للامم المتحدة للجنوب الافريقى والممثل الخاصللامين العام لمنظمة الوحدة الافريقية فى جنوب افريقيا. كما حضر الجلسة ايضا السيد سالم احمد سالم الامين العام لمنظمة الوحدة الافريقية.

- وقد بحثت القمة دفع عملية التحول الديمقراطى فى جنوب افريقيا وضرورة مشاركة كل الاطراف فى الانتخابات المنتظرة خلال الشهر القادم ، كما تم بحث الدور الذى يجب ان تقوم به منظمة الوحدة الافريقية من اجل تكريس لعملية الديمقراطية وتنشيط جهود السلام وتجنب اعمال العنف المتصاعدة ، وقد تم ايضا استعراض سبل اقرار السلام والامن فى القارة الافريقية وتسوية منازعاتها ، الى جانب الاوضاع المتوترة فى كل من انجولا وموزمبيق ، والوضع بالاضافة الى ذلك دعا اجتماع الجلسة الثالثة فى اغسطس سنة ١٩٨٩ الى لالتزام الصارم بقرار مجلس الامن

الدولى رقم ٤١٨ لعام ١٩٧٧ والذى يقضى بحظر صادرات السلاح الى جنوب افريقيا. كما حث الاجتماع المجتمع الدولى على التوقف عن التعاون مع النظام العنصرى وابقاء العقوبات المفروضة على الصعيدين القومى والدولى ضد نظام بريتوريا وحظر أية استثمارات جديدة فى جنوب افريقيا.

وقد اسفرت هذه الجهود عن ممارسة ضغوط ملموسة على التفرقة العنصرية مما ادى فى نهاية المطاف الى سلسلة من المفاوضات فى اطار مؤتمر كوديسا الاول والثانى والتى توجت بتسوية تفاوضية متعددة الاطراف وبرنامج خاص بترتيبات انتقالية فى التاسع عشر من نوفمبر من عام ١٩٩٣ وهو ما من شأنه أن يؤدى الى اجراء الانتخابات الديمقراطية غير العنصرية فى ابريل المقبل.

- وقد صدر عن قمة الدول الاعضاء فى لجنة الجنوب الافريقى فى ختام اعمالها بيان ختامى ، اكدت فيه اللجنة على ما يلى :

• الترحيب بالتقدم الكبير الذى تحقق متمثلا فى التقدم الرائع فى عملية المفاوضات المتعددة الاطراف والتى توجت بالاتفاقيات التاريخية لاجراء اول انتخابات ديمقراطية فى جنوب افريقيا وانشاء هياكل انتقالية تحضيرية لاجراء تلك الانتخابات.

• الاعراب عن الاسف للعنف المتصاعد فى البلاد ، حيث لاحظت بقلق عميق التقارير التى وردت مؤخرا والتى تشير الى تورط كبار ضباط قوات الامن فى جنوب افريقيا فى اعمال العنف المستمرة.

• رفض وادانة التهديدات مؤخرا والعنف الفعلى من اولئك المتعمدين منع لغلبية أبناء جنوب افريقيا من المشاركة فى اكبر تحول فى تاريخ جنوب افريقيا ، وحث جميع الاطراف على التحلى بالتسامح والروح المخلصة وتهيئة الظروف الملائمة لاجراء انتخابات سلمية.

• الترحيب بمشاركة المجتمع الدولى بما فيه منظمة الامم المتحدة والاتحاد الاوروبى ورابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) فى مراقبة الانتخابات وحث جميع الاطراف فى جنوب افريقيا على التعاون الكامل مع المراقبين الدوليين فى اداء مهمتهم.وفى هذا الصدد اعلن الممثل الخاص للأمين العام لمنظمة الوحدة الافريقية فى جنوب افريقيا ان عدد المراقبين التابعين لمنظمة الوحدة الافريقية فى جنوب افريقيا سيزيد من خمسين مراقبا حاليا الى نحو ١٥٠ مراقبا بحلول اول ابريل القادم.

هوامش البحث

١- محمد المبروك يونس تاريخ التطور السياسى للعلاقات العربية الافريقية ١٩٥٢/ ١٩٧٧ طرابلس ٩٩١ ص ص ١٢٤، ١٢٥.

٢- تقرير اللجنة السياسية للامانة العامة لجامعة الدول العربية فى ١٩٦٠/٤/٩ القرار رقم ١٦٥٩/ الدورة ٣٣ الجلسة الثانية.

٣- تقرير اللجنة السياسية للامانة العامة لجامعة الدول العربية - القرار رقم ٢٠٣٩ / الدورة ٤٢ الجلسة الثانية بتاريخ ١٩٦٤/٩/٣٠.

٤- تقرير اللجنة السياسية للجامعة العربية - القرار رقم ٢٠٤٠ - الدورة ٤٢ الجلسة الثانية ١٩٦٤/٩/٣٠.

٥- سلوى محمد لبيب (دكتور) الدول العربية - ومواقفها من القضايا الافريقية - القاهرة ١٩٨٠ - ص ٤٤.

٦- قرار اللجنة لسياسية لجامعة الدول العربية رقم ٣٢٣٩ الدورة ٦٣ الجلسة الرابعة بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٦.

٧- قرار لجنة الشئون السياسية بالجامعة العربية رقم ٣٣٨٨ الدورة رقم ٦٥ الجلسة الثالثة بتاريخ ١٩٧٦/٣/٢١.

٨- عبد الحميد الموافى مصر فى جامعة الدول العربية ١٩٤٥ - ١٩٧٠ تقديم د/ عز الدين فوده القاهرة ١٩٨٣ ص ص. ٣٠٩ - ٣١١.

٩- انظر القرار رقم ١٧٤٠ الدورة رقم ٣٥ بتاريخ ١٩٦١/٣/٢١.

١٠- عبد الله عبد الرازق(دكتور) نيلسون مانديلا - تحرير جنوب افريقيا القاهرة ١٩٩٠.

١١- شوقى الجمل (دكتور) السلام فى جنوب افريقيا المنتدى الفكرى ببورسعيد ابريل ١٩٩٤.

١٢- جريدة الاهرام فى ١٩٩١/٢/٢

تطورات جنوب افريقيا - دى كليرك يتعهد بالغاء العنصرية ص ٤ وايضا مجلة اكتوبر العدد ٧٤٦ فى ١٠ فبراير ١٩٩١ ص ٢٧.

١٣- شوقى الجمل (دكتور) مرجع سابق

١٤- قرار مجلس الجامعة العربية رقم ٥٥٣٧٥. ع (١٠١) الجلسة الثالثة بتاريخ ٢٧/٣/ ١٩٩٤.

١٥- النشرة الرسمية لجامعة الدول العربية (موجز حول التطورات الاخير فى جنوب افريقيا).

١٦- كلمة الامين العام لجامعة الدول العربية د/ عصمت عبد المجيد.

١٧- جريدة الاهرام حديث وزير جنوب افريقيا فى٣١/٣/١٩٩٤ ص٣.

التحولات السياسية وانعكاساتها
على نموالسكان فى الجزائر

دكتور رابح بو دبابة

أستاذ مشارك بقسم الإجتماع

كلية الآداب - جامعة الامارات العربية المتحدة

التحولات السياسية وانعكاساتهاعلى نموالسكان فى الجزائر

١- مقدمة

عند تناولنا لهذا الموضوع والمتعلق فى حقيقة الأمرباوضاع البلدان النامية وخاصة منها البلدان العربية يجدر بنا اولا اثارة بعض الملاحظات حيث نراها بمثابة خصوصيات لهذة البلدان (أى البلدان النامية) والتى هى كما نعلم تشكل فى مجملها حجما كبيرا من سكان العالم ، والكثيرمنهايشهد تزايداً سكانياً ملفتاً للانتباه، وخاصة وأن هذه الزيادة تتم فى وقت قصيرمن الزمن، هذا فى الوقت الذى نجدفية ان ميكانيزمات هذا النمو السريع معقدة للغاية ، فمنها ما يرتبط بعوامل داخلية وأخرى خارجية . وتبعا لهذه التعقيدات فانة لا توجد سياسة سكانية معروفة اطلاقا لدى الكثيرمن هذا البلدان بما فى ذلك الجزائر.

الجزائر كبلد عربى اسلامى ونامى فى نفس الوقت ، لا يمكن معالجة الخصائص السكانية فية بمعزل عن تناول الأوضاع الخلفية لهذه الظاهرة ، بما فى ذلك تلك التى سادت خلال الحقبة التاريخية الاستعمارية والسياسات الاستعمارية والسياسات التى أعقبتها، وكذا التطورات السياسية الحالية والتى هى بدون شك غنيةعن التعريف لدى الكثير منا . بناء على هذه الملاحظات الموجزة يمكن تنظيم هذا البحث وفقا للمراحل التاريخية المتعاقبة ابتداء من العهد الاستعمارى وخاصة ابان الثورة التحريرية فى الخمسينات وبداية الستينات ، ثم مرحلة ما بعد الاستقلال حتى نهاية عقد الثمانينات .

٢- الوضع خلال الثورة التحريرية (أى من ١٩٥٤ الى ١٩٦٢)

من منا لا يعرف ولو بالقدر القليل عن السياسة الجهنمية التى مارسها الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ؟ لقد تسبب فى تشريد الملايين من الاهالى الجزائريين بعد حرق مزارعهم والاستيلاء على أراضيهم وتدمير ديارهم ، مما جعلهم يفرون الى أعالى الجبال مضطرين بذلك لفلاحة الأراضى الجرداء فى حين أن أراضيهم الخصبة قد وزعت من طرف الادارة الاستعمارية على المعمرين . لقد أسفرت هذه العملية على تدهور كبير فى مستوى معيشة الأهالى سواءفى المدن أو الأرياف ، مما أدى الى انتشار الكثير من الأمراض المعدية مثل الجدرى والحصبة التى أدت إلى وفاة الآلاف من الأطفال والشيوخ . هذا فضلا عن الوفيات الناجمة عن العمليات الحربية كانفجار القنابل وغيرذلك من وسائل القتل والدمار . ولا داعى هنا لذكرتفاصيل العمليات الحربية والسلوك العدوانى للادارة الاستعمارية ضد الشعب الجزائرى ، بل نكتفى فقط بذكر ذلك العدد الكبيرمن الضحايا البشريةخلال سبع سنوات من الحرب والذى حسب الاحصائيات الرسمية قد بلغ حدود المليون ونصف المليون من الشهداء .(٣)

قد نتساءل الآن عن مدى علاقة كل هذا بالجانب السكانى فى الجزائر فى الواقع هناك تأثير قوى لهذه السياسة الاستعمارية على حجم ونمو السكان فى هذا البلد ، وهذا التأثير كما سنوضح فيما بعد ، لم يقتصر على فترة الاستعمارية بل بقى موجود، إلى يومنا هذا ، أى بعد رحيل الاستعمار بثلاثة عقود كاملة من الزمن.

في هذا السياق نجد أنه بفعل فقدان الفلاح لأرضه الخصبة واضطرارة إلى استغلال الأراضي الجبلية القاحلة ، وجد نفسة في حاجة الى بذل مجهود اكثر من لجل ضمان عيشة . وطالما أن الفلاحة كانت تتم بوسائل تقليدية وتعتمد على العمل اليدوى ، وكان النمط السائد في العمل هو النمط العائلى، حيث كل فرد في الأسرة له دور معين في خدمة الأرض . فهذا بدورة زاد في اشتداد الرغبة لدى الفلاح الريفي من أن يكون له أكبر عدد ممكن من الأطفال حتى يساعدونة في خدمة الأرض . أما خصوبة المرأة فكانت عالية نظرا لظاهرة الزواج المبكر المعروفة لدى المجتمع القروى ، وان كانت هذه الظاهرة قد بدأت نوعا ما بعد الاستقلال لأسباب سأتعرض لذكراها فيما بعد . من ناحيةأخرى فان انتشار الأمراض المعدية التى أودت بحياة الكثيرمن الأطفال قد ولدرغبة ملحة لدى الأباء والأمهات لانجاب أكبر عدد من الأبناء لمواجهة خطر الموت المفاجيء ، حيث كلما زاد عدد الأبناء ازدادت الآمال في أن بعض الأبناء سيفلتون من شبح الموت الفتاك . بالرغم من انتشار الأمراض المعدية كالحصبةمثلا ، مع فقر التغذية ، وفي غياب أساليب طبية للوقاية من انتشارها ، فان زيادةعدد المواليد قد ساهم في خلق بعض التوازن مع حجم الوفيات . هذا بشكل عام طبعا ، أمافي الحالات الخاصة فقد نجد من فقد جميع أطفالة في ظرف أيام معدودة ، في حين نجد أن البعض الآخر لم يصب، ومن ثم فقد أصبح العدد المزدوج لدى الأسرة الجزائريةأمرا طبيعيا جدا . وأكثر من هذا لقد أصبحت ظاهرة انجاب العدد الأكبر من الأطفال تقليدا معروفا لدى الآباء وبقيت سارية المفعول الى يومنا هذا تقريبا ، بالرغم من تغيرالظروف السياسية والاجتماعية بعد نهاية الحرب ورحيل المستعمر .

ومن بين الافرازات الناجمة عن الحرب التحريرية أيضا هو الاختلال فى التركيب السكانى حيث أن نسبة الضحايا كانت أعلى فى أوساط الرجال والأطفال منه فى النساء والشيوخ . هذا التفاوت النسبى يرجع الى طبيعة المشاركة الفعلية فى الحرب ، حيث كما هو الشأن بالنسبة لكل الحروب المعروفة لدينا ، يكون الرجال دوما سباقين لحمل السلاح ومواجهة الخصم ، وعلية فهم معرضون لأخطار الموت أكثر من النساء . والأطفال ايضا فبحكم ضعف مناعتهم الجسمية بسبب الفقر وسوءالتغذية فهم يتصدرون قائمة الضحايا بفعل انتشار الأوبئة وانعدام أو قلة الخدمات الطبية بشقيها العلاجى والوقائى .

٣-فترةما بعد الاستقلال الى نهاية السبعينات

أثار حرب السبع سنوات التحريرية كانت وخيمةعلى الشعب الجزائرى، فبالاضافة الى عوامل الدمار والتخريب التى ألحقت بممتلكاتة ومؤسساتة وما ترتب عن ذلك من فقر مدقع وتشرد ظهر ايضا مجتمع يكثر فيةعنصر الشيوخ والنساء ومعطوبى الحرب . وتوافدت الهجرات من الارياف وأعالى الجبال نحو المدن والمراكز الحضرية، وتوافد أيضا الاجئون من البلدان المجاورة. الكل جاء ليتفقد بقايا ممتلكاتة أويحاول الأستحواذ على غنائم تركها المستعمرون من ممتلكات عقاريةوغيرها. وكان البعض الآخر يحاول فقط أن ينعم بنشوة حرية التنقل والاطلاع على حضارة المدينة والاستفادة من خدماتها الصحية والتعليمية بعد حياة القساوة والتشرد فى الجبال والقرى والأرياف . وبذلك أصبحت المدينة قبلة يقصدها كل الناس من ثم توسع نطاق الأحياء الشعبية الفقيرة وخاصة انتشار بيوت الصفيح . وعلى

الساحة السياسية احتدم الصراع حول السلطة وغيرها من الامتيازات الأخرى التى كادت أن تتسبب آنذاك فى قيام حرب أهلية.

لقد الوضع فى آخر الأمر الى قيام دولة جزائرية تحمل شعار تطبيق النظام الاشتراكى وكما هو معروف عن هذا النظام (بغض النظر عن خصوصيات النظام الاشتراكى فى الصين) ، انه يسعى دوما الى الأهتمام ببناء قاعدة صناعية تسمح بتشكيل طبقة عمالية قوية أو ما يسمى بالبلوريتاريا . فى هذا الاتجاه بالضبط انطلقت السياسة الجزائرية الى ما بعد الاستقلال . وكانت الخطط الأقتصادية المتتالية تعتمد فى جانب كبير منها على تطبيق الشعارات النظرية أكثر مما هى تعبيرا عن مطالب اجتماعية حقيقية . من ذلك نجد مثلا أن كل الأستثمارات تقريبا ذهبت لسد الاحتياجات الصناعية مع اهمال لبعض القطاعات الحساسة الأخرى وخاصة قطاعى الزراعة والسكن . وعلى أثر ذلك كانت النتيجة الحتمية ، هى مغادرة الفلاحين لأراضيهم الزراعية والذهاب الى المدن ليصبحوا عمالا لجراء فى المصانع ويشكلون أحياء الصفيح المتناثرة هنا وهناك على أطراف المدينة . ومما زاد الطين بلة أن المواد الغذائية- التى كانت تنتج محلياً أصبحت تستورد وتباع بأسعار مدعمة من طرف الدولة تحت ذريعة ضرورة حماية القوى الشرائية لدى العمل البسيط . هكذا حصل الطلاق النهائى بين الفلاح وأرضة وزملت الأراضى بصفة كلية. ان الهدف الرئيسى من تطبيق مثل هذه السياسة هو الأسراع فى لنشاء طبقة عمالية كانت غير موجودة والتى كان من شأنها أن تحقق الدرع الواقى للنظام فى حالة قيام ثورة رجعية قد يخوضها البرجوازيون ، ومن ثم فانها (أى الطبقة العمالية) من الشروط الواجب تحقيقها لضمان نجاح تطبيق النظام الأشتراكى فى الجزائر .

لقد ساهم تطبيق هذا النظام فى توافد المهاجرين القرويين الى المدن . وبحكم العدد الكبير لهؤلاء فقد أصبحت حياة المدينة شبيهة بحياة القرية ، أوتنتج ما يسمى (بتربية المدينة) ، حيث أصبحت طريقة الحياة القروية نمطا سائدا فى الحياة اليومية للمدينة ، وأى مدينة بعد أن غادرها المستعمرون ، ان أماكنهم الشاغرة كثيرا ما كان يستولى عليها جزائريون من ذى أصل قروى مهاجر . لهذا ففى أغلب الحالات أصبح يقطن المدينة سكان معظمهم من أصل مهاجر .(٧) لقد جاؤوا بعادتهم وتقاليدهم القروية ليمارسوها من محيط حضرى بحت . أما عن قيم الزواج المبكر وانجاب ما أمكن من الأطفال فيبدو أنها قد ترسخت أكثروازدادت انتشارا حتى فى أواسط السكان الأصليين للمدن أنفسهم . لقد حدث هذا بالذات لأن ظاهرة الزواج فى المدن والقرى قد انتشرت بشكل واسع جدا بعد نيل الاستقلال مباشرة ، وكأنها قد أصبحت شعاراً للابتهاج والفرح لدى السكان لنيل حرية الاستقلال من المستعمرالغاشم . وكأنها السبيل العملى الوحيد الذى من شأنه أن يساهم فى تعويض القائمة الطويلة لأولئك الذين فقدوا حياتهم ابان الحرب .

بالفعل فقد كانت ارامل الشهداء سباقات فى ترتيب وتشجيع زواج ابنائهن كى يسد هؤلاء الفراغ الذى تركه أباؤهم فى أسرهم (٨) . لقد تزامن هذا التصرف مع وضع اقتصادى مناسب، والذى دعا الى خلق نوع من الطمأنينة فى نفوس السكان، حيث تركت ثروات وممتلكات المستعمرين لهؤلاء لينعموا بها بما فى ذلك مناصب الشغل الشاغرة، ثم المساعدات الغذائية والتقنية التى كانت تتوارد من مختلف انحاء العالم وخاصة الولايات المتحدة الامريكية . ومن جهه أخرى منحت الحكومة الفرنسية حرية التنقل لأى جزائرى يرغب فى الذهاب الى فرنسا كمهاجر.

ولعل أهم شئ يذكر فى هذا الصدد هو قيام النظام الاشتراكى الذى حمل على عاتقه تحقيق الرفاهية لجميع السكان. ومما زاد فى مصداقية هذا الموقف هو توفر المواد الأولية والثروة البترولية فى البلاد مما ساعد على انشاء مصانع بحجم كبير تضاهى مصانع البلدان المصنعةضخامة(٢). هذه المرحلة التاريخية من حياة الجزائرالمستقلة يمكن التعبير عنها بمرحلة الرفاهية الاقتصادية الحقة، حيث خلالها تم توفير مناصب الشغل الكافية وتم تشييد القاعدة التحتية لمجمل قطاعات الاقتصاد الوطنى. وبالرغم من تزايد السكان بصفةملحوظة بفعل العوامل المذكورة أنفا ، ثم توفير الخدمات الصحية تحت نظام مجانية العلاج ، حيث بلغت الزيادة السكانية نسبة ٤ فى المئة سنويا وهى بدون شك من أكبر معدلات الزيادةا لسكانية فى العالم . وارتفعت أيضاً نسبة النمو الحضرى لتصل الى حوالى ٦ فى المئة سنويا(١٥). إلا أن مشاكل هذه الزيادة لم تبرز أنذاك بنفس الحدة التى ظهرت بها فى الفترات التاريخية اللاحقة. رغم هذه الزيادة التى فى حينها فاقت درجة النمو الاقتصادى بقليل ، الا أن استمرارية النظام الاشتراكى تجاهل تماما ميكانيزمات نظام السوق الاقتصادية ، وبقى ملتزما بتوفير مناصب العمل كموقف سياسى لا غير (١١) واستمر هذا النظام بالتزاماته فى تقديم خدماته المختلفة من شأنها أن تشجع على الزواج وانجاب الأطفال . ومن ذلك مثلا أنه لكى يحصل العامل على مسكن محترم لابد أن يكون متزوجا كشرط أولى، وكلما كان له عدد أكبر من الأطفال زاد حظه فى الحصول على هذا المسكن وفى خضم تطبيق هذا النظام يلاحظ أيضا أنه بالرغم من الزيادة السكانية المذكورة، وبالرغم من بروز بعض الأزمات الاجتماعية خلال النصف الأول من السبعينات فان هذه الأزمات لم تحظ بأى اهتمام على المستوى الرسمى ،

وخاصة اذا تعلق الأمر بمواضيع اجتماعية وعقائدية حساسة مثل تنظيم النسل أو الشروع فى تطبيق حملة ما يسمى بالتنظيم العائلى (Family planning) أو تباعد الولادات كما حدث فعلا خلال المراحل التاريخية اللاحقة.

وهكذايمكن القول أن أول تجربة تشريعية وديمقراطية حاولت القيام بها السلطات الجزائرية فى هذا المجال ترجع لسنة ١٩٧٥ حينما بادرت الحكومة بطرح النقاش ما سمى بقانون الأسرة (١٢)، وذلك من أجل محاولة اصدار قانون واضح يتعلق بتنظيم الأسرة ومفهومها من حيث تقنين العلاقات الزوجية ،اجراءات الطلاق والزواج ونظام الارث وحق الزوجين على الآخر وخاصة فيما يتعلق بقضية حرية انجاب الأطفال بما فى ذلك قضية استعمال حبوب منع الحمل، الخ. لقد آلت هذه التجربة فى النقاش العلنى وفى قالب شبه ديمقراطى الى فشل تام ، حيث شبت صراعات قوية أدت فى بعض الحالات الى ارتكاب أعمال عنف دموية بين عناصر كانت تنتمى الى اتجاهين كانا بمفردها يهيمنان على الساحة السياسية آنذاك ، هما التيار الشيوعى أو الاشتراكى المتطرف الذى كان متحمسا لانجاح اصدار هذا القانون بحكم أنه يهدف الى تحرير المرأة من قبضة الزوج ويساهم فى تدعيم ممارسة الحرية النقابية . أما التيار الثانى فكان يمثل القاعدة العريضة من السكان وكان يسمى انذاك بالتيار الوطنى، والذى عبر عن رفضه المطلق لاصدار ذلك القانون بحجة أنه يمس بالتقاليد العربية الاسلامية. والى جانب هذا التيار الأخير كان هناك تيار الأصوليين الاسلاميين وان كان آنذاك غير معروف على الساحة السياسية ولذا كان ينشط تحت راية الاتجاه الوطنى مدافعا عن التقاليد العربية الاسلامية.

هكذا ونظرا لرد الفعل القوى بزعامة ذوى الاتجاه الوطنى فقد تقرر الغاء هذا القانون واعتباره وكأنه شئ لم يكن . ومهما كان الأمر فان تلك التجربة قد كشفت عن حقيقتين رئيسيتين أولاهما قلق الحكومة الوتيرة فى القطاعات الاقتصادية والاجتماعية ، ومن ثم بدأت مشاكل السكن والبطالة والنقل تظهر للعيان . وثانيهما أن رفض مناقشة وتطبيق قانون الأسرة يعبر بحق عن مدى تمسك الشعب الجزائرى بعاداته وتقاليده الراسخة، وخاصة منها التعاليم الاسلامية التى كما هو معروف لاتخول حق الاجهاض مثلا. حدث هذا رغم تعايش هذا الشعب خلال مرحلة طويلة تسودها مظاهر التقدم فى كنف النظام الاشتراكى الذى كان يدعو دوما الى التغيير وضرورة التخلى عن التقاليد القديمة.

يمكن القول بأن هذه التجربة تعد الأولى من نوعها فى تاريخ الجزائر المستقلة، وكانت بحق بمثابة انذار قوى للسلطات المسئولة فى الحكم ، وأن مجرد السماح لمناقشة حرة حول قضية ترتبط ارتباط وطيد بالقيم الأخلاقية مثل قضية الأسرة وتنظيم النسل، ليست بالأمر السهل فى مجتمع أراد أن لا يكتفى بنيل حرية الاستقلال ورفع العلم الوطنى بقدر ما كان يصبو الى تحقيق ممارسة حرية أكثر شمولية مثلما هو الشأن بالنسبة لما كان يجرى فى البلدان ذات التوجيه الديمقراطى الحر.

هكذا ونظرا للمخاطر التى كانت قد تنجم عن ترك العنان للممارسة الديمقراطية وما قد تلحقه من ضرر للنظام الحاكم آنذاك، فقد زاد هذا الأخير من فرض سلطته على الوضع القائم الى درجة التعسف ، مع كل هذا فقد توسعت شيئا فشيئا رقعة النشاطات السياسية السرية التى كانت تسايرها حركات معادية لنظام الحكم. من جملة هذه الحركات نجد على وجه

الخصوص الحركات النقابية والحركات الاسلامية . كل هذا كان يحدث فى وقت كان يزداد فيه تفاقم الوضع الاقتصادى والاجتماعى يوما بعد يوم. واستمرت الأمور هكذا الى نهاية السبعينات وهى الفاصل الزمنى لبداية مرحلة جديدة من مشوار حياة المجتمع الجزائرى .

٤- مرحلة العهد الجديد

تشمل هذه المرحلة الفترة الممتدة من ١٩٧٩ الى ١٩٨٨ ، وهى الفترة الزمنية التى عقبت انظام الاشتراكى المشار اليه من قبل والتى غالبا ما يعبرعنها بمرحلة قيام نظام العهد الجديد أو النظام الليبرالى . هاتان السنتان لهما أيضا وقع متميز فى المسار السياسى للمجتمع الجزائرى ، حيث مع نهاية سنة ١٩٧٨ توفى المرحوم الرئيس الأسبق هو ارى بومدين الذى تربع على عرش الحكم لمدة ١٤ سنة كاملة ، والذى يعتبر الرجل البارز فى هندسة النظام الاشتراكى فى الجزائر. وبعدها بشهور قليلة اى فى مطلع سنة ١٩٧٩ ويتقلد زمام السلطة الرئيس الشاذلى بن جديد ، والذى كثيرا ما يعرف باتجاهه الليبرالى القوى ، وهذا بخلافا كان عليه الرئيس الأسبق، ولذا فقد أصبح يعرف هو الآخر بمهندس الليبرالية فى الجزائر.

أما سنة ١٩٨٨ فتمثل الحد الفاصل بين مرحلة العهد الجديد والمرحلة الراهنة ، أو بالأحرى عهد التطبيق الفعلى للديمقراطية والتى سنتعرض لمعالجتها فيما بعد. اذن تركيزنا الآن ينفرد بالجزء المتعلق بمرحلة العهد الجديد أو المرحلة الأولى من عهد رئاسة بن جديد ، لنرى مدى خصوصية هذه المرحلة ، خصوصا فيما يرتبط بمدى تأثير الوضعين السياسى والاقتصادى اللذان ميزا تلك الفترة على القطاع الديموغرافى فى الجزائر.

كما أسلفت من قبل فان هذه المرحلة جاءت تقريبا على أنقاض المرحلة السابقة لها، حيث تميزت بجملة من المواصفات لم تكن معهودة بل كانت محظورة فى عهد النظام السابق . كان الانشغالات الرئيسية اليومية لرجال السياسة والاعلام هى ابراز عيوب النظام الاشتراكى وسلبياته التى كثيرا ما ذهب ضحيتها المواطن العادى الذى لم يساهم من بعيد أو قريب فى ممارسة السلطة. لقد استطاع نظام العهد الجديد بمساعدة جهاز الاعلام الذى كان دوما فى خدمته أن ينجح الى حد بعيد فى نشر رسالته الليبرالية التى حسب تعبيره كانت (أى الليبرالية) البديل الحتمى الذى كان الكل ينتظره (١٣).

ان المهام الأولى لسلطات هذه المرحلة كانت ترتكز على ضرورة رفع القيود التى كانت لاتزال مهيمنة على بعض القضايا التى فرضها عهد نظام التوجه الاشتراكى البائد . ولعل من أبرز الأمثلة فى هذا المعنى هو السماح الامثلة لكل جزائرى وجزائرية ومهما ان عمر هذا امواطن باخروج لأى بلد أجنبى يرغب فى الذهاب اليه. والى جانب هذا فان البنك المركزى ملزم وبأمر من الحكومة بأن يقدم منحة سياحية بالعملة الصعبه الى كل راغب فى الخروج بما فى ذلك الأطفال الرضع المصحوبين بأوليائهم . رغم أن هذه المنح لا تقدم سوى مرة واحدة فى كل عام ، وقيمة كل منحة تقدر بما يعادل الان معدل الدخل الشهرى فى البلد ، فانها مع ذلك كانت تشكل قيمة حد معتبرة خصوصا بالنسبة لتلك العائلات التى لها عدد كبير من الأفراد وخاصة أولئك الذين لايزالون تحت كفالة الأبوين . قبل دخول هذا الاجراء حيز التطبيق كانت عملية الخروج لا تقتصر فى الغالب سوى على الطلبة الذين يزاولون دراستهم بالخارج ، أو لممثلين يعملون فى الأجهزة المختلفة للدولة والذين يقومون بمهام تجارية وسياسية وثقافية فى الخارج لقد

سمحت حرية التنقل هذه لكل الجزائريين على لختلاف فئاتهم الاجتماعية للاطلاع عما يجرى خارج الحدود وما بلغته شعوب هذه الأوطان من تطور حضارى ، ومعرفة طرق معيشتها وما تتوفر بها من سلع استهلاكية ، الى غير ذلك من التطلعات التى يجد المرء نفسه مشتاقا لمعرفة حقيقتها .في ظل تطبيق سياسة العهد الجديد أصبحت الكثيرمن السلع الاستهلاكية المصنوعة خارج الحدود فى متناول الكثير من الناس بما فى ذلك ذوى الدخل الضعيف ، وبحكم كبر حجم عائلات هؤلاءفقد تمكنوا من إدخار منح خروجهم بالعملة الصعبة لمدة سنة أو سنتين ليستطيعوا فى الأخر شراء سيارات مثلا أو أجهزة فيديو ، الى غير ذلك . فاقتناء مثل هذه البضائع الاستهلاكية كان يعد ضربا من المجال فى ظل النظام الاشتراكى السابق خصوصا بالنسبة لفئات إجتماعية ذات الدخل المنخفض . وزارة التجارة من جهتها أصبحت تستورد كل أنواع السلع الأستهلاكية من ثلاجة وتلفزيون وغسالة الى اللحوم والجبن والبيض وما يشبه . كل هذه السلع أصبحت متفرة فى الأسواق وبأسعار معقولة ، لأن معظمها كان مدعما من طرف الدولة . هكذا فى مثل هذه الظروف ترى الناس يتهافتون على اقتناء هذه السلع ومن ثم إزدادت احتياجاتهم للعملة الصعبة . وبذلك تحول المجتمع الجزائرى إلى مجتمع إستهلاكى بأتم معنى الكلمة . وأصبحت تتحكم فى تفكيره ومواقفه المادة أولاً وأخيراً ، هذا بعد أن كانت انشغالاته فى السابق تنصب أكثر على القيم الوطنية والمبادىء الثورية التى سادت لمدة طويلة. لقد تزامن هذا التحول بشكل أكثر مع رفع نظام مرحلة العهد الجديد لشعار !! من أجل حياة أفضل!! الذى يمكن القول بانه قد تطابق كثيراً مع اتجاه هذا التحول . لقد كان من الطبيعى أن يكون لهذا التحول إفرازات إجتماعية كثيرة وخطيرة كما سأوضح

فيما بعد.لكن الملاحظة العامة هي أن النظام خصوصا في المرحلة الأولى منه (أي من ١٩٧٩ الى ١٩٨٤)، أصبح يتمتع بشعبية لا بأس بها بحكم أنه بالاضافة الى تطويره لقطاع الاستهلاك فقد ترك العنان للحريات الشخصية ،ومن جملتها الافراج عن المساجين السياسيين ، بما في ذلك العناصر التي كانت تنشط تحت تنظيم الحركة الاسلامية المحظورة .وفي جانب هذا فقد سمح بتشييد أعداد كبيرة من المساجد في مختلف أحياء المدن والقرى والمداشر، وتخصيص قاعات للصلاة في المباني العمومية ، ثم السماح للآلاف من الحجاج للذهاب الى الحج كل سنة بعد أن كان العدد محدود جدا(١٤). وهذه العملية قد ساعدت بدون شك على الاحتكاك بالشعوب الاسلامية التي كانت الاتصالات بها في عهد مضى شبه معدومه . وبناءاً على هذا القدوم في تأسيس سبل الاتصال بالعالم الاسلامي وخاصة مع بلدان الخليج ، فنجد الكثير من المحللين الاستراتيجيين يذهبون الى أن الهدف من كل هذا هو رفع مستوى الوعي الاسلامي لدى الشعب الجزائري حتى يسهل توجيهه بعيدا عن الوعي الاشتراكي الذي امتدت جذوره في أعماق الأوساط العمالية.

هكذا فان ما يمكن ملاحظته خلال هذه المرحلة التاريخية هو أن المجتمع الجزائري قد أصبح عرضه لفعل تيارين متميزين أحدهما يمثله القطب الشرقي الاسلامي بزعامة ايران، والثاني يمثله القطب الشمالي الغربي وعلى رأسه فرنسا. بدون شك فإن القارئ يدرك جيدا حدة الاختلاف الموجود بين التأثيرين ومن ثم يمكن لنا أن نتصور مدى انعكاس ذلك التأثير المتعدد على واقع المجتمع الجزائري . لقد تبين منذ البداية أن التأثيرات الواردة من الشرق كانت قوية للغاية، وقد انعكست بشكل ملحوظ على أنماط السلوك واللباس والمعاملات وطريقة الحياة ككل. وعلى اثر ذلك فقد حدث تغير مفاجئ في

لباس المرأة وكذا المعاملات التى أصبحت تتلقاها والمكانة التى تحتلها فى اوساط المجتمع. هكذا فاللباس الاسلامىّ أو ما يسمى بالحجاب الذى كان الى غاية سنة ١٩٧٩ لم يكن معروفا فى الجزائر ، أصبح بعد هذا التاريخ ينتشر بشكل مذهل فى الأوساط النسائية بغض النظر عن الفئات الاجتماعية اللائى تنتمين اليها. وحتى الجامعات المعروفة عادة بالتحرر من قيم العادات التقليدية لم تتمكن طالباتهن من الصمود أمام تأثير الثقافة الاسلامية لشرقية . ولا تجد منهن الآن سوى نسبة قليلة فقط لازالت ترتدين «اللباس العصرى» . ومن دون شك فانهن ربما يقمن بذلك متحديات بذلك ضغوطا مختلفة بما فى ذلك الضغوط النفسية. أما عن النساء العاملات وتليمذات المدارس والثانويات فحتى وان كانت لديهن رغبة فى ارتداء الحجاب فان للتأثيرات الناجمة عن ضغوط الأبوين والاخوة الكبار لها من القوة أيضاً فى تحديد رغبة ارتداء أو عدم ارتداء الحجاب (١٥).

ان الانتشار السريع لظاهرة الحجاب هذه يجعلنا نثق بشدة أن المركز الاجتماعى للمرأة فى الجزائر قد تأثر بشكل كبير، حيث نجد انها قد أصبحت شبه مجبرة على الامتثال لجملة من العادات والتقاليد القديمة التى من المفروض أنها قد تحررت منها فى الماضى. وأكثر من كل هذا فقد عادت سيطرة الرجل عليها وبقوة تماشيا مع ما جاء فى القرآن « الرجال قوامون على النساء » ، وغيرذلك من الآيات القرآنية التى سيء فهمها من طرف الكثير من الرجال واستغلت من طرف البعض الآخر من ذوى الاتجاهات الاسلامية المتطرفة وذلك كى تتحقق السيطرة الكاملة على المرأة وشؤونها . نتيجة لذلك فقد ابتعدت المرأة الجزائرية كثيرا عن الممارسة الفعلية لحريتها الشخصية خصوصا فيما يتعلق بعلاقتها مع الرجل ودورها فى الحياة، وفقدت بذلك

حرية سيطرتها على جسمها وشعورها في قضية الزواج المنزل ، غير ذلك من المآسي التي لحقت بها، ولقد ساهم كل هذا في زيادة خصوبتها ومن ثم زيادة نسبة المواليد في الجزائر (١٦).

تجدر الاشارة هنا الى أنه بالرغم من تسجيل هذا التيار الاسلامي بمثل هذه القوة فقد نشأ أيضا تيار آخر مضاد للتيار المذكور، والذي غالبا ما تتزعمه نساء من ذوات المستوى الثقافي العالي وكأن اهتمامهن بالعلم جعلهن أكثر شهرة وغيرة في الدفاع عن حقوق المرأة. ويمكن القول أيضا أن اهتمامهن بالعلم جعلهن يتأخرن عن الزواج مما قلل عن الرجال الذين تأخروا عن الزواج كذلك لابسبب متابعاتهم للدراسة فقط بل بفعل انعدام السكن الذي يعتبر شرط ضروري لبناء عش الزوجية . ومن دون شك فان هذه الأسباب مجتمعه ساهمت في منع حدوث زيادة مفرطة في عدد السكان حيث كانت تتراوح بين ٤ر٣ و ٢ر٣ كزيادة سنوية خلال النصف الأول من عقد الثمانينات ، وهي زيادة تعتبر فوق المعدل بالنسبة للبلدان النامية وعالية جدا مقارنة بالبلدان المصنعة . وقد انخفضت هذه النسبة شيئا فشيئا خلال النصف الثاني من عقد الثمانينات لتصل في النهاية إلى معدل ٣ في المئة أو أقل بقليل (١٧). لعل الميكانيزم الرئيسي في هذا الانخفاض هو حملة التوعية الواسعة التي قامت بها المؤسسات الاجتماعية والطبية ووسائل الاعلام المختلفة ، والمسماة بحملة تنظيم النسل وتباعد الولادات . وخلال تلك الحملة تحملت الدولة أعباء التوفير المجاني للأدوية وحبوب منع الحمل ووضعها في متناول كل امرأة وفتاة ترغب فيها بعيدا عن أي قيد أو شرط مسبق.

المراجع والهوامش

١- بالرغم من وجود محاولات تقوم بها بعض المؤسسات الصحية بغية خلق وعى لدى الزوجين للقيام بتنظيم النسل أو تباعد الولادات ، لكنها تبقى دائما مجرد محاولات محتشمة، ولا يمكن بأى حال من الأحوال تسميها بالسياسة السكانية بالمفهوم الذى نجده لدى بلدان عربية معروفة بسياستها السكانية المتميزة كمصر مثلا.

2- BOUDEBABA, R., Social-economic Development and Migratory Labour:The Case of Algeria and France, M. phil Thesis , Hull University(England), 1982, pp.175-79.

٣- لمزيد من المعلومات حول هذه النقطة لاحظ الميثاق الوطنى لسنة ١٩٧٦ الجزائر ١٩٧٦.

٤- هذه المعلومات قد أدلت بها عينة من أرباب أسر فقيرة تقطن بالأحياء القصديرية ولقد تحصلت على هذه المعلومات أثناء اجرائى للدراسة الميدانية المتعلقة برسالة دكتوراه الدولة والذى سيتم طبعها ونشرها فى غضون الأشهر القليلة القادمة من طرف أحدى دور النشر بلندن.

٥- « التطور الديمغرافى فى الجزائر» ، الشعب (الجزائر)، ١٩٧٥/٣/٣٠.

6- BENNOUNE, M., The Making of Contemdorary Algeria, London, Cambridge University Press, 1988 pp. 103-114.

7- Bounbekeur , S., Lhabitat en Algerie, Alger, O.P.U. 1986,pp. 16-20.

8- " Quatrieme Conference Nationale Sur Le Development", (E.L.) Moudjahid Alger , 25/01/1986.

٩- مثلا معمل الحديد والصلب الكائن بضواحى مدينة عناية الذى يوظفه لوحدة حوالى ٢٠٠٠٠ عاملا.

١٠- « النمو الديمغرافى وتنظيم الأسرة » المساء (الجزائر) ١٩٨٦/١٢/١٠.

١١- مرجع سابق.

١٢- «التطور الديمغرافى فى الجزائر» الشعب (الجزائر) ١٩٧٥/١١/١٢.

١٢- « قسم التنمية الاقتصادية » الميثاق الوطنى (الجزائر) ١٩٨٦.

14- BOUDEBABA, R., Urban Growth and Housing Policy in Algeria, (p.p. 320 hardbock), Avebury / Gower,Aldershot, London, 1992.

١٦- نتائج مقابلات أجريت مع ربات البيوت للحى الانتقالى بقسنطينية ، مرجع سابق.

١٧-« النموالديمغرافى وتنظيم الأسرة » المساء (الجزائر)، ١٩٨٦/١٢/١٠.

عدوى السلوك : المفهوم والمضمون

د./ دخيل بن عبد الله الدخيل الله

أستاذ علم النفس الإجتماعى المساعد

قسم علم النفس -كلية التربية

جامعة الملك سعود - الرياض

عدوى السلوك : المفهوم والمضمون

د./ دخيل بن عبد الله الدخيل الله

أستاذ علم النفس الإجتماعى المساعد - قسم علم النفس -كلية التربية

جامعة الملك سعود - الرياض

ملخص

هدفت هذه المقالة إلى التعريف بعدوى السلوك من خلال عرض لوجهات النظر الرئيسة فى تفسيرها. وانصب الإهتمام على الإفتراضات الرئيسة التى تقوم عليها تفسيرات كل منها للظاهرة فى محاولة للخروج باستنتاجات تتعلق بهذه الإحتمالية وما تنطوى عليه من مضامين نظرية أو تطبيقية لها إرتباط بواقع ممارستنا اليومية . ولم يكن من إهتمام الدراسة عقد أى مقارنة بين هذين الإتجاهين فى معطياتهما أو نقد لأى منها، إلا فى حدود الهدف من الدراسة.

Behavioral Contagion : Concept and Implication

Dr. Dakheel A .S . Al-Dakheelallah
Ass. Prof. of Social Psychology
Psychology Department - College of Education
King Saud University
Riyadh , Saudi Arabia

ABSTRACT

The study aimed at introducing the concept of behavioral contagion. Through which we present the two major trends conered with it : the conceptual and the experimental . The discusion of each emphsised the main assumption underlying their interpretations of the phenomenon, as well as their theoretical and practical implications. Speculations related to their applications were given , but critics of or comparasion between these trends were limited.

مقدمة

عدوى الإصابة بالسلوك أو إنتشار تفكير وإنفعال شخص واحد وسلوكه خلال الآخرين محل إهتمام غالبية الإجتماعيين والنفسيين الإجتماعيين منذ زمن ليس بالقريب ، تمثل ذلك فى أعمال الأوائل أمثال : لوبون (١) LeBon وتارد (٢) Tarde و فرويد (٣) وروس (٤) Ross وماكدوجال (٥) McDougall والبورت(٦) Alport ويونج (٧) Yong وردل (٨) Redle، والمحدثين أمثال ويلر (٨) Wheeler وبلومر (٨) Blumer وفريدمان وبرلك (١١) Freedman & Perlick وتيرنروكلليان (١٢) Turner& Killian وغيرهم كثير.

الهدف : وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم عدوى السلوك وكيف يمكن للسلوك أن ينتقل من شخص لآخر بشكل معد. وتمثل فى مجملها محاولة لتقديم وجهة نظر حول إحتمالية انتشار السلوك بشكل معدى أو ما أصطلح على تسميته بنظريات العدوى (١٣)للخروج بإستنتاجات تتعلق بهذه الإحتمالية وما تنطوى عليه من مضامين نظرية أو تطبيقية لها إرتباط بواقع ممارستنا اليومية.

الأهمية : ولعل فى معرفة مفهوم عدوى السلوك ما يساعدنا على تحديد طبيعة السلوك المعدى وفهم بواعثه وعلاقته بالظواهر المشابهة له ، وما قد يقود إليه ذلك من إمكانية التنبؤ بأنماط السلوك المحتمل تفشيها بشكل معدى أو وبائى . كما أن فى معرفة حقيقة عدوى السلوك ما يمكن من الإلمام بالقوانين ذات الطابع النفسى الإجتماعى التى تحكم شيوع السلوك البشرى وتأثيراته . ويساعد على إكتشاف نمط من أنماط التأثير الإجتماعى(١٤) الكامنة أسبابه فى التركيبة النفسية للبشر ومعطيات أوساطهم الإجتماعية .

هذا عدا ما قد توحى به نتائج الدراسة من مضامين تطبيقية تتعلق بكيفية التعامل مع بعض أنماط السلوك البشرى ومعالجته مماله علاقة بممارساتنا على صعيد الأمن الإجتماعى.

إتجاهات فى تفسير الظاهرة

عدوى السلوك، كإحدى الظواهر الكلاسيكية فى علم النفس الإجتماعى، ورد لها عدة تفسيرات منها : الوحدة العقلية (١٥) والإستجابة التعاطفية البدائية(١٦) ، والتوحد (١٧)، والتسهيل الإجتماعى(١٨) والإستجابة الدائرية(١٩) واللاتفرد (٢٠) وخفض القيد أو تخفيف العقوبة (٢١) والإمتثال لضغوط الجماعة(٢٢)والمحاكاة والنمذجة(٢٣)والتكثف البدنى(٢٤) على أن مناهج الباحثين فى التعرف على حقيقة الظاهرة تبنت فى الغالب واحدا من إتجاهين ، إما تحليلى تصورى أو إجرائي تجريبى:

١- التحيل التصورى : يتعامل أصحاب هذا الإتجاه الوصفى فى دراسة العدوى مع الاوضاع النفسية الباطنة والعمليات ذات التأثير عى التماثل فى الإستجابات السلوكية الظاهرة. ويمثله أعمال الأوائل ممن شغلوا بتفشى السلوك بطريقة وبائية بين الأعضاء فى الجموع وتدعم كالظاهرة إليه. أمثال الفيلسوف الفرنسى جوستاف لوبون(٢٥) والذى يرجع له الفضل فى تقديم المصطلح مما كان له بالغ الأثر على جهود من خلفوه، والإجتماعى الأميركى هربرتبومر (٢٦) وما إتسمت به أعماله من تكامل فى تحديد كيفية تشكيل السلوك الناشئ عن العدوى.

٢- الإجراء التجريبى : على النقيض من سابقة بحيث يتعامل أصحابه فى دراستهم للعدوى مع السلوك الظاهر Manifest الذى يظهر من سلوك فاعله. ويُعنَون بالعدوى الظاهرة Overt للسلوك فى علاقتها بسمات

الشخصية والأوضاع الموقفية السابقة Antecedent Situtional Conditions . واشهر رواد هذا الإتجاه ردل (٢٧) حيث تشكل اعماله المنطلق الاساس لأعمال من خلفوه امثال ويلر وزميلاه (٢٨) وويلر (٢٩) Wheeler.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم العدوى قد شد إليه أصحاب التوجه الرياضى فى تفسير الظواهر الإجتماعية أمثال رابيورت(٣٠) Rapoport وتيبلسون (٣١) Taibleson مشبهين إياها بعمليات الإنتشار الفيزيائى . غير أن البعض يرى بأن القصور فى تفاصيل تشكيل العدوى من قبل القائلين بها يشكل صعوبة فى تبنى هذا النمط من التفكير فى التفسير (٣٢) عليه، لن نعرض له.

ونظرا للإختلاف بين جهود أصحاب الإتجاهين الرئيسين فى إستخدام مصطلح العدوى للإشارة إلى ظاهرة إنتشار سلوك الفرد خلال الآخرين فرادى أو مجتمعين، فإن مناقشة الدراسة لها سوف تقتصر فقط على أعمال أولئك الذين شاع بينهم إستخدام مصطلح «العدوى» ممثلين بمن ورد ذكرهم من أصحاب الإتجاهين أعلاه. أما من سواهم فقد إتسمت جهودهم بإستخدام مصطلحات مغايرة كالإيحاء (٣٣) والحث الإنفعالى (٣٤) وإن كانت تشير لنفس الظاهرة. وهذه النماذج من الأعمال تمثل جهود القدامى والمحدثين من أتباع الإتجاهين.وإقتصار المناقشة عليها سوف يظهرلنا مدى التشابه والتباين بين جهود العاملين من أصحاب الإتجاهين.وستتناول الدراسة ما يمثل جهود أتباع كل إتجاه منفردا للخروج بإستنتاجات تتعلق بحقيقة العدوى مفهوما ومضمونا.

ولن تعنى بالوقوف عى الإشكالية المنهجية للإتجاهين أو عقد أى ضرب من ضروب المقارنة بينهما إلا فى حدود ما يخدم الهدف من الدراسة .

وبصورة عامة، توكد نظرتهم لعدوى السلوك على وجود ميكانزمات سيكلوجية خاصة تنقل من خلالها الأمزجة والإتجاهات والسلوك بسرعة فتقبل دون تمحيص أو نقد (٣٥).

أولا : إتجاه التحليل التصورى

يشير مفهوم العدوى عند أصحاب هذا الإتجاه إلى تفاعل إجتماعى يمرر عن طريقه الإندفاع Impulses من شخص لآخر إلى أن ينتهى بتماثل فى الإستجابة (٣٦). والمفهوم استخدام من قبلهم لتفسير الأشكال غير المعتادة للسلوك البشرى، حيث نجد جذوره فى تحليل لوبون (٣٧) LeBon لسلوك الحشد (٣٨). ليشير إلى « إنتشار الوجدان والسلوك من عضو لآخر مشارك فى حشد، يعمل فيه شخص كمثير للتصرفات المقلدة من قبل الآخر» (٣٩) . ويسلك أصحاب هذا الإتجاه منهجا وصفيا تصوريا لما يكون عليه تفشى السلوك بشكل معدى والعوامل التى تسهم فى تشكله. والإشكالية الأساسية التى تصدوا لها هى : تفسير كيفية سلوك الأفراد فى الجموع وما ينطوى عليه من تماثل فى السلوك أو نمط الإستجابة، بما يشير لإنتشار السلوك بشكل معدى. وعلى الرغم من أنهم ألمحوا إلى إحتمالية إنتقال عدوى السلوك من فرد لاخر وإن لم يتواجدا معاً فى حيز واحد ، إلا أن إهتمامهم تركز أكثر على ملاحظاتهم لتفشى العدوى بين الأعضاء فى الجموع.

الإفتراضات الرئيسية

وجهود هؤلاء تقوم على إفتراضات أملتها ملاحظتهم لتصرفات الأفراد فى المواقف التى يتواجد فيها الأفراد على شكل تجمعات، كما فى حالة التجمهر والإحتشاد فى مواقف القلاقل والثورات والكوارث والنكبات أو ما يعرف بالسلوك الجمعى (٤٠).

ومن أهم هذه الإفتراضات :

١- أن تكتل الافراد-تحت ظروف معينة-فى تجمع يمنحهم سمات نفسية جديدة مختلفة جدا عن السمات الخاصة بهم كأفراد. فتصبح أفكارهم وإنفعالاتهم وعواطفهم فى التجمع واحدة وبنفس الإتجاه، كما تتلاشى شخصياتهم الفردية الواعية أو ما يعرف بقانون الوحدة العقلية للحشود عند لوبون(٤١).

٢- أن ميكانزمات سيكلوجية معينة كالتقليد والمحاكاة والإيحاء تمثل قوى نفسية تفضى إلى عدوى الإصابة بالسلوك إذ من خلالهايتحقق الإنتشار والغفلة وتقييد الإنتباه، وبالتالى،تحييد ظهور السلوك المعتاد(٤٢) للأفراد المبنى على الإستقلالية فى تقدير العائد وإستشعار المسئولية فى التبعات.

٣- أن نمط التفاعل بين الأعضاء فى الجماعة والجموع هو المميز لطبيعته العدوية ولعل فيما سوف نعرض له من نماذج لجهود أصحاب هذا الإتجاه تبيان لحقيقة هذه الإفتراضات.

العدوى وقانون الوحدة العقلية

يعزى هذا القانون فى أصله إلى الفيلسوف والإجتماعى الفرنسى جوستاف لوبون (٤٣). ويمثل مبدأ أساسا فى تفسير الخاصية المميزة لسلوك الحشد عنده (٤٤). لقد شعر لوبون كطبيب بأن عملية العدوى هى المسؤلة عن ميل أعضاء الجماعة للتصرف بطرق متماثلة جداً . حيث بهره ميل الإنفعالات والسلوك لتبدأ عند نقطة فى الجماعة ثم تنتشر فى بقية الحشد . وبالنسبة له، هذا النمط من الإنتشار يماثل إنتقال الأمراض المعدية من شخص لاخر بشكل لا إرادى إلى أن يصبح كل من فى منطقة الجوار ملوثين (٤٥). وانتهى من واقع ملاحظاته لأنواع مختلفة من الحشود ، إلى أن

الإنفعالات والتصرفات يمكن أن تنتقل من شخص لآخر، مثل إنتقال الجراثيم والفيروسات تماما، على أن إهتمامه إنصب فى الغالب على مادعاه قانون الوحدة العقلية للحشد، The Law of Mental Unity of Crowd. ويشير فيه إلى عملية التأثير العدوى التى تفضى إلى فقدان الأعضاء لقدرتهم على التفكير المنطقى . ومن ثم التصرف تصرفا بدائيا . ويشيع هذا النمط من التفكير والسلوك بين أعضاء الحشد عن طريق العدوى Contagion حيث يتخلى الأعضاء فى الحشد عن عقلياتهم كأفراد مسلمين أمرهم لعقل الجماعة Group Mind ومشكلين بذلك كيانا جديداً متجانساً . تصبح معه قدرات الفرد منهم وميزاته الشخصية فى حالة تعطل مؤقت . والقرار الذى يصدر عنه كحشد يختلف تماما عن قرار كل منهم منفردا . إذ بإرتفاع درجة العدوى الإنفعالية والقابلية الإيحائية ، سوف يحاكى كل عضو غيره فى سلوكه فيتفشى بذلك السلوك الجمعى المميز لهم كحشد . فإذا غضب أحد أعضائه فإن ذلك الغضب سوف يمتد إلى الاخرين فى الحشد. وإذا أصبح أحدهم عنيفا، فالاخرون سوف يأتون نفس التصرف. ونتيجة لهذا كله، يظهر التماثل بينهم فى السلوك تحت تأثير عقلى موحد غير متعقل . عقل جمعى يتألف من الرغبات اللاشعورية المشتركة بين جميع أفراد الجمع، تحل فيه العوامل اللاشعورية الدفينة محل القدرات والسمات الشخصية الفريدة فى تركيبه جمعية فريدة تبدو جلية فيما دعاه ليبون بالجمهور النفسى (٤٦).

ويعزو لوبون حوادث العنف المفرط لحشود الشارع إبان الثورة الفرنسية إلى ميل الأفراد فقدان شخصياتهم المميزة ليصبحوا جزءا من جمع متجانس أو عقل جماعى(٤٧) . إن الفرد يكتسب من تواجده وسط الجمع قوة تشجعه على الإسترسال فى ميوله عما كان يحجم عنه منفردا . فلا يستطيع

كبح جماح نفسه ما دام الأمر مشاع . لأنه لن يسأل عما إقترف. إذ ليس هو المسئول وحده. ولا يشعر بتبعات ما إقترف والشعور هو الزاجر لما ينبغى له ان لا يقترف . إن شعور أعضاء الجماعة بأنهم غير مرئيين ولا يمكن تحديد شخصياتهم يجعلهم يحسون بأنهم أحرار من القيود الإجتماعية فيصدر منهم ما يصدر من سلوك. والأهم من ذلك قابليتهم للتأثر بالعدوى، فالعدوى هى التى تولد صفات جديدة وتوحد وجهتها (٤٨).

القيادة والتأثير العدوى : تحت وطأة التأثير الجمعى تصبح القابلية للتوجيه والإستعداد لتلقى الأوامر فى أوجها. ومن ثم فإن الشخص الذى يستهوى الأعضاء فى الجمع يصبح قادرا على إستمالتهم بتصرفاته كقائد . وتبوأه مركز القياده يمكنه من التأثير على الآخرين كنموذج أو قدوه . ولكى يتمكن من ممارسة هذا التأثير يلجأ إلى إستراتيجية فى التعامل مع مقوديه قوامها ثلاثة أساليب هى : التوكيد والتكرار والعدوى . بإستخدامها يتأتى له ما يبغيه من تثبيت الأفكار والمعتقدات فى نفوس مريديه . ويرى لوبون فاعلية التأثير لهذه الأساليب فى التالى :

١- **التوكيد** : إن التوكيد أو التأكيد من أهم العوامل لبث الفكر فى نفوس الجماعات متى ما كان بسيطا خاليا من التعقل والدليل . إذ لا يحتاج التوكيد إلى دليل عقلى بل يقتضى الإيجاز والحماس . وكلما كان التوكيد قاطعا وخاليا من كل برهان ، كلما فرض نفسه بهيبة أكبر (٤٩). ومع التكرار يحدث الرأى والإعتقاد .

٢- **التكرار** : التكرار تتمة التوكيد الضرورية وقيمة التوكيد بدوام تكراره بالألفاظ ومن يكرر لفظا أو فكرا أو صيغة ما تكرارا متتابعا يحوله إلى معتقد . والتكرار من القوة بحيث يجعل الرجل يؤمن بالكلمات التى يكررها ويسلم بالأفكار التى يعرب عنها (٥٠). فإذا تكرر الشئ رسخ فى الأذهان

رسوخا تنتهى بقبوله حقيقة ناصعة . والسبب فى ذلك كون المكرر ينطبع فى « تجاويف الملكات» اللاشعورية التى تختمر فيها أفعال الإنسان (٥١).

٣- العدوى : متى ما تكرر أمر وأجمع المكررون عليه ،تكرر من عملهم تيار فكرى يتلوه ذلك المؤثر العظيم العدوى . والعدوى أمر روحى ينشأ عنه التسليم ببعض الأراء والمعتقدات تسليما غير إرادى . مصدرها دائرة اللاشعورية. ولا يؤثر فيها اى دليل او تأمل. وتشاهد فى البشر والحيونات عندما يكونون فى حالة جماعة على الخصوص. فالفرس يقبع فى مربطه فتفعل فعله الخيل كلها. وتجزع الشاة او تضطرب فى حركتها فتفعل الغنم مثلها. كذلك لحركات الإنسان فى الجماعة عدوى سريعة جدا وهذا هو السبب فى سرعة إنزعج الكل لفزع الواحد منهم حتى أن إختلال القوى العقلية معد(٥٢). وهى من التأثير ما تسيطر به على التاريخ (٥٢). وهكذا تنتشر الأراء والعقائد بواسطة آلية العدوى وليس بواسطة المحاجة العقلانية إلا فى القليل النادر (٥٤). كما وقع ذلك فى بعض المشروعات المالية الشهيرة التى تمكن أصحابها من كسب كل قادر على معونته لان للأفكار والمشاعر والمعتقدات عدوى فى العواطف والإنفعالات والعقائد الإيمانية تمتلك سلطة عدوى بنفس قوة وكثافة سطلة الجراثيم (٥٥). ويعزو لوبون السبب فى هذه القوة لتأثير العدوى على مستوى الجمع أو الجماعة إلى إكتساب العدوى قوة خفية ممثلة بالنفوذ (٥٦). وهذا النفوذ هو جوهر تأثير العدوى. إن العدوى من القوة بحيث إنها تفرض على البشر ليس فقط بعض الأراء وإنما أيضاً بعض الطرق فى الإحساس والشعور. فهى التى تجعل الناس يحتقرون فى فترة ما عملا أدبياً ما، وهى التى تجعلهم بعد بضع سنوات يعجبون بنفس العمل (٥٧). وبما أن قوة تأثير العدوى تكمن بما تنطوى عليه من نفوذ . فإن

أساليب القيادة في التأثير - التي ذكرها لوبون - تمثل في مجموعها إستراتيجيات لممارسة ذلك النفوذ. وإذا ماسلمنا بأن الإستهواء والقدرة على الإستمالة مقومات للنفوذ . فإن التوكيد والتكرار تكتيكات للإيحاء بما يفضي بنفوذ العدوى . ويلاحظ فيما أورده لوبون حول عدوى سلوك القيادة إشارة إلى الفرق بين عدوى السلوك بين الأعضاء في الجماعة والأعضاء في الجموع. فالعدوى في الجماعة قوامها الإيحاء الذى يمارسه قائد الجماعة من خلال أساليبه في التأكيد والتكرار . والعدوى في الجموع قوامها الإيحاء المتبادل بين الأعضاء.

الرعاع اللامتعقل : مثال التأثير العدوى

تعتبر نظرية جوستاف لوبون (١٨٩٦) في الرعاع غير المتعقل Irriational Mobs أو غوغاء الرعاع من جماهير الشارع إبان أحداث الثورة الفرنسية مثال حي لتأثير العدوى على سلوك من يتعرض لها، حيث يصف تلك الجماهير بأنها : إيحائية، نزوية ، فاقدة للقدرة على التفكير المنطقي ، مبالغة في العواطف (٥٨) وأسيرة لعدوى إنفعالات وتصرفات الجماعة. العضو فيها أقل تعقلا منه منفصلا . يسلك وكأنه ليس فردا مستقلا بذاته . سلوكه غوغائي غير منطقي ، يتصف بالإندفاعية والهياج والعجز عن التبرير وغياب الرأى السديد وروح النقد، مشوبا بالعواطف وإنعدام الشعور بالمسئولية . وهذا الرعاع أو الجماهير المغفلة كما يسميها تظهر سذاجة وشدة مثلها مثل الهمج والأطفال وأبناء الطبقات الدنيا (٥٩).

وكما يظهر من وصف السلوك المعدى للرعاع أنه مختلف جدا عن السلوك المعتاد للأفراد المحكوم بقواعد المنطق والأخلاق ومن خصائصه النوعية غياب الوعي وعدم القدرة على التفكير المنطقي . إذ يفترض أن ملكات

النقد للافراد تخفض وتؤثرالإنفعال فى حالة إنضمامهم فى حشد (٦٠). كما يفترض ظهور ميكانزمات معينة مع نمو تصرف الحشد، يفسر ظهورها من خلال مفاهيم الإيحائية عالية الجهد لأعضاء الجماعة وهذه الميكانزمات الموقفية تولد ما يدعى بقانون الوحدة العقلية للحشود . وافترض لوبون بأن الشخص فى الرعاع يفقد إحساسه بالمسئولية ويتبنى الشعور الموحد للحشد The Unitary Consciousness of Crowd شبيه الجماعة بانه غير مميز مما يضعف إحساسه بالمسئولية ويزيد من عدم إكتراثه بالتقويم الإجتماعى له من قبل الآخرين وكتاثير لذلك تسرى بين الأعضاء فى الجمع، جماعة أو حشد ، عدوى الإنتقال للتفكير والإنفعال والسلوك.

لقد عمم ليبون فكرته عن عقلية الحشد والرعاع بحيث تتضمن اكثر من مجرد مقابلات الأفراد وجها لوجه داخل الجماعة ، فالناس حتى ولو لم يتواجدوا مع بعض ، يسرى بينهم الإيحاء وعدوى التماثل ويظهرون نفس خواص الجماعات التى يتقابل أفرادها وجها لوجه، ويعانون الحالة الذهنية نفسها الخاصة بهذه الفئة الاخيرة(٦٢) ويضرب لذلك مثلا بالإنفجار الثورى الذى حصل فى فرنسا عام (١٨٤٨) . فقد إنطلق من باريس وامتد فجأة لكى يشمل جزءا كبيرا من أوروبا ويزعزع العديد من الأنظمة فيها (٦٣). كما أنها فى قوة تفشى تأثيرها أشبه ما تكون بما أسماه راثص ونيفد (Rathus& Nevid,١٩٨٠) بالعصاب الوجودى Existential Neurosis فى تفسيرها للظاهرة التى تعرض لها طلاب الجامعات عبر الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة الستينات وبداية السبعينات من هذا القرن عندما عانوا نوعا من العصاب دب بينهم بشكل وبائى Epidemic Neurosis . خلاله فقدوا أى معنى للحياة بمواصلتهم دراستهم ، فرأوا أن لا مناص من التخلى

عنها بعد ما فقدوا الإهتمام بها. ثم سعوا بشكل جماعي لإستبدالها بأنماط حياتيه بديلة، فلجأ البعض منهم إلى ممارسة حرف كالفن والفلاحة والبعض الآخر منهم إنخرط فى حركات دينية أو إنضم لجماعات تتعاطى المخدرات ، بينما أثر غيرهم العزلة أو معارضة السلطة فى ممارستها للتفرقة العنصرية فى الدخل أو التدخل فى شئون الآخرين فى الخارج (٦٤).

ويخلص لوبون بأن العدوى هى الأصل فى إنتشار أفكار الجماعات ومعتقداتها لا الحجج والبراهين وقلما تولدت أفكار الجماعات والمجتمعات من غيرها(٦٥)، كما أن لوسائل الأعلام دورها فى عدوى السلوك لأنها تمكن من الترابط بين الأفراد وتكسب النفسية الفردية شكلا جامعا (٦٦). ويسرد أمثلة كثيرة عن الظواهر التى يستشرى شيوعها عن طريق العدوى كالمشاعر خيرها وشرها، ويرى أن الخوف أشد المشاعر إنتشارا بالعدوى . والأمراض النفسية والمعتقدات الدينية والسياسية وتشكل الجماعات ولا سيما الإجرامية منها وتفشى الجريمة. وعلى قدر عدد أفراد الجماعة يكون تأثير العدوى شديدا (٦٧)، لأن ذلك يفضى إلى الإطمئنان بعدم المعاقبة ويزيد من الثقة بالنفس . وبالتالى زيادة مقدار السلطة او النفوذ (٦٨). وفى هذا تأكيد على تأثير كبر حجم الجماعة على سرعة تفشى عدوى السلوك.

لقد ظل موقف لوبون نقطة إنطلاق لمحللين أخرين يسعون لرسم منظور أكثر شمولا، ممن أعطوا اعتبارا للعوامل الموقفية والإجتماعية فى نمو العدوى أمثال: فرويد(٦٩) ، و ريل (٧٠)، وبلومر (٧١) ، ويلر (٧٢). وامتد تأثيره إلى كتابات منظرى السياسة (٧٣) ووجدت تحليلاته تطبيقات إمبيريقية فى تجارب دراسات ضغوط الجماعة وإكتشاف عمليات التأثير(٧٤).

الدعوى الإجتماعية ـ و رد الفعل الدائرى

بالرغم من أن لوبون ومن نحا نحوه يميلون الى النظرة للحشود نظرة سيكلوجية مرضية ، إلا أن من جاء بعدهم من أصحاب نفس المنحى أمثال بلومر (٧٥) أكدوا على المظاهر التفاعلية لسلوك الحشد ودورها فى إذكاء عدوى السلوك.

إذ يرى بلومر بأن مفتاح التعرف على إحتمالية تفشى السلوك بشكل معدى يكمن فى إدراك شكل التفاعل الإجتماعى الممثل لنواته ، والمعروف برد الفعل الدائرى Circular reaction .

ورد الفعل الدائرى«نمط من الإستثارة المتدخلة تولد فيها إستجابة فرد ما إستثارة واردة من فرد آخر وتنعكس بدورها على هذا الفرد لتعزز الإستثارة»(٧٦). والإستثارة المتداخلة تفترض شكل دائرى للإستجابة يعكس فيه الافراد حالة شعور كل منهم. وبمثل هذا العمل يكثفون من مشاعرهم . ليصبح محتوى التفاعل فى حقيقته إنعكاسات متبادلة لمشاعر كل منهم. ويحدث هذا التبادل للمشاعر بشكل آلى دون إرادة المشاركين فيه (٧٧). ويؤكد بلومر بأن الإستجابة المدارية شائعة جداً بين الكائنات البشرية . لإنها شكل رئيس للإستثارة المتبادلة التى يمكن مشاهدتها فى إنتقال المشاعر والامزجة بين الناس فى مواقف الدهشة أو الذهول . وهى الميكانيزم الطبيعى لظهور السلوك الجمعى الذى يتعطل معه العمل بالمعايير المرعية . كما هى الحال فى حالات عدم الإستقرار الإجتماعى والهياج الجمعى وفى أمثلة نشاط الحشد .

الخصائص النوعية للإستجابة الدائرية : —

ويقترح بلومر طريقة لفهم طبيعة الإستجابة الدائرية اكثر وتمييزها عن غيرها من الإستجابات التى تسم أنماط التفاعل المعتاد بين الأعضاء فى الجماعات والتنظيمات المختلفة ، أولية كانت أو ثانوية ، بسيطة أم معقدة . وتتخلص هذه الطريقة بالمقارنة بين الإستجابات الدائرية للأفراد فى الجماعات التى تمر بخبرة العدوى والتفسيرات التأويلية لسلوك الأعضاء فى الجماعات العادية. فى حالة الإستجابات التأويلية والتى تحدث خلال التفاعل اليومى المعتاد للأفراد فى مختلف الأوساط ، يستجيب الأفراد لبعضهم ،كماهى الحال فى موقف المحادثة بينهم ، عن طريق تفسير كل منهم لتصرفات وإشارات الطرف الاخر فى العلاقة . ومن ثم الإتيان بإستجابة بناء على ذلك التفسير . والإستجابات هنا مبنية على التأويل وليست رد فعل مباشر للإستثارة . والاكثر إحتمالا ان تختلف فى طبيعتها عن التصرفات المثيرة لها لكونها فى الجوهر تتوافق مع تفسير الأفراد لهذه التصرفات. والتفاعل التأويلى أشبه ما يكون بلعبة تنس. وله طابع العملية المكوكية A Shuttle-Like Process فإبان عملية التفاعل يفكر الفرد مليا بمعنى تصرفات الآخرين.ويحاول منحها تفسيرات مناسبة قبل إقدامه على التصرف. بينما الحال على النقيض عند الإستجابة الدائرية، حيث يخفق الأفراد فى التفسيرات النبيه والحذر لمعنى تصرفات الآخرين. ويترتب على هذا الإخفاق سوء فهم للموقف. إذ أن إقدم البعض من أعضاء الجماعة على التصرف بناء على تفسير خاطئ لتصرفات الآخرين ، يجعل غيرهم من نفس أعضاء الجماعة بالمثل يفسرون تصرفات الآخرين تفسيرا خاطئا. يظهر ذلك منهم فى صورة عملية دائرية من الإستجابات المتبادلة . تبلغ أوجها فى شكل عدوى سلوكية متكاملة Full-blow behavioral contagion, (٧٨).

وفى مثل المقابلة السابقة تتحدد الخاصية الرئيسة للإستجابة الدائرية على أساس أنها تميل إلى جعل الأفراد متشابهين مادامت تلغى الفروق الفردية فى الإستجابة بينهم، بينما يميل التفاعل المعتاد المبنى على الدلالات المشتركة للتصرفات إلى جعل الأفراد متباينين فى الإستجابات. إن التفاعل المعتاد بين الأعضاء ممن هم فى رابطة (جماعة أو تنظيم) مرهون بصحة تفسير كل طرف فى العلاقة لمعانى ودلالات تصرفات فإن ذلك مؤذن بوقوع خطأ متبادل فى الفهم والإدراك يتفشى بين الأعضاء بشكل معدى. كما تظهر المقابلة بين التجمعات البشرية الطارئة كالسلوك الجمعى والتجمعات البشرية الثابتة كالجماعات والتنظيمات ما للأولى من تماثل فى تدنى مستوى التفكير بين الأعضاء وغير ذلك من التأثيرات السلبية المميزة للعدوى.

مراحل ظهور العدوى:

يحدد بلومر (٧٩)Blumer ثلاثة انماط من التفاعل الإجتماعى تمثل مراحل لظهور السلوك بشكل معدى ، وهذه الأنماط كما وصفها ، هى :

١- الإلتفاف Milling

يمثل الإلتفاف الإنطلاقة لإنتشار السلوك بشكل معدى . وهو القاعدة للمرحلة التى تليه . ويمكن إعتباره مثال حى للإستجابة الدائرية الصرفة. حيث يلتف الافراد حول بعضهم بطريقة عشوائية دون هدف، مثلهم مثل إلتفاف أفراد قطعان الماشية حول بعضها حال إثارتها. ويظهر التأثير الأولى له فى جعل الأفراد أكثر حساسية للتجاوب مع كل منهم ، بما يزيد من هيمنة كل منهم على بعض، ويخفض من مستوى تجاوب كل منهم لموضوعات الإستثارة المعتادة. لذا يعتبر الإلتفاف أداة طبيعية أولية بواسطتها يستعد الناس للتصرف معا بطريقة جمعية (٨٠). وبهذا يصبح الإلتفاف عاملا مسهلا لحدوث العدوى (٨١).

٢- الهياج الجمعى Collective Excitement _

يعتبر الهياج الجمعى أحد أشكال الإلتفاف الأكثر كثافة . وأكثر من ذلك أنه ميكانزم معجل لعملية الإلتفاف ومفض لتفشى السلوك على نحو جمعى. ومع أن الهياج يشترك مع الإستجابة الدائرية فى الخصائص العامة، الا أن له من الخصائص ما يميزه عنها :

أولاها : قوة إنتشار السلوك : بما أن الميل الطبيعى عند كل إنسان أن يدير إنتباهه للسلوك المذهل ويجد متعة فيه، فإن أى سلوك مذهل سوف يكون له قوة تأثير فى شد إنتباه ملاحظيه. ومادام الفرد مذهلا بموضوع ما فإنه يصبح تحت هيمنته. ومتى ما كان جميع الأفراد مذهولين ، نتيجة لشكل ما من أشكال الإلتفاف، فإن غياب القدرة على الضبط المعتاد للتصرف تصبح أكثر وضوحا مفسحة المجال لإنتشار السلوك بشكل معدى .

ثانيها: مستوى الإثارة الإنفعالية:تحت تأثير الهياج، يصبح إنفعاليا أكثر إثارة وأكثر إحتمالا بأن يدفعوا بالبواعث والمشاعر الداخلية ظاهرا. ومن ثم يصدر منهم بكثرة تصرفات غير مستقرة ولا مسئولة. ومع الهياج الجمعى، يتعطل العمل بالإلتزامات المعتادة والأنشطة الروتينية بشكل واضح جدا.

ويعتبر الهياج الجمعى عند بلومر مرحلة الاعداد لتكوين أشكال جديدة من السلوك وإعادة تنظيم الفرد. إذ مع توفر فرص التنفيس عن التوتر، قد يتعرض الافراد تحت وطأة تأثيره لإعادة تنظيم واضحة فى عاداتهم وعواطفهم وصفاتهم الشخصية. وفى هذا إشارة إلى دور الهياج الجمعى فى تحضير الناس لأشكال جديدة من الرابطة الجمعية واضعة الاساس لأشكال جديدة من السلوك المشارك أو الجمعى (٨٢)عليه ، تصبح وظيفة الهياج الجمعى الإعداد والتهيئة للعدوى السلوكية.

٣- العدوى الإجتماعية Social Contagion

عند تكثف الهياج وتفشيه فإن الإحتمال وارد لظهور نوع من العدوى الإجتماعية وتشير العدوى هنا إلى تفش سريع نسبيا للمزاج والمباعث أوشكل التصرف غير منطقى ولا مقصود. وتعبر عن شكل مكثف للإلتفاف أو الهياج الجمعى، يتجلى فيها نمو الوئام Rappot والتجاوب الطائش Unreflective Responsiveness من فرد لآخر. والأمر الملفت فى العدوى أنها تجذب وتلوث أفرادا غالبيتهم من المارة والمتفرجين. يشدهم إلى السلوك المشاهد- فى البداية-مجرد فضول أو إهتمام سطحى به. وبمجرد وقوعهم فى شرك الإثارة، مع زيادة يقظتهم به، يصبحون أكثر ميلا للتورط فيه (٨٣) ويظهر هذا التأثير جليا فى وصف فورسث (١٩٨٣)Forsyth, لما يحدث فى موقف الفزع حيث نجد بأن أحد الأشخاص فى الجماعة قد يحدث العدوى عن طريق التصرف بذهول. ومتى ما بدا للآخرين من حوله بأنه مذهول، فإنهم سوف يفترضون أن أمرا ما فى طريقة للظهور فيبدأون أنفسهم فى إظهار الذهول. أى أن فزعه سوف ينعكس على عصبية الآخرين فيبدون أكثر فزعا. بالمقابل ، يستجيب الآخرون لمصدر الفزع برد فعل يصبح أكثر فزعا. وتتضاعف هذه اللولبية فى الإستجابة بتكثيف ردود الافعال خلال الجماعة ليصبح جميع الاعضاء مأخوذين بالفزع، حتى المارة ممن لادخل لهم قد يقعون فى الشرك. فيبدر منهم- فى البداية- ما يشير إلى فضول حول ما حدث أو إهتمام سطحى به. غير أن انتباههم للسلوك وإدراكهم لإندهاش الآخرين منه يجعلانهم - فى النهاية - أكثر ميلا للتورط فيه (٨٤).

وفى رأى بلومر، يمكن النظر الى هذا النمط من التأثير العدوى على أنه توطئة لمقاومة إجتماعية مؤداها أن الأفراد فى الحقيقة يعانون نوعا ما من

غياب للشعور الذاتي Self- Consciousness وبالتالي فقدان على تأويل نشاط الآخرين. والشعور بالذات سياج لحماية الفرد نفسه من تأثير الأخرين، إذ من خلاله يراجع الفردإستجاباته الفورية الطبيعية ونزعاته أو دوافعه ويتخذ قراراته قبل الشروع في التصرف.لكن عندما يكون الأفراد تحت ضغط الهياج الجمعي يصبحون محكومين أكثر وأكثر بنمط معين من السلوك.ومن الأكثر إحتمالا أن تستثار فيهم النزعة للتصرف. وحيث أن الأفراد لديهم ميل مشاع للتصرف بطريقة معينة، مثل البحث عن كسب، أو الهروب من خطر، او التعبير عن كراهية ، فإن إظهار مثل هذا السلوك تحت ظروف الهياج الجمعي يطلق نزعاتهم بسهولة وفي ظل هذه الأوضاع، سوف ينتشر السلوك إنتشار النار في الهشيم، كما هو مشاهد في حالة لهو العربدة والقصف العشوائي، والفزع المصاحب للأزمات المالية وموجات الهستريا الوطنية(٨٥)، التي نجد لها مثالا صارخا في تحليل كارل يونغ(٨٦) للذنب الجماعي عند النازية.

ويعتبر بلومر إنتشار الموضات Fads والصرعات Manias والتقليعات Crezes خير مثال للعدوى الإجتماعية. وأن الأشكال الاكثر حدة للعدوى لها طابع الوباء الإجتماعي، ويضرب لذلك مثلا بما تجلى من ظواهر مشاهدة كهوس الزنابق في هولندا في القرن الثامن عشر أو هوس الرقص في العصور الوسطى. وفي العصور الحديثة، تتجلى بوضوح في نمو هستيريا الحرب أو في الفزع المصاحب للأزمات المالية. وقد يكون فيما تحدثت عنه وسائل الإعلام حول المذابح الجماعية في البوسنة والهرسك (٨٧) وفي رواندا(٨٨) أو مظاهر الفزع المصاحبة عادة لتأرجح أسعار السلع والعملات في الأسواق المالية شواهد تطبيقية لما ذهب إليه بلومر.

خلص مما سابق إلى أن عدوى السلوك حقيقة واقعة عند أصحاب هذا الإتجاه ويلاحظ على القائلين بها حصرهم إياها فى الغالب بنمط خاص من السلوك الرجتماعى هو السلوك الجمعى بأشكاله المختلفة كالجمهرة وغوغاء والحشود وضروب الفزع والموضات . وكأنهم بذلك لا يرون إنتقالا للسلوك بشكل معدى إلا مع هذه الأنماط. وهى أنماط مقيدة بظروف معينة تحكم ظهورها. ومن الملاحظات المهجية على هذه النظرة إعتمادها الملاحظة التاريخية وإفتقارها للبحث الإمبيريقى، عدا القصور فى تفسير تأثير التمايز فى الأدوار بين الأفراد على عدوى السلوك، وإن كان لوبون قد عرض لذلك فى حديثه عن أساليب القادة فى التأثير والإستمالة (٨٩). ولعل فيما سنعرض له من وجهة نظر مغايرة ما يسد ما ورد من نقص فى وجهة النظر السابقة.

ثانيا : الإتجاه الإجرائى التجريبى

يختلف أصحاب هذا الإتجاه عن سابقيهم فى أنهم لم يقصروا عدوى السلوك على نمط خاص من أنماط السلوك الإجتماعى بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حينما إفترضوا إحتمالية ظهور العدوى لأى نمط من أنماط السلوك بغض النظر عن نوعه أو محيطه الذى يحدث فيه. أو كما عبر عنه ردل فى تعريفه للعدوى بأنها «إنتشار السلوك من شخص إلى شخص أو إلى جماعة بأسرها»(٩٠). ولم يوقفوا أنفسهم على وصف ما يحدث من سلوك بل تعدى جهدهم ذلك ليشمل التحليل الإجرائى لظاهر السلوك بما يعنيه من تحديد للمتغيرات الموقفية التى تحكمه بطريقة عملية قوامها التجربة والبرهان. وهم وإن كانوا قد إهتموا بالإنتشار للسلوك الظاهر لا الوجدانات إلا أنهم يقرون بأن الإنتشار للسلوك يصحبه إنتشار للإنفعالات . وقد تأكد ذلك فى محاولة ويلر(٩١) لبلورة جهود من سبقوه فى صيغة نظرية فى عمله المعنون: نحو نظرية للعدوى السلوكية ، والذى سوف نعرض له فى وصفنا لجهود أصحاب

هذا الإتجاه إذ يعتبر أبرز جهد متكامل قدم حتى الآن، إعتمد فيه أساسا على جهد ردل (٩٢) وإلتزم فيه منحى التنظير الدقيق القائم على تعدد التجريب.

ويجادل ويلر وزميلاه (٩٣) بأن الملاحظة العارضة للجماعات الصغيرة تشير إلى أن مزاج وسلوك أعضاء الجماعة عادة ما تتغير فجأة. ويستطرد فى جدلة ليقر بأن التأمل فى هذه الظاهرة موجود منذ زمن وعلى وجه التحديد منذ دراسة لوبون للحشد ١٨٩٥، على إفتراض أن الفرد لا يزال يلاحظ ، عند الإبقاء على المثيرات الخارجية ثابته، أن التباين فى المزاج داخل الجماعة أقل فى وقت بعينه عنه فى فترات متعددة. وأن هذا الغياب للتباين داخل الجماعة يعود إلى رد فعل أعضاء الجماعة بالعموم على مثيرات خارجية مشتركة . وأن التفسير العام المتعلق بالقول أن عضواً ما يبعث من خلال تصرفه أو مزاجه تصرفات وأمزجة مشابهه عند الأعضاء الاخرين من التجمع الإجتماعى كان من خلال مصطلحات الإيحاءوالمحاكاة والتعاطف أو خليط ما من الثلاثة(٩٤). ومن ثم فأصحاب هذا التوجه يوافقون من سبقهم من حيث المبدأ بالقول بإمكانية إنتشار السلوك عدويا . إلا إنهم إختلفوا معهم – كما سوف نرى – فى منهج التعرف على عدوى السلوك وتحديد نطاقها. فالعدوى ليست مقصورة على السلوك بهيئته الجمعية وإنما كافة أنماط السلوك على مستوى الفرد والمجموع . لذا كان وصفهم لها بالسلوكية وفى تعاملهم مع الظاهرة إستبعدوا المفاهيم السلوكية الفرضية وتعاملوا مع الظاهرة بصفة إجرائية.

العدوى والتجريب

مفهوم العدوى عند أصحاب هذا المنحى يشير إلى « حدث يتغير فيه سلوك الشخص ليشبه سلوك شخص آخر ويظهر هذا التغير فى موقف إجتماعى، الشخص المتصرف فيه كمبتدئ لانية له فى إيصال مثل هذا التغير

للآخر» (٩٥) . أو كما حددها ويلرحديثا « حدث يكون فيه سلوك المتلقى له قد تغير ليصبح أكثر شبها بسلوك فاعله أو البادى به . هذا التغير يظهر فى تفاعل إجتماعى لم يكن فيه الفاعل يقصد فيه إحداث مثل هذا التغير »(٩٦).

ومع أن هذه التعاريف توحى بتأثير من قبل طرف إثناء ظهور الحدث على الطرف الآخر إلا أنه تأثير يختلف عما هو معهود فى التأثير المباشر . لأن الفاعل فى حالة التأثير المباشر يهدف بسلوكة التأثير صراحة على الطرف الآخر فى العلاقة، بينما الفاعل فى حالة العدوى لاتية له مسبقة بذلك (٩٧). إضافة إلى أن الفرد المعرض للإصابة بالعدوى يجد نفسه مدفوعا للإتيان بالسلوك محاكاة للنموذج (الفاعل) دون قصد (٩٨) وهو ما يمثل لب التأثير عن طريق العدوى (٩٩).

وعلى أى حال ، ثم التحقق من ظاهرة عدوى السلوك عند أصحاب هذا الإتجاه من خلال إجراء العديد من التجارب. ففى الأعوام ١٩٤٩، ١٩٥٠، ١٩٥٨ على التوالى ابتدأ ردل وليبت وبولانسكى و روزن ومساعدوهم الملاحظة التجريبية المضبوطة لظاهرة عدوى السلوك ، وقد أصدروا سلسلة من التقارير كجزء من برنامج للبحث فى عملية التأثير الإجتماعى بين الأعضاء فى جماعات الأطفال (١٠٠).

وانصبت جهودهم على دراسة ظاهرة العدوى السلوكية كما وصفت وشخصت إكلينيكيا من قبل ردل (٥) فى تحليله لبعض الإشكاليات الإجرائية فى العلاج الجماعى . وكان ردل قد خلص من دراسته للعدول فى الجماعات التلقائية الصغيرة الى التمييز بين نوعين من العدوى : العدوى الايجابية وتعمل على تيسير حركة الجماعة وفى هذه الحاله تكون العدوى قوة مفيدة تدفع بالجماعة قدما . والعدوى السلبية وتعمل على إعاقة حركة

الجماعة . كما أن هنالك نوع آخر أسماه « العدوى المباشرة » ويقصد بها حال الفرد الذى يجعل الجماعة تستجيب إنفعاليا إلى انماطه السيكلوجية ، دون أن تحاكيه فى سلوكه مباشرة . ويمثل لذلك بالطفل المازوكى (١٠٢) الميول حيث دفع الجماعة الى حد الوقوع فى نقيض نمط التصرف الذى يتبعه فى اشباع ميوله أو ما يعرف بالـ (الاغراء السادى المازوكى)(١٠٣) . وقد إقتراح ردل شروطا أربعة لظهور العدوى تقوم أساسا على فكرة الصراع الدينامى الداخلى بين الحاجات والمطالب ، ومبدأ المحاكاة للبادئ بالسلوك من قبل الملاحظ لسلوكه . والشروط – كما وردت فى ويلر(١٩٦٦– هى: ١) وجود نطاق صراع حاد عند الشخص المحاكى : قوامه نزوة متقدة نحو إشباع حاجة ملحة من ناحية ، وضغط كاف من قوى الأنا أو الأنا الأعلى لخفضه ١٠) توازن الشخصية بين نزوات تريد الإنطلاق وضوابط تمنع الإنطلاق ٣٠) وجود نفس الإلحاح فى النزوة للتعبير وفى نف المسار عند البادئ بالسلوك٤٠) تنفيذ منطلق لصالح إشباع النزوة من قبل البادئ مصحوبة بتحرر تام من الذنب او الخوف(١٠٤). وتفسير العدوى – فى نظر ردل – يتطلب معرفة بمقوماتها من عوامل جماعية وفردية . ومن العوامل الجماعية:

أ) مكانة البادء فى الجماعة : مع إرتفاع مكانة البادئ فى السلوك ، تزداد إحتمالية ظهور العدوى(١٠٥) . وفى هذا إشارة الى تأثير ما للبادئ من سلطة او نفوذ على عدوى السلوك. لقد كان من أبرز ما أنتهى إليه ليبت وزملاؤه(١٠٦)حول تأثير السلطة والنفوذ على العدوى: أن من الأكثر إحتمالا أن يحاكى العضو فى الجماعة أولئك الأعضاء ممن ينسب لهم نفوذ عال فى الجماعة، وبأن يصاب بعدوى سلوك صاحب النفوذ العال من بين الأعضاء. وأن الأعضاء ذوى النفوذ العالى يلتقطون عادة العدوى السلوكية بمحض إختيارهم بخلاف الأقل نفوذا ويميلون لمقاومة محاولات التأثير المباشر لكثر

من أولئك الأقل نفوذا . ولا شك أن نتيجة مهذه توحى بأن لموقع الفرد فى ثنايا البنية الإجتماعية تأثيره على تفشى سلوكه لما توفره مكانته من سلطة ونفوذ تدفع غيره لمحاكاته وتقليده .ب) الإتساق بين سلوك البادئ ومعايير الجماعة: قرب سلوك البادئ من معايير الجماعة يزيد من قوة سريان العدوى.ج) إشتراك الافراد فى نفس الإتجاه للتعبير عن حاجاتهم الاساسية : حيث تزداد عدوى السلوك بقدرمساعدتهم على إطلاق الحدالادنى من الحاجات المعطلة.د) طبيعة برنامج الجماعة: حجمه وبنيانه ونمط تنظيمه . هـ) المناخ الجماعى: التناغم بين السلوك الذى يقوم به أعضاء الجماعة والمزاج السائد بينهم يزيد من إحتمالية ظهور العدوى (١٠٧) . كما أن التباين بين أعضاء الجماعة فى مستوى التأثر ونوع التأثير يوحيان بأن لمتغيرات الشخصية كالذكاء وحجم الجسم والذات والقابلية للإمتثال تأثيرها(١٠٨).

فى المقابل ، تسهم العوامل الفردية فى التوقيت لظهور العدوى وتحديد نطاقها اكثر من إسهامها فى تعيين سبب العدوى(١٠٩) . ومن العوامل الفردية ذات التأثير على إحتمالية ظهور العدوى السلوكية :

١) البادئ فى السلوك ودوره كنموذج أو قدوة : فالبادئ يمثل رغبات الآخرين بسلوكه. ويظهر أن من الممكن تحقيقها دون تأنيب :

٢) الصراع الذاتى لدى المحاكى : ويشير الى ما قد يعانيه المحاكى من صراع داخلى بين رغبات الهو وقيود الأنا الأعلى . فالمحاكى عند رغبته فى إتيان فعل ما يتذبذب بين الرغبة وضبطها حتى تتغلب الرغبة . وفض ذلك الصراع يتم من خلال فعل صريح يوحى به سلوك البادئ . لأن فى سلوكه ما قد يخفف من مخاوف المحاكى أو يقلل من مشاعر الذنب عنده.وليس شرطا فى فض الصراع أن يواصل البادئ ما شرع به من سلوك حتى يتمه إذ يكفى منه ما توحى به تعابير وجهه من عدم خوفه من إشباع دوافعه لأن فى

مثل هذه التعابير ما قد يكون سببا لترجيح الأخذ بما يراه . وفى أحايين أخرى . تكون المعاينة المباشرة لسلوك البادئ عنصرا جوهريا فى إثارة العدوى .

٣) **الضبط الذاتى عند المحاكى** : قد يفقد أعضاء الجماعة قدرتهم على ضبط أنفسهم تحت وطأة تأثير ما يسمى بـ : التسمم النفسى الجماعى فيشاركون فجأة غيرهم من الأعضاء أنماطا من السلوك لم تخطر لهم عل بال .

٤) **الإنصهار السيكلوجى** : يفترض ردل بأن لكل عضو فى الجماعة نقطة إنصهار سيلوجة جماعية خاصة به بغض النظر عن مستوى سيطرة الأنا عنده كفرد. فقد يكون مستوى سيطرة الأنا عند العضو فى الجماعة منخفضا ومع ذلك نجد لديه مقاومة أكبر لتأثير الجماعة، فى حين نجد غيره عاجزا عن هذه المقاومة رغم إرتفاع مستوى سيطرة الأنا لديه (١١٠).

٥) **أثر الصدمة** : قد يعانى العضو فى الجماعة من نوع مميز من التأثير الإجتماعى أسماه ردل : أثر الصدمة . ويقصد به عجز الفرد عن تحمل تأثير الجماعة عليه، حيث يستجيب خلاله الأفراد لسورات مباغته من القلق أو الغضب حين تهدد الجماعة إتزان شخصياتهم.ويرى ردل أن من أوجه القصور فى دراسة عدوى السلوك عدم القدرة على فصل ما يميزها من تيارات إنفعالية ودراستها على حدة والتى غالبا ما تكون لا شعورية (١١١). وهذه خاصية أخرى من خصائص السلوك العدوى يشترك فيها ردل مع من سبقوه(١١٢).

الإفتراضات الرئيسة للتجريب

مما يستم به هذا المنحى فى تفسير العدوى كما اسلفنا إلتزام اصحابه التجريب كطريقة للإستدلال على حقيقة الظاهرة . وسوف نعرض فيما يلى إلى أبرز الإفتراضات التى قامت عليها جهودهم التجريبية:

أولا : إفتراض خفض القيود : Reduction of Restraints

لملاحظات التجريبية الأولى بنيت على إفتراض خفض القيود لردل(١١٣) حيث يقترح ردل سببا واحدا فقط لظهور العدوى وهو وجود القيد . والإفتراض يقضى بأن تخفيف لقيد سوف يساعد على إنتشار لسلوك بشكل معدى. وأن من يبادر فى السلوك من أعضاء الجماعة سوف يسهم فى خفض القيد وسيط فى ظهور العدوى . ولا عدوى دون وجود قيد يسهم فى خفضه تصرف من يبدأ بالسلوك.

بناء على هذا الإفتراض قام ويلر وسميث ومورفى (١١٤) بإجراء أربع تجارب على مجندين لفحص محاكاتهم سلوكيا لمن يقدربهم فى توجيهاته . بعدما فرضت قيود معينة على السلوك ،أو هكذا اقتضت تعليمات التجربة لخلق موقف معدى. حيث أجلس المجندين فى غرفة إنتظار احتوت على مجلات سهام ولعب من خشب . وأفيدو بأن بإمكانهم قراءة المجلات خلال إنتظارهم. وبهذا تم خلق قيود معقوله ضد اللعب باللعب دون إستخدام قسراو إقناع أو أى تكنيك من التكنيكات المعتادة فى الدفع لممارسة أى نشاط. وأشارت هذه التجارب الأربع بوضوح إلى أن الفرد قد يقاد إلى التورط بالنشاط ببساطة عن طريق مراقبة شخص ما أخر يؤدى النشاط أو نشاط أخر من نفس الصنف . وإنتهت إلى تحديد بعض الأسباب الممكنة لعدوى السلوك.فالعدوى لم تظهر على أنها وظيفة للحاجة المتزايدة للعب باللعب

عندما لم يكن هنالك قيود ضد اللعب باللعب، بل كانت إلى حد ما وظيفة لخفض القيد. ولا عدوى فى حالة غياب القيد أصلاً. وهذه النتيجة تتسق مع رأى ردل (١٩٤٩) فى اقتراحه سببا واحدا فقط لظهور العدوى وهو توفر قيود تحول دون إتيان الفعل يتم خفضها عن طريق سلوك البادئ بالسلوك المقيد أصلا (١١٥).

المواقف التى تظهر فيها العدوى :

كيف يتأتى خفض القيد؟ وكيف يكون ذلك الخفض سببا فى ظهور عدوى السوك ؟. إنتهى ويلر وزياده (١١٦) من مناقشتهم لنتائج دراساتهم المذكورة أعلاه إلى أن هنالك عدة طرق يمكن أن يخفض فيها القيد عن طريق تصرف المبتدئ مما يقود إلى تفشى السلوك بشكل معدى . وتظهر مثل هذه الطرق فى أى موقف يتضمن الصراع بين حاجات الفرد أو رغباته وقيود السلطة (كالقانون والكفيل والمدرس والوالدين أو حتى المجرب). ومن تلك الطرق :

١- **الزيادة فى عدد المخالفين :** زيادة عدد المخالفين يزيد من إحتمالية ظهور العدوى. لأن مخالفة التحريم لا ينظر إليها كمخالفة مع زيادة عدد المخالفين . ومثاله أن مخالفة الطالب فى الفصل بهمسة فى أذن جاره لا تعتبر مخالفة إذا كان جميع الطلاب فى الفصل يتهامسون. وتجاوز السائق للسرعة المحددة لن تعتبر مخالفة إذا كان السائقون الآخرون من حوله متورطين بنفس المخالفة.

٢- **البدء فى المخالفة :** أن إقدام الفرد الى فعل المحرم من السلوك يسهل لمرشيوعه . لأن سلوك المبتدئ به يقدم معلومة للاخرين بأن التحريم لاوجود له اصلا فى الوقاع، او أن العمل به معطل. ومثاله أن مخالفة إشارة منع

التدخين من قبل قاطني نفس المبنى قد تشير لمتلقيها بأن المنع غير معمول به، ومثله أيضا أن مباشرة أحد عملاء لمقهى للتدخين قد تعطى إشارة لسائر المدخنين من العملاء بأنه لا مانع من التدخين.

٣- التقادم في المخالفة: تقادم المخالفات يزيد من إحتمالية تفشى السلوك. لأن ذلك يعنى أن الأذى قد حصل طالما تم تجاوز ما هو محرم من قبل المبتدئ . وينظر لما بعده من تجاوزات على أنها غير ذات بال ما دام المخالفة أضحت أمرا واقعا. ومن أمثلة ذلك : تجاوز المبتدئ لإشارة المرور وتسببه في توقف للمرور مخالفة ليس لها علاقة. إذ أن المرور قد توقف قبل أن يقترب هو الآخر هذه المخالفة . ومثال اخر اكثر دراماتيكية يسوقه ويلر وهو مشاركة الفرد في مظاهرة لرعاع كبير قد يجعله يشعر بإن فعله لا يعتبر تجاوزا البته. وإن كان في عرف القانون تجاوزا. مادامت المظاهرة قائمة بغض النظر عن إشتراكه فيها.

٤- الإشتراك في العقوبة : إشتراك الفرد مع الآخرين في التعرض لعقاب يؤدى إلى التخفيف من وطأة القيد عليه. لإن العقوبة المشتركة اقل إرهابا من العقوبة المنفردة، وذلك لأسباب منها:

أ) أن العقوبة المشتركة تمكن الأفراد من مساندة كل منهم الآخر طوال فترة العقوبة، وفي هذا تعطيل لفاعلية العقاب وزيادة في إحتمالية إستمرار السلوك الممنوع.

ب) إذا كانت العقوبة مشتركة ، فالأقل إحتمالا أن تطبق أى عقوبة ، مثل صعوبة أن تعاقب عدد كبيرة من الناس بسبب ذنب إقترافه عدد قليل منهم.

ج) ومثل انه من غير المحتمل أن المبتدى بالتصرف المحرم لن يعاقب بسبب مكانته أو أهميته العملية، فإنه من غير المحتمل أن الاخرين ممن تبعوه فى السلوك الممنوع سوف يعاقبون

د) إذا كان سلوك المبتدئ يشير إلى قدرة وارادة فى أن يمتص العقوبة المتوقعة، فإن من يحاكيه لن يتأخر فى تبنى نفس النمط من اللامبالاة(١١٧).

إن هذه الطرق التى إقترحها ويلر وزملاه لتخفيف القيود تشير بوضوح إلى تعدد المواقف التى قد تظهر فيها العدوى المبنية على إفتراض خفض القيد. ففى أى موقف يكون عدد المخالفين فيه كبير نتوقع زيادة فى المخالفة الشعور المخالف بصعوبة اعتبارها مخالفة مادام الآخرون قد شاركوه المخالفة. وفى أى موقف يظهرفيه من يأخذ بزمام المبادرة فى المخالفة سوف يعطى إنطباعا لغيره بانه لامانع من المخالفة. والموقف التى تتقادم فيها المخالفة تعطى إنطباعا بأن المخالفة صارت واقعة فهى مستمراة. والموقف التى يعمم فيها العقاب دون إستثناء تتعطل فيها فاعلية العقاب وتزداد المماطلة.وفى نظر الباحث أن تعميم العقوبة يحفز المتعرضين لها على التظلم بما يزيد من الأصرار على الذنب كتبرير لرفض العقوبة. وهذا النوع من رد الفعل فى جانب منه تعتبر عن رد فعل نفسى Psychological Reaction ناجم عن شعور بمساس بحرية (١١٨) أو إحساس بإنتهاك لحرمة . وفى كل ذلك مدعاة لإتساع رقعة إنتشار السلوك وسرعة تفشيه بشكل معدى.

ولقد رأى ويلر وزملاه (٢٢) ضرورة أن ينظر فى عدوى السلوك المحرم بفعل قوة سلطة مشروعة . وتم له مناقشة ذلك فى محاولته التالية لصياغة نظرية فى العدوى السلوكية.

ثانيا : إفتراض خفض العقوبات Reduction Sentences

لقد كان لويلر (١٢٠) مأخذ على تعريف ردل (١٢١) لمفهوم العدوى المبنى على مبدأ خفض القيود. ومن مأخذه عليه انه لا يميز تمييزا مناسبا بين العدوى والأنماط الأخرى للتأثير الإجتماعى كالإمتثال والتسهيل الإجتماعى والضغوط نحو الإتحاد . لذا طرح إبتداء تعريفا بديلا للعدوى قوامه ميكانزم خفض العقوبات اوتقليص الحدود Reduction Sentences وفى نظره ، أن تعريفا هذا قوامه له من المميزات ما يفوق به غيره من التعاريف . من أبرزها انه تعريف مفتوح يسمح بإضافة محددات أخرى لمفهوم العقوبات أو الحدود ، مع إزدياد معرفتنا بالظاهرة. كما أن إستخدامه يجعل من السهل لتمييز بين العدوى وبين الأنماط الأخرى من عمليات التأثير الإجتماعى كالإمتثال والضغوط نحو الإتحاد والتسهيل الإجتماعى . فما يجمع بين هذه العمليات والعدوى انه عمليات تأثير إجتماعى قوامها التقليد والمحاكاة ، بما يجمع بين هذه العمليات والعدوى أنها عمليات تأثير إجتماعى قوامها التقليد والمحاكاة ، بما تعنيه من نسخ تام لتصرف الطرف الاخر، سواء عن قصد أو عن غير قصد . ويتميز مفهوم العدوى المبنى على إفتراض خفض العقوبة عنها فى أنه يفترض وجود صراع مسبق لدى الفرد وأن الحضور للآخرين سوف يسهم فى فضه. كما فى حالة تمنى الفرد أن يتصرف بطريقة ما إلا أنه يشعر بقيود داخلية تحول دون ذلك . وعند ملاحظته الآخرين يأتون بما يرغب نجد أن تأثير هذه القيود يأخذ فى الإنخفاض . أما المفاهيم الأخرى فتختلف عن هذا المفهوم للعدوى أما فى تحديد الدور الذى يلعبه الاخرون فى الصراع كما فى حالة الإمتثال والضغوط نحوه، حيث تشير إلى أن تصرفات الاخرين تخلق الصراع لدى الفرد ولا تساعده فى فضه وعلى الفرد نفسه تقع مسئولية فض الصراع، أو أنها تخلو

نى الأصل من وجود أى مظهر للصراع كما هى الحال مع ظاهرة التسهيل لإجتماعى.وهكذا يميز ويلرمفهوم العدوى عن الأنماط الأخرى للتأثير لإجتماعى فى تحديده الإجرائى لدور الآخرين فى عملية التأثيرحيث يتجلى دورهم فى مساعدة الفرد على فض الصراع الذى هو أصل فى ظهور العدوى

وقد تمكن ويلرمن تطوير نموذج إجرائى لتفسير كيفية تفشى السلوك بشكل معدى وفق مبدأ محاكاة الملاحظ للنموذج . وحدد شروطا أربعة لظهور العدوى

أولاها) أن يكون لدى الفرد دافع مسبق للتصرف بطريقة ما .

ثانيها) أن يكون الفرد على معرفة بكيفية إتيانه ذلك التصرف.

ثالثها) ضرورة ملاحظته لنموذج يحاكيه فى سلوكه.

رابعها) أن يتصرف وفقا للسلوك المحاكى الذى كان مدفوعا للإتيان به صلا (١٣٢). وهى شروط مستوحاه من شروط ردل فى ظهور العدوى آنفة لذكر، تلك التى يرى فيها ويلر نظرية للعدوى أكثر من كونها تعريفا لمصطلح لعدوى.

ودارت مناقشة ويلر النظرية لمفهوم العدوى حول فكرة إنخفاض درجة ميل الملاحظ للإحجام فى صراع الإقدام والإحجام كوسيط فى العدوى لسلوكية. فالفرد فى السلوك وقيود من الحدث الذى يثير السلوك . ويجد سبيله لفض هذا النمط من الصراع عن طريق قراره بالإقدام على الإتيان السلوك المرتبط بالحدث، من خلال ملاحظته للنموذج الذى يلعب دورا فى تخفيف من القيود . وهذا يعنى إنخفاض درجة ميله للإحجام من معاناته صراع الإقدام – إحجام . وبذا ، تبقى مسألة تخفيف القيود التى تحول بين لفرد وإتيانه السلوك هى الأساس فى ظهور العدوى.

وتم له تحديد أبرز معالم نظريته الخاصة باحتمالية تفشى السلوك بشكل معدى من خلال تحليله لنتائج الدراسات التجريبية السابقة حول موضوع العدوى. ومناقشته لنتائج تلك الدراسات قامت على إعتبارات منهجية منها:

أ) شروط التجريب فى كل دراسة كمحددات إجرائية لمفهوم العدوى.

ب) توفر تعريف إجرائى تام للعدوى وفقا لمتغير خفض العقوبة أو تقليص الحدود ففى حالة أن الشخص (X) المحرض للإتيان بالسلوك ليس مقيدا فيزيائيا فى أدائه لصنف من أصناف السلوك ولم يؤده، فإن مضمون ذلك يوحى بأن (X) يعانى من قيود داخلية تحول أدائه للسلوك. أى أن ثمة صراع داخلى بين التحريض الخارجى لإقدامه على الإتيان بالسلوك والضغوط الداخلية ضد شروعه بإتيانه . بمعنى آخر : أن الشخص (X) يعانى صراع إقدام – إحجام ومتغير خفض القيد يوحى بأن ملاحظة الشخص (X) لأداء الشخص الملاحظ (y)سوف يغير من القوة النسبية للنزعة فى الإقدام أو الإحجام عند (X)يوكده واقع أن الشخص (X)سوف يغير من سلوكه بعد ملاحظته لسلوك (y) . ويضرب لذلك مثلا بالموقف التالى : يعانى الشخص (X)إحباطا فى طلبه النوم كل يوم أحد من جراء الضوضاء التى يحدثها صوت حصاده جاره(Z) عبر الشارع. ونظرا للقيود الثقافية التى تحول دون توجيه أى إعتداء من قبله نحو جاره ، فإنه قد أقنع نفسه بأن يطلب من جاره بطريقة مهذبه كل أحد أن ينتظر حتى المساء . وفى يوم ما ، بينما كان الشخص (X) فى طريقه إلى جاره (Z) لعرض رجائه ، كان جار له آخر هو (y) فى طريقه إلى (Z) . الجار الآخر (y) شتم (Z) وهدده بإيذائه بدنيا. ودون حتى إنتظار لرد فعل الشخص (Z) على هذا الهجوم أصبح الشخص (X) أيضا عدوانيا نحو جاره (Z)

أى حدث تحول مفاجئ فى طريقه تعامله معه من مهادن إلى مشاجر. فكان عدوى لصابته.

وعلى إعتبار أن المؤشر الإجرائى للعدوى السلوكية هو مستوى الإنحدار لإحجام الملاحظ فى صراع الإقدام- الإحجام ، فقد ناقش ويلر ماهية التغيرات التى قد تطرأ على النزعة للإقدام أو الإحجام فى مراجعته لأبحاث العدوى ، وخلص من مناقشته تلك إلى مافيه تأييد لما ذهب إليه. إنتهى بعدها إلى مجموعة من الإستنتاجات التى تشكل فى مجموعها محاور لنظريته . ويتلخص ما إنتهى إليه ويلر فى محورين:

١) العوامل المساعدة على إنتشار السلوك بشكل معدى.

٢) إفتراضات وتنبؤات حول خصوصية السلوك العدوى.

أولا: العوامل المساعدة على العدوى.

من العوامل التى تعزز من تفشى عدوى السلوك عن طريق المحاكاة للنموذج أو القدوة :

١- الأمن المدرك للموقف وجاذبية الموقف زو ما أسماه ويلر (تعين التلاؤم فى الإستجابة Specifity of Response Maching).

٢- عواقب سلوك النموذج ، أو العائد المقدر عند الآخرين كعاقبة لتصرفاتهم .

٣- النموذج نفسه : سماته الخاصة والعامة كالمظهر والمكانة.

٤- سمات الملاحظ نفسه ومدى قابليته للتأثر بالعدوى.

٥- مركز القيود Locus of Restraints.

٦- الإحساس باللاتفرد.

ويفسر ويلر تأثير هذه العوامل فى سياق ما أورده من مضامين وإستنتاجات تتعلق بإحتمالية ظهور العدوى . إنطوت على إفتراضات وتنبؤات تشكل قاعدة نظرية لبلورة فرضيات قابلة للقياس، وهو ما ميز جهده عن جهد غيره.

ثانيا: الإفتراضات والتنبؤات

لقد إنتهى ويلر إلى مجموعة من الإستنتاجات تمثل فى مجموعها جوهر الإفتراضات والتنبؤات التى تقوم عليها نظريته فى العدوى، نعرض لها فيما يلى:

١- يعزى نجاح العدوى إلى الأمن المدرك للموقف، بما يعنيه من زوال القيد المقيد للسلوك. وإعتمادا على القوى المبدئية لإنحدار الإقدام والإحجام، فإن سلوك الملاحظ ، قد يكون أو لا يكون نتيجة محاكاة تامة لسلوك النموذج . فتجارب من سبقوه انتهت إلى اقدام الأفراد للعب بما هو محرم عليهم اللعب به من العاب ، يحدث فقط عند رؤيتهم القدوة يلعب بها. كما أن لديهم نزعة للعب باللعبة الأكثر جاذبية بغض النظر عن لعب القدوة بها (١٢٣). وهذا يوحى بأن عدوى السلوك مقيدة وليست مطلقة ، إذ ليس بالضرورة أن يكون الإنتشار للسلوك دوما عن طريق العدوى.

٢- إحتمالية ظهور السلوك العدوى تكون أكبر عندما يكون الإنحدار فى الإحجام أعلى ولو قليلا من الإنحدار فى الإقدام . فإذا كانت القيود كافية لمنع التعبير الظاهرى لنزعة الإقدام ، فإن الخفض القليل للخوف سوف يكون كافيا لإحداث سلوك الإقدام. وإذا كانت القيود أقوى من نزعة الإقدام، فإن قدرا من خفض الخوف يصبح ضروريا لإحداث التغيير فى السلوك . وإذا كان مستوى الإنحدار فى الإحجام دون مستوى الإنحدار فى الإقدام ، فإن الملاحظ

سوف يؤدى السلوك سواءكان النموذج(القدوة)حاضراأم غير حاضر(١٢٤).

٣- ان الملاحظ فى إتيانه لما أقدم عليه النموذج يؤدى السلوك نيابة عن النموذج ويخبر عواقب السلوك خبرها النموذج فى الظاهر (١٢٥). ويتنبأ ويلر بأن التدنى فى مستوى الإحجام سوف يكون على قدر مكافأة النموذج أو عقابه.

٤- تشير نتائج الدراسات المتعلقة بتأثير مكانة النموذج إلى ان السمات العامة للنموذج لها نفس التأثير المباشر الناجم عن سلوكه . وعلى مدى ما يظهر بأن النموذج قد كوفئ أو عوقب- بحكم مكانته - على أى سلوك يرتكبه، فإن مستوى إحجام الملاحظ عن الإتيان بأى سلوك يأتيه النموذج سوف ينخفض (١٢٦). وفى هذا تأييد لما سبق للبيت وزملائه (١٢٧) أن تنبؤا به.

٥- من سمات الأفراد الأكثر قابلية للتأثير بالعدوى أنهم من ذوى الوجاهة.

لا يظهر عليهم أو تسلط أو تقدير عال للذات. كما أن العدوى تتأثر بارتفاع الحالة الفزيولوجية غير العادية . وقد ذهب البعض إلى القول بتأثير الجنس (١٢٨) ومثل هذه النتائج - فى رأى ويلر - ذات أهمية لأنها توحى بأن للتنشئة الإجتماعية دورها فى تشكيل الميول وفرض القيود بما يؤثر على القابلية للعدوى بطرق مختلفة ، على أن ذلك يتوقف على نوعية السلوك المرتبط بالعدوى.

٦- ان خفض القيود أو المخاوف وسيط فى ظهور العدوى. ومن ثم يصبح من المفيد عند التنبؤ بالعدوى أن ندرك بإن مركز القيود Locus of Restraints قد يتغير من موقف لآخر. وما دام الأمر كذلك، فإن ما يخشى

منه يجب أن يتغير (١٢٩). وهذا يعني أن المحددات الموقفية للعدوى قد تتغير . ومن أهم مراكز القيود التي يمكن التنبؤ بها:

أ) الجماعة : في حالة غياب قدرة الفرد بذاته على ضبط اندفاعه Impulse Control تكون القيود المقيدة لسلوكه صادرة عن الجماعة – Group Derived ، على أساس خشيته من رفض الجماعة له . والنموذج الأكثر فاعلية يفترض أن يساند بكل وضوح العمل بمعايير الجماعة. فإذا أتى مثل هذا الفرد تصرفا محرما في عرف الجماعة. فهو في الحقيقة يعلن للملأ بأن الجماعة لم تعد تحرم ذلك التصرف لأنه شخص من غير المحتمل أن يرفض ما تدعوه إليه الجماعة وبهذه الطريقة يخفف من مخاوف الملاحظ. لكن إذا كان هنالك تباين كبير جدا في المكانة بين النموذج والملاحظ ، فرن الملاحظ قد يشعر بأن النموذج يبالغ في إستخدام ما ليس له مما هو ملك لغيره Idiosyncrasy Credits. وفي مثل هذه الحالة سوف ينتفي تأثير النموذج في التخفيف من مخاوف الملاحظ. ومن ثم لا تظهر العدوى . ومتى كان الملاحظ متعلقا بالجماعة ولاجماعات لديه غيرها كبديل مرغوب ، فإن خوفه من رفضها له يكون كبيرا . ويفترض ان تقل إحتمالية ظهور العدوى. وإذا ما عبر أعضاء أخرون في الجماعة عن عدم إقرارهم لتصرف النموذج فإن العدوى لن تظهر . ويكون مثل هذا التأثير أكثر وضوحا عندما يكون عدم الإقرار بالتصرف صادرا من أعضاء يتبوأون مكانة عالية في الجماعة وبصورة عامة ، عندما تكون الجماعة مصدر القيود ، ويأتي عضو منها تصرفا محرما فمن المفترض أن ينتشر السلوك بسرعة خلال الجماعة . وكل عضو يؤدي التصرف يخفف من القيود أكثر(١٣٠).

ب) الذات العليا للملاحظ : فى موقف مختلف ، قد يكون مركز القيود الذات العليا للملاحظ. فالملاحظ يخاف الذنب وقد يندم على تورطه فيه . وتصرف النموذج يفترض أن يخفف بطريقة ما من توقع الذنب المحتمل عند الملاحظ من خلال جعله التصرف يبدو أكثر صوابا وأقل خطأ. وفى حالة ان مصدر القيود هو الذات العيا، تصبح أخلاقيات النموذج على درجة عالية من الأهمية . فالأدنى خلقا لن يخفف من مشاعر الخوف عند الملاحظ. ومن ثم يجب أن يتمتع النموذ بمستوى أخلاقى أعلى ولو قليلا من الملاحظ حتى يحظى بالقدرة على التأثير بفاعلية أكثر . والذى يمكن التنبؤ به : أنه متى أدى النموذج السلوك دون ذنب ظاهر أو إستجابات خوف . فمن المفترض أن تنخفض مخاوف الملاحظ (١٣١).

ج) رموز السلطة : وفى موقف اخر ، قد يكون مركز القيود رموز السلطة. والظروف المثالية لإستحداث العدوى فى مثل هذا الموقف معقدة. وكما اشار ويلر سابقا من أن النموذج الأكثر فاعلية عادة ما يكون ذلك الشخص الذى يستطيع أن يفلت من معاقبة الآخرين له على سلوكه . وفى العادة أن الشخص الذى ينطبق عليه مثل هذا الوصف تماما لا يكون نموذجا فعالا فى التخفيف من تأثير قيود السلطة . لأنه ليس عرضة فى الأصل لقيود السلطة. فليس من المحتمل لسيارة الشرطة المسرعة أن تخفف من القيود المفروضة على تجاوز السرعة عند الملاحظين لها .

إن النموذج الأكثر فاعلية فى التخفيف من قيود السلطة هو من يستطيع أداء السلوك فى حضور السلطة دون عقاب من قبل صاحب السلطة. بالإضافة لذلك، يجب أن يظهر النموذج بأنه معرض لنفس قيود السلطة مثله الملاحظ. وتأثير رموز السلطة فى التخفيف من وطأة القيود تختلف عن تأثير سلطة الذات العليا فيما يتعلق بالتشابه بين الملاحظ

والنموذج . فالتشابه متغير يبدو أن لا علاقة له بالتأثير . فالخوف من العقاب في حالة قيود السلطة مصدره خارجي . وأي نموذج يؤدي السلوك دون تعرضه لعواقب سلبية سوف يخفف من القيود ، بغض النظر عن التشابه بينه وبين الملاحظ(١٣٢).

ويؤكد ويلر بأن ما أورده في مناقشته لمراكز القيود من قبيل التمثيل لا الحصر . إذ لا يخالجه بأن هنالك مصادر للقيود لا تحصى . ولا يقصد من هذه الأمثلة التلميح بأن الموقف المعتاد محصور بمصدر واحد فقط . إن ما قصده هو مجرد إقتراح القيمة التنبؤية لتحديد مراكز القيود.

٧- عواقب العدوى بين الأشخاص : يتنبأ ويلر بأنه بعد ظهور العدوى في موقف يكون فيه الملاحظ لا يعاقب على سلوكه . فإن الملاحظ سوف يرتاح للنموذج أكثر من ذي قبل . لشعوره بأنه أكثر شبها به من وجوه عدة . فيزيد ذلك أكثر من إحساسه بعدم الإنفراد بالتصرف . وفي هذه الحال يعتبر الإحساس باللاتفرد نتيجة حتمية لخفض القيد، لا سببا في خفض القيد كما يراه فستنجر وزملاه (١٣٣) . ويؤكد ويلر بأن العدوى ليست بالضرورة مقصورة على السلوك الغير مرغوب إجتماعيا، على الرغم من أن الأهتمام في نظريته إنصب على كل سلوك يرى فيه الملاحظ إحتمالية تسببه في عواقب وخيمة لكل من يتورط فيه .

ثالثا : إفتراض التكثف البدني : Physical Density

على الرغم من إيمان فريدمان وبرلك (١٣٤) بتعدد التفسيرات المقدمة للعدوى وتنوع الشواهد الخاصة بهذه التفسيرات . وأن كلا منها يمكن أن يلعب دورا ما في العدوى.، إلا أنهما يضيفان متغيرا يريان بأنه لم يحظ بإهتمام من سبقهما على الرغم من تأثيره على إحتمالية ظهور العدوى، ذلك

هو : التكثف البدنى Pysical Density . وفى تفسيرها لتأثيره على العدوى يريان أن التكثف البدنى يعمل عن طريق التأثير على مدى وضوح Salience الاخرين من الحاضرين . إذ كلما زاد تكثف الناس فى حيز معين، فإن جزءاً كبيرا من المجالات البصرية والإحساسية لكل فرد تصادر من قبل أولئك الناس . وقد تمكنا من إختبار هذا الإفتراض ، عن طريق تصميم تجربة تضمنت مجموعات من الأفراد يستمعون لأشرطة فكاهية فى أوضاع متباينة من الكثافة البدنية ما بين عالية ومتدنية ، وفى حضور متعاون فى إجراء التجربة كنموذج. هذا المتعاون كثيرا ما يضحك ويبتسم . وكان النتيجة أن التكثف العالى للأفراد والمصحوب بضحكات النموذج تزاداد معه عدوى سلوك النموذج ، بينما لم يظهر ذلك التأثير فى المجموعات الأخرى . وإنتهيا إلى صحة ما إفترضاه من أن التكثف العالى للأفراد يزيد من عدوى السلوك بينهم . وهكذا يصبح التكتل الفيزيائى لتواجد الأفراد فى وسط ما عاملا اخر يمكن من ظهور العدوى . وعلى أى حال ، هذه النتيجة لا تتعارض مع تأثير إحتشار الناس أو تجمهرهم فى جموع وما يفضى إليه الإحتشاد من عدوى للسلوك . وما أنتهى إليه فريدمان وبرلك حول تأثير التكيف فيه تأييد لتأملات لوبون (١٣٥) وبلومر (١٣٦) حول تأثير الجموع على سلوك الأفراد . ولك أن تتخيل تدافع الأفراد فى موقف ما وتأثير هذا التدافع الحركى على شيوع تأثير المثير له (١٣٧).

خلاصة

مما سبق عرضه حول الإتجاهات الرئيسة فى تفسير عدوى السلوك يتضح لنا بأن جهود القائلين بها أصحاب الاتجاهين متشابهة حول حقيقة العدوى والمتغيرات التى تحكم ظهورها. وإن كان هناك إختلاف فهو إختلاف منهجى يتعلق بنطاق السلوك ومستوى تحليله. فأصحاب أتجاه التحليل التصورى يرونها خاصة بنمط معين من السلوك هو السلوك الجمعى . وأولوا عناية أكبر لأبعادها السيكولوجية كما نحو منحا تصوريا فى وصفها . وأصحاب الإتجاه التجريبى يعممون العدوى على كافة أنماط السلوك ، مرغوبا أو غير مرغوب ، على مستوى الفرد والمجموع . كما أنهم التزموا منحا أكثر توازنا حين إهتموا بالأبعاد الموقفية للسلوك كالخصائص الإجتماعية للنموذج أو القدوة . علاوة على إلتزامهم منهج التجريب .

إستنتاجات ومضامين

حاولت هذه المقالة تقديم وجهة نظر حول إحتمالية انتشار السلوك بشكل عدوى أو ما اصطلح على تسميته بنظريا العدوى (١٣٨) رغبة فى التعريف على المتغيرات التى تحكم عملية الإنتشار للسلوك وفقا لهذا الميكانزم. وتركز الإهتمام على الإفتراضات التى تقوم عليها احتمالية الإصابة بعدوى السلوك فى محاولة للخروج بإستنتاجات تتعلق بهذه الإحتمالية وما تنطوى عليه من مضامين نظرية أو تطبيقية لها إرتباط بواقع ممارستنا اليومية . خلالها عرضنا لإتجاهين رئيسين فى تفسير الظاهرة الأول: تحليلى تصورى يرى خصوصية السلوك الذى يمكن أن يسرى بشكل عدوى حيث يؤكد القائلين به على نمط السلوك كمحدد لإنتشاره عدويا. وفى وصف لوبون لسلوك الحشد (١٣٩) وفى المقابلة التى أجراها بلومر (١٤٠) بين الإستجابة النائرية المشكلة للحشد والتفاعل التأويلى المميز للجماعات

العادية ما يشير إلى هذه الخصوصية . والثانى : اجرائى تجريبى يرى إماكنية إنتشار كافة انماط السلوك بشكل معدى ويؤكد على مدى تواجد القدوة فى السلوك ليساعد على إنتشاره. ولكل منها شروطه فى إحتمالية ظهور مثل هذا الإنتشار ما توفرت شروط الإنتشار التى يراها. فالوسط الجمعى عامل مسهل لعدوى الإنتشار عند أصحاب الإتجاه الأول. لأنه يفضى إلى تماثل فى الإستجابة . بينما النموذج أو القدوة امل حاسم فى إحتمالية الإنتشار عند أصحاب الإتجاه الثانى . لأنه يخفف من وطزة القيد على السلوك ويخفض من درجة توقع العقوبة . وقد فصلنا فى هذا كثيرا فى متن البحث . وسوف نحاول الان الوقوف على بعض الدلالات والمضامين لما قيل.

أ) مضامين نظرية :

من واقع العرض السابق يتضح لنا بأن عدوى السلوك تمثل عملية تأثير إجتماعى . قوامها متغيرات نفسية وإجتماعية . تتبلور فى صورة قوانين تحكم السلوك البشرى تحت ظروف موقفية خاصة. ومن ثم لا يتأتى لها تأثير دون توفر تلك الظروف. إذ هى بمثابة الشروط لعمل هذه القوانين . فقانون الوحدة العقلية والإستجابة الدائرية ، وما يفضيان به من إنتشار للسلوك فى شكل عدوى لا يمكن أن تعملا تحت ظروف عادية يتمايز فيها الأفراد . وإنما تعمل تحت ظروف تعميق العمل الطبيعى لقوى الأفراد حيث الغفلة وتقييد الإنتباه وتعطل الإرادة . كما أن الشروع فى السلوك من قبل فاعله كنموذج ضرورة لعدوى السلوك ، لما له من تأثير فى تخفيف القيد المعيق للسلوك أو خفض للعقوبة المترتبة على إتيانه . وفى كلا الحالتين ، نعتقد بأن الحضور للآخرين سواء كان واقعيا أو متخيلا يمثل جوهر التأثير . لأن عدوى السلوك تعنى الإنتشار للسلوك من خلال محاكاة وتقليد من تسبب فيه من الاخرين . وعدوى السلوك بطبيعتها فعل متعد من الفرد

للاخرين . ولن يتأتى التعدى مالم يتواجد طرف اخر فى العلاقة هم الاخرين . وبغياب الطرف الآخر ينتفى التأثير ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، يمكن القول بأن التأثير مقصودا أو غير مقصود . وأوضح أشكال غير المقصود المحاكاة والمنمذجة . وفى أى من الحالتين ، النتائج هو تغير ملحوظ فى السلوك مصدره الاخرين (١٤١). والميزة الأساسية لتأثير عدوى السلوك أنه تغير فى السلوك غير مقصود(زمناسبه محاكاة الاخرين وإتخاذهم نماذج . ولعل فيما سوف نسوق من إستنتاجات ونطرح من تأملات وتساؤلات ما يقود إلى الكشف عن الأبعاد المختلفة لطبيعة هذا التأثير :

١- إن من أبرز السمات المميزة لتأثيرات العدوى غياب الضبط المعتاد للسلوك وقبوله لا إراديا دون نقد أو تمحيص أو نية فى التأثر والتأثير من قبل المؤثر والمتأثر به . كما أن التأملات المختلفة لظاهرة العدوى تشير إلى محدودية الإستجابة المعدية. فالعدوى طارئة ومرهونة بمواقف محددة مما يشير إلى إمكانية التحكم بتأثيراتها . وأبعد من ذلك أن الشواهد توكد على الخاصية المعرفية للعدوى السلوكية . تجلى ذلك فى عمليات المحاكاة والتقليد والإيحاء وتأثيراتها من وحدة عقلية وإستجابة دائرية وما يرتبط بها من غياب للوعى وعدم الإحساس بالمسئولية . وإذا سلمنا بمثل هذه الخاصية للعدوى السلوكية فإننا نتوقع بان زيادة الخبرة والمعرفة تأثيرها فى زيادة الوعى بالسلوك وسرعة تعديه . ويبقى السؤال : هل لزيادة المعرفة بالمثير ما يساعد أو يحد من قبول التأثير . وبالتالى تسهيل أو إعاقة عدوى الإصابة بالسلوك ؟. ثم أى الأوساط الإجتماعية أكثر قابلية لتفشى السلوك عن طريق العدوى وما علاقة ذلك بالمستويات المعرفية لأفراده ؟. وهلى تتأثر هذه القابلية بالسمات الشخصية لهم؟ وما علاقة السمات الشخصية للأفراد فى القدرة على التأثير المعدى ؟ حيث نلحظ فى بعض الأفراد خاصية القدرة على نقل ما لديهم إلى

الآخرين بيسر وسهولة وبالمثل سرعة تأثر غيرهم بهم . وأبحاث ديناميات الجماعة والتأثير الإجتماعي توكد هذه الخاصية (١٤٢) . ونستطرد متسائلين : هل يتباين الأفراد في الإستجابة لمثل هذا التأثير ؟ وهل للمعرفة في مراحل نموها المختلفة تأثيرها على القابلية للعدوى ، بمعنى أن القابلية للعدوى تختلف من مرحلة عمرية لأخرى تبعا للتباين في النمو المعرفي . ثم ما مدى تأثير عملية التنشئة الإجتماعية في أساليبها ومخارجها من إعتمادية أو استقلالية على القابلية للتأثر بالعدوى ؟. وما دور أساليب التنشئة غير الموفقة التي قوامها التشدد في القيد والتسلط أو التساهل والتذبذب وتأثيراتها من تعزيز للإعتمادية وإيثار للتبعية وتهميش للقوى العقلية في التهيئة للإصابة بالعدوى السلوكية ؟. ما علاقة مظاهر التطابق أو التنافر بين مخرجات وكالات التنشئة (أسرة ، مدرسة ،إعلام) بتسهيل عدوى السلوك غير المرغوب ؟. وعلى مستوى المجتمع والأمة ما تأثير أساليب السلطة في معالجة مشكلات الأمة على طبيعة إنتقال السلوك؟. وهل للتباين الثاقفي في خلفيات الأفراد تأثيراته المعرفية في إحتمالية شيوع السلوك عن طريق العدوى من جماعة لأخرى ومن مجتمع لآخر ؟.

٢- الجهود السابقة أشارت إلى تأثير الخصائص الإجتماعية للأفراد كالقيادة والمكانة وأساليب ممارسة النفوذ على عدوى السلوك(١٤٣) على إفتراض أن قوة تأثير العدوى تكمن بما تنطوي عليه من هيبة وقوة ونفوذ . ولا شك أن حيازة الفرد لمؤهلات النفوذ تعزز من هيبته في بسط النفوذ والسيطرة بالقوة . كما أن الدراسات المعاصرة أثبتت تفشي السلوك بشكل معدي في أوساط خاصة كالأوساط التنظيمية الرسمية (١٤٤)مما يوحي بإحتمالية تأثير الخصائص الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية للجماعات والمجتمعات والشعوب على عدوى السلوك. وإلا كيف يفسر

الإنتقال السريع لأنماط السلوك بين الشعوب ، خاصة إنتقاله بإتجاه واحد من شعب دون لخر . كما هى الحال فى تفشى ممارسات شعوب الأمم المتقدمة بين أوساط العامة والخاصة من أفراد الدول النامية رلى الدرجة التى يصدق عليهم فيها قاعدة العلاقة بين الغالب والمغلوب لإبن خلدون (١٤٥)؟. وماذا يعنى إنتشار السلبى منها على وجه الخصوص ؟. وهل تمثل هذه القاعدة مبدأ نفسيا يحكم ظاهرة العدوى فى ضوء قانون القوة أو النفوذ لبيتربلاو(١٤٦) Blau, ؟.

٣- تؤكد النظرية المعرفية فى تفسير الإنفعالات بأن للمعرفة كما وكيفا أثرها فى توجيه الخبرة الإنفعالية والتحكم بالإثارة الرنفعالية (١٤٧). يظهر ذلك فى تأرجح السلوك بين التراخى والحدة والحكمة والإرتجال والمنطقية والغوغائية ، من فرد لفرد ومن جماعة لأخرى ومن موقف لاخر، بل ومن ثقافة لأخرى . ومفهوم العدوى السلوكية ينطوى على إنتقال للإنفعلات ، كما عرضت لذلك الجهود السابقة لأصحاب الإتجاهين ودعمت ذلك الأبحاث النفسية البيولوجية المعاصرة لسلوك لفزع Panic (١٤٨). مادور المعرفة – إذن – فى تحديد نمط الإستجابة للعدوى السلوكية (كثافة وإتجاها) وهل هذا الزمر يختلف من نمط سلوكى لآخر؟ لانشك أن لبناء الأفراد المعرفى تأثيره فى تحديدطبيعة لإستجابة المستثارة والخبرة الإنفعالية المصاحبة للعدوى . ما أورده لوبون (١٤٩) من أمثلة واقعية ينطوى على مضامين من هذا القبيل.

٤-عدوى السلوك تقود الى تشابه فى السلوك مادام أنها تنتهى بوحدة فى الإستجابة.والبعض أشار الى تأثيرمتغير التشابه فى عمل العدوى(١٥٠). مادور متغير التشابه فى حدوث عدوى السلوك؟. وهل ما نشاهده من ظواهر يحكمها مبدأ التشابه تمثل عدوى للسلوك أو أن العدوى تقود إلى تشابه؟. كيف تحسم العلاقة السببية بين متغيرى العدوى والتشابه، لاسيما أن بحوث

التشابه تؤكد على أهمية متغير التشابه فى الإدراك والإقناع والجاذبية بين الأشخاص (١٥١). إن الكشف عن هذه العلاقة التبادلية وتحديد إتجاهها له أهميته فى زيادة فهمنا لعمليات الإدراك والإقناع والإمتثال والتماسك والعدوى(١٥٢).

٥- تعبر الإشاعة عن إستجابة معرفية جمعية تحقق لها الشيوع بين الجموع . ما وجه الشبه بينها وبين العدوى فى طبيعة تكوينها وتأثيرها والمتغيرات التى تحكمها؟. وهل الإشاعة فى حقيقتها عدوى سلوكية أم أن مفهوم العدوى يمثل منظورا معرفيا لتفسير الإشاعة ؟. وما يقال عن الإشاعة يقال عن الدعاية والدعاية السياسية على وجه التحديد . إذ غالبا ما يستخدم الباعة والساسة هذين الإسلوبين كتكتيك إقناعى لإحداث إجماع مضلل بين الجمهور حول قضية ما . وفى تحليل دورندان (١٥٣) للدعاية السياسية إيضاح واف لفاعلية هذه التأثيرات.

٦- تمثل ضغوط الجماعة أساسا فى مسايرة الأعضاء لمعاييرها . ويستجيب الأفراد للضغوط طلبا للقبول أو تجنبا للعقاب (١٥٤) . والعدوى عن طريق خفض القيد وتخفيف العقوبة توحى بإمتثال مغاير فى إتجاهه لمعايير الجماعة . هل خفض العقوبة وتخفيف القيود تمثل مصادر أخرى للضغوط ؟. وإن كان الأمر كذلك ، فما طبيعة هذه الضغوط ، معيارية أم معلوماتية؟. أن ما تشير إليه العلاقة من مفارقة هو أن فى الإلتزام المعتاد للمعايير ضغط نحو المسايرة . وفى استجابة العدوى الطارئة ضغط نحو المغايرة أو الخروج على الجماعة . ومثل هذا التأمل يوحى بإقتران العدوى بغير المرغوب من السلوك ، فى حين يذهب ويلر (١٥٥) الى القول بإمكانية عدوى المرغوب من السلوك ، على أننا نرى بأن الأمر ، فى أى من الحالين ،

محكوم بنوعية السلوك المطلوب ، فقد يكون فيما تنادى به معايير الجماعة ما ليس مرغوبا وفى ما تقترحه وسائط العدوى هو المرغوب والمطلوب ولعل فى هذا الإفتراض ما يفسر سرعة إنتشار بعض أنماط السلوك دون غيرها كما نشاهد فى الموقف من المستحدث والغريب . كما أن ضغوط العمل وضغوط الموضات والموسم تشير إلى تفشى ظواهر إجتماعية بطريقة تبدو وبائية كالذى تتحدث عنه عناوين الصحف والمجلات من وباء الإدمان على العمل عند اليابانيين (١٥٦) وحمى السفر عند السعوديين (١٥٧) أوالتهافت فى الحصول على الدرجات العملية (١٥٨) وهوس كرة القدم (١٥٩) والبوليميا أو مرض النهم (١٦٠). ما تأثيرات هذه الضغوط الموقفية على العمليات العقلية للأفراد ودوافعهم اللاشعورية وخبراتهم الشخصية ، وما ينجم عنها من عدوى سلوكية ؟. قد يكون فيما إنتهت إليه دراسة كوليجان ومورفى (١٦١) , Colligan & Murphy مثال حى لمثل هذا التأثير .

٧- أشارت جهود التجريبيين إلى الإرتباط الوثيق بين العدوى وخفض القيد والعدوى وتخفيف العقوبة ، وأن المبادرة والتقادم فى المخالفة تخفف من وطأة ضغط القيد بما يزيد من فاعلية العدوى . لكن إذا كان التقييد وإجراء العقوبة أمور مطلوبة لبلوغ سلوكيات مرغوبة . فأى أنماط القيود وأى انواع العقوبات أكثر فاعلية بما يحد من عدوى السلوك غير المرغوب ويحقق الشيوع للسلوك المرغوب ؟ . وأيهما أجدى فى بلوغ المطلوب : خفض القيود أو تقليص الحدود؟. ثم ما مدى ما تسببت به القيود المفروضة كرها أو قسرا من أنتشار لما هو غير مرغوب ، حتى صدق فعلها القول المأثور « كل ممنوع مرغوب »، لا سيما إذا ما ادركنا بأن الحكمة من فرضها هو الحيلولة دون شيوع ما هو مرفوض ؟. لعل السبب فى تدنى فاعلية القيود فى مثل هذه المواقف يعود لنوعية القيد ومدى مناسبته لمقتضى الحال لا لذات القيد . إذ لا

انتظام ولا نظام دون قيد . لكن أى القيود أنجع ما كان خارجيا مصدره الآخرين أم ما كان داخليا مصدره الفردنفسه؟ أبحاث التعلم الإجتماعى(١٦٢) والإمتثال (١٦٣) توكد على أهمية التحكم والضبط الذاتى لا الضبط الخارجى . وفى المأثور من قيمنا ومثلنا ما يؤكد على أهمية الرقابة الذاتية لا الخارجية.

٨- إن القدرة على التمييز بين خصائص السلوك المعتاد والدعوى يسهل من عملية التعامل مع أى منهما بفاعلية ، بتحديد الإسلوب الأمثل للتعامل بما يتوافق وخصائص كل منهما . وفى هذا توفير للجهد والوقت عند التعامل مع الحوادث والوقائع ، وفى تقدير قيمة العائد فيما يرسم من سياسات ويصمم من برامج وأمر اخر يتعلق بمشروعية السلوك العدوى . فالعدوى كما تجلى لنا من خصائصها عملية تأثير غير واعية ، مما يعنى غياب الوعى فيما يشبع من سلوك بواسطة العدوى . مع إنتفاء الوعى ينتفى التكليف . فما نطاق التكليف ومتى يسقط التكليف ؟. عليه ، يعذر أو لا يعذر من كان عرضة لعدوى السلوك ، خاصة غير المرغوب .

٩- يلاحظ فى فكرة محاكاة الملاحظ للنموذج أنها الأساس فى إفتراض إنتشار السلوك عدويا عند أصحاب الإتجاه التجريبى . وقد ألح اليه لوبون أيضا فى بالملاحظة (١٦٤)- مما يشير الى أن السلوك العدوى بطبيعته متعلم اومكتسب.ومادام كذلك فإن من الممكن التحكم به بتحويره أو تعديله وتغييره

ب) مضامين تطبيقية :

وعلى صعيد التطبيق ، ما قيمة معطيات هذه النظرية فى تفسير كثير من الظواهر الجمعية فى مجتمعاتنا العربية؟ . لعل فيما سوف نعرض له من تأملات وتسؤلات ما يساعد فى تحديد ما نتوقعه من قيمة :

١- قد يفترض الملاحظ وهذا محض إفتراض بأن كثيرا من إستجاباتنا أشبه ما تكون فى خصائصها بالاستجابات العدية . إذ من الممكن وصمها بالغفلة واللامبالاة والتبعية لا الإستقلالية ، وكل ما يشير الى غياب التعقل والروية مما هو من سمات الإستجابات العدوية . كالسطحية فى الأهتمامات والآنية فى امارسات والإنصراف للملذات والجرى وراء الموضات والإغراق فى الصرف والإستهلاك حتى اضحت مثل هذه الصفات صورة لنا نمطية ومشكلة شبه أزلية (١٦٥). هل الشيوع لهذه الظواهر عائد لمدركات أفراد شعوبنا المرتبطة حتما بأبنيتهم المعرفية ذات العلاقة بأساليب تنشئتهم ، أم لقصور فى إشباع حاجاتهم وإخفاق فى تلبية مطالبهم. وما يثيره ذلك القصور والإخفاق من توترات وإنفعالات يعبر عنها فى صورة إستجابات جمعية ؟.

ماذا عن التباين الطبقى المشاهد والذى يصم العديد من أوساطنا الإجتماعية فى تسهيل إنتشار هذه الأنماط من السلوك غير المرغوب . وأى الشرائح الإجتماعية أسرع إستجابة للعدوى بها ؟، ولماذا؟.

٢- إن الفروق المعهودة عادة بين الأفراد فى إستجاباتهم للمثيرات المختلفة فى بيئاتهم محكومة بنمط تفكير المستجيب منهم لها . وعلى إثره تتنوع إستجاباتهم. وإذا أخذ فى الإعتبار ما أشارت اليه جهود السابقين من تدنى مستوى الوعى تحت تأثير العدوى السلوكية والوحدة النسبية فى التشابه بين الإستجابات ، فالسؤال هو ماذا عن بعض مظاهر سلوك أفراد مجتمعاتنا من تلك التى تشير إلى تشابه فى الإستجابات وتوحى بتدن فى نمط التفكير بينهم؟. فما يبدو شائعا الأهتمام بالفروع على حساب الأصول، والتركيز على الثانويات دون الأولويات ، والأخذ بالسلبيات ، وتجاهل الإيجابيات ، والولع بالصغائر وإهمال الكبائر ، والعزوف عن الإبداع وإيثار

التقليد . ومن الملاحظ أيضا أننا نبدو فى أسرع الناس إستجابة لمثيرات إجتماعية معينة دون غيرها مع غياب للتوافق بين مستوى الإستجابة الإنفعالية وطبيعة المثير لها . مما يشير الى خلل فى التفكير القائم بالطبع على طبيعة المعرفة المتعلقة بالتقدير للمثير . نلحظ ذلك فى القرار السياسى المرتجل والتخطيط الإدارى غير المنتظم وإسلوب التعامل فى المدرسة والشارع والمنزل حتى غشى مواقفنا وباء ردود الأفعال لا إستراتيجيات الأعمال. لا يستثنى من ذلك قادة او مقودين (١٦٦). هل هنالك ما يشير الى هبوط فى مستوى التفكير مشترك قاد الى هذه الانماط من السلوك ؟. وهل لإسلوب معالجة هذه الأنماط ومستوى الأهتمامات بين الأفراد ما يساعد على تفشيها بشكل معدى ؟. ما نطاق الإتهام الذى من الممكن أن ترمى به مؤسساتنا إجتماعية كانت أو سياسية ، إدارية أم إقتصادية ، تربوية أو إعلامية فى التهيئة لمثل هذه التأثيرات السلوكية ؟. إن الأمر بحاجة إلى إستقصاء وتدبر ودراسة عن عمق وبتمهل .

٣- إن مما يميز ممارسات جماهيرنا العربية كظاهرة عدوية أنسياقها ا بشكل ملحوظ وراء كل دعاية وإشاعة مع أن المأثور من قيمها قد حذر من صعبة إعتمادها أساليب للعمل والتعامل ما صلة هذه الخاصية لشعوبنا بالبنية المعرفية والمجال الادراكى لأفرادها؟. وهل لمعطيات الأوساط الإجتماعية المحيطة بهم (سياسية او إقتصادية أو ثقافية وإعلامية) دور فى هذا التميز؟(١٦٧)

٤- الجهود السابقة ألمحت الى وجود إرتباط بين ظهور العدوى والاعلام (١٦٨). ما دور الإعلام العربى بقنواته المختلفة كمصدر من مصادر الضغوط المعلوماتية على الأفراد فى التهيئة لعدوى السلوك ، المرغوب منه وغير المرغوب ؟. إن مما يؤخذ على ما يطرح من برامج وأفكار عبر قنوات الإعلام

خلوه من الجدية وإتصافه بالسطحية (١٦٩). ما صلة هذه النوعية من المواد الإعلامية بإهتمامات الناس التى تبدو دونية ومشاعة بينهم بصورة معدية ؟. ماذا عن التأثير الاعلامى ممثلا بالرسائل الموجهة لعموم الجمهور العربى كوسيط لحدوث مظاهر العدوى الإجتماعية للأنماط السلوكية الانفة الذكر بمظاهرها المختلفة ؟. وهل التنافر بين مضامينها ومعطيات واقعة ما يساعدعلى سرعة تفشى السلوك بشكل معدى

٥- أكدت النظرية على دور النموذج فى فاعلية الرنتشار للسلوك . هل لما تقدمه قنوات الإعلام المختلفة لأجيالنا من نماذج غريبة أو شاذة ما أسهم فى إنتشار أنماط من السلوك غير مرغوبة بما فيه مسخ للهوية واقتلاع للجذور؟. وعلى صعيد التأثير الإجتماعى العام ، ما دور قاداتنا وسراتنا كنماذج لشيوع السلوك بخيره وشره ؟. إذ لا نزال نجد فى تفسير الكواكبى (١٧٠) لظاهرة إستبداد الحكام ما يشير إلى إحتمالية الإنتشار للسلوك من القادة للمقودين بشكل معدى . ولعل فى رسالة اليعقوبى (١٧١) عن مشاكلة الناس لزمانهم ما يعزز من هذه الإحتمالية.

٦- الملاحظ أن أنماطا للسلوك الجمعى أضحت شبه مشاعة كالتكتلات والتحزبات على مستوى الجماعات والمجتمعات تؤذن بالفرقة والشتات ، اذ ما قورنت بنوعية التكتلات عند أمم متقدمة ، وليس واقع حالنا اليوم بأحسن منه بالأمس (١٧٢). ما علاقة ذلك بالمستوى الحضارى للأمة والذى يعكس مستوى رقيها المعرفى والعلمى ؟. وهل للأوضاع الراهنة لمجتمعاتنا العربية إجتماعية أو اقتصادية او سياسية تأثيرها على تفشى مثل هذه الظواهر بشكل معدى ؟. وكيف يمكن إستثمار مثل هذه الظواهر الجمعية بطريقة إيجابية بإستخدام إسلوب عدوى عكسية تقضى على تأثيراتها السالبية ؟

وفى الأخير ، نكاد نجزم بأن ما ذهبت اليه النظرية كنموذج للتأمل قريبة من واقع ما يحيط بنا من ظواهر ، ما ذكرنا منه وما لم نذكر إذ أن واقع الحال كما وصف البعض فى معرض حديثه عن البون الشاسع بيننا وبين أمم الغرب أننا نحن العرب فى مأزق حضارى شديد الحرج فقد حلت بنا هذه الموجة العارمة ونحن فى أقصى درجات التشتت والفرقة مهددين بإضمحلال كياننا القومى تحت وقع ضغوط خارجية شديدة وقيود داخلية قاسية » (١٧٣). والسؤال الهام ، هل من سبيل لإنتشالنا مما نحن فيه ولو عن طريق عدوى معاكسة ما توفرت شروط العدوى فى مأزقنا الحضارى ؟.

الحقيقة ، أن الموضوع شائك ويحتاج لمزيد من البحث والتقصى . ولعل فيما ورد من تأملات ما يفضى الى إثراء البحث حول حقيقة العدوى كظاهرة وتأثيراتها الملاحظة ، على صعيد النظرية والتطبيق .

المراجع والهوامش

1- LeBon , Gustave , The Crowd : A Study of the Popular Mind , London : Errest Benn, (1896) 1960 .

2- Tarde, G., The Laws of Imitation . New York : Henry Holt, 1903.

٣- فرويد ، سيجموند ، علم النفس الجمعي وتحليل الأنا (ترجمة جورج طرابيشي) بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٩ (النسخة الأصل ، ١٩٢١).

4- Ross , E., A. Social Psychoogy . New York : Macmillan , 1921.

5- McDougall, W., The Group Mind, (2nd Ed.), Cambridge: Cambridge University Press, 1927.

6- Allport , F.H., Social Psychology , Boston : Houghton Mifflin , 1924.

7- Young , K., Social Psychology , (2nd Ed.), New York : Applenton-Century-Crofts, In1 945.

8- Redle, F., The Phenomenon of Contagion and Shock Effect in Group Therapy , InK. R. Eissler (Ed), Searchlights on Deliqueny , New York: International University Press, 1949. Pp. 315-328.

9- Wheeler , L. Toward A Theory of Behavioral Contagion , Psychological Review , Vol. 73, No. 2, 1966, Pp. 179-192.

10- Blumer , Herbert , Collective Behavior , In Alfred NcClung Lee, (Editor) Principles of Socology , New York : Barnes & Noble books , 1969, Pp. 67- 98.

11- Freedman , J, and Deborah Perlick , Crowding , Contagion , and Laughter , Journal of Experimental Social Psychology , 1979, Vol. 15, 295 - 303.

12- Turner , R.H., & L.M. Killian , The Field of Collective behavior , In Russell Curtis , JR. & Benigno E. Aguirre (Editors), Collective Behavior And Social Movement , Boston : Allyan and Bacon , 1993 , Pp. 5-20.

13- Turner , r. H. & L. M. Killian , 1993.

14- Smith, M.G., Persuasion and Human Action : Areview and Critique of Social Influence Theories . Belmont , California : Wadsworth Publishing Campany , 1982.

انظر ايضا ما قيل عن العمليات المختلفة للتأثير في :Edwards , J. R.S. Tindale & L.Heath , E. Posavac, (editors), Social Influence Processes and Prevention, New York: Plenum Press, 1990.

15- Lebon , Gustave , (1896) 1960.

16- McDougall , W., 1927.

١٧- فرويد ، سيجموند ، ١٩٧٩.

18- Allport , f. H., 1924.

19- Blumer , Herbert , 1969.

20- Festinger , L. Pepitone, A. & Newcomb, T. , Some Consequences of Deindividuation in A group , Journal of Abnormal and Social Psychology , 1952, Vol. 47, Pp. 382-389.

21- Wheeler , L., Smith , S. & Murphy , D.B., Behavioral Contagion , Psychological Reports , vol. 15, 1964, Pp. 159-173.

22- Turner , R.H., New Theoretical Frameworks : Collective Behavior and Conflict . In Edgar F. Borgatta (editor), Social Psychology : Reading and Perspective , Chicago : Rand McNally & Company , 1969 , Pp. 552 - 558.

23- Bandura , albert , social - Learning Theory , Englewood Cloffs, Prentice -Ha;;, 1977.

24- Freedman , J. and Deboraperlick , 1979.

25- LeBon , Gustave , (1896) 1960.

26- Blumer, Herbert , 1969.

27- Redle , F., 1949.

28- Wheeler , L., Smith, s. & Murphy , D. B., 1964.

29- Wheeler , L. 1966.

30-Rapoport, A., Mathematical Models of Social Interaction. In R. D. Luce, R.R. Buch, and E. Galanter (eds.) ,Handbook of Mathematical Psychology . New York : Wiley , 1963,Pp. 493-579.

31- Taibleson, M., Distinguishing between Contagion, Herterogeneity and Randomness In Stochastic Models . American Sociological Review, 1974, Vol. 39, Pp. 877-800.

32- Milgram, S. & Toch Hans , Collective Behavior : Crowds and SocialMovements . In G. Lindzey & E. Aronson, Handbook of Social Psychology (2nd. Ed.) Vol. 4, Reading ,Mass , Addison-Wesley Publication Company, 1969, Pp. 507-610.

33-Tarde , G., 1903.

34- McDougall, W., 1927.

35- Turner, R.H. & L.M. Killian , 1993.

36- Fairchild, H. P. , Dictionary of Socaology , Totowa ,New Jersey : Rowman & Allanheld , 1984. Pp. 279.

37- LeBon, Gustave, (1896) 1960.

38- Buck , Ross, Human Motivation andEmotion, New York , John Wiley & Sons, 1988.

39- Milgram, S. & Toch Hans , 1969. Pp. 550.

٤٠- السلوك الجمعي : إستجابات وأنماط من السلوك متشابهة من قبل بعض الأشخاص الذين يستجيبون لمثير مشترك . ليخضع لمعايير واضحة ويفتقر إلى التنظيم.أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٢، ص ٦٩.

41- LeBon , Gutave, (1896) 1960.

42- Turner , R.H., 1969.

43- LeBon, Gustave, 1960.

٤٤- جلفورد، ج.ب ميادين علم النفس: النظرية والتطبيقية (المجلد الأول) (ترجمة أحمدزكي صالح وآخرين) القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤ ص ٢٥٤.

45- Forsyth, D.R., An Introduction to Group Dynamics, Monterey: Books / Cole Bublishing Company , 1983. Pp. 312.

٤٦- لوبون ، غوستاف ، ١٩٩١م، ص ٥٣.

47- Buck , Ross , 1988. Pp. 533.

٤٨- لوبون، غوستاف ، روح الرجتماع (ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا) القاهرة : مطبعة الشعب ، ١٩٠٩، ص ٣١-٣٢.

٤٩- لوبون ، غوستاف، ٩٩١م، ص.١٣٢.

٥٠-لوبون، غوستاف ، الأراء والمعتقدات (ترجمة عادل زعيتر) الطبعة الثانية، مصر: المطبعة العصرية، ١٩٤٦، ص ١١٨.

٥١- لوبون، غوستاف، ١٩٠٩م. ص ١٥٧.

٥٢- لوبون،غوستاف، ١٩٠٩م، ص ١٥٩.

٥٣- لوبون، غوستاف، ١٩٤٦م.

٥٤- لوبون، غوستاف، ١٩٩١م، ص ١٣٥.

٥٥- لوبون،غوستاف، ١٩٩١م، ص ١٣٤.

٥٦- لوبون، غوستاف ،١٩٠٩م، ص١٦٣.

٥٧- لوبون، غوستاف، ١٩٩١م، ص ١٣٥.

58- LeBon , Gustave, (1896) 1960. Pp. 35.

٥٩-)غوستاف، لوبون، ١٩٩١م.

60- Wood, J. L. & M. Jackson, Social Movement . Development, Participation and Dynamics , Belmont, California : Wadsworth Publishing Company, 1982.

61- Zimbardo, P.G. , The Human Choice : Individuation, reason, and Arnold & D. Levine (eds), Nebraska Symposium on Motivation, Licoln : University of Nebraska Press, Vol. 17, 1970, Pp. 237-307.

٦٢- جلفورد، ج.ب ، ١٩٨، ص ٢٤٩.

٦٣- لوبون، غوستاف، ١٩٩١م ، ص ١٣٤.

64- Rathus, S. A. & J. S. Nevid, Adjustment and Growth: The Challenges of Life, New York: Holt, Rinehart and Winston , 1980.

٦٥- لوبون، غوستاف، ١٩٠٩م، ص ١٦١.

٦٦- لوبون، غوستاف، ١٩٤٦م، ص ١٢٠.

٦٧- لوبون، غوستاف، ١٩٤٦م، ص ١٢٣.

٦٨- لوبون، غوستاف، ١٩٩١م، ص ٧٤.

٦٩- فرويد ، سيجموند، ١٩٧٩.

70- Redle, F., 1049.

71- Blumer, Herbert, 1969.

72- Wheeler, L. 1966.

73- Sennett, R., The Psychology of Society : An Anthology. New York: Vintage Books , 1977, Pp. 117-119.

74- Milgram, S. & Toch Hans, 1969.

75- Blumer, Herbert, 1969.

76- Blumer, Herbert, 1969, Pp. 70.

77- Milgram, S. &Toch Hans , 1969.

78- Blumer, Herbert, 1969, Pp. 71.

79- Blumer, Herbert, 1969, Pp. 75-77.

80- Blumer, Herbert, 1969, Pp. 75.

81- Milgram, S. &Toch Hans, 1969. Pp. 550.

82- Blumer, Herbert, 1969, Pp. 76.

83- Blumer, Herbert, 1969, Pp.77.

84- Forsyth, D.R. 1983, Pp. 313.

85- Blumer, erbert, 1969,Pp. 77.

٨٦- يونغ، كرل، غوستاف، النازية فى ضوء علم النفس (ترجمة نهاد خياطة)، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٢م.

٨٧- محمد الرميحى، حديث الشهر : الخيار الذى يواجهه المسلمون فى البوسنة والهرسك إما الشحن كقطيع، أو مواجهة الذبح مالخراف، مجلة العربى، العدد ٤١٥، يونيو ، ١٩٩٣، ص ١٢-١٦، الكويت: وزارة الإعلام.

٨٨- جريدة الحياة (طبعة الخليج) العدد ١١٤٧٢، لندن: السبت ، يوليو، ١٩٩٤، ص ٨.

٨٩- لوبون و غوستاف، ١٩٩١م، ص ١٣٢ - ١٤٤.

٩٠- شيدلنجر، سول، التحليل النفسى والسلوك الجماعى (ترجمة سامى محمود على) الطبعة الثانية ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٠ ،ص٥٦.

91- Wheeler, L. 1966.

92- Redle, F., 1949.

93- Wheeler, L., Smith, S. & Murphy, D. B., 1964.

94- Wheeler, L., Smith, S. & Murphy, D.B., 1964, Pp. 159.

95- Lippitt, R., Norman Polansky, Fritz Redle & Sidney Rosen, The dynamics of Power : A Field Study of Social Influene In Group of Chilren . In E. E. Maccoby,

T.M. Newcomb & E. L. Hartley (Eds.) Readings in Social Psychology (3rd Ed.), New York : Henry Holt and Company , 1958. Pp. 251-264.

96-Wheeler , L., Smith, S. & Murphy, D. B., 1964, Pp. 160.

97- Lippitt, R., Norman Polansky, Fritz Redle & Sidney Rosen, 1958, Pp. 251.

98- Brown, Roger, W., Social Psychology, (2nd Ed.) , New York, The Free Press, 1986, Pp. 36.

99- Smith , M. G. , 1982, Pp. 183.

100- Lippitt , R., Norman Polansky, Fritz Redle & Sidney Rosen , 1958, Pp. 251.

101- Redle, F.,1949.

١٠٢- يوصف الشخص بانه مازوكى عندما يجد اللذة فى المهانة والإذلال الذى يقع عليه من قبل الطرف الآخر. فالمازوكية او المازوخية مصطلح يشير إلى حالة التلذذ بسوء المعاملة اصدر من الاخرين ضد لفرد. وتقابلها السادية . والسادية لفظ عام يستخدم لوصفذلك النوع من ردود الأفعال التى ترتبط بالحصول على اللذة من جراء الحاق الأذى بالأشياء. ويوصف الشخص بأنه سادى للدلالة على حبه القسوة والفضاضة والتلذذ بتعذيب الطرف الأخر فى العلاقة. وكذا ميله المتسلط لصب العدوان وروح الإنتقام والإستغلال والإذلال والتثبيط للشخص الآخر (كمال دسوقى، ذخيرة علوم النفس ، المجلد الأول، القاهرة:الدار الدولية

للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص ١٢٩٧). والسادسة المازوكية Sado-Masochism تشير إلى ظرف اتحاد بين اتجاهين خضوع وعدوان في علاقات الفرد الإجتماعية باشخاص أخرين. فالفرد يكتسحه العدوان والخضوع في أن واحد بطريقة تجعله يرغب في تحطيم الشخص الآخر وفي ذات الوقت الريقاء عليه. وعندما تتوفر درجة عالية من روح التحطيم في العلاقة بين شخصين يمكن أن نتكلم عن سادية مازوخية (المرجع نفسه ، ص ١٢٩٩).

١٠٣- ريل في شيدلنجر ، ١٩٧٠، ص ٥٨. وللمزيد ، انظر تأملات وتطبيقات لهذه المفاهيم في التدريس والصحة العقلية في:

Redle, F. & W. W. Wattenberg, Mental Hygiene In TEaching , (2nd Ed.), New York : Harcourt, Brace & World , Inc., 1959.

104- Wheeler, L. 1966, Pp. 179.

١٠٥- شيدلنجر، سول ، ١٩٧٠م، ص ٥٦.

106- Lippitt, R. Norman Polansky, Fritz Redle & Sidney Rosen, 1958 , Pp. 255-264.

١٠٧- شيدلنجر ، سول ، ١٩٧٠م.

108- Lippitt, R., Norman Polansky, Fritz Redle & Sidney Rosen, 1958 , Pp.264.

١٠٩- شيدلنجر، سول ، ١٩٧٠م، ص٦٥.

١١٠- شيدلنجر، سول ، ١٩٧٠م، ص ٥٧.

١١١- شيلنجر، سول ، ١٩٧٠م، ص ٥٩.

١١٢- ماوردعن جهود ردل (١٩٤٩)فى هذا الجزء منالبحث إعتمدنافيهفى الغالب عليكتابات سول شندلنجر، ١٩٧٠ وقد أشير إلى مواضع الإستعانة حيثاقتضت الإشارة.

113- Redle, F. , 1949.

114- Wheeler,L., Smith, S. &Murphy, D. B., 1964.

115- Wheeler,L., Smith, S. &Murphy, D. B., 1964,Pp. 170.

116- Wheeler,L., Smith, S. &Murphy, D. B., 1964.

117- Wheeler,L., Smith, S. &Murphy, D. B., 1964, Pp. 172.

118-Brehm, Jack, W., A theory of Psychological Reactance, In Edwin P. Hollander & Raymond G. Hunt , Current Perspectives In Social Psychology (2nd. Ed.) New York, Oxford University Press, 1972, Pp. 35-42.

119- Wheeler,L., Smith, S. &Murphy, D. B., 1964,Pp. 172.

120- Wheeler,L.1966, Pp. 179.

121- Redle , F., 1949.

122- Smith, M. G., 1982, Pp. 183.

123- Wheeler,L. 1966.Pp. 185.

124- Wheeler,L. 1966.Pp. 186.

125- Wheeler,L. 1966.Pp. 187.

126- Wheeler,L. 1966.Pp. 187.

127-Lippitt,R.,Norman Polansky, Fritz Redle&Sidney,1958.

128- Wheeler,L. 1966.Pp. 188.

129- Wheeler,L. 1966.Pp. 188.

130- Wheeler,L. 1966.Pp. 188-189.

131- Wheeler,L. 1966.Pp. 189.

132- Wheeler,L. 1966.Pp. 189.

133- Festiner, L. Pepitone, A. & Newcomb, T. 1952.

134- Freedman, J. and DeboraPerlick, 1979.

135- LeBon , Gustave, (1896) 1960.

136- Blumer, Herbert, 1969.

١٣٧- انظر مراجعة حديثه ومختصرة لهذه التأثيرات فى :

Radford , J. & E. Grovier, A Textbook of Psychology , London: Routledge, 1992, Pp. 684.

138- Turner, R. H. & L. M. Killian , 1993.

139. LeBon , Gustave, (1896) 1960.

140- Blumer , Herbert, 1969.

141- Secord, P. F. & C.W. Backman, Social Psychology (Second edition) London: McGraw-Hill International Book Company, 1974, Pp. 59.

١٤٢- انظر مثلا اعمال: مارفن، شو، ديتميات الجماعة : دراسة سلوك الجماعات الصغيرة (ترجمة مصرى حنورة ومحى الدين أحمد حسين) القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٦. وكذلك ، روبرت ، شيالديني ، التأثير : وسائل الإقناع (ترجمة سعد جلال) القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٨٨.

١٤٣- جهود أصحاب الإتجاهين الرئيسين فى دراسة العدوى.

١٤٤- انظر على سبيل المثال أعمال كوليجان ومورفى ، ١٩٧٩م.

Colligan, M. J. & L.R. Murphy, Mass Psychogenic Illness In Organizations An Overview . Journal of Occupation Psychology , Vol. 52, 1979, Pp. 77-90.

وكذلك جلاسكيوكز ورونالد بيرت،١٩٩١م:

Galaskiewicz,J. & Ronald, S. Burt, Interorgaization Contagion In Corporate Philanthropy , Administrative Science Quarterly , Vol. 36, 1991, Pp. 88-105.

١٤٥- ملحم، قربان، خلدونيات: قوانين خلدونية (دراسات منهجية ناقدة فى الإجتماع السياسى)، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٤.

146- Blau, Peter, M.. Exchange and Power in Social life, New York, Wiley , 1964.

147- Thompson, J. G., The Psychobiology of Emotions , New York : Plenum Press, 1988.

148- Buck, Ross, 1988, Pp. 144.

١٤٩- لوبون، غوستاف، ١٩٩١م، ص ٦٣-٨٩.

150- Wheeler, L. 1966.

١٥١- انظر أمثلة لنتائج هذه البحوث فى الدراسات التالية :

- Medin, D.L., R. L. Goldstone & D. Gentner , Respects For Similarity Psychological Review , Vol. 100, No. 2, 1993, Pp. 254-278.

- Simons , H. W., N. N. Berkowitz, and R. J, Moyer, Similarity Credibility, and Attitude Change : A reviewand theory , Psychological Bulletin , Vol. 73, 1970, Pp. 1-16.

-Berscheid ,Ellen, Interpersonal Attraction, In Gardner Kindzey Elliot Aronson , Handbook of Social Psychology (Volume II) New York, Random house, 1985, Pp. 413-484.

١٥٢- انظر محاولة للتمييز بينهما فى سميث ١٩٨٢م:

Smith , M.G., Persuasion and Human Action : A Review and Critique of Social Influence Theories. Belmont , California : Wadsworth Publishing Campany , 1982.

١٥٣- دورندان ، غى ، الدعاية والدعاية السياسية ، الطبعة الثانية (ترجمة رالف رزق الله) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦ .

154-Kelley , H.H.,Two Functions of Reference Groups In G.E. Swanson & T. M. Newcom, & E. L. Hartley (Eds.), Reading In Social Psychology (2nd Ed.), New York : Holt, 1952, Pp. 410 - 414.

155-Wheeler, L. 1966, Pp.191.

١٥٦- جريدة الحياة (طبعة الخليج) لندن: العدد ١٠٧٩١، الأربعاء ، أغسطس ١٩٩٢، ص ٢٤.

١٥٧- جريدة الحياة (طبعة الخليج) لندن: العدد ١١٤٦٦، يوليو ، ١٩٩٤، ص ١.

١٥٨- فهمى هويدى : هؤلاء الدكاترة ، مجلة العربى ، العدد ، ٢١٩، ١٩٧٧ ، ص ٥٦-٥٧ الكويت : وزارة الإعلام.

١٥٩- عادل شريف، كرة القدم هذا الهوس العالمى ، مجلة العربى ، العدد ٣٣٢ يوليو ١٩٨٦، ص ١١٤- ١١٨، الكويت : وزارة الإعلام . أيضا انظر حول نفس الموضوع فى : جريدة الحياة (طبعة الخليج) لندن : العدد ١١٤٧٢، السبت ، يوليو ، ١٩٩٤ ، ص ١٥.

١٦٠- ابو شويرب ، عبد الكريم ، وباء جديد رسمه البوليميا أو مرض النهم، العربى ، العدد ٣٣٢، يوليو ، ١٩٨٦، ص ١٦٦-١٦٩، الكويت : وزارة الإعلام.

161- Colligan , M. J. & L. R. Murphy , 1979.

162- Bandura , Albert , 1977.

163- Kelman , H. Three Process of Social Influence , In Edwin P. Hollander & Raymond G. Hunt, Current Perspectives in Social Psychology , (2nd Ed.), New York, Oxford University Press, 1972, Pp. 421- 429.

164- Bandura , Albert , 1977.

١٦٥–حول حقيقة هذه الصور النمطية للممارسات، انظر فى المصادر التالية:

- Patal, raphael , The Arab Mind , New York : Charles Scribners Sons , 1976.

– حجازى ، عزت ، الشباب العربى والمشكلات التى يواجهها، سلسلة عالم المعرفة (٦) الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٧٨.

–زكريا ، فؤاد ، خطاب الى العقل العربى (كتاب العربى –١٧) ، الكويت: وزارة الإعلام (اكتوبر)، ١٩٨٧.

– سليمان ، ميخائيل ، صورة العرب فى عقول الأمريكيين ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٧.

– عايش ، محمد ، الصورة العربية فى وسائل الإعلام الأمريكية : دراسة للنقاشات والبحوث المتعلقة بصورة العرب فى وسائل الإعلام الأمريكية ، مجلة ابحاث اليرموك ، سلسلة العلوم الإنسانية والإجتماعية ، المجلد العاشر ، العدد الثانى ، ١٩٩٤، ص ١٧٩– ٢٢٦.

١٦٦– انظر شواهد لهذا النوع من الإستجابات على مستوى الثقافة والإجتماع والسياسة والإعلام فى المصادر التالية:

- السيد ، رضوان ، إشكالية الثقافة العربية فى زمن التسرية ، مجلة العربى، العدد ، ٤٤٦، ١٩٩٦ ، ص ٢٦-٣١، الكويت : وزارة الإعلام.

- زيعور ، على ، انحرافات السلوك والفكر فى الذات العربية (فى الصحة العقلية والبحث عن التكيف الخلاق) ، بيروت : المركز الثقافى العربى ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م.

- حجازى ، مصطفى ، التخلف الإجتماعى : سيكولوجية الإنسان المقهور ، بيروت : معهد الانماء العربى ، الطبعة السادسة ، ١٩٩٢م.

- ناصف ، مصطفى ، اللغة والتفسير والتواصل ، سلسلة عالم المعرفة (١٩٣)، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٥م.

- العزى ، سويم ، المفاهيم السياسية المعاصرةودول العالم الثالث : دراسة تحليلية نقدية ، الرباط : المركز الثاقفى العربى ، ١٩٨٧م.

- أحمد يوسف أحمد، النظام العربى وأزمة الخليج ، مجلة العلوم الإجتماعية، الكويت مجلس النشر العلمى ، جامعة الكويت ، المجلد ١٣، العدد ٤ ، خريف / شتاء ، ١٩٩١ الصفحات ٧-٢٨.

- ندوة بحثية ، الغزو العراقى للكويت : المقدمات - الوقائع وردود الفعل - التدعيات ، سلسلة عالم المعرفة (١٩٥) الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٥م.

١٦٧- للمزيد فيما يتعلق بهذا النمط من التأثير ، انظر مجموعة ابحاث : محمود السيد أبو النيل ، علم النفس والشائعات : دراسات عربية وعالمية بيروت : دار النهضة العربية ١٩٨٦م.

١٦٨- لوبون ، غوستاف ، ١٩٩١م، ص ١٣٣.

١٦- انظر وصفا لهذا الواقع كمثال فى : عبد الملك ، زحمد ، اللاتوازن فى تدفق المعلومات بين الشمال والجنوب ، مجلة التعاون ، العدد ٣٧، مارس ١٩٩٥ ، الصفحات ، ٩٩-١٢٥، الرياض : الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج . كذلك انظر : سامى ، الشريف ، النشرات الإخبارية فى الإذاعات العربية : المحتوى والشكل (عرض محمد محمود موسى)، مجلة التعاون ، العدد ٣٣، مارس ١٩٩٤، الصفحات ، ١٦٣-١٦٧، الرياض ، الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج.

١١- الكواكبى ، عبد الرحمن ، طبائع الإستبداد ومصارع الإستبعاد (الطبعة الثانية) بيروت : دار النفائس ، ١٩٨٦.

١١- اليعقوبى ، أحمد بن إسحاق ، مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد ، بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٠.

١٢- نبيل ، على ، العرب وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة (١٨٤) ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤.

١٢- نبيل ، على ، ١٩٩٤، ص ٢٧.

تحليل كمى للعوامل المؤثرة فى تباين ملوثات الهواء بمدن البترول بالمملكة العربية السعودية

بحث مقدم للنشر

د./ أحمد جار الله الجار الله

أستاذ مشارك بقسم التخطيط الحضري والاقليمي

كلية العمارة والتخطيط - جامعة الملك فيصل

ص.ب. 10028 الدمام 31433

المملكة العربية السعودية

تليفون 8432133 فاكس 857839

تحليل كمى للعوامل المؤثرة فى تباين ملوثات الهواء بمدن البترول بالمملكة العربية السعودية

مستخلص :-

يهدف هذا البحث إلى تحليل التوزيع المكانى لأهم الملوثات الهوائية وتحليل لأهم العوامل المؤثرة فى تباين تراكيز الملوثات فى مدن البترول بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وذلك عن طريق إختبار الفرضيات التالية :

1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أعلى تركيزات ساعية لكل من أول كسيد الكربون CO وثانى اكسيد الكبريت SO_2 وثانى اكسيد النيتروجين NO_2 وكبريتيد الهيدوجين H_2S والأوزون O_3 بين مدن البترول المنتشرة على الحيز المكانى للمنطقة الشرقية لعام 1993.

2- ترتفع تركيزات الملوثات الساعية كلما إنخفضت درجات الحرارة وإرتفعت الرطوبة النسبية ، وقلت سرعة الرياح وإزداد عدد السيارات وعدد المنشآت الصناعية فى كل مدينة من مدن البترول فى المنطقة الشرقية فى المملكة .

كشفت النتائج أن هناك فروقات واضحة ودالة إحصائياً بين تركيزات الملوثات لتلك المدن ، كما أوضح التحليل أهمية عدد السيارات ودرجة الحرارة ، وكذلك أهمية الرطوبة النسبية وعدد المصانع لبعض الملوثات كعوامل محددة لمعظم الملوثات فى تلك المدن وفى ضوء ذلك تم إقتراح بعض التوصيات.

كلمات مهمة :

مدن البترول-تلوث الهواء - ملوثات الهواء -التباين المكانى للملوثات-تحليل التباين-تحليل الإنحدار المتعدد- المنطقة الشرقية - المملكة العربية السعودية

إن إستثمار أى مورد طبيعى سيؤدى من ناحية إلى التنمية والتطور . ومن ناحية أخرى إلى تلوث البيئة . فمنذ إكتشاف البترول فى المملكة العربية السعودية وحتى يومنا هذا وعلى مدار الساعة وعمليات تكرير النفط لا تزال مستمرة لسد الحاجة إلى الطاقة ومسخراتها . وتتركز هذه العمليات فى الجزء الشرقى من المملكة العربية السعودية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى، فإن استثمار البترول أدى إلى تنمية شاملة فى المملكة نالت جميع جوانب الحياة ومن أهمها وسائل النقل وبالذات السيارات الخاصة التى بدورها تعتبر من المصادر الرئيسية لملوثات الهواء ، حيث تشير الإحصاءات بأنه فى عام 1407 هـ تم صرف 24382 لوحة سيارة فى المنطقة الشرقية بينما فى العام 1412هـ تم صرف 35782 لوحة سيارة بنسبة تطور تقدر بـ147.1 ٪، وهذا يعتبر مؤشر على إزدياد نسبة الملوثات المنبعثة من هذه السيارات (20) ، ويصاحب هذه العمليات التنموية إنتاج مواد غريبة تضاف إلى الهواء ومكوناته فتولد مواد عديدة من ملوثات الهواء . إن الإزدياد المستمر فى عدد السيارات وكذلك إستمرارية عمليات تصنيع النفط سوف يساعدان على تفاقم مشكلة التلوث الهوائى وما قد ينتج عنها من آثار سلبية على صحة الكائنات الحية وبالذات الإنسان . حيث أشارت إحدى الدراسات فى اليابان بأن إنشاء مصنع لتكرير النفط أدى إلى زيادة عدد أمراض الجهاز التنفسى والإصابة بضيق التنفس والتهاب القصبة الهوائية لدى الإنسان (٥) ويفيد إختصاصيو علوم السموم ... إن الوفيات تزداد بين الناس فى الأيام التى يكون فيها الهواء فاسدا . فقد قارن الباحثون بين معدل الوفيات اليومية فى المدن مع المستوى اليومى للجزئيات الموجودة فى الهواء من الغبار الكربوني

وغازات العوادم الصناعية وغيرها ، ووجدوا علاقة مستمرة بين الجزيئات فى الهواء وحوادث الوفاة .. إن النتائج ثابتة مهما جرى تكرارها سواء فى الولايات المتحدة أو الدول الأجنبية الأخرى حتى لو كانت فى مناخات مختلفة أو اختلف نوع الجزيئات الموجودة فى الهواء .. إن ما يثير الإستغراب إنه معروف عن الجزيئات أنها تسبب الموت فى الحيوانات والإنسان ، ولكن ليس من الضرورى أن تكون هذه المستويات عالية جداً. إذ نرى حدوث الوفيات فى المدن الأمريكية عند مستويات منخفضة لتلوث الهواء .. إن الجزيئات الموجودة فى الهواء تُسرع فى حدوث الوفيات عند الأشخاص الذين على وشك الموت من مرض عضال .. وتقترح البيانات إزدياد الوفيات حتى ولو كانت معدلات التلوث ضمن المستويات المسموح بها . ورغم إستمرار إنخفاض معدلات تلوث الهواء فى المدن خلال العقدين الأخيرين ورغم إن خفض مستوى الجزئيات فى الهواء يتطلب إجراءات هائلة من الناحية الاقتصادية ، فقد يكون من المستحيل تحسين نوعية الهواء بشكل كاف لالغاء أى علاقة بين الجزئيات فى الهواء وحوادث الوفيات (19). ووفقا للأرقام تقدر نسبة الملوثات مئوياً كما يلى : (8)

الملوثات الناتجة عن المواصلات	60 ٪
الملوثات الناتجة عن الصناعات	18 ٪
الملوثات الناتجة عن توليد الطاقة	13 ٪
الملوثات الناتجة من النفايات	3 ٪

إنه من الضرورى مراقبة نوعية الهواء بالمدن بصورة عامة ومدن البترول فى المنطقة الشرقية بوجه خاص ومدى تركيزهذه الملوثات وتغييرهامن مدينة إلى أخرى.

تستهدف هذه الورقة معرفة التباين المكاني لتركيزات الملوثات الهوائية المنبعثة من مواقع تكرير النفط وعمليات التصنيع المرافقة في تلك المدن ، وكذلك الملوثات الهوائية المنبعثة من عوادم السيارات والموجودة في تلك المدن وتحديد أهم العوامل المساهمة في رفع مستوى تركيز الملوثات . إن تحقيق هذا الهدف يعتبر الخطوة الأولى الأساسية التي تساعد على مواصلة البحث والدراسة من قبل الجهات المختصة والمهتمين لإيجاد السبل والحلول للمحافظة على البيئة وتخفيض نسب الملوثات إلى أدنى حد ممكن ، وكذلك تمكين هيئات حماية البيئة من إصدار القوانين واللوائح والمواصفات التي يجب أن تخضع لها مصادر التلوث.

أدبيات الموضوع :

هناك عدة تعريفات للتلوث منها: التلوث هو إختلاف في توزيع نسبة وطبيعة مكونات الهواء والماء والتربة، كما يعرف بأنه إدخال مواد لا يستفاد منها أوطاقة إضافية للبيئة بواسطة الإنسان وبطرق مباشرة وطرق غيرمباشرة فتسبب تلفاً في صحته وبيئته .

ويعرف قاموس البيئة التلوث بأنه عبارة عن مادة أو تأثير يحول شكل البيئة كلياً وذلك بتغير معدل النمو الطبيعي للكائنات الحية ويتداخل في السلسلة الغذائية ويكون ذو أثر سام (4). ويتفق كثير من الدارسين على أن التلوث هو كل تغير كمي أو كيفي في مكونات الكرة الأرضية في الصفات الكيميائية أو الفيزيائية أو الحيوية للعناصر البيئية . أما ملوثات الهواء فإنها المواد الغريبة التي تضاف إلى الهواء ومركباته الأساسية معرضة الإنسان إلى الضرر والهلاك. (16)

لقد إجتذبت دراسة التلوث بصورة عامة ، وتلوث الهواء بصورة خاصة كثير من الباحثين فى مختلف التخصصات ، ومراجعة أدبيات الموضوع توضح أن هناك عدد من المحاور والتى يندرج تحت كل منها دراسات ركزت على جوانب محددة لهذه المشكلة العالمية . يمكن تلخيص هذه المحاور بما يلى:

1- دراسات مصادر التلوث الهوائى وهى الدراسات التى ركزت على مصادر التلوث بشقيها الطبيعى والبشرى .

2- دراسات التلوث الهوائى الداخلى وهى الدراسات التى عالجت تلوث الهواء داخل المبانى كالمكاتب والمنازل والمصانع والمدارس والمستشفيات وغيرها.

3- دراسات الاثار السلبية لملوثات الهواء سواء على الحيوان أو النبات أو الممتلكات وبتركيز واضح على صحة الإنسان .

4- دراسات قياسات الملوثات الهوائية التى أهتمت بطرق قياس الملوثات فى الجو وطرق السيطرة عليها.

5- دراسات انتشار تركيزات الملوثات الهوائية فى الجو أفقياً وعمودياً بالتركيز على مكانيكية ونمط ومدى وشكل الإنتشار.

وحيث إن هذه الدراسة تركز على العوامل المؤثرة فى إنتشار تركيزات الملوثات فى مدن النفط فى المملكة العربية السعودية ، فإن التركيز فى هذه المراجعة سيكون عى المحورين الأول والخامس من الدراسات السابقة.

ففيما يتعلق بالمحور الأول تشير الدراسات التى أُجريت على تلوث الهواء فى المملكة العربية السعودية بأن بوادر التلوث تظهر فى المناطق الصناعية والمدن الكبرى المزدحمة بالسيارات وتشمل مصادر تلوث الهواء فى المملكة

كل من وسائل النقل ، مصانع الأسمنت ، كسارات الصخور ، محطات الطاقة، مصافى النفط ، مصانع المواد البتروكيماوية . محطات تحلية المياة وغيرها.

إحدى هذه الدراسات تمت بالتعاون مع دائرة الأرصاد وحماية البيئة فى المملكة عام ١٩٧٧م فقد دلت هذه الدراسة أن تركيز المؤكسدات الضوء كميائيه والأوزون كانت أعلى ما يكون بالمناطق المجاورة إلى الظهران والجبيل وصفوى حيث وصل معدل تركيز هذه المؤكسدات ضعف المسموح به فى الولايات المتحدة الأمريكية (0.08 جزء من المليون)، ويعزى الباحثون ذلك إلى مراحل معاملة النفط فى رأس تنورة. (12).

وتشير إحدى الدراسات حول تلوث الهواء بالمملكة العربية السعودية أن تركيز أول اكسيد الكربون يتراوح ما بين 10إلى 20 جزء من المليون فى المدن والمراكز الصناعية الكبيرة فى المملكة وفى المناطق المكتظة بوسائل النقل، بينما يتراوح تركيز غاز ثانى اكسيد الكبريت ما بين 15 إلى 30 جزء من البليون ، وتشير نفس الدراسة إلى أن تركيز غاز كبريتيد الهيدروجين يصل إلى 0.02 جزء من المليون فى بعض مدن المملكة بينما حددت مصلحة الأرصاد وحماية البيئة فى المملكة العربية السعودية أن لا يزيد متوسط تركيز هذا الغاز عن 0.14 جزء من المليون خلال ساعة واحدة لفترة طولها 30 يوماً . أما بالنسبة لتركيز غاز الأوزون فتدل نفس الدراسة إلى أن تركيزه عال ومتجاوز المسموح به من قبل مصلحة الأرصاد وحماية البيئة وبالذات فى المنطقة الشرقية من المملكة حيث بلغ تركيز هذا الغاز 0.35 إلى 0.55 جزء من المليون فى المناطق الصناعية ومصافى النفط علماً بأن المسموح به عالمياً لا يتجاوز عن 0.2 جزء من المليون (12) ومن خلال دراسة أخرى لتقدير كمية

من وسائل النقل وتعرض هذه الشوارع لعدد هائل من السيارات يومياً، وقد تم إستخدام ثلاث انواع من أوراق ثلاثة أنواع من النباتات مع تراكيز الرصاص فى أوراق نفس النبات والموجود فى كلية الملك عبد العزيز العربية كنموذج غير ملوث وبعيداً عن حركة السير مقارنة بشوارع الدراسة (4) بالاضافة إلى ذلك فإن هناك دراسات ركزت على تركيز بعض ملوثات الهواء فى المدن السعودية والعوامل المؤثرة فيها كسرعة الرياح والرطوبة ودرجة الحرارة والإشعاع والبعد عن مصادر التلوث وطبيعة مصدر التلوث وطبوغرافية المكان والتشجير كدراسات كل من مصلحى (16) وجيلانى (7) والمحمادى(15) والصحفى (10) والجار الله (6)

العرض السابق للدراسات فى المملكة يشير بصورة عامة، إلى أن هناك علاقة بين تركيز الملوثات الهوائية ومجموعة من العوامل يمكن تلخيصها على التالى:

١- العوامل المناخية ، كسرعة الرياح والرطوبة ودرجة الحرارة التى تلعب دوراً رئيسياً فى تركيز الملوثات . فحركة سرعة الهواء المستمرة تشتت وتخفف تركيز الهواء الملوث والمتراكم فوق سماء المناطق الصناعية والمدن المزدحمة بالسيارات . كما أن لدرجة الحرارة أثر بالغ فى تركز الملوثات حيث إنخفاض درجة الحرارة يعمل على بقاء الملوثات وبإرتفاعها ترتفع الملوثات وتنتشر بعيداً عنها.

٢- العوامل الفيزيقية كعامل المسافة حيث كلما زادت المسافة بين مصدر التلوث والأماكن المعرضة للتلوث ، كلما قلت نسبة تركيز الملوثات، وكذلك طبوغرافية الأرض ممثلة بالحواجز الطبيعة والبشرية ، والارتفاع عن مستوى سطح البحر والبعد عنه ، بالإضافة إلى درجة التشجير .

٣- العوامل البشرية خصوصاً عدد السيارات وعمليات التصنيع ، فكلما إزداد عدد السيارات وعدد المصانع فى مكان ما، إزداد إنتشار تركيز الملوثات الهوائية فيه (25,24,14,11, 9,8,7,6,4,1) .

أما فيما يتعلق بدراسات المحور الخامس فلقد اقترحت كثير من النماذج التى حاول فيها الباحثون الوصول إلى تفسيرات وشروح منطقية لظاهرة انتشار الملوثات الهوائية افقياً وعمودياً ومن اهم النماذج المستخدمة فى هذا المجال (GAUSSIAN MODEL) و (TERRAIN MODEL) و (PHOTOCHEMICAL AIR POLLUTION MODEL) و (REGIONAL MODEL) وغيرها (22) وهناك عدد من الدراسات التطبيقية لهذه النماذج فى المملكة العربية السعودية التى ظهرت فى سجل ندوة لتلوث الصناعى للهواء المنعقد فى جامعة الملك سعود فى نوفمبر 1993.(27, 26, 25, 24 , 23, 22) . وعلى الرغم من الإتفاق على اهمية بعض العوامل المذكورة فى المحور الأول بين الباحثين وإدخالها فى معظم النماذج المطبقة فى المحور الثانى بوصفها مسلمات فى قياس تركز وانتشار الملوثات افقياً وعمودياً، إلا ان التحقق من تلك العلاقات بين العوامل فيما بينها من ناحية ، وتراكيز الملوثات المدروسة قبل إدخالها فى النماذج المقترحة من ناحية أخرى ، لم يعط الإهتمام المفترض. وربما يعود ذلك إلى ندرة المعلومات عن بعض العوامل من ناحية ، وندرة الدراسات التى إهتمت بتحديد دقيق لتلك العلاقات من ناحية أخرى. وهذا ما أشير إليه فى دراسة مقارنة لتقييم نماذج نوعية الهواء التى تم فيها مراجعة دقيقة لمعظم النماذج المتوفرة فى هذا المجال وعددها ثلاثون نموذجاً لإختيار نموذجاً يناسب إقليم المملكة العربية السعودية الصناعى، حيث ذكر الباحثون فى تلك الدراسة:-

إن قلة البيانات التفصيلية ، وتوفر قاعدة وصفية للبيانات ، إضافة إلى معرفة أساسية فيما يتعلق بسلوك المتغيرات المناخية فى المناطق الواسعة والمختلفة التضاريس ، وعوائق تقف حالاً فى تطوير نماذج تفى بالغرض. (22) كما تقرر دراسة أخرى نفس الحقيقة عندما ذكر الباحثون فيها:-

ولكن المتوفر من معلومات قليلة جداً ، فيما يتعلق بتحليل درجة أنتشار الملوثات فى الجو ، حيث لا توجد دراسة حسب علم الباحثين ، عالجت نمط الانتشار العمودى على أساس طبقى . (23)

والخلاصة :

فإنه على الرغم من كثرت الدراسات التى عالجت درجة تركز مختلف الملوثات الهوائية فى مستويات مكانية مختلفة ، وعلى الرغم من الإشارة إلى مصادر تلك الملوثات والعوامل المساعدة فى زيادة تراكيزها ، إلا إنه يلاحظ بإن هناك قصور واضح فيما يتعلق بالتحديد الدقيق للعلاقات بين تلك العوامل من جهة ، وبين تراكيز الملوثات من جهة أخرى وذلك قبل ادخالها فى النماذج المطورة . إنه من الضرورى أولاً التحديد الدقيق للعلاقات المهمة بين مختلف العوامل التى تلعب دوراً فى تراكيز الملوثات الهوائية أفقياً وعمودياً ، قبل أدخالها إلى النماذج المستخدمة فى تقرير نمط وشكل وميكانيكية ودرجة تركز الملوثات الهوائية فى الأماكن المدروسة.

هدف وفرضيات الدراسة:-

على ضوء الأدبيات السابقة فإن هذا البحث يهدف إلى تحليل التوزيع المكانى لأهم الملوثات الهوائية ، وتحليل لأهم العوامل المؤثرة فى تباين تراكيزها فى مدن البترول بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية

تراكيزها فى مدن البترول بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وذلك عن طريق إختبار الفرضيات التالية:

١- لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين أعلى تركيزات ساعية لكل من أول اكسيد الكربون CO وثانى اكسيد الكبريت SO2 وثانى اكسيد النيتروجين NO2 وكبريتيد الهيدروجين H2S والأوزون O3 بين مدن البترول المنتشرة على الحيز المكانى للمنطقة الشرقية لعام 1993 .

٢- ترتفع تركيزات تلك الملوثات الساعية كلما إنخفضت درجات الحرارة، وإرتفعت الرطوبة النسبية، وقلت سرعة الرياح، وإزداد عدد السيارات وعدد المنشآت الصناعية فى كل مدينةمن المدن النفطية فى المنطقة الشرقية من المملكة

أساليب التحليل:

من أجل إختيار فرضيات العدم (Null Hypothesis) الخاصة بهذه الدراسة ، يحسن استخدام أساليب تحليل التباين (Analysis Variance) ، وتحليل الإنحدار المتعدد (Multiple Regression Analysis) التى تعتبر من أنسب الأساليب الإحصائية المستخدمة لإختبار مثل هذه الفرضيات . إن الإحصاء المستخدم فى تحليل التباين للحكم على مستوى دلالة الفروق بين القراءات الساعية لملوثات الهواء وهو ما يطلق عليه بقيمه أو إختبار (ف)F) (Test ، وتقاس قيم (ف) من جداول خاصة بها، مع الأخذ فى الإعتبار معرفة ما يسمى بدرجات الحرية للبسط ودرجات الحرية للمقام فدرجات الحرية للبسط ودرجات الحرية للمقام عبارة عن عدد الحالات (محطات الرصد) فى هذه الدراسة ناقص واحد، ودرجات الحرية للمقام عبارة عن عدد القراءات (أعلى تركيزات ساعية لكل ملوث فى هذه الدراسة) ناقص عدد الحالات

الداخلة فى التحليل ، فإذا كانت قيمة (ف) المحسوبة أقل من مناظرتها فى الجدول عند مستوى الدلالة المعين ، فإن الفرضية تصبح مقبولة ، بمعنى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القراءات ، أما إذا كانت قيمة (ف) المحسوبة أكبر من مناظرتها فى الجدول ، فإن الفرضية ترفض بمعنى أن هناك فروقاً جوهرية بين القراءات وهذه الفروقات ليست عائدة إلى عامل الصدفة وإنما إلى العوامل الداخلة فى التحليل .

1 – التنبؤ بالتغيرات الحاصلة فى المتغير التابع على أساس معرفة التغيرات الحادثة فى المتغيرات المستقلة.

2– قياس مدى الترابط الكلى بين المتغير التابع والمتغيرات المستقلة ، وتقاس قوة العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع بواسطة ما يسمى بمعامل التحديد.

وتسمى العلاقة بين هذه المتغيرات بالعلاقة الدالة ويمكن تمثيلها بمعادلة خط مستقيم وتكتب كما يلى:

ص = أ + ب 1 س1 + ب2 س2 + ب3 س3 + ب ن س ن

حيث أن ص المتغير التابع ، وس المتغير المستقل و أ، ب ثوابت ، بينما تمثل ن عدد المتغيرات المستقلة.

أما يسمى بمعامل التحديد(ر٢)(Coefficient of Determination) (R^2) هو عبارة عن مربع معامل الارتباط (Correlation Coefficient) بين متغيرين وهو يحدد مدى التباين الحاصل فى المتغير التابع (Dependent Variable) والذى هو فى هذه الدراسة قراءات أعلى تركيزات ساعية للملوثات الهوائية المفسر بالمتغيرات المستقلة (Independat Variables) والمتمثلة فى هذه الدراسة بعدد المصانع وعدد السيارات ودرجة الحرارة والرطوبة النسبية وسرعة الرياح (2) .

المواقع والعوامل الداخلة فى التحليل:-

أولاً : - المواقع

لقد أدخل فى التحليل جميع المدن البترولية التى تتواجد فيها محطات مراقبة نوعية الهواء فى المنطقة الشرقية ، حيث تم إنشاء وتشغيل شبكة محطات مراقبة من قبل شركة أرامكو السعودية تم توزيعها على النحو التالى كما هو موضح فى الشكل رقم (1).

1- محطة بقيق : تقع هذه المحطة على بعد3 كيلومترات عن مصانع النفط على مسار إتجاه الرياح من ناحية الجنوب.

2- محطة الظهران : وتقع على أعلى قمة فى منطقة الظهران وتبعد بـ90 متر عن معامل النفط.

3- محطة الجعيمة : وتقع جنوب شرق محطة توليد الطاقة والتابعة للشركة السعودية الموحدة للكهرباء فى غزلان وبمسافة تقدر بـ7 كيلومترات.

4- محطة رحيمة : وتقع شمال غرب مصفاة النفط فى رأس تنورة وعلى بعد يقدر بـ3.5 كليومترات.

5- محطة شدقم: وتقع على بعد 2.5 كيلومتر جنوباً شرق معامل الغاز الطبيعى فى شدقم .

6- محطة جزيرة تاروت : وتقع فى شمال جزيرة تاروت والتى تقع جنوب رأس تنورة حيث مصفاة النفط وتسييل الغاز.

7- محطة تناجيب : وتقع جنوب معامل السفانية للنفط وبالتحديد فى منطقة معامل تناجيب.

8- محطة العضلية : وتقع فى جنوب معامل الغاز الطبيعى فى العضيلية وعلى بعد٢ر٥كم.

ثانياً :.العوامل

لقد أُدخل للتحليل مجموعة من العوامل المهمة التى أوضحتها أدبيات الموضوع والتى أمكن الحصول على معلومات عنها وتتمثل بالعوامل التالية:

1- العامل التابع (Dependent Variable) ويتمثل فى تراكيز الملوثات الهوائية: والذى سيقاس بأعلى قراءات ساعية لتراكيزات كل ملوث من الملوثات الهوائية السابقة فى مدن البترول الداخلة فى هذه الدراسة للإثنى عشر شهراً لعام (1993). ولقد تم الحصول على البيانات الخاصة بأعلى قراءات ساعية لتراكيز كل ملوث من التقرير السنوى لنوعية الهواء الصادر من قبل شركة أرامكو السعودية، الذى يشمل بيانات تفصيلية عن تراكيز ملوثات الهواء الساعية واليومية والسنوية فى مدن البترول الداخلة فى هذهة الدراسة (3).

2- العوامل المستقلة (Independat Variable): وتشمل عاملين رئيسيين هما:-

العامل المناخى : الذى سيقاس عن طريق ثلاث متغيرات هى:

أ- درجة الحرارة :والذى سيقاس بأعلى درجة الحراة مسجلة خلال ساعة فى كل مدينة من المدن الداخلة فى هذه الدراسة للإثنى عشر شهرا لعام (1993)، والتى تم الحصول عليها أيضاً من التقرير السنوى لنوعية الهواء الصادر من قبل شركة أرامكو السعودية لعام 1993 . (3)

ب- الرطوبة النسبية: والتى ستقاس بأعلى رطوبة نسبية مسجلة خلال ساعة فى كل مدينة من المدن الداخلة فى هذه الدراسة للإثنى عشر شهراً لعام (1993) ، والتى تم الحصول عليها أيضاً من التقرير السنوى لنوعية الهواء الصادر من قبل شركة أرامكو السعودية لعام 1993 . (3)

٢- العامل البشرى : الذى سيقاس عن طريق متغيرين هما:

أ- عدد المصانع: الذى سيقاس بعدد المنشآت الصناعية البترولية الموجودة فى كل مدينة من مدن البترول الداخلة فى هذه الدراسة والتى تم الحصول عليها من شركة أرامكو السعودية عن طريق المقابلة الشخصية مع بعض المسئولين.

ب- عدد السيارات : الذى سيقاس بعدد السيارات الموجودة فى كل مدينة من مدن البترول الداخلة فى هذه الدراسة والتى تم الحصول عليها من الكتاب الاحصائى السنوى لوزارة الداخلية ، الذى يشمل بيانات تفصيلية عن عدد السيارات وأنواعها فى معظم مدن المملكة (20).

التحليل :

بيانات جدول رقم (1) توضح أن هناك تبايناً ذو دلالة احصائية لتركيزات كل الملوثات بين مدن البترول الثمانية، ماعدا غاز كبريتيد الهيدروجين . تشير قيم«ف» التى بلغت 6 , 7 ,18 , 21 عند درجة حرية 95/5، إلى دلالات احصائية عالية بالنسبة لكل من ثانى أوكسيد الكبريت ، وأكاسيد النتروجين ، وأول أكسيد الكربون، والأوزون على التوالى،وهذا يعنى أن التباين المكانى فى تركيزات هذه الملوثات الأربعة (ثانى أكسيد الكبريت، أكاسيد النيتروجين ، أكاسيد الكربون والأوزون)، هو تباين حقيقى لا مجال للصدفة فى وجوده الذى ربما تلعب فيه المتغيرات المستقلة الداخلة فى هذه الدراسة دوراً مهماً . لذا أخرج كبريتيد الهيدروجين من التحليل ، وبقى

ملوثات الأربعة ذات الدلالات الأحصائية العالية. يعزز هذه النتيجة المقارنة البصرية لأعلى تركيزات ساعية لبعض هذه الملوثات فى تلك المدن كما هو موضح فى شكل رقم (2).

جدول رقم (1)

تحليل التباين لأعلى تراكيز شهرية للملوثات الهوائية

الملوثات	النتائج	درجة الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة ف	الاحتمالية
ثانى أكسيد الكبريت	بين المجموعات	5	0.53845	0.10769	21	*0.0001
	خلال المجموعات	90	0.4564	0.00507		
	المجموع	95	0.99485			
ثانى أكسيد النتروجين	بين المجموعات	5	0.24329	0.4866	6	*0.0001
	خلال المجموعات	90	0.76207	0.00846		
	المجموع	95	1.00545			
الأوزون	بين المجموعات	5	0.6624	0.1325	7	*0.0001
	خلال المجموعات	90	0.16906	0.00188		
	المجموع	95	0.2353			
أول أكسيد الكربون	بين المجموعات	5	0.1673	0.01253	8	*0.0001
	خلال المجموعات	90	0.2151	0.00177		
	المجموع	95	0.4725			
كبريتيد الهيدروجين	بين المجموعات	5	0.00915	0.00183	1	0.2781
	خلال المجموعات	90	12832	0.00143		
	المجموع	95	0.13747			

* ذو دلالة إحصائية عالية.

ولتحديد أى من المتغيرات المستقلة الداخلة فى هذه الدراسة أكثر تأثيراً فى تباين تراكيز الملوثات فى تلك المدن ، فلقد استخدم أسلوب الإنحدار المتعدد فى التحليل. وبما أن لهذا الاسلوب عدداً من الإفتراضات التى يجب أن تتوفر ، مثل أن تكون البيانات المستخدمة فترية المستوى ، وأن يكون توزيعها سوياً، بالإضافة إلى أن يكون هناك علاقة دالة احصائياً بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع، وبما أن البيانات المستخدمة فى هذه الدراسة هى بيانات فترية، فقد ساعد ذلك فى استخدام ذلك الأسلوب . ولكن وجد أن توزيع البيانات بالنسبة لمعظم المتغيرات غير سوى ، حيث يميل معظمها إلى الالتواء الموجب ، لذا عمد إلى تحولها بإستخدام الجذر التربيعى الذى يفضل عادة لمثل هذه التوزيعات.

وبعد توفر الإفتراضين السابقين، عُمد إلى التأكد من توفر الإفتراض الثالث كما هو موضح فى الجدول رقم (2) . وتبين قيم (ت) فى الجدول أن هناك ثلاث عوامل ذات علاقة دالة إحصائياً بين تركيز ثانى أكسيد الكبريت وكل من عدد المصانع ودرجة الحرارة والرطوبة النسبية، أما فيما يتعلق بأكاسيد النيتروجين فإن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تركيز الملوث وعدد السيارات فقط . وبالنسبة للأوزون فهناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تركيز الملوث وعدد السيارات ودرجة الحرارة . أما أول أكسيد الكربون فإن عدد السيارات هو المتغير ذو الدلالة الإحصائية مع تركيز الملوثات فى تلك المدن.

جدول رقم (2)

تحديد العلاقة بين أعلى تراكيز ساعية للملوثات والمتغيرات المستقلة

المتغير المعتمد	المتغيرات المستقلة	قيمة ت	الاحتمالية	معامل التحديد٪
ثاني أكسيد الكبريت	عدد المصانع	4.805	*0.0001	0.54
	عدد السيارات	0.751	0.4564	
	درجة الحرارة	3.134-	*0.0023	
	الرطوبة النسبية	6.62-	*0.0001	
	سرعة الرياح	1.387-	01687	
ثاني أكسيد النتروجين	عدد المصانع	1.257-	0.2122	0.24
	عدد السيارات	2.508	*0.0007	
	درجة الحرارة	1.156	0.259	
	الرطوبة النسبية	1.29	0.2004	
	سرعة الرياح	1.04	0.3011	
الأوزون	عدد المصانع	0.494	0.6223	0.28
	عدد السيارات	3.817	*0.0002	
	درجة الحرارة	3.163	*0.00021	
	الرطوبة النسبية	0.245-	0.8047	
	سرعة الرياح	0.855	0.3946	
أول أكسيد الكربون	عدد المصانع	0.511	0.6105	0.5
	عدد السيارات	7.034	*0.0001	
	درجة الحرارة	1.503	0.1364	
	الرطوبة النسبية	1.013	0.3139	
	سرعة الرياح	1.962	0.0528	
كبريتيد الهيدروجين	عدد المصانع	1.524-	0.1309	0.06
	عدد السيارات	0.981	0.329	
	درجة الحرارة	0.763	0.4474	
	الرطوبة النسبية	1.241	0.2177	
	سرعة الرياح	0.168	0.8667	

* ذو دلالة إحصائية عالية.

وبذلك لخرجت المتغيرات الغير دالة احصائياً، وهى عدد السيارات وسرعة الرياح لثانى اكسيد الكبريت، وعدد المصانع ودرجة الحرارة والرطوبة النسبية وسرعة الرياح لثانى اكسيد النيتروجين ، وعدد المصانع والرطوبة النسبية وسرعة الرياح للأوزون، وعدد المصانع ودرجة الحرارة والرطوبة النسبية وسرعة الرياح لأول اكسيد الكربون، ولم يدخل معادلات الإنحدار النهائية إلا المتغيرات الدالة احصائياً السابقة الذكر لكل ملوث ، كما هو مبين فى جدول رقم (3) التالى:

جدول رقم (3)

تحليل الانحدار بين أعلى تراكيز ساعية للملوثات والمتغيرات المستقلة الدالة إحصائياً

المتغير المعتمد	المتغيرات المستقلة	قيمة (ت)	الاحتمالية	معامل التحديد٪	قيمة (ف)
ثانى اكسيد الكبريت	عدد المصانع درجة الحرارة الرطوبة النسبية	0.1127 0.02631- 0.02525-	0.0001* 0.0061* 0.0001*	0.53	34
ثانى اكسيد النتروجين	عدد لسيارات	0.003299	0.0001*	0.21	25
الأوزون	عدد لسيارات درجة الحرارة	0.0001202 0.00261	0.0002* 0.0001*	0.27	17
أول اكسيد الكربون	عدد لسيارات	0.007662	0.0001*	0.47	84

* ذو دلالة إحصائية عالية.

بيانات الجدول تبين أن إخراج المتغيرات المستقلة الغير دالة احصائياً، يكاد يكون تاثيرها معدوماً على النسب لمفسرة فى تركيز كل ملوث على حده حيث لم يطرأ إلا تغيرات طفيفة على معاملات التحديد التى لم تقل الا بمقدار 1 ,3 ,1 , 3 بالمائة لكل من ثانى اكسيد الكبريت وثانى اكسيد النيتروجين والأوزون وأكاسيد الكربون على التوالى.

يعزز هذه النتيجة الارتفاع الملحوظ فى قيم (ف) من21 عند درجات حرية 95/5 إلى34عند درجات حرية 92/3 لغاز ثانى اكسيد الكبريت، ومن 6 عند درجات حرية 95/5 إلى 25 عند درجات حرية 94/1 لغاز ثانى اكسيد النيتروجين ، ومن 7 عند درجات حرية 95/5 إلى 17 عند درجات حرية93/2 للأوزون ومن 18 إلى 84 لأول اكسيد الكربون عند درجات حرية 94/1.

ومن أجل تجنب مشكلة التأثير المتكرر للمتغيرات المستقلة (Multicollinrity) على المتغير المعتمد ، فلقد عمد إلى قياس إنحدار كل متغير مستقل مع المتغيرات المستقلة الاخرى كل على حدة ، عدا تلك التى قد أُخرجت من التحليل، حينئذ أتضح أنه ليس هناك مثل هذه المشكلة. بالإضافة إلى ذلك فلقد عمد إلى مطابقة قيم الفروقات (Residuals) مع القيم المتنبأ بها، وكذلك بقيم كل متغير مستقل ، حيث تبين أن الإفتراضات التى يتطلبها الأسلوب لم تنتقض ، الامر الذى يعنى إن تطبيقه كان مرضياً.

النتائج :-

فى ضوء التحليل السابق يمكن الخروج بالنتائج التالية:

1- توجد إختلافات جوهرية بين مدن البترول فيتركيز اربعة من الملوثات المدروسة هى ثانى اكسيد الكبريت،ثانى اكسيد النيتروجين والاوزون واكاسيد الكربون، أى أن الاختلافات فى تراكيز تلك الملوثات بين تلك المدن هى إختلافات حقيقة وليست راجعة إلى الصدفة،وربما يعزى جزء منها إلى المتغيرات الداخلةفى هذه الدراسة،كماسيتضح فى الفقرات التالية

2- لا توجد إختلافات تذكر لتراكيز كبريتيد الهيدروجين بين مدن البترول الثمان، أى أن الاختلافات من الصغر بحيث يمكن أن تعزى لعامل الصدفة ومن ثم يمكن إهمالها.

3- توجد علاقات قوية وموجبة بين عدد السيارات وتراكيز كل من ثاني اكسيد النيتروجين ، والأوزون ، وأول اكسيد الكربون في تلك المدن البترولية السعودية . وتوجد علاقة قوية وسالبة بين درجة الحرارةوتركيز ثاني اكسيد الكبريتوعلاقة قوية موجبة بين درجةالحرارة والأوزون في تلك المدن. وتوجد علاقة موجبة قوية بين عدد المصانع وتركيز ثاني اكسيد الكبريت في تلك المدن. وتوجد علاقة سالبة وقوية بين الرطوبة النسبية وتركيز ثاني اكسيد الكبريت في تلك المدن.

4- إن المتغيرات ذات العلاقات القوية مع تراكيز الملوثات، فسرت نسب لابأس بها من التباين من تراكيز تلك الملوثات في مدن البترول السعودية.

5- المساهمة الفعالة لعدد السيارات في تفسير التغيرات الحاصلة لتراكيز اكثر من ملوث في مدن البترول السعودية ، فلقد فسر هذا العامل بمفرده ما مقداره واحد وعشرون بالمائة من التغير الحاصل في تركيز ثاني اكسيد النيتروجين ، وفسر مع درجة الحرارة ما مقداره سبع وعشرون بالمائة من التغير الحاصل في تركيز الأوزون في تلك المدن، واخيراً فلقد فسر لوحدة نسبة عالية من التغير الحاصل في تركيز هذا الملوث . اما النسب الباقية فانها تعزى إلى واربعون بالمائة من التغير الحاصل تركيز هذا الملوث. اما النسب الباقية فانها تعزى إلى سبع عوامل لم تدخل التحليل الحالي، وهذا ما يتوافق مع أدبيات الموضوع التي ركزت على الدور الاساسي الذي يلعبه هذا المتغير في رفع تركيز الملوثات في المدن بصورة عامة، وهو ما يوضح لهمية هذا المتغير في تحديد تراكيز هذه الملوثات في تلك المدن.

6- مساهمة الثلاثة متغيرات ذات الدلالة الاحصائية مع ثاني أكسيد الكبريت وهي عدد بالمصانع ودرجة الحرارة والرطوبة النسبية مجتمعة في تفسيرما مقداره ثلاثة وخمسون بالمائة من التغير الحاصل في تركيز هذا الملوث في تلك المدن. الأمر الذي يوضح أهميتها في تحديد تراكيز هذا الملوث في مدن البترول السعودية ، أما السبعة وأربعون بالمائة الباقية فتعزى إلى متغيرات لم تدخل التحليل الحالي.

7- مساهمة درجة الحرارة وعدد السيارات في تفسير ما مقداره سبع وعشرون بالمائة من التغير الحاصل في تركيز الأوزون في تلك المدن. الأمر الذي يوضح أهميتهما في تحديد تركيز هذا الملوث ، أما النسبة الباقية فتعزى إلى متغيرات لم تدخل التحليل الحالي.

التوصيات :-

في ضوء النتائج السابقة، تقترح التوصيات التالية:

1- اهمية أن تؤخذ نتائج الدراسة الحالية في الاعتبار عند تطوير نماذج إنتشار تراكيز الملوثات الهوائية أفقياً وعمودياً على الحيز المكاني موضع الدراسة.

2- اهمية مواصلة البحث والدراسة لتحديد المتغيرات التي تلعب أدواراً مهمة في انتشار تراكيز الملوثات الهوائية أفقياً وعمودياً في الحيز المكاني موضع الدراسة قبل ادخلها في نماذج لهذا الغرض، خصوصاً المتغيرات التي لم ترد في هذه الدراسة، كالإشعاع الشمسي والبعد عن مصدر التلوث والبعد عن البحر والارتفاع عن مستوى سطح البحر والتشجير وغيرها من المتغيرات المهمة التي ذُكرت في أدبيات الموضوع والتي لم يتوفر معلومات عنها في هذه الدراسة ، إذا ما أريد تطوير نماذج واقعية تحقق الأغراض المطلوبة.

3- أهمية وضع مقاييس ومواصفات لآلات الإحتراق سواء فى السيارات أو فى المصانع التى تشكل المصادر الرئيسية لتلوث هواء المدن البترولية على وجه الخصوص والمدن بشكل عام، من أجل تقليل الاثار السلبية لتلك المتغيرات فى تلويث هوائها.

4- أهمية الإعتماد قدر الامكان على وسائل المواصلات العامة كحافلات النقل الجماعى أو باصات ارامكو السعودية وتشجيع الإستخدام الجماعى للسيارات الخاصة ، للاقلال قدر الامكان من أستخدام وسائل النقل الخاصة ، لضمان أستخدام أقل عدد ممكن من السيارات فى تلك المدن، من ثم تقليل الاثر السلبى لهذا المتغير فى تلويث هواء تلك المدن بثانى أكسيد النتروجين والاوزون وأكاسيد الكربون.

5- أهمية إبعاد المناطق السكنية فى تلك المدن عن مواقع مصانع البترول ومشتقاته قدر الإمكان فى تلك المدن، وزيادة التشجير فيها عن طريق إيجاد مناطق خضراء فاصلة بينهما لما للتشجير من أثر إيجابى فى تقليل تراكيز الملوثات.

المراجع العربية:

1- أبو راضى، فتحى (1991)، « المناخ والبيئة: دراسة فى المناخ التطبيقى لبيئة دلتا النيل» دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية.

2- أبو عياش، عبد الاله (1984)، « الاحصاء والكمبيوتر فى معالجة البيانات مع تطبيقات جغرافية » وكالة المطبوعات، الكويت.

3- ارامكو السعودية (1994)، «التقرير السنوى لنوعية الهواء لعام 1993»، الظهران .

4- أمين، فهمي حسن (1984)، « تلوث الهواء ، مصادرة، أخطارة، علاجة»، دار العلوم، الرياض.

5- التكريتي، عبد الله مصح، وأسماعيل، رشيد إسماعيل (1985)، « حماية البيئة من ملوثات الصناعة النفطية»، مجلة النفط والتعاون العربي، أوابك، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني.

6- الجار الله، أحمد جار الله والسليمي إبراهيم (1993)، « تباين ملوثات الهواء في منطقة الجبيل»، مجلة التعاون الصناعي الخليجي، العدد الثاني والخمسون.

7- جيلاني، هشام عبد الله (1974)، « اختبارات توزيع ملوثات النتروجين في جو مدينة جدة»، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الارصاد والبيئة وزراعة المناطق الجافة، قسم الارصاد.

8- خياط، يسين محمد (1993)، « التلوث البيئي وصحة الإنسان» مجلة القافلة ، المجلد الحادي والاربعين، العدد الحادي عشر.

9- الدسوقي، مصطفى وآخرون (1986)، « مستوى تلوث الهواء بالمناطق السكنية بالغازات الناتجة من عادم السيارات نتيجة حركة المرور في الكويت »، بحث مقدم إلى ندوة البيئة وحمايتها من التلوث، مكتب التربية العربي لدول الخليج، إدارة حماية البيئة، وزارة الصحة الكويت.

10- الصحيفي محمد صالح (1991)، « دراسة الملوثات الصناعية على منطقة جدة»، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الارصاد والبيئة وزراعة المناطق الجافة، قسم العلوم البيئية.

11- عريف، أحمد حسن (1982)، « تاثير العوامل البيئية على مستوى تلوث الهواء بمدينة الاسكندرية»، رسالة ماجستير ، جامعة الاسكندرية، المعهد العالي للصحة العامة، قسم الصحة المهنية . الاسكندرية.

12- العقيلي، سليمان وجرار، بشير (١٩٩٠)، «تلوث الهواء» مكتب التربية العربي لدول الخليلج العربي ، الرياض.

13- العودات، محمد عبد الله، وباصهي، عبد الله يحيى (986)، « التلوث وحماية البيئة»، عمادة شئون المكتبات ، جامعة الملك سعود، الرياض.

14- المدني اسماعيل، وانش، سامي (1994)، « العوامل امؤثرة في تلويث الهواء بغاز ثاني اكسيد النتروجين في البحرين»، مجلة التعون الصناعي في الخليج العربي، العدد السابع والخمسون، السنة الخامسة عشرة.

15- المحمادي، فهد مسلم سويعد (1986)، «توزيع ثاني اكسيد الكبريت في هواء مدينة جدة»، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الارصاد والبيئة وزراعة المناطق الجافة ، قسم العلوم البيئية.

16- مصلحي، فتحي (1986)، «تلوث الهواء بالمدينة السعودية»، مجلة دراسات لخليج والجزيرة العربية، العدد السادس والاربعون ، جامعة الكويت ، الكويت.

17- المعتاز، إبراهيم (1988)، ملوثات الهواء : أضرارها ، مصادرها وطرق مكافحتها.

18- المهندس، عبد القادر أحمد (1986)، « ملامح من تلوث الهواء فى المملكة العربية السعودية»، بحث مقدم لندوة البيئة وحمايتها من التلوث فى أقطار الخليج العربى»، مكتب التربية العربى لدول الخليج، إدارة العلوم، الكويت.

19- مودرلى ،جوزيف (1995)، «الهواء الملوث يزيد من عدد الوفيات فى المدن»، جريدة الشرق الاوسط ، العدد 75950، السنة السابعة عشرة، الثلاثاء 1995/3/15.

20- وزارة الداخلية (1993)، « التاب الاحصائى السنوى» ، الرياض.

21- وزارة المالية والإقتصاد لوطنى (1993)، « عدد السكان فى المستوطنات التى يزيد عدد سكانها عن 2400 نسمة»، الرياض.

المراجع الاجنبية :

22- KHAN, S. M. & OTHERS (1993) - A COMPARATVE EVALATON OF AIR QUALITY DISPERSON MODELS FOR TE INDUSTRIAL REGION OF SAUDI ARABA - PROCEEDING OF THE INDUSTIAL AIR POLLUTION SYMPOSIUM KNG SAUD UNIVERSITY , COLLEGE OF ENGINEERING , RIYADH.

23- AHMAD S. Z. & REHMAN S . (1993). - TURBLENT DENSS PLUMES DSCARED TO QUIESCENT , UNIFORM OR STRATIFIED ATMOSPHERE-PROCEEDIG OF THE INDUSTIAL AIR POLLUTION SYMPOSIUM , KING SAUD COLLEGE OF ENGINEERING , RIYADH.

24- ALMUTAZ I. S. (1993) - DISPERSN OF AR POLLUTATION IN RIYADH REFINERY SULPHR INCINERATOR - PROCEEDING OF THE INDUSTIAL AIR POLLUTION SYMPOSIM , KING SAUD UNIVERSITY , COLLEGE OF ENGINEERING , RIYADH.

25- AL-SANEA S> (1993) - COMPUTATION OF GASEOUSS - EFFLUENt DISPERSION IN TURBULENT FLOW AROUND BUILDING - PROEEDING OF THE INDUSTIAL AIR POLIUTION SYMPOSIUM , KING UNIVERSITY, ENGINEERING , RIYADH>

مناظر تيجان الأباطرة الرومان
فى رسوم المعابد المصرية الطراز

د. عنايات محمد أحمد

إتخذ أباطرة الرومان من التيجان [1] الفرعونية في مصر لباس رأس لهم، إذدانت بها رؤوسهم في صورهم المنقوشة علي جدران المعابد البطلمية والرومانية في صعيد مصر . ومن الملاحظ أن هذه التيجان وإن كانت مستخدمة في العصر الفرعوني والبطلمي إلا أن زينتها أخذت في إزدياد مبالغ فيه بدرجة كبيرة في العصر الروماني ، فهي تتكون من عناصر التيجان المعروفة من قبل ، كما ظهر بها ملوك الفراعنة، مضافاً إليها عناصر إلهية مركبة. وقد إرتدي الأباطرة هذه التيجان الفرعونية إما فوق الرأس مباشرة أو فوق غطاء رأس أو الشعر المستعار . ونأخذ من ذلك للوهلة الأولي إنطباع بأن شدة المبالغة في زخرفة هذه التيجان قد أفقدتها صفتها الدينية حتي أصبحت مجرد رموز يتألف منها عناصر التيجان الزخرفية لإعطائها المظهر الجمالي فقط .

كانت التيجان في العصر الفرعوني تقوم بعدة أدوار رئيسية :

الدور الأول : هو توفير الناحية الجمالية بإعتبارها حلية للرأس.

الدور الثاني : للتعبير عن الناحية الوظيفية بإعتبارها رمز السلطان.

الدور الثالث هو تأكيد الصفة الإلهية لحاملها . ولتوضيح الصفة الإلهية نجد أن الفنان في العصر الفرعوني عندما أراد إختيار عناصر زخرفة

التيجان الملكية لم يكن إختياره لها عفو الخاطر وإنما إتخذ من الرموز الإلهية عناصر زخرفتها فجاءت معبرة عن فكره الديني ، إذ أن هذه الرموز ترتبط جميعها بآلهة مصر القديمة فقرص الشمس رمز الإله رع .... رع حور آختي ، والريشة المزدوجة رمز الإله حورس والإله آمون والإلهة ماعت ، وقرني البقرة رمز الإلهة حتحور والإلهة إيزيس ، وقرون الكبش سواء الملتوية أو المستعرضة رمز آمون وخنوم .... الخ . وبهذه الرموز أيضاً أراد المصري القديم تأكيد فكرة الملكية الإلهية التي يقوم عليها نظام الحكم في مصر القديمة وتأكيد صفة الألوهية لحاملها. ومن خلال هذه الرموز الإلهية إتخذت هذه التيجان أسماء عدة منها عين الإله، اللهب الحامي أو الآلهة الحامية للملك ... الخ .

وقبل تناول هذه التيجان بالوصف والتحليل ، يجدر بنا مناقشة نقطة هامة وهي فكرة تعدد طرز التيجان التي ظهر بها الأباطرة الرومان في الرسوم المصورة علي جدران المعابد ، علي الرغم من أن قلة قليلة من الأباطرة الرومان قد زار مصر أما الغالبية العظمي كان مركز إقامته روما . وقد يتبادر إلي الذهن سؤال من الذي كان يقوم بهذه الإحتفالات والمراسم الدينية التي ظهر فيها الأباطرة والمصورة علي المعابد ، طالما أن الإمبراطور كان يتخذ من روما مركزاً لإقامته الدائمة ؟ الواقع أن مناظر الإحتفالات التي ظهر فيها الأباطرة الرومان علي المعابد كان يقوم بها بالفعل كاهن خاص [٢] يلعب في معظم الأحيان دور الإمبراطور نفسه في جميع أجزاء المعبد المختلفة وبصفة خاصة في الإحتفالات الملكية الخاصة بالتتويج ، والذي يلعب فيها التاج دوراً أساسياً ، ذلك أن وضع تاج البلاد فوق رأس الحاكم يعتبر المحور الرئيسي في هذه الإحتفالات ، حيث يتقدم الملك إلي قاعة التتويج وبها عرشان أحدهما خاص بالشمال والآخر بالجنوب ، فيها يجلس الملك مرة علي عرش الشمال ويلبسه

حورس تاج الشمال وأخري علي عرش الجنوب ويلبسه ست تاج الجنوب كرمز لسلطان الملك علي كل من شطري البلاد . ثم يجلس الملك علي عرش يتوسط كل من الإلهة نخبت إلهة الجنوب والإلهة واجت إلهة الشمال وهو يرتدي التاج المزدوج رمز إتحاد القطرين (سماتاوي) ويطلق علي هذه الإحتفالات في النصوص المصرية القديمة تسليم الآلهة تيجانها للملك .

ويبدو أن التيجان في العصر الفرعوني كانت وراثية ، إذ كان كبير الكهنة [٤] يعتبر حافظاً للتيجان الملكية وهي التاج المزدوج العظيم لشطري مصر ، والتيجان الفردية للقطرين اللذين يتألف منهما التاج المزدوج . وهو يقوم بإلباس الملك بلطف وحزم علي رأسه التاج .

ولقد إستن الملوك البطالمة سنة جديدة علي التقاليد الملكية الفرعونية وورثها الرومان عن البطالمة وهي ضريبة التاج . كانت تقدم للملك في البداية في شكل هدية في مناسبات الأعياد والحفلات الملكية خلال السنة كتوليه العرش [٥] أو حفل البطوليمايا ، أو بمناسبة عيد ميلاد الملك ، الذي يعد أهم هذه المناسبات جميعاً ، كما تشير الوثائق [٦] . هذه الهدايا Xenia عبارة عن تاج ذهبي Stephanos يساهم في شرائه رعايا الملك ولاسيما أرباب الإقطاعات العسكرية والطبقات صاحبة الإمتيازات [٧] . ولم تكن هذه الهدايا تقدم للملك عن طيب خاطر بل كان يطلبها بنفسه كما تنص علي ذلك بردية [٨] أرسلها أبولونيوس إلي زينون في العام الرابع والثلاثين من حكم بطليموس الثاني فيلادلفوس تقول « لقد أصدر الملك أمره عدة مرات بخصوص تقديم الهدايا إليه ولذلك أبذل قصاري جهدك لكي يشحن في الميعاد مايجب علي فيلادلفيا تقديمه ، وأفعل ذلك بأقصي سرعة، إن آخر موعد هو ثلاثة أيام من اليوم لكي تصل الهدايا إلي الإسكندرية في

موعدها. إن الأمر هام وعاجل . وبالإضافة إلي ذلك أرسل ماهو مطلوب مني لعيد ميلاد الملك في الوقت الذي حددته في خطابي السابق » .

ويبدو أن هذا التقليد لم يفرض علي شعب مصر فقط وإنما علي مدن الإمبراطورية البطلمية ورؤساء القبائل الموالية للدولة البطلمية وكل من يريد التقرب للملك البطلمي كما تشير بذلك الوثائق البردية [٩] . ويبدو أيضاً أن نفس التقليد إتبع في العصر الروماني إذ أن ضريبة التاج فرضت علي كل ولايات الإمبراطورية كما سيتضح فيما بعد .

ومنذ أواخر القرن الثالث ق.م أخذ هذا التقليد مظهراً آخر فلم تعد التيجان تقدم للملك في شكل هدية من فئة معينة من رعاياه ، وفي مناسبات متفرقة ، وإنما أصبحت تأخذ شكل الضريبة المباشرة تجبي سنوياً من جميع أرباب الأراضي الزراعية بما فيها أراضي المعابد [١٠] . وكانت قيمة هذه الضريبة تتفاوت من إقليم إلي آخر ففي دندره تشير الوثائق إلي أنها كانت درخمتين واثنين من الأوبل ، وفي طيبة درخمتين وثلاث أوبل . ولكن بنهاية القرن الثاني ق.م أصبحت ضريبة التاج [١١] تتراوح مابين إثنا عشر دراخمة وأربع وعشرون دراخمة عن الفدان ، كما تشير بذلك بردية [١٢] ترجع إلي عام ٢٢٣ ق.م من الفنتين Elephantine وردت فيها ضريبة التاج ضمن سلسلة من الضرائب الأخري . وإستمرت هذه الضريبة تحصل خلال العصر البطلمي علي الأراضي [١٣] فيما عدا أراضي المعابد التي أعفت من هذه الضريبة علي أثر قرار [١٤] أصدره الملك بطلميوس الثامن أيورجتيس الثاني عام ١١٦ ق.م .

وقد ورث الرومان عن البطالمة هذه الضريبة ، كما ورثها السلوقيون عن البطالمة من قبل [١٥] ، إذ أن الوثائق البردية تشير إلي ضريبة التاج في

عهد الإمبراطور أغسطس [١٦] ، وفي بردية من إقليم أكسيرنخوس [١٧] Oxyrhinchus عبارة عن تقرير محصل الضرائب في المقاطعة يتضمن ضريبة شراء التاج الذهبي بمناسبة إنتصار الإمبراطور أورليانوس Aurelian . ويبدو أن هذه الضريبة كانت تشكل عبئاً ثقيلاً علي كاهل شعوب الإمبراطورية الرومانية ، علي الرغم من منح الإمبراطور كراكلا [١٨] Caracalla شعب مصر جميعاً حقوق المواطنة الرومانية إلا أن هذا القرار لم يلغي ضريبة التاج ، ويؤكد ذلك تصريح للإمبراطور سفيروس إسكندر Severus Alexander تضمنته بردية من الفيوم [١٩] يعد فيه شعوب ولايات[٢٠] الإمبراطورية الرومانية بأنه سوف يتنازل عن المبالغ (ضريبة التاج) التي تدفع من أجل شراء تيجان ذهبية للإمبراطور . وبالرغم من أن مضمون البردية يوحي بإلغاء الضريبة إلا أن الإمبراطور سفيروس إسكندر[٢١] علي مايبدو قد عدل عن قراره وظلت تحصل هذه الضريبة في مصر علي مدي ستة قرون تقريباً .

وتشكل ضريبة التاج أهمية بالغة إذ أنها تنص صراحة علي طبيعة المادة التي صنعت منها التيجان الملكية وتحددها بمعدن الذهب الأمر الذي عجز الباحثون في مجال التيجان الفرعونية الوصول إليه ، فقد تكهن كل من أبو بكر Abu Bakr وزيتة Sethe وميري Murray وآخرون [٢٢] بأن المواد التي صنعت منها التيجان الملكية الفرعونية ذات طبيعة مرنة كالكتان والجلد واللبدة (الصوف المتلبد).

ومن غير المعقول أن تكون التيجان الملكية في العصر الفرعوني قد صنعت من النسيج أو الجلد فكيف يتأتي ذلك ومناجم الذهب [٢٣] كانت ملكاً خاصاً للملك له حق التصرف في إنتاجها . ونحن نعرف أن ملوك مصر الفرعونية كانوا يرسلون وزرائهم يرافقهم عدد من الجنود لحراسة الذهب الذي سيتسلمونه من مناجم شرق قفط وغيرها ويعودون به إلي القصر

الملكي. كما كان أيضاً حكام مصر القدامي علي طول التاريخ القديم يرسلون الحملات إلي بلاد النوبة [٢٤] للسيطرة علي مناجم الذهب هناك حيث يتوفر بكثرة.

وإذا ربطنا المفهوم الديني لهذه التيجان بطبيعة المادة التي صنعت منها، نجد أن الذهب هو أنسب المعادن لتصنيع هذه التيجان . ذلك أن النصوص [٢٥] المصرية القديمة قد خصت الآلهة بالمعادن الثمينة وبصفة خاصة الذهب . فقد كان من صفات حورس الملكي والفرعون في اللقب [٢٦] «حورس الذهبي» Hr nb . وفي الأساطير المصرية القديمة كانت الآلهة عظامها من الفضة ولحمها من الذهب وبشرتها من الألكتروم .

وكان الذهب علي وجه الخصوص له أهمية خاصة فقد أعتبر مادة مرتبطة بالشمس ، منه إنبعثت كل الآلهة ولذا فقد أعتبر معدناً إلهياً له صفة الخلود النابعة من بقاءه لامعاً لا يصدأ ولايفني أبداً ، ذو قوة سحرية خارقة، وطالما أن الأفكار الدينية سيطرت علي مخيلة صانع هذه التيجان فنفذ المفهوم الجمالي بمفهوم ديني فلابد أنه وضع في الإعتبار إرتباط المواد السالفة الذكر بالمفهوم الديني وبصفة خاصة الذهب حيث كان ملك مصر أغني ملوك بلاد الشرق بالذهب ودائماً يوصف في النصوص « أنه جبل ذهب يضئ المملكة كلها مثل إله الأفق » . ومن منطلق إرتباط الذهب بالمفهوم الديني فقد ترك لنا الفراعنة زخيرة بل كنوز ذهبية يمتلئ بها متاحف العالم فلماذا إذن تصنع التيجان من النسيج أو الجلد ؟ وإذا كانت هناك مصانع [٢٨] لصناعة التيجان الذهبية وشرائط الجبهة فكيف تصنع للملوك تيجان من النسيج والمعروف أن الملك كان أوفر القوم ثروة وأعظمهم سلطة .

ويبدو أن ضريبة التاج هذه كانت وراء التنوع الكبير والمعقد للتيجان الفريدة التي ظهر بها الأباطرة الرومان ومن قبلهم الملوك البطالمة . حقيقة ضمت هذه التيجان العناصر الأساسية المتعارف عليها في التيجان التي ظهر بها فراعنة مصر ولكن بأشكال متنوعة لم يسبق لها مثيل من قبل وبصفة خاصة فيما يختص بالتيجان المركبة (٢٩) الأمر الذي يصعب معه تحديد الأفكار والمعتقدات التي ترمي إليها والكامنة وراء تلك التركيبات المعقدة والعجيبة التي ظهرت في العصرين اليوناني والروماني .

وتعتبر التيجان من الرموز المقدسة في مصر القديمة يرتديها الملك إرتقاءاً للعرش حيث يتم تقديمه للإحتفال المقدس في المعبد ليبدأ الإله بتتويجه كما سبق وأن ذكرنا . وقد كان يشترك الملك مع الآلهة الرئيسية في كل من غطاء الرأس (وأبسطها المسمي بالنمس nms) وكذلك التيجان . أما بالنسبة للتيجان فهناك التاج الأبيض المستدير والمنتفخ من أعلي ، والتاج الأحمر الذي يعلوه فرع صلب وزائده رقيقة حلزونية ، كانا يرمزان في كل العصور لملكية مصر العليا والسفلي علي التوالي ، وبإندماج إحداهما مع الآخر كونا التاج المزدوج المسمي « سخمتي » أي « القوتان المتحدتان المعبرتان عن قدوم السلطة الخيرة الهادفة للسلم ، بالإضافة إلي تاج الريش وتاج الآتف . ولقد ظهر التاج الأزرق « الخبرش » في أواخر الدولة الوسطي وهو تاج أزرق اللون يزدان بدوائر ذهبية صغيرة . ولعل الصفة المشتركة والتي تكاد أن تكون ضرورية لكل غطاء رأسي هي الكوبرا Uraeus المثبتة فوق جبين الملك . ولابد من ملاحظة أن الخصائص الأسطورية والعملية لكل واحد من هذه التيجان إرتبطت بآلهة أقاليم مصر العليا والسفلي.

ولقد ظهر الأباطر الرومان علي العديد من المعابد البطلمية والرومانية إبتداء من الإمبراطور أغسطس (Augustus) حتي الإمبراطور دقلديانوس

(Diocletianus) وقد زينت رؤوسهم بالتيجان الفرعونية المعروفة والمشار إليها سابقاً . وسوف نتناول أشكال هذه التيجان من خلال صور الأباطرة علي هذه المعابد ، والتي تظهر لنا جميع أنماط التيجان القديمة نظراً لأن كل تاج كان له مناسبة [٣٠] معينة يرتديه فيها الإمبراطور ، فإذا كانت المناسبة تخص مصر العليا إرتدي التاج الأبيض ، أما إذا كانت تخص مصر السفلي إرتدي التاج الأحمر أو واحداً من تيجان الريش ، وإذا جمعت المناسبة بين شطري البلاد فعلي الإمبراطور أن يرتدي التاج المزدوج أو تاج الآتف أو أحد التيجان المركبة، وذلك لأن تلك التيجان كانت تعبر عن سيادة الإمبراطور علي الأقاليم التي ترمز إليها ، ومن ثم فقد كان الإمبراطور مطالباً بارتداء جميع أنواع التيجان طبقاً لما يتفق مع مناسبة إرتداء التاج ، كما سبق وأن ذكرنا ، كرمز لقوته ، سلطته وألوهيته .

ويعتبر معبد دندور [٣١] Dendür مثالاً فريداً إذ نقشت علي جدرانه صور الإمبراطور أغسطس [٣٢] وقد زينت رأسه بكل أنواع التيجان الفرعونية كما سنلاحظ فيما بعد ، كما يجمع معبد فيله Philae ~~جدراً~~ لاحصر له من هذه التيجان جمعت كلها في لوحة واحدة في كتاب وصف مصر [٣٣] .

فيما يختص بالتاج الأبيض فقد ظهر أغسطس لابساً إياه علي كل من معبد دندور ومعبد دندره (شكل ١ ، ٢) . أما الإمبراطور تيبريوس فظهر به علي معبد كوم أمبو (شكل ٣) ومعبد أوزيريس Arensnuphis بفيله[٣٤] ومعبد إسنا (شكل ٤) . بينما ظهر الإمبراطور دومتيانوس Domitianus به علي معبد كوم أمبو (شكل ٥) . كذلك ظهر الإمبراطور جيتا Geta به علي معبد إسنا (شكل ٦ أ) .

ويظهر الإمبراطور تيبريوس علي معبد فيله بالتاج الأبيض أيضاً ولكن محمولاً علي قرني كبش مستعرضه لخنوم ، أما الرأس فيعطيها رداء رأس من نوع الـ Khat المعروف في عصر إخناتون . ويعتبر وجود التاج الأبيض بمفرده محمولاً علي قرني كبش (شكل ٧) شكلاً فريداً .

وقد أطلق علي هذا التاج في الهيروغليفية عدة أسماء [٣٥] منها wrrt و wrt - hk3w و nfr و nfr - hdt و sm.s و miswt و hdt وتعني « الأكبر » إشارة إلي طول التاج الذي كان يبلغ إرتفاعه خمس وعشرون سنتيمتر [٣٦] ، وبالرغم من كثرة المسميات التي أطلقت علي التاج الأبيض في النصوص الهيروغليفية إلا أن كلمة sm - s هي الأكثر شيوعاً بين نقوش [٣٧] المعابد البطلمية والرومانية والتي إتخذ فيها هذا التاج صفة الجميل [٣٨] ، وقد ظهر هذا التاج منذ بداية التاريخ المصري [٣٩] أو عصر ماقبل الأسرات المتأخرة [٤٠] ، وبذلك يعتبر أقدم طراز للتيجان المصرية. ويعتقد أبو بكر أن التاج الأبيض كان تاج أحد حكام مصر العليا في العصور المبكرة ثم أصبح تاجاً ملكياً بعد ذلك . وأري أن هذا التاج خاص بالمعبود حورس ورثه عن أبيه أوزيريس إذ أنه ورد بنص [٤١] علي معبد فيله كالآتي : « لقد فرح قلب إيزيس لأن حورس البطل سيطر علي البلدين منتصراً ، أخذ حورس تاجه الأبيض من أبيه Osiris Unnofer وهو يشرق علي عرش – جب – السماء فوق رأسه والأرض تحت قدميه » . وبما أن الملكية وراثية في مصر القديمة فقد كان يتوارث هذا التاج ملوك مصر الفرعونية إسوة بحورس الإبن عن أبيه كرمز ألوهية الملكية ، ويؤكد ذلك أيضاً نص [٤٢] آخر علي نفس المعبد يقول « ذلك الذي خرج من جسد أمه والتاج الأبيض فوق رأسه » . وقد كان يحتفل في مصر القديمة في اليوم الرابع عشر من بؤنه Paophi – كما هو مسجل علي معبد إدفو [٤٣] – بتسليم حورس التاج الأبيض .

وبالرغم من إرتباط المعبود حورس بالتاج الأبيض ، كما تشير النصوص بذلك ، إلا أن المعبودة نخبت Nechbet إرتبطت أيضاً بالتاج الأبيض . كانت نخبت تسمي « البيضاء في الكاب » واللون الأبيض هو اللون الذي إختص به هذا التاج مما يؤكد تطابقها به بل وتجسيداً له (٤٤) ، وأصبح اللون الأبيض هو اللون القومي لمصر العليا ، ودائماً تظهر المعبودة نخبت علي المعابد وهي تقوم بوضع التاج علي رأس الإمبراطور كما هو الحال بالنسبة للنقش (٤٥) الموجود علي معبد دندور والذي تظهر فيه الإلهة نخبت وأمامها الإمبراطور أغسطس بالتاج الأبيض وبصاحب المنظر نص تقول فيه الإلهة نخبت « إنني أتوج رأسك بتاج mhm الأبيض حتي تسيطر علي أقاليم الجنوب» . وعلي معبد فيله (٤٦) يقف الإمبراطور تيبريوس بالتاج الأبيض في حضرة الإلهة نخبت بينما النص المصاحب يقول « يأتي التاج الأبيض الذي ينطلق من mhm ويستقر علي رأسك » .

وإرتباط كل من حورس ونخبت بالتاج الأبيض يبدو واضحاً من خلال ظهور كل منهما إلي جوار الآخر في المناظر سالفة الذكر فنخبت ممثلة لمصر العليا، أما حورس فممثلاً للملكية الإلهية التي أصبحت من حقه بعد أن أعطي التاج الأبيض الذي حمله أبيه أوزيريس من قبل ، ومن ثم أصبح إلهاً علي مصر العليا بالإضافة إلي كونه إلهاً علي مصر السفلي (٤٧) . وهكذا فقد كان الإمبراطور يرتدي التاج الأبيض ليسود الدولتين مثل حورس ورع.

وقد كان التاج الأبيض يشكل أحد مكونات التيجان المركبة كما سيتضح عند الحديث عنها .

أما عن التاج الأحمر فقد كان هو الآخر أقدم [٤٨] التيجان الفرعونية. فقد إرتداه الأباطرة الرومان لأسباب سياسية ، تأكيداً لسيطرتهم علي مصر السفلي من جانب وتوضيح صفتهم الإلهية من جانب آخر ، وقد أعتبر هذا التاج تجسيداً للإلهة واجت Wadjet من بوتو [٤٩] Buto رمز مستنقعات الدلتا ، كذلك إرتبطت به الإلهة نيت Neith إلهة سايس Sais . وقد أطلق علي هذا التاج في النصوص المصرية القديمة أسماء [٥٠] عدة منها :

• و wrt - hk3w و mhw-s و nt و wrt, dšrt و nbt - nbî و w3dt و ini

وهنا نلاحظ أن كلمة w3dt تعني الأخضر بينما كلمة dšrt تعني الأحمر وكلا اللونين مناقض للآخر . ويفسر أبو بكر [٥١] هذا التناقض بقوله أن اللون الأخضر والأحمر كانا اللونين المميزين للوجه البحري في أوائل العصور التاريخية . وأري تفسير آخر ففي إعتقادي أن اللون الأخضر هو لون مميز للدلتا بدليل أن الإلهة بوتو Buto إلهة الدلتا كان إسمها يعني الخضراء[٥٢]. وقد كان هذا اللون يطلق علي تاج مصر السفلي قبل أن يكون الإله ست إلهاً لمصر السفلي ، ثم عدل بعد ذلك لون التاج بالأحمر نظراً لأن هذا اللون يرتبط بالمعبود ست الذي أصبح في الدولة الحديثة إلهاً لمصر السفلي حيث عبده الهكسوس ، الذين إتخذوا من الدلتا مقراً لهم وإتخذ ست تاج الدلتا رمزاً له . ولما كان قدماء المصريين قد خصوا هذا الإله باللون الأحمر لون الدماء تجسيداً للشر ، علي الرغم من أنه إعتبر إلهاً للحرب في هذه الفترة ، فقد أعطي اللون الأحمر لتاج الدلتا وأصبح معروفاً بالتاج الأحمر لكي يتناسب ولون المعبود ست Seth . وبذلك يكون المصري القديم قد عبر بالألوان أصدق تعبير عن الخير والشر ، الخير الممثل في اللون الأبيض رمز حورس والشر

الكامن في اللون الأحمر رمز ست ، ويؤكد إرتباط كل منهما بهذان التاجان نص (٥٣) من مدينة هابو « .... جميل في التاج الأبيض والتاج الأحمر كحورس وست حيث توجد قدرهما وقوتهما فيك » .

والتاج الأحمر عبارة عن غطاء رأس ضخم يميل من أعلي إلي أسفل ويغطي الرأس تماماً فيما عدا الوجه والأذنين ، ويبرز منه من الأمام سلك يتخذ الشكل الحلزوني من أعلي ، ويري أبو بكر أنه جزء من الزينة الملكية، كان مجرد ذكره فقط دلالة علي الوجه البحري . ولابد أن هذا السلك كان له أهمية خاصة حتي أن مجرد كلمة hwdt ، hm3tt التي تعني سلك هي إشارة إلي التاج الأحمر .

وقد ظهر العديد من الأباطرة الرومان علي المعابد البطلمية والرومانية بهذا التاج ، فعلي معبد دندور يظهر الإمبراطور أغسطس أمام إيزيس كإلهه لمصر السفلي ، وقد توج بالتاج الأحمر (شكل ٨)، كما يظهر أيضاً علي معبد إسنا بالتاج الأحمر أمام المعبود خنوم (شكل ٩) ، والإمبراطور تيبريوس Tiberius علي معبد فيله (شكل ١٠)،ومعبد إسنا (شكل ١١)، والإمبراطور نيرفا Nerva علي معبد إسنا (شكل ١٢) ، والإمبراطور هادريان Hadrianus علي معبد فيله (شكل ١٣)، والإمبراطور كومودوس Commodus علي معبد إسنا (شكل ١٤)، والإمبراطور جيتا Geta علي معبد إسنا (شكل ١٥)، والإمبراطور أورليانوس Aurelianus علي معبد إسنا (شكل ١٦) ، والإمبراطور ديكيوس Decius علي معبد إسنا (شكل ١٧).

ويظهر الإمبراطور ماكرينوس علي معبد كوم إمبو بالتاج الأحمر أيضاً ولكن محمولاً علي قرني كبش مستعرضه لخنوم ، وضعتا علي شعر مستعار، وعلي جانبي التاج الأحمر إنتصبت الكوبرا وتوجت بقرص الشمس (شكل ١٨).

ظهر أيضاً التاج الأحمر في شكل مركب إذ يصاحبه مخصصات ورموز أخري خاصة بمصر السفلي ، فعلي جدران معبد إسنا صور الإمبراطور دومتيان Domitianus وهو يرتدي التاج الأحمر وفوقه نجد العلامة الهيروغليفية [٥٤] T3 - mhw بمعني الدلتا ، والتي كانت تشكل تاجاً منفصلاً لكل من الإلهة ميريت [٥٥] Mrt (Meret) - وهي الإلهة التي تحفظ النصوص والوثائق المقدسة وترتبط بمصر السفلي - وكذلك المعبود حابي[٥٦] Hapi بصفته إله النيل لمصر السفلي ، وبجانب مخصص الدلتا من الداخل نجد الصل المقدس منتصب الرأس ومتوج بقرص الشمس ، وهي تمثل الإلهة واجت إلهة مصر السفلي وخادمة رع ، ومن الخارج يبرز السلك الخاص بالتاج الأحمر (شكل ١٩).

وإذا كان للتاج الأبيض رمز مصر العليا والتاج الأحمر رمز مصر السفلي ، فقد كان هناك تيجان أخري خاصة بمصر العليا أو مصر السفلي، كان الحاكم إذا إرتداه عبر عن إحكام سيطرته علي أي من شطري البلاد من جانب وأنه في حماية إلهها من جانب آخر ، ويؤكد ذلك نص رقم ٧٧٤ من نصوص الأهرام إذ ينص علي « فزعك يصل إلي قلب الآلهة مثل فزع التاج الأحمر الذي يرتديه ملك الوجه البحري ، ومثل فزع التاج الأبيض الذي يرتديه

ملك الوجه القبلي » . ويعطي هذا النص معني الحماية الإلهية للملوك من خلال إرتداء هذه التيجان .

فيما يختص بمصر السفلي فقد كان هناك تاج أطلق عليه Anedtj إذ يغلب علي الظن أنه كان تاج حاكم للإقليم التاسع بمصر السفلي (٥٧) ، وقد إرتداه حكام مصر حتي العصر الروماني علي نطاق واسع . ويتكون هذا التاج من ريشتي طائر النعام ، الذي كان يرمز إلي القوة في المعتقدات المصرية القديمة، إذ أن للنعام أرجل قوية ، كما كان يحيي الفجر بالرقص تكريماً للشمس ، وقد ظهر في صحراء هليوبوليس فإعتبر رمزاً للشمس(٥٨). هاتان الريشتان وضعتا علي قاعدة من قرون الكبش المستعرضة لخنوم . وقد يظهر قرص الشمس عند منتصف قرني الكبش وقد لايظهر ، علي أن ظهوره يؤكد إرتباط هاتان الريشتان بالشمس . وفي نوع من التقابل أو الإزدواج وضعت أنثي ثعبان الكوبرا علي كل جانب من جانبي قرني الكبش من أعلي. وأحياناً نجد قرص الشمس بين قرني البقرة (٥٩) . وقد إتخذت إيزيس، إلهة مصر السفلي ، قرني البقرة وقرص الشمس مخصصاً لها (٦٠) بإعتبارها مطابقة للإلهة حتحور . ومنذ الدولة الحديثة تظهر إيزيس وقد توجت بقرني البقرة وقرص الشمس .

ظهر أيضاً الإمبراطور أغسطس بهذا التاج في أكثر من منظر علي جدران معبد دندور ، ففي منظر نجده يرتدي قلنسوه يعلوها قرنا كبش مستعرضه فوقها إثنان من الريش (شكل ٢٠) ، وفي منظر آخر صور بنفس التاج ولكن قرص الشمس وضع منتصف القرنين المستعرضين لخنوم (شكل ٢١) ، وفي شكل ثالث يظهر الإمبراطور بنفس التاج مع وجود حيتان علي

جانبي الريشتين (شكل ٢٢) ، كما ظهر أيضاً بنفس التاج المكون من ريشتي نعامة وقرص الشمس وحيتان محمولة علي قرني كبش خنوم المستعرضه كل من الإمبراطور تيبريوس علي معبد إسنا (شكل ٢٣)، والإمبراطور كاليجولا Caligula علي معبد دندره (شكل ٢٤) ، والإمبراطور جالبا Galba علي معبد الأقصر (شكل ٢٥) ، والإمبراطور نيرفا علي معبد إسنا (شكل ٢٦) ، والإمبراطور تراچان Trajanus علي معبد إسنا (شكل ٢٧) ، والإمبراطور سڤيروس Severus علي معبد إسنا (شكل ٢٨) ، والإمبراطور كراكلا Caracalla علي معبد كوم أمبو (شكل ٢٩) .

ويظهر الأباطرة الرومان علي المعابد البطلمية والرومانية بتاج مماثل لتاج الريش Anedtj ، ولكن شكل الريش مختلف تماماً ويطلق علي هذا التاج « التاج الحورسي » [٦١] نظراً لأن الريش هو ريش ذيل الصقر الطائر المقدس للمعبود حورس . ويبدو أن هذا التاج ظهر في العصور المتأخرة بتأثير من إنتشار عبادة آمون [٦٢] في جميع أرجاء القطر المصري ، إذ أن هاتين الريشتين كانتا من مخصصات المعبود آمون . وللتفرقة بين تاج ريش النعام وتاج ريش الصقر فقد أطلق علي الأول في العصرين اليوناني والروماني كلمة m3't ، أما الثاني فأطلق عليه كلمة swtj . وإذا كان هذا الأخير قد إختص بالمعبود حورس كما يعتقد أبو بكر ، فقد كان من مخصصات آلهة أخري مثل الإله منتو والإله مين والإله آمون . ويبدو أنه كان هناك في العصور الفرعونية تداخلات وترابط بين الآلهة ، فقد تطابق مين بحورس في أحد النصوص [٦٣] إذ جاء « .... المحبوب من آمون رب عروش الأرضين ، ومين ابن إيزيس .... » و في نص آخر [٦٤] خاص بحورس « وأنت ياذا الريشتين العاليتين ،

ابن أوزيريس ، المتجب من إيزيس المقدسة » . كما نجد في نص [٦٥] آخر أن حورس يتطابق بآمون « ..... أي حورس ، أي آمون».

علي أن إرتداء آمون لهذا التاج لم يكن لتطابقه بحورس ، وإنما هو نتيجة طبيعية لإرتباط آمون بالمعبود منتو [٦٦] ، الذي كان يصور في الفن الفرعوني قبل الدولة الوسطي وعلي رأسه ريشتان مستقيمتان عاليتان ، وحين امتزج برع وأصبح اسمه منتورع ، فقد أضيف إلي الريشتين العاليتين المستقيمتين قرص الشمس ، وحين استبدله المنتوحتبيون بالمعبود آمون فقد إتخذ الأخير الريشتين المستقيمتين فوق رأسه . وبذلك يكون تسمية هذا التاج بالتاج الحورسي ليست دقيقة.

ويظهر الإمبراطور أغسطس علي معبد دندور مرتدياً لباس رأس مكون من قلنسوه تعلوها الريشتان المستقيمتان العاليتان يتوسطهما قرص الشمس، ويتدلي من مؤخرة القلنسوه شريط نازل إلي أسفل حتي الكتف (شكل ٣٠). كان هذا الشريط يصور به الإله آمون ، وفي صورة بمعبد أبو سمبل نجد الشريط [٦٨] المتدلي من تاج الإله استعمل كصولجان يمسكه رمسيس الثاني الجالس خلف آمون . كما يظهر الإمبراطور تيبريوس علي معبد إسنا (شكل ٣١) بتاج الريشتين المستقيمتين العاليتين فوق غطاء رأس أشبه بالطاقية ، ويتوسط الريشتين قرص الشمس ويتدلي من خلف الطاقية شريط نازل حتي الكتف.

ويتكون هذا التاج أحياناً من أربع [٦٩] ريشات بدلاً من اثنتين . ويظهر بهذا التاج الإمبراطور أغسطس علي معبد دندور (شكل ٣٢) ،

والإمبراطور تيبريوس علي معبد فيله (شكل ٣٣)، والإمبراطور كلاوديوس Claudius علي معبد فيلة (شكل ٣٤)، والإمبراطور نيرون Nero علي معبد كوم أمبو (شكل ٣٥)، والإمبراطور تراچان Trajanus علي معبد كوم أمبو (شكل ٣٦).

وكانت الريشتان العاليتان المستقيمتان يتوسطهما قرص الشمس أو بدونه تشكل تاجاً منفصلاً ، ولكن علي بعض الأشكال أضيف إليها عناصر أخري ، فعلي معبد دندور يرتدي الإمبراطور أغسطس (شكل ٣٧) رداء رأس أشبه بالطاقية يعلوها قرنا كبش مستعرضين لخنوم يحملان فوقهما ريشتين مستقيمتين عاليتين يتوسطهما قرص الشمس وعلي جانبي الريشتين من أسفل حيتان متوجتان بقرص الشمس منتصبتا الرأس واحدة علي كل جانب، وعلي جبهة الإمبراطور الصل المقدس ، وبذلك يكون عدد الحيات ثلاث (٧٠) ، وفي منظر آخر للإمبراطور أغسطس من نفس المعبد نجده فيه يرتدي التاج الأزرق (الخبرش) Khepresh وفوقه ريشتان مستقيمتان عاليتان وقد ثبت الجميع علي قرني كبش مستعرضه لخنوم كقاعدة سفلي للتاج ويتوسط القرنين قرص الشمس (شكل ٣٨) .

وقد شكلت الريشتان العاليتان المستقيمتان جزء من التيجان المركبة، والتي ظهرت في العصور المتأخرة ، فعلي معبد فيله يظهر الإمبراطور تراچان (شكل ٣٩) مرتدياً قلنسوه يحيط بها شريط عقد من الخلف ويتدلي الشريط أسفل قليلاً ، علي الجبهة الصل المقدس ، وحول الرأس ربط شريط مسطح عقد من الخلف بنهايات متدلاه متراخيه تنزل أسفل الكتف ، أعلي القلنسوه إثنان من القرون المستعرضة لخنوم يحملان ريشتين عاليتين مستقيمتين

يتوسطهما قرص الشمس ، وهنا نوع من الإزدواجية المعروفة في الفن المصري القديم - كما سبق وأن أوضحنا - نجد علي جانب كل ريشة العلامة الهيروغليفية [٧١] w3d بمعني عمود البردي فوقها العلامة الهيروغليفية[٧٢] h3bt وتعني السلك الخاص بالتاج الأحمر والتي تشير إلي التاج ككل ، وثعبان الكوبرا منتصب الرأس ومتوجاً بقرص الشمس ، وبجانب عمود البردي للخارج ثعبان كوبرا آخر منتصب الرأس وقد توج بتاج مصر السفلي (التاج الأحمر) والمناظر له علي الجانب الآخر توج بالتاج الأبيض (تاج مصر العليا)، وفي مثل هذه الحالة فإن الثعبان المتوج بالتاج الأحمر يمثل المعبود واچت ، أما المتوج بالتاج الأبيض يمثل المعبودة نخبت اللتان صورتا بشكل الأفعي.

وتعبيراً عن وحدة شطري البلاد فقد أدمج تاج مصر العليا في تاج مصر السفلي مكوناً التاج المزدوج ، يرتديه الحاكم تعبيراً عن إحكام سيطرته علي شطري البلاد الموحدة [٧٣] - تماماً كما إرتداه حورس بعد أن انتصر علي ست - ويتكون التاج المزدوج من التاج الأبيض تاج الوجه القبلي والتاج الأحمر تاج الوجه البحري ، ويبدو التاج الأحمر العنصر الرئيسي لهذا التاج حيث يغطي نصف التاج الأبيض ويبرز من التاج الأبيض السلك الخاص بالتاج الأحمر .

وكان يشار إلي هذا التاج في النصوص الهيروغليفية بالكلمات الآتية[٧٤] w3dty , nbty , shmty ..... وقد كان هذا التاج يرتديه الإمبراطور في إحتفالات توحيد القطرين ، أما من الناحية الدينية فقد كان إرتداء الإمبراطور للتاج المزدوج بمثابة الهتان حاميتان له بما لهما من قوة سحرية، فالتاج الأبيض رمز الإلهة نخبت التي تصور بشكل طائر العقاب

Vulture أو بالكوبرا ، أما التاج الأحمر فهو رمز واچت التي كانت تصور في شكل ثعبان الكوبرا راعية الإمبراطور [٧٥] وشعار القوة له من وجهة نظر المصري القديم [٧٦] . والكوبرا والعقاب هما الشكلان المعبران عن الشمال والجنوب بعد عملية التوحيد [٧٧] ، ودائماً نجد الإمبراطور يتوسط كل من الإلهة نخبت إلهة مصر العليا والإلهة واچت إلهة مصر السفلي. وقد إرتدي هذا التاج كل من الإمبراطور أغسطس علي معبد دندور (شكل ٤٠) ومعبد دبود Debôt (شكل ٤١) ومعبد تاليس Talmis (شكل ٤٢) ومعبد إسنا (شكل ٤٣) . كذلك يري الإمبراطور تيبريوس يتوسط كل من نخبت وواچت علي معبد إسنا وقد توجت رأسه بالتاج المزدوج (شكل ٤٤) ، والإمبراطور دومتيانوس علي معبد إسنا (شكل ٤٥) ، والإمبراطور نيرفا علي معبد إسنا (شكل ٤٦) ، والإمبراطور تراچان علي معبد إسنا (شكل ٤٧) ، والإمبراطور سڤيروس علي معبد إسنا (شكل ٤٨) ، والإمبراطور كراكلا علي معبد إسنا (شكل ٦ ، ب) والإمبراطور ديكيوس علي معبد كوم أمبو (شكل ٤٩) والإمبراطور أورليانوس علي معبد كوم أمبو (شكل ٥٠).

ويظهر الإمبراطور أوتو Otho بشكل غريب للتاج المزدوج ، إذ نجده محمولاً علي قرني كبش مستعرضه لختوم وضعت فوق غطاء رأس ، وعلي كل جانب من جانبي قرني الكبش المستعرضه حيتان من أعلي وحية من أسفل (شكل ٥١).

ولم يكن التاج المزدوج هو التاج المركب الوحيد ، بل كان هناك العديد من التيجان المركبة [٧٨] في تنوعات لا حصر لها ، ويتصدرها تاج الآتف، الذي كان في واقع الأمر أقدم من التاج المزدوج ، إذ أن العناصر الزخرفية

المكونة له تدل علي ذلك ، وهي الغاب والريش والقرون الحيوانية وكلها إستخدمها الإنسان البدائي كنوع من الحلي (٧٩) . وقد أطلق علي هذا التاج إسم (٨٠) 3tf - w في العصور المتأخرة والتي تعني بالهيروغليفية «شارات الملك الثلاثة» ربما إشارة إلي إستخدام ثلاث من العناصر الزخرفية في هذا التاج، وهي التاج الأبيض لمصر العليا والذي يحاكي شكل الغاب أو البوص مربوطاً من أعلي ، وتاج الريش الخاص بمصر السفلي Anedtj ، وقرون الكبش المستعرضه لخنوم والملتوية لآمون (٨١) .

ويختص بهذ التاج كل من المعبود أوزيريس والحاكم، إذ تنص فقرة(٨٢) من ترانيم أوزيريس علي « أوزيريس الذي من أجله يشرق رع ، حتي يري جماله علي الأرض ، وكذلك يغرب حتي يراه في العالم الآخر ، إنه « أي رع » قد وهبه الصل المقدس علي تاجه الكبير تاج الآتف الذي يوجد علي رأسه – أي أوزيريس – وذلك حتي يهابه الإله – ست – الشرير وحتي يسقط أمامه جماعة ست علي وجوههم ، لأن رع يحب أوزيريس أكثر من حبه لأي إله آخر ، هذا الإله كبير الآلهة أوزيريس المقدس». وقد كان إرتداء الإمبراطور لهذا التاج يؤهله لأن يكون حاكماً لمصر العليا والسفلي ، لذلك إرتداه معظم الأباطرة الرومان في صورهم المنقوشة علي المعابد البطلمية والرومانية.

كان هذا التاج يلبس إما علي الرأس مباشرة أو علي غطاء رأس مكون من طاقية أو قلنسوه أو فوق شعر مستعار . ويظهر الإمبراطور أغسطس علي معبد دندور وقد غطي رأسه رداء رأس عبارة عن قلنسوه يعلوها التاج الأبيض والريشتين الخاصتين بمصر السفلي (شكل ٥٢) ، وعلي الجبهة الصل المقدس ويحيط بالرأس شريط يتدلي من الخلف قليلاً ، وبنقش المعبد يظهر

الإمبراطور أغسطس أيضاً بتاج الآتف ولكن بدون القلنسوه إذ أن التاج الأبيض يغطي الرأس كلياً ويغطي جزء من الجبهة ، التي تنتصب عليها ثعبان الكوبرا ، ويحيط بالرأس الشريط الخاص بالعصرين اليوناني والروماني (شكل ٥٣) ، كذلك يظهر بتاج الآتف الإمبراطور تيبريوس علي معبد إسنا (شكل ٥٤) والإمبراطور سفيروس علي معبد كوم أمبو (شكل ٥٥). ثم يظهر هذا التاج محمولاً علي قرون الكبش المستعرضه رمز خنوم إله الخلق ، فعلي معبد دندور صور الإمبراطور أغسطس مرتدياً فوق رأسه قلنسوه يحيط بها من أعلي شريط ربط من الخلف وتدلي قليلاً وعلي الجبهة تنتصب الكوبرا ، ويبرز من القلنسوه عند منتصف الرأس تقريباً قرني كبش مستعرضه محمول عليها التاج الأبيض يتوسط ريشتي نعام ، علي كل جانب منهما ثعبان كوبراً منتصب الرأس ومتوج بقرص الشمس (شكل ٥٦) . وقد أضيف إلي هذا التاج قرص الشمس يتوسط القرنين المستعرضين أو يعلو التاج الأبيض بعد قطع قمته المستديرة أو فوق القرون المصورة بالجانب (بروفيل) وليست أمامية ، أعلي أذن الإمبراطور . وقرص الشمس هو رمز المعبود رع الذي ظهر في أسماء الملوك إبتداء من الأسرة الثانية (نب رع) ، ثم بكثرة في أسماء ملوك الأسرة الرابعة ، ثم أصبح الإله الرسمي للدولة في عهد الأسرة الخامسة . وزالت دولة رع بعد الأسرة السادسة وإنهيار الحكومة المركزية وتفتت وحدة البلاد وإنقسامها إلي مقاطعات مستقلة ينفرد بحكم كل منها أميرها المحلي . وأسفر هذا الإنقسام في النهاية عن حكومتين قويتين تنافستا علي حكم مصر هي حكومة إهناسيا وحكومة طيبة وإنتهي الأمر بإنتصار طيبة علي الإهناسيين وإعادة توحيد مصر علي يد نب حتب ع منتو حتب الأول من ملوك الأسرة الحادية عشرة .

ويبدو أن تفوق رع كان قوياً رغم أفول نجمه السياسي ، وليس أدل علي ذلك من إستمرار تلقيب الفراعنة بعد الدولة القديمة باللقب سارع أي ابن الشمس . وقد مزج آمون برع منذ بداية الأسرة الثانية عشرة في اسمه (آمون رع) ليكتسب بذلك صفات رع ونفوذه القوي بين الناس ، وليمكن تقبل عبادته وتفهم طبيعته كرع أي الشمس .

وبناء علي ما تقدم نجد تيجان الحكام في العصور المصرية القديمة المتأخرة ، متضمنة العصرين اليوناني والروماني ، يدخل فيها قرص الشمس كعنصر زخرفي بكثرة غير معهودة في الفترات التاريخية المبكرة للتاريخ المصري القديم .

وإضافة قرص الشمس رمز رع إلي تاج الآتف يبرزه نقش (٨٤) موجود علي معبد إدفو يصور الملك بطلميوس الرابع فيلوباتور يقدم لحورس الأوز (رمز آمون) ، وفيه يظهر الملك بتاج الآتف علي قرنين مستعرضين يتوسطهما قرص الشمس ، أما النص المصاحب فترجمته « إني - أي حورس - أعطيك - أي الملك - قوة رع بتاج الآتف » .

ويظهر الإمبراطور أغسطس علي معبد دندور مرتدياً تاج الآتف ، ويتوسط القرنين المستعرضين قرص الشمس (شكل ٥٧) ، كما يظهر أيضاً علي نفس المعبد (شكل ٥٨) ولكن قرص الشمس وضع أعلي قرن الكبش الذي يخرج من مقدمة الجزء العلوي للأذن متجهاً نحو الخلف ، وكذلك يظهر الإمبراطور دومتيانوس به علي معبد كوم أمبو (شكل ٥٩) . وأحياناً نجد التصوير الطبيعي للتاج الأبيض الذي يتوسط الريشتين حيث قسم إلي تثلمات

رأسية وربط من أعلي محاكاة لشكل ربطة نبات البوص المربوطة من أعلي ، ويظهر بهذا التاج كل من الإمبراطور أغسطس علي معبد دندور (شكل ٦٠) والإمبراطور سفيروس علي معبد كوم أمبو (شكل ٦١) . والغريب هنا وضع أكثر من قرص واحد للشمس علي التاج .

الواقع أن الأعداد [٨٥] أعتبرت من الرموز الدينية الملكية في مصر القديمة تعبيراً عن جانب فكري عميق في حياة حكام مصر القديمة . فالعدد واحد هو رمز للإله الأوحد . أما ظاهرة الإزدواجية ، فهي ظاهرة عرف بها المصري القديم في كل فنونه ، ويرجع ذلك لأن مصر كانت مقسمة إلي شطرين مصر العليا والسفلي ، وكان لكل منهما ملك مستقل أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب ، وأيضاً إلهان واحد في الشمال والآخر في الجنوب، وتبعاً لذلك ولدت في مفاهيم الإنسان المصري القديم ظاهرة الإزدواج وإنعكست في التعبير الفني ، وهذا يوضح مدي تأثير الظروف السياسية والبيئية علي عقلية الفنان المصري القديم ، والإزدواجية ترمز في العصور المتأخرة علي وجه الخصوص إلي الإلهين حورس وست .

وقد ظهر بتاج الآتف أيضاً كل من الإمبراطور تيبريوس علي معبد إسنا (شكل ٦٢) ، والإمبراطور أنطونينوس بيوس Antoninus Pius علي معبد دندره (شكل ٦٣) ، والإمبراطور سفيروس Severus علي معبد إسنا (شكل ٦٤)، والإمبراطور كراكلا Caracalla علي معبد إسنا (شكل ٦٥) . وجدير بالذكر أن هذه التيجان الأخيرة نجد فيها إثنان من الكوبرا ممثلة علي جانبي تاج الآتف عند القاعدة ، وكل ثعبان توجت رأسه بقرص الشمس ،

وثعبان الكوبرا أو الصل المقدس عنصر آخر دخل علي تاج الآتف منذ الدولة الوسطي ، وكانت هذه الإضافة نتيجة لدخول تاج الآتف ضمن مخصصات المعبود رع الذي يتحدث في نص (٨٦) « إنه - أي رع - قد وهبه الصل المقدس علي تاجه الكبير تاج الآتف الذي يوجد علي رأسه - أي أوزيريس - وفي فقرة (٨٧) أخري من كتاب الموتي تقول « إنك تتألق كسيد للوجهين، بأن يستقر تاج الآتف الخاص برع علي رأسك ، يأتي إليك الآلهة منحنين ، والخوف منك يسري في أعضائهم عندما يرونك في جلالة رع » . والواقع أنه في الدولة الوسطي مزج آمون برع أي الشمس وعرف بآمون رع ، وقد ساعدته عبادة رع علي أن ينتشر في كل المعابد المصرية . وبذلك إنعقدت عبادة الشمس كلها حول آمون حيث وضعه كهنته مكان رع علي رأس التاسوع الأكبر ، عينه فتاكة تصرع الحية مثل عين الشمس ، والدليل علي إرتباط الكوبرا بالشمس هو وجود قرص الشمس فوق رأسها . ومن جانب آخر فإن تصوير حيتان (٨٨) إنما يرجع في المقام الأول إلي الإزدواجية التي عرف بها الفن المصري القديم للأسباب التي ذكرناها سابقاً . بالإضافة إلي أن أنثي ثهبات الكوبرا كانت في العقائد المصرية القديمة خادمة رع إله الشمس ورمز المعبودة واجت Wadjet (٨٩) الممثلة لمصر السفلي ، وكنوع من التناظر فقد صورت المعبودة نخبت Nechbet (٩٠) أيضاً بشكل الكوبرا ، كما صورت واجت في شكل طائر العقاب لتناظر المعبودة نخبت وهي نظرية تعبر عن وحدة قطري مصر الشمال والجنوب مجسدة في هاتين الإلهتين . وقد اعتبر المصري القديم كل من واجت ونخبت إلهتان حاميتان للملك بوجودهما علي التاج ، علاوة علي ما لكل منهما ، بتشكيلهما في هيئة ثعبان الكوبرا، من تأثير سحري إذ أن الكوبرا رمز القوة للملك .

ويكون تاج الريش العالي المستقيم جزءاً من تاج الآتف الذي ظهر به الأباطرة الرومان وسط عناصر زخرفية أخري كثيرة ومعقدة للغاية ، فعلي معبد دندور صور الإمبراطور أغسطس (شكل ٦٦) مرتدياً القلنسوه ويتدلي من مؤخرتها شريط ينزل قليلاً ، وعلي الجبهة تنتصب الكوبرا الملكية (الصل المقدس)، وحول الأذن قرن كبش من النوع الملتوي . وقد زود بعض الحكام الفراعنة بالقرون الملتوية لآمون ، التي تلتف حول آذانهم (للتعبير عن تأليههم) والخاصة بكبش آمون . وبما أنها في اللغة المصرية القديمة يطلق عليها [٩١] sfj بمعني « الجليل الطلعه » ، فإنها تعني الجلال الإلهي فهي تضفي قدسية علي الحاكم . ومن منتصف القلنسوه العلوي يخرج إثنان من قرني الكبش المستعرضه لخنوم محمول عليهما تاج الآتف ذو الريش المستقيم العالي، وعلي كل جانب نجد شكل يناظره آخر علي الجانب الثاني عبارة عن نبات البردي محمولاً علي قرن الكبش كقاعدة وفوقه شكل لثعبان منتصب شكلت رأسه في هيئة رأس الأسد [٩٢] . وقد كان الأسد حيواناً مهيباً ذا قوة وبأس لذلك استخدم شكله ليضفي الرهبة والخشية في التمثيل ، وليعبر أيضاً عن الحماية المنشودة من التمثيل . وقبل نهايتي القرنين المستعرضين لخنوم نجد تمثيل لثعبان الكوبرا منتصب الرأس متوجاً بقرص الشمس ، ويخرج من فرع النبات الممثل علي الجانب الأيسر السلك المعبر عن التاج الأحمر.

ويعترض تاج الآتف عند منتصف المسافة تقريباً جعل مجنح (خبري) Kheprer ، ويتوسط قرني الكبش المستعرضه قرص شمس بين قرني بقرة، علي كل جانب منهما قرص شمس آخر ، وفوق كل عنصر من عناصر زخرفة التاج الخمس من أعلي قرص شمس . أما فيما يختص بالجعران [٩٣] فإن

النقوش الموجودة علي التيجان كانت تستخدم كتمائم لها صفات ما تحويه من أشكال الجعران hpr ، الذي كان يرمز لعملية الخلق حيث يخلق نفسه بنفسه، وحمله يعطي الجسد التجديد والدوام وحسن الطالع ويرمز لإله الشمس . وهناك فصل من كتاب الموتي إسمه التحول إلي الجعران ، والجعران المجنح في الغالب يعني إله الشمس في الصباح hpr - r ، وبذلك كان رمز لشروق الشمس كل صباح ، له صفة الدوام ، دوام الخلق ودوام الحياة بالطبع . وقد ربط المصري القديم منذ أقدم العصور بين الجعران والإله آتوم وقدسه كصوره لإله الشمس ، ولذلك نري الجعران داخل قرص الشمس أو هو نفسه في مركب الشمس ، وغالباً ما نجده بجناحين مشروعين وأمامه قرص الشمس ، وسمي هذا الشكل في العصر المتأخر « جعران ذات جناحين وأمامه قرص الشمس » . وقد كان للجعران المجنح وظيفة التميمة في العصر المتأخر وهذان الجناحان هما جناحي طائر البنو أو الفينكس « العنقاء » وهو الطائر المقدس الذي اعتبره المصريون روح الإله رع .

أما عن تصوير ثمان من قرص الشمس فإنها ترمز إلي ثامون هرموبوليس ، وغالباً تظهر علي أشكال الدولة الحديثة ، إذ يعتقد أن آمون أتي إلي طيبة من هرموبوليس (٩٤) . والدليل علي ذلك أن الأشكال المتأخرة ممثل عليها قرون الكبش الملتوية ، كما هو الحال في الشكل الذي نحن بصدد الحديث عنه .

ونفس التاج مع بعض الإختلافات البسيطة يظهر به الإمبراطور نيرون (شكل ٦٧) علي معبد دندره . يرتدي الإمبراطور علي رأسه القلنسوه،

ويحيط بالأذن قرن كبش آمون الملتوي ، ويتدلي علي كتفه الشريط وعلي الجبهة الصل المقدس . أعلي القلنسوه قرني الكبش المستعرضه لخنوم محمول عليهما تاج الآتف المكون من التاج الأبيض يتوسط ريشتان مستقيمتان عاليتان ، وعلي جانبي الريشتين ثعبانان منتصبان برأس أسد ، وفوق كل من الأسدين والريشتين والتاج الأبيض خمس من قرص الشمس وأسفل ثلاث أخري . وبالإزدواجية المعروفة في الفن المصري مثل السلك الخاص بالتاج الأحمر علي الجانبين . وحوالي ثلث المسافة تقريباً من القاعدة يقطع الجعران المجنح تاج الآتف .

ويظهر الأباطرة الرومان علي العابد بشكل آخر من التيجان المركبة وهو تاج المعبود جب [٩٥] ، والذي يطلق عليه أبو بكر [٩٦] إسم تاج المملكة نظراً لأنه يجمع الأجزاء الأساسية لكل التيجان ، إذ يدخل في مكوناته كل من التاج الأبيض الخاص بمصر العليا والتاج الأحمر الخاص بمصر السفلي وتاج مصر السفلي Anedtj (الريش) ، وكل هذه العناصر محمولة علي قرني كبش مستعرضه يخرج من منتصفها قرص الشمس . ويبدو أن هذا التاج إتخذ في العصرين اليوناني والروماني مظهراً آخر إذ نجد الإمبراطور أغسطس مصوراً علي معبد دندور (شكل ٦٨) يرتدي التاج الأحمر فوقه تاج الآتف محمولاً علي قرني كبش مستعرضه ، ويخرج السلك الملتوي والخاص بالتاج الأحمر من الركن الداخلي للتاج الأبيض متجهاً للخارج . ويفتقد هذا الشكل لقرص الشمس عند منتصف القرنين المستعرضين ولكن وضع قرص شمس واحد أعلي التاج الأبيض بعد قطع الجزء المستدير العلوي منه.

وفي شكل آخر للإمبراطور أغسطس أيضاً مصور علي نفس المعبد وبنفس التاج نجد قرص الشمس ممثل عند منتصف القرنين المستعرضين (شكل ٦٩)، وفي شكل مماثل (شكل ٧٠) نجد السلك الخاص بالتاج الأحمر يخرج من منتصف قرص الشمس من أعلي متجهاً للخارج .

وشبيه بهذا التاج تاج آخر يظهر به الإمبراطور أوتو Otho علي معبد الأقصر، يرتدي الإمبراطور قلنسوه عليها قرنين كبش مستعرضين علي كل قرن منهما من أعلي إثنان من ثعبان الكوبرا ، ويتدلي من أسفل كل قرن منهما ثعبان كوبرا ، وفوق القرنين المستعرضين وضع التاج المزدوج المكون من التاج الأبيض والتاج الأحمر ، وربما كان هذا النوع (شكل ٥١) طرازاً آخر لتاج المملكة ، كما أسماه أبو بكر ، ولو أنه ينقصه بعض العناصر مثل تاج الريش Anedtj . وهنا علي هذا التاج نجد تمثيل لسبع من الحيات [٩٧] ست أعلي وأسفل القرنين المستعرضين وواحدة علي جبهة الإمبراطور . وجدير بالذكر أن الفنان المصري القديم عندما أراد وضع أعداد معينة لم يضعها عفو الخاطر وإنما هي إنعكاس لمفهوم عقائدي أراد التعبير عنه بالرمزية ، فالعدد سبعة [٩٨] كان مفهومه عند المصري القديم بالذي كان يسيطر عليه السحر، سبع أعين تحمي الحاكم من الشر وتنصره علي الأعداء ، ومن منطلق هذا المفهوم فهي مصدر قوة الحاكم .

ومن التيجان الأكثر شيوعاً بين الأباطرة الرومان التاج الأزرق [٩٩] Hprs̄ (Kheprsh) ، الذي كان إرتداءه قاصر علي الحكام فقط دون الآلهة ، ويعتبر هذا التاج تطور لنوع من رداء رأس ظهر خلال الدولة الوسطي [١٠٠]

Cap-Crown عبارة عن قلنسوه أو طاقية ملكية يرتديها الحاكم عادة بصفته الكاهن الأعظم [١٠١] في المعابد المصرية ، إذ كان يتعين عليه ألا يرتدي التيجان الأخري إلا في حالة تمثيله كملك وليس كاهناً أعظم للبلاد. وبالرغم من ظهور هذا التاج في شكل جديد إلا أن الشكل القديم لم يختفي بل ظهر به الأباطرة الرومان علي المعابد المصرية الطراز ، مما أدي إلي الخلط بينه وبين التاج الأزرق علي الرغم من الإختلافات الواضحة بين التاجين، فالأول عبارة عن قلنسوه بسيطة أشبه بالخوذة الحربية ، أما الثاني فيأخذ شكل الأجنحة من كلا الجانبين وهو أزرق اللون مزخرف بنقط أو دوائر ذهبية اللون وعلي الجبهة زخرف بالصل المقدس .

وقد ظهر بالتاج الأول الإمبراطور أغسطس (شكل ٧١) علي جدران معبد دندرة في منظر يصور عملية خلق الإنسان حيث يقوم خنوم بالخلق وتساعده الإلهة حقت علي هيئة الضفدعة بمنح الحياة (عنخ) ، كما يظهر به أيضاً الإمبراطور أغسطس (شكل ٧٢) علي معبد فيله في منظر يمثل أول مراحل الإحتفالات الخاصة بتتويج الملك ، وهي عملية تطهيره علي يد كل من المعبود تحوت والمعبود حورس اللذان يصبان عليه الماء المقدس من إنائين ليمنحاه الحياة والصحة رمز هذين الإنائين ، ويظهر نفس المنظر [١٠٢] مرة أخري علي معبد إسنا ، حيث نري الإمبراطور تيبريوس يتطهر علي يد كل من حورس أيسه وجحوتي ويتوج رأس تيبريوس رداء الرأس Cap-Crown . ويظهر بالطاقية الملكية أيضاً الإمبراطور تراجان علي معبد إسنا (شكل ٧٣)، ولكنها تحمل فوقها شكل لتاج مركب مكون من إثنين من ثعبان الكوبرا متوجين بقرص الشمس ، أحدهما يمثل المعبودة واجت إلهة مصر

السفلي والآخر يمثل نخبت إلهة مصر العليا ، ويتوسط الحيتين العلامة الهيروغليفية w3d رمز عمود البردي ، والتي كانت تستخدم أيضاً كتميمة ، ومعناها الأخضر وهي ترمز لتجديد النضرة وقوة الشباب ، ويتقاطع ذيل الحيتان قبل نهاية عمود البردي وعند بداية البرعم ، ويحمل عمود البردي شكل قائم لجعل (خبري) رمز آتوم إله الشمس .

فيما يختص بالتاج الأزرق فإنه كان يخص أساساً الملوك - كما سبق وأن ذكرنا - وكان يرتديه الملك في مناسبات عديدة علي الرغم من تسميته بخوذة حرب الفراعنة (١٠٣) ، فبجانب إرتباطه بالحرب فقد كان رمز التتويج ووراثة العرش الشرعية وإنتصار الملكية (١٠٤) ، وكلها وظائف متداخلة في بعضها ، فالتتويج لم يكن فقط عملاً سياسياً وإنما رمز الملكية المتحدة والإنتصار علي الأعداء (١٠٥) ، وقد عرف هذا التاج بالتاج الأزرق نسبة إلي تغطية مساحة التاج كلها باللون الأزرق يتخلله نقط ذهبية اللون فسرها دافيس Davies (١٠٦) بأنها محاكاة للغات الشعر دون تعليل من جانبه لسبب تلوين وزخرفة هذا التاج .

ومن الواضح أن هذا التاج ظهر في عهد الدولة الوسطي ووصل أوج تطوره منذ الدولة الحديثة واستمر بعد ذلك صعوداً . وأري أن هذا التاج يرتبط بالإله آمون ، الذي ظهر حوالي نفس الفترة كإله لطيبة، ثم أصبح إله الدولة المصرية ثم إله الإمبراطورية المصرية فأفسحت له جميع الآلهة الطريق أمامه . كما أن هذا الإله يرتبط بالحرب ، أليس هو الذي رفع علمه ملوك الأسرة السابعة عشر لتحرير البلاد وطرد الهكسوس ؟ أليس هو الذي جلب لهم الإنتصارات بعد ذلك في الجنوب والشمال ؟ ألم تكن تلك العظمة وذلك الثراء

الذي تميزت به مصر من أعماله ؟ أليست تلك الحروب هي التي قضت علي الإقطاع وأمرائه وزادت في قوة الملوك وسلطانهم بفضله ؟ وهكذا فإنه يعضد الفرعون في الحروب ويحرز له النصر [١٠٧] . إذن هناك رباط مشترك بين آمون والتاج الأزرق وهو صفة الحرب وعنصر التلازم الزمني . ومن جانب آخر فإن لون هذا التاج يتطابق واللون الذي كان يظهر به آمون دائماً وهو اللون الأزرق بخلاف الآلهة الأخري كما سبق وأن ذكرنا .

أما عن النقط أو الدوائر الصغيرة الذهبية اللون ، والتي يعتقد أنها مضاهاة للفات الشعر ، فيعتقد أنها لا تعبر عن أسلوب لفات الشعر بقدر إرجاعها إلي المادة التي صنعت منها هذا التاج . وفي هذا الصدد يعتقد إرتمان [١٠٨] Ertman أن التاج الأزرق صنع من مادة مرنة مثل النسيج ، في حين أن ستراوس [١٠٩] Strauss يعتقد أنه صنع من الجلد أو المعدن ، وإتفق معه في كون التاج الأزرق قد صنع من المعدن خاصة وأنه في فترة ظهور هذا التاج في الدولة الوسطي ظهر نوع جديد من الذهب المحبب دخل مصر خلال الأسرة الثانية عشر [١١٠] ، وربما كان الذهب المحبب مادة مفضلة لصنع هذا التاج .

ومن جانب آخر فإن زخرفة التحبيب في مصر في العصرين البطلمي [١١١] والروماني كانت شائعة في المشغولات المعدنية ، وبصفة خاصة الحلي، وهي صناعة مستوردة دخيلة علي الفن المصري القديم بتأثير من الفن الآسيوي [١١٢] ، نظراً لإنتشار الآسيويين في مصر بداية بالدولة الوسطي، وهي الفترة التي عرف فيها هذا الفن في مصر ولم يعرف من قبل، والدليل علي ذلك ظهور هذه الزخرفة علي تيجان أخري غير التاج الأزرق إرتداها

الأباطرة الرومان علي رؤوسهم في المناظر المصورة لهم علي المعابد. فعلي معبد إسنا يظهر الإمبراطور تيبريوس [١١٣] بالتاج المزدوج وقد غطت هذه الزخرفة التاج الأحمر كله ، وفي منظر آخر علي نفس المعبد [١١٤] تظهر هذه النقط الزخرفية في مقدمة التاج الأحمر فقط ، وعلي معبد فيله [١١٥] غطت هذه النقط التاج الأحمر أحد مكونات التاج المزدوج المحمول علي قرني كبش مستعرضه .

وقد تكون هذه التيجان ذات النقط الزخرفية قد صنعت من الفضة[١١٦] ذات الحبيبات الذهبية ، والمتوفرة في البيئة المصرية قديماً ، والتي كانت تعد من المعادن النفيسة ، ونظراً لعدم معرفة المصريين القدماء بفصل هذه الحبيبات الذهبية عن الفضة فقد لفتت نظر المؤرخين [١١٧] القدامي فأطلقوا عليها الفضة المبقعة .

أما فيما يختص باللون الأزرق [١١٨] فقد برع قدماء المصريين في تلوين المعادن الثمينة التي تشبه تماماً لعملية الطلاء بالمينا [١١٩] Enamelling – إن لم يكونوا في رأي قد توصلوا بالفعل لأصول فن الطلاء بالمينا – وحتي إن كانت مصر لم تتوصل إلي الطلاء بالمينا ، فإن الإغريق قد عرفوا هذا الفن منذ القرن السادس ق.م . واستمر حتي نهاية العصر الروماني [١٢٠] ، ولابد أنهم نقلوها إلي مصر [١٢١] قبل مجئ الإسكندر إليها إن لم يكونوا قد أخذوها عن مصر .

وقد يشكل التاج الأزرق تاجاً منفصلاً أو تاجاً مركباً ، فعلي معبد دندور صور الإمبراطور أغسطس (شكل ٧٤) مرتدياً التاج الأزرق وعلي

الجبهة تنتصب الكوبرا الملكية (الصل المقدس) ويحيط بالتاج شريط عقد عند مؤخرة الرأس وينزل علي الكتفين . وفي شكل آخر علي نفس المعبد صور الإمبراطور أغسطس (شكل ٣٨) بالتاج الأزرق يعلوه قرني كبش مستعرضه لخنوم محمول عليهما ريشتين بينهما قرص الشمس ، وعلي جانب كل ريشة من الخارج حية منتصبه ، وظهر بنفس التاج كل من الإمبراطور تيبريوس علي معبد إسنا (١٢٢) ، ولكن بدون الحيتين . والإمبراطور جالبا علي معبد الأقصر (شكل ٢٥) والإمبراطور دومتيانوس علي معبد إسنا (شكل ٧٥).

ومن التيجان المركبة التي ظهر بها الأباطرة الرومان علي المعابد البطلمية والرومانية والملفتة للنظر ذلك التاج الذي أطلق عليه تاج حمحمت hmhm . ربما كان هذا التاج خاص بالحروب إذ أن كلمة hmhm التي أختص بها هذا التاج تعني الصرخة ، الرهبة والخوف (١٢٣) . ولاشك أن المقصود هنا الرهبة والخوف اللذان يسببهما هذا التاج في قلوب الأعداء ، ولذا أعتبر رمز صيحة الحرب أو الصرخة . وعناصر هذا التاج الرئيسية هي ثلاث تيجان آتف مركبة إنتظمت إلي جوار بعضها وحملت علي طول استطالتي قرني كبش مستعرضه . وتتخذ بعض أنواع أخري من هذا التاج مظهراً أكثر تعقيداً إذ يضاف إليها أقراص الشمس ، الجعارين المجنحة ، الصقر متوج بقرص الشمس ، الكوبرا uraei وشعارات نباتية كسعف النخيل . وقد إرتدي الأباطرة هذا التاج إما علي الشعر المستعار أو علي غطاء الرأس الملكي الـ Klaft أو الـ Khat (١٢٤) أو علي تاج الطاقية أو القلنسوه .

ويظهر علي معبد دندور الإمبراطور أغسطس (شكل ٧٦) مرتدياً هذا التاج في تنوعات مختلفة ، ففي منظر يرتدي غطاء رأس من نوع الـ Khat

والصل المقدس علي الجبهة ، يعلو غطاء الرأس قرني كبش مستعرضة محمول علي طول استطالتهما ثلاث من تاج البوص أو الغاب أسفل كل منها وأعلاها قرص شمس ، وثبتت ريشة نعام في تناظر علي جانبي تاج البوص، ويتخلل الفراغات الموجودة من أعلي بين التيجان الثلاث سعفتا نخيل ، وحول أذن الإمبراطور قرن الكبش الملتوية الخاصة بآمون . ويتكرر التاج في منظر آخر للإمبراطور أغسطس (شكل ٧٧) مع إضافة الصل المقدس عند نهايتي قرني الكبش المستعرضين في نوع من التناظر أو التقابل المعروف في الفن المصري القديم ، وفي شكل ثالث يظهر فيه الإمبراطور أغسطس بنفس التاج (شكل ٧٨) مع إضافة صقر متوج بقرص الشمس واقفاً بوضع جانبي (بروفيل) فوق قرص الشمس الذي يعلو تاج الغاب أو البوص . يظهر أيضاً علي معبد فيله الإمبراطور تيبريوس (شكل ٧٩) وقد توجت رأسه بتاج الحمحمت فوق شعر مستعار ، وكذلك يظهر أيضاً الإمبراطور دومتيانوس علي معبد إسنا[١٢٥] متوجاً بتاج الحمحمت فوق قلنسوه غطت رأسه ، وهنا نجد إثنين من الكوبرا تتدلي علي كل جانب من جانبي القرنين المستعرضين في تقابل أو تناظر .

ومع كثرة هذه التيجان السابقة الذكر والتي ظهر بها الأباطرة الرومان إلا أننا نجد بعض الأباطرة يظهر فقط بشعر مستعار يحيط به شريط عقد عند مؤخرة الرأس وينزل علي الكتف ، وعلي الجبهة الصل المقدس كما في الشكل الممثل للإمبراطور تيتوس (شكل ٨٠) علي معبد إسنا ، وكذلك الإمبراطور تراچان علي معبد دندره (شكل ٨١) .

إن ما أود أن أبرزه فيما يختص بدراسة طرز تيجان الأباطرة الرومان كما ظهروا بها علي المعابد البطلمية والرومانية ، هو أن عناصر زخرفة هذه

التيجان ماهي إلا تعبيراً عن توأمان تلازما في العصر الفرعوني هما الدين والحضارة، فليس هناك دين استطاع أن يفرض نفسه علي الناس والأيام دون أن يكون لأصحابه أثر في الزمان والمكان ولايستطيع إناس أن ينجحوا في نشر عقائدهم دون أن يكون لهم مكان . والواقع أن الحضارات الإنسانية في كل زمان ومكان قد نشأت كلها تحت راية العقائد أيا كان كونها وكيفما كان أصلها ومبعثها . وجاءت هذه التيجان التي تحلي بها الأباطرة الرومان علي رؤوسهم لتعبر عن الدين والحضارة الفرعونية اللذان نشأ علي أرض مصر وظلا علي مدي السنين والعصور التالية تحكي ما كان لهذا الشعب العريق من عقائد راسخة وحضارة شامخة .

فالرموز الإلهية التي كانت تشكل الأساس الجوهري لتلك الزخرفة ماهي إلا تعبير عن فكر المصري القديم الديني ، فكل رمز منها يرتبط بإله من آلهة مصر القديمة فقرص الشمس رمز الإله رع ، رع حور آختي ، والريشة المزدوجة رمز الإلهين حورس وآمون ، وقرني البقرة رمز الإلهتين حتحور وإيزيس ، وقرون الكبش المستعرضة رمز الإله خنوم والملتوية رمز آمون .... إلخ . ومن واقع هذه الرموز الإلهية إتخذت التيجان الملكية أسماء عديدة منها عين الإله اللهب الحامي ، الآلهة الحامية للملك... وهكذا.

كما نستنتج منها التاريخ السياسي للإمبراطورية المصرية ، إذ أن هذه الزخارف تأكيد لفكرة الملكية الإلهية التي يقوم عليها نظام الحكم في مصر الفرعونية وتأكد صفة الألوهية لحاملها . ويتضح تأثرها بالأحوال السياسية التي تعرضت لها مصر الفرعونية من تغلب إله علي باقي الآلهة ، فقد وضع بتاح علي رأس طائفة من الآلهة عندما كانت منف هي العاصمة ، ووضع آمون

علي رأس تلك الطائفة عندما كانت طيبة عاصمة البلاد . ولعلنا نلاحظ من خلال العرض السابق للتيجان التي ظهر بها الأباطرة علي المعابد البطلمية والرومانية سيطرة رموز آمون عليها ، وهي تنم عن محاولة الكهنة في العصر الروماني ربط الفترات المتأخرة من تاريخ مصر وبصفة خاصة العصر الطيبي بالعصر الروماني بتشبيه أباطرة الرومان بملوك الدولة الحديثة الذين إتخذوا من آمون إله رسمي للإمبراطورية المصرية . ولم يخلو معبد من المعابد البطلمية والرومانية إلا وقد صور عليه المعبود آمون (١٢٥) إما بالشكل الحيواني برأس كبش أو بالشكل الآدمي حيث يتخذ شكل الإله مين إله الخصوبة أمامه الأباطرة يقدمون له القرابين . وهذا دليل علي أن كهنة هذه المعابد أرادوا تصوير العصر الذهبي للدولة الفرعونية سياسياً وإقتصادياً ودينياً مستبدلين صور الرعامسة كما ظهروا بها علي الأقصر والكرنك(١٢٦) بصور الأباطرة الرومان علي دندره وإدفو وكوم أمبو وإسنا وفيله ودندور وغيرهم من المعابد البطلمية والرومانية .

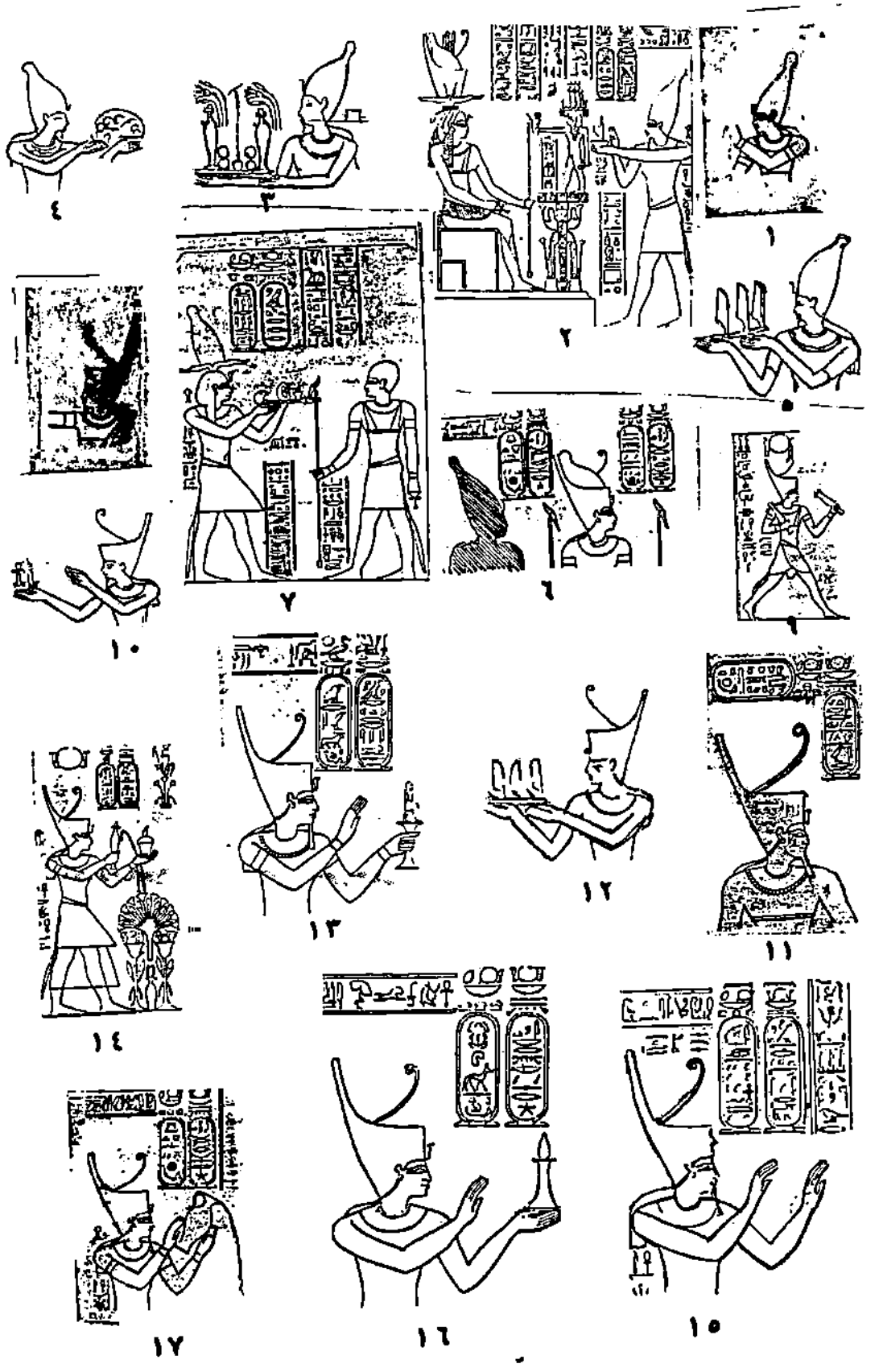
١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧

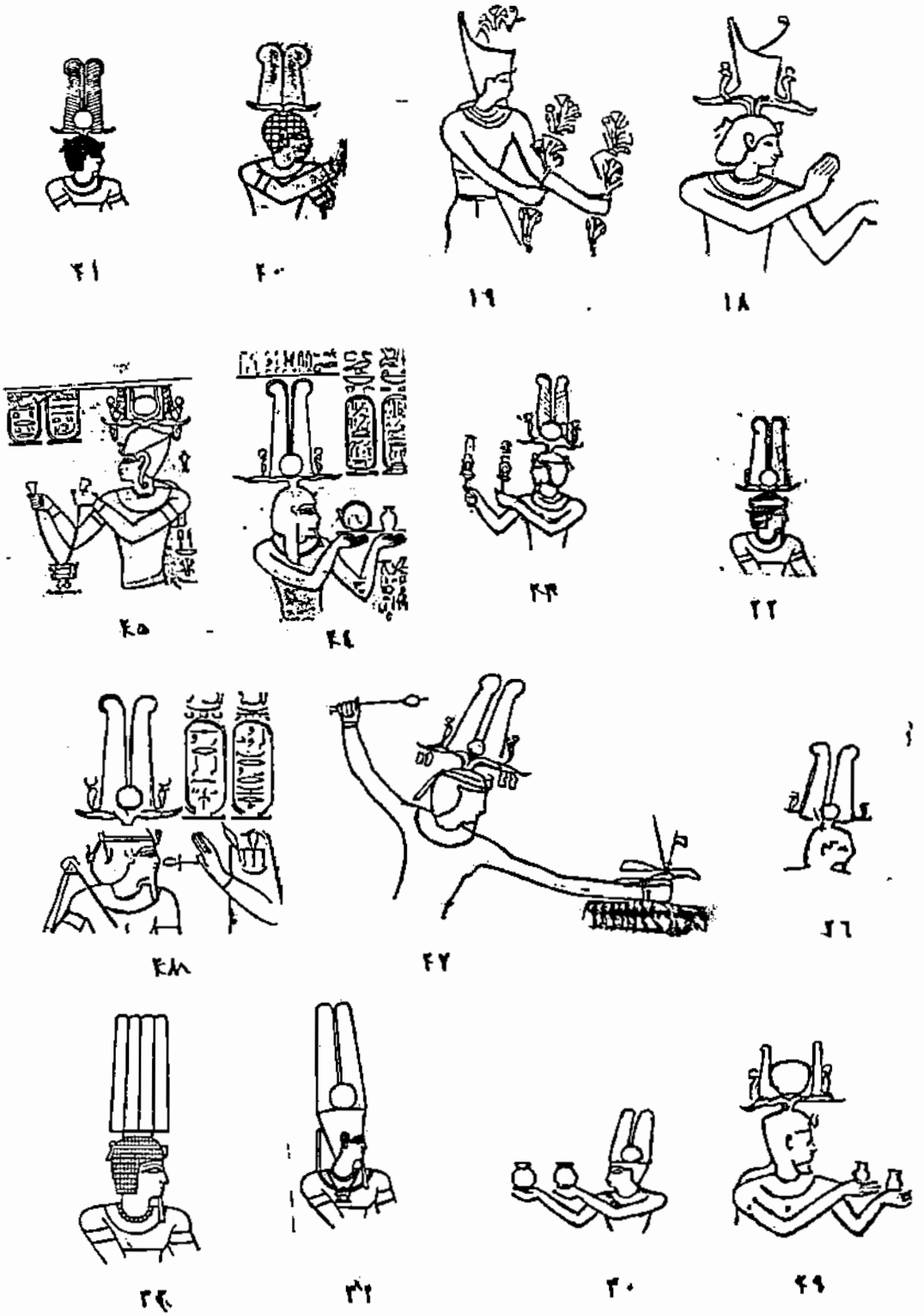
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢

لوحة رقم (٢)

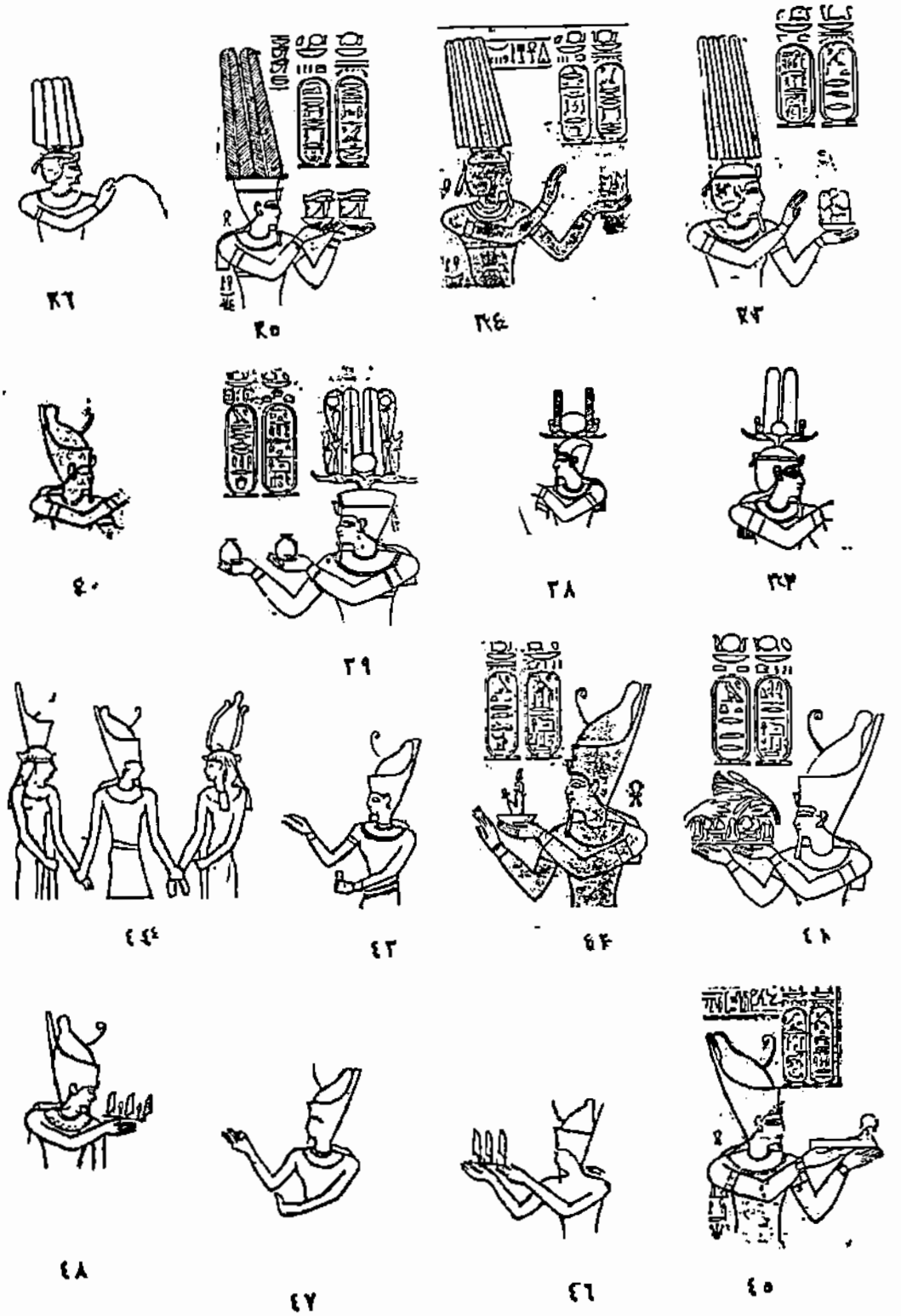

لوحة رقم (٤)

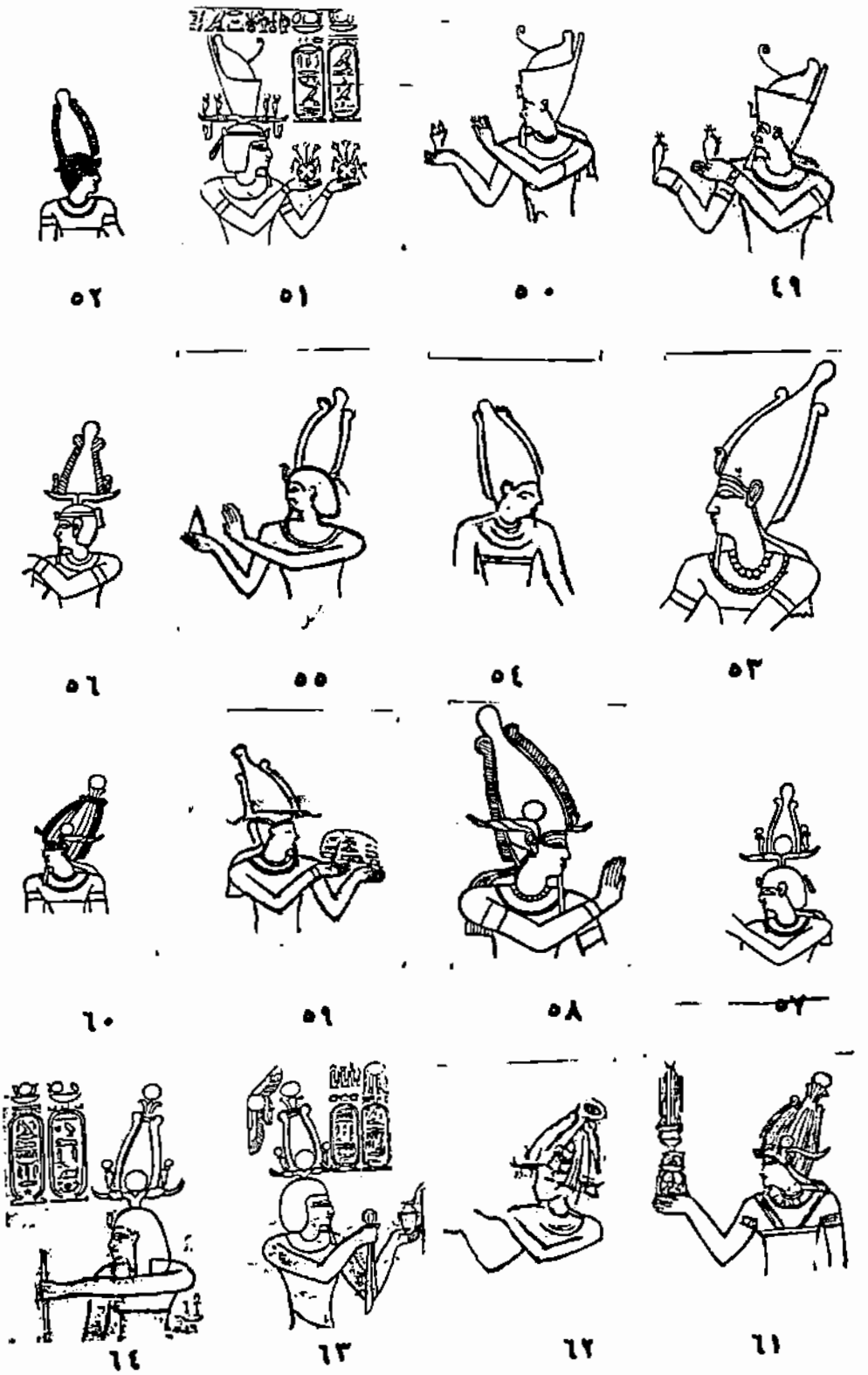

لوحة رقم (٤)

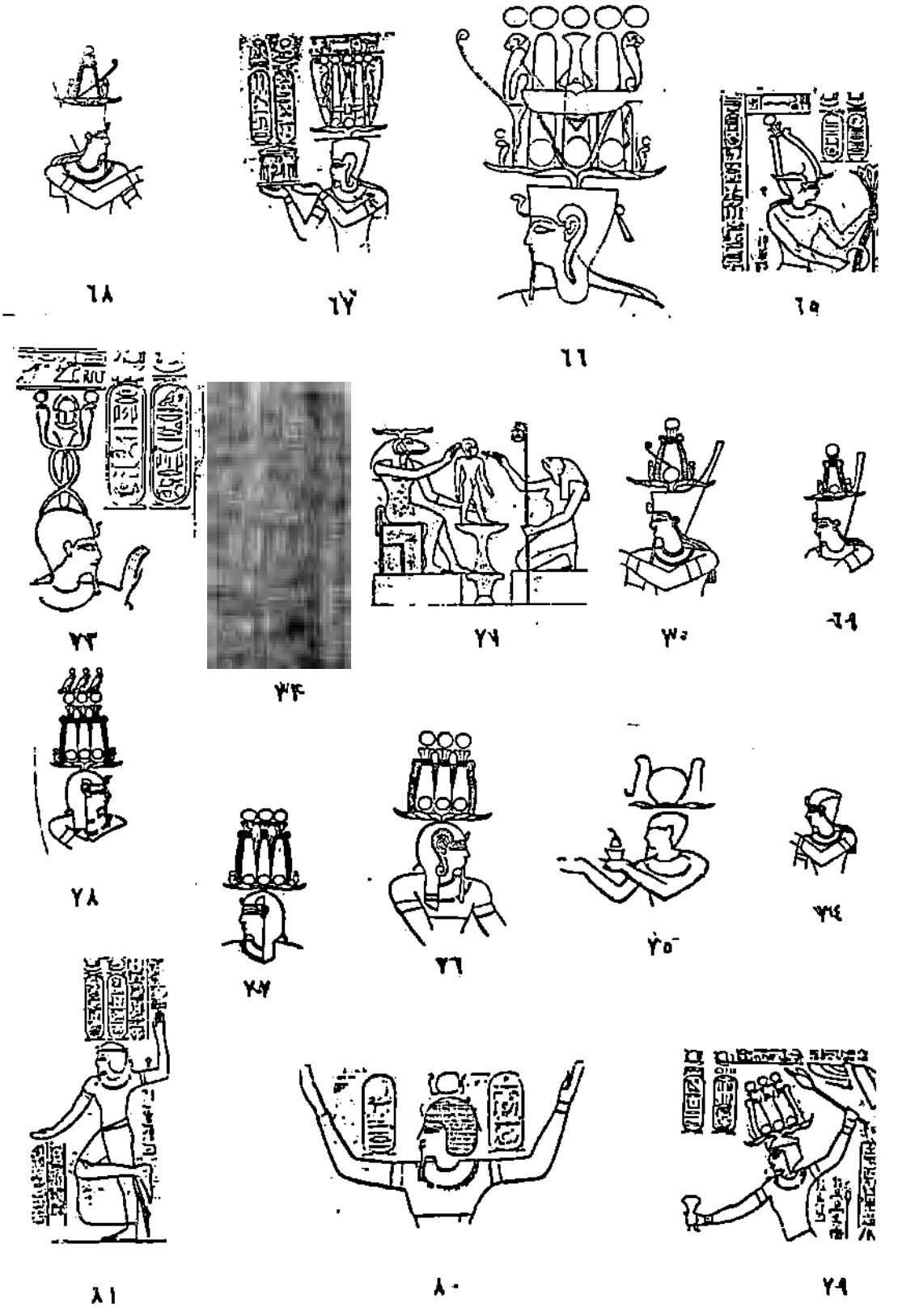

المراجع

(١) عن كل طرز التيجان التي ظهرت في العصر الروماني انظر :

Description de L'Egypte, Mounments de L'Egypte, Planches, L'edition imperiale de 1809, (Paris, 1988), Vol. I A., pl. 16.

(٢) سيد توفيق ، أهم آثار الأقصر الفرعونية (القاهرة ١٩٨٢)، ص ٨٣، محرم كمال ، تاريخ الفن المصري القديم (القاهرة ١٩٩١)، ص ١٦٥.

(٣) محرم كمال ، المرجع سالف الذكر ، ص ١٦٣ ومابعدها.

(4) Kitchen K. A., Pharaoh Triumphant, (Cairo, 1982), P.28.

(5) P. Tebt. 99, I. 59.

(6) P. Petrie II, 39 (e); P. Mich - Zenon, P. 67.

(7) P. Tebt, 746.

(8) P.S.I., 514.

(9) P. Cairo - Zenon, 57036, 59373 ; P. Petrie II, 10 (1); P. Hibeh, 120.

(١٠) إبراهيم نصحي : مصر البطلمية (القاهرة ١٩٤٨)، الجزء الثاني، ص ٦٣٢.

(11) Milne J. G., A History of Egypt Under Roman Rule, (London, 1924), P. 159.

(12) P. Eleph. 14.

(13) Wallace, S. R., Taxation In Egypt From Augustus to Diocletian, (Oxford, 1938), P. 361; Rostovtzeff, M., The Social and Economic History of the Hellenistic World, Vol. I, (Oxford, 1941), PP. 469 ff.

(14) P. Tebt, 5, I, 59 ; II 138 - 43, 178 - 87.

(15) Rostovtzeff, op. cit., P. 469.

(16) B.G.V., IV. 1123.

(17) P. Axy XII, 1413; Milne , op. cit., P. 159.

(19) P. Fay, 20.

(٢٠) يتضح من خلال هذه البردية التي ترجع إلي ٢٢٢م أن هذه الضريبة لم تفرض علي سكان مصر فقط وإنما كانت ضريبة واجبة الأداء علي إيطاليا والبلاد الأخري.

Hunt A. S., Edgar C. C., Select Papyri, II, (1963), P.96.

(٢١) إبراهيم نصحي : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر اليوناني والروماني ، المجلد الثاني ، ص ١٦٦.

(٢٢) نفس المرجع .

(22) Abubakr A., Untersuchungen über die Agyptishen Kronen, Glückstadt, (1937), PP. 25 , 50 ; Sethe K., Urgeschichte, PP. 81 ff ; Murray M., Costume of early Kings, AE (1926), P. 36 ; Borchardt L., Ein Bildhauermodell aus dem früheren Alten Reich, Annales de Service, 28; P. 43 ; Christine Strauss, Kronen, L Å III, (1980), P. 812 ; Yoyotte, J., Kunstschätze der Pharaonen, (Genf 1968), P. 38.

(٢٣) عرف المصري القديم الذهب منذ عصور ماقبل الأسرات حيث عثر عليه في مناطق واسعة بين وادي النيل والبحر الأحمر والصحراء الشرقية جنوباً من طريق قنا والقصير إلي حدود السودان. أما ماوجد في مصر من ذهب مستورد فيرجعه لوكاس إلي تلك الهدايا التي كانت ترسل إلي الملوك الفراعنة والبطالمة كنوع من

الولاء لهم . بالإضافة إلي ما إكتشف من مناجم جديدة في العصرين اليوناني والروماني في وادي فواخير وغيرها.

Lucas A., Harris, Ancient Egyptian Materials and Industries, (London, 1962), P. 224 ; Petrie W. M., The Arts and Crafts of Ancient Egypt, P. 83.

(24) Bruce Trigger, " Nubia Under the Pharaohs", (London, 1976), P. 66.

(25) Urk, IV, 349, 10 , 11.

(26) Posener G., Sauneron S., Yoyotte, J., A Dictionary of Egyptian Civilization, (London, 1962), P. 111.

(27) Ibid, P. 263.

(٢٨) محرم كمال ، المرجع سالف الذكر ، ص ١٢٢.

(29) Abubakr, op. cit., PP. 38 ff.

(30) Ibid, PP. 66 ff.

(٣١) يقع معبد دندور جنوب أسوان بحوالي ١٥ ك.م. وقد أقام المعبد الإمبراطور أغسطس الملقب علي المعبد بلقبي أوتوقراتور قيصر. والمعبد مكرس لإثنان من الأفراد المؤلهين وهما Petisi و Pihor إبني شخص يدعي Kwpr . ويعتقد أنهما ماتا غرقاً حيث يحملان لقب hsy-i, وهذا اللقب أصبح تقليداً يطلق علي الغرقي في اللغة الديموطيقية المتأخرة . وربما أصبح تقليداً متبعاً فيما بعد تأليه الغرقي حيث أن الإمبراطور هادريان Hadrianus أقام معبد لغلامه أنطينوس Antinous في مدينة أنطينوبوليس Antinoopolis التي بناها تمجيداً لصفيه هذا . وقد أهدي معبد دندور بقرار جمهوري عام ١٩٦٣ لمتحف المتروبوليتان بالولايات المتحدة الأمريكية تقديراً لجهود الأمريكان في إنقاذ آثار النوبة.

Blackman M., The Temple of Dendür, IFAO, Le Caire (1911), P. 82 ; Weigall, Antiquties of Lower Nubia, Oxford (1907), P. 76.

(٣٢) كان الإمبراطور أغسطس الوحيد بين الأباطرة الرومان الذي اتخذ علي المعابد لقب أوتوقراتور Autokrator وقيصر Kaisar وهي الألقاب التقليدية لهذا الإمبراطور في النقوش الهيروغليفية. وقد ذكر اللقبين علي جدران معبد دندور داخل العديد من الخراطيش وأحياناً كان يشار إليه أيضاً بلقب فرعون الشهير pr - ci .

Jürgen Von Beckerath, Handbuch der Ägyptishen Königsnamen, Deutscher Kunstverlag München Berlin (1984), PP. 296f ; Weigall, op. cit., P. 79.

(33) Monuments de L'Egpte, Vol. I, pl. 16.

(34) Lyons, H. G., A Report on the Island and Temples of Philae, London, 1890, pl. X, 83.

(35) Erman A., Grapow H., Worterbuch der Ägyptischen Sprache, Berlin (1961), Vol. I, 333, 11 ; Vol. II, 44, 15, 476, 3, 262, 5 , 6 ; III 211 , 4.

(36) Abu Bakr, op. cit., P. 24.

(37) Rochemonteix et Chassinat, E., " Le Temple d'Edfou", MAMMAF., 10, (1897), P. 244.

(38) Chassinat, M. E., " Le Mammisi d'Edfou, MIFAO, (Le Caire, 1910), P. 30, pl. IX.

(39) Abu Bakr, op. cit., P. 25.

(40) Wainwright G. A., The Red Crown In Early Prehistoric Times, JEA, 9, (1923), PP. 26 ff.

(41) Philae, I Pylon, Fig. 189.

(42) Ibid.

(43) Efou, I, 394, 6.

(44) Davies W., The Origin of The Blue Crown, JEA, (1968), 68, PP. 71, 74.

(45) Blackman, op. cit., pl. XIV.

(46) Philae, pl. IX, 184 ; Weigall, op. cit., PP. 42, 49.

(٤٧) يوجد نص علي معبد فيله يؤكد أن حورس كان إلهاً لمصر السفلي ومصر العليا إذ ينص علي « لقد أخذ حورس التاج الأبيض ووضع علي رأسه التاج الأحمر » . ومن المعروف أن التاج الأحمر خاص بإقليم الدلتا .

Philae , I Pylon, fig 189.

(48) Wainwright, op. cit., PP. 26 ff.

(49) Posener, op. cit., P. 185 ; Rossini S., Neter dieux d'Egypte, Paris (1992), P. 152.

(50) WB, I, 92 - 4, 268 - 16, 332 - 3, 328 - 6 ; II, 198 - 4, 244 - 9 , V, 493 - 13 , 14.

(51) Abu Bakr, op. cit., P. 54.

(٥٢) كان إسم واچت يعني الخضراء إشارة إلي لون الكوبرا ولون نبات البردي الذي ينمو في مستنقعات الدلتا .

Watterson B., The Gods of Ancient Egypt, London (1984), P. 134 ; W.B., I, 268.

(53) Abu Bakr, op. cit., P. 35.

(54) Gardiner A., Egyptian Grammar, Oxford (1979), P. 481.

(55) Berlandini J., Meret, LÅ IV (1982), Col. 81.

(56) Budge E. A., The Gods of The Egyptians, New York (1969), Vol. II, PP. 42 f.

(57) Abu Bakr, op. cit., P. 38 ; Mercer S., The Religion of ancient Egypt, London (1984), P. 197 ; Knight A., Amentet, and account of the Gods, Amulets and Scarabs of the Ancient Egyptians, London (1915), P. 40.

(58) Patrick F., Houliham, The Birds of Ancient Egypt, Cairo (1988), PP. 1 - 5 ; Grumacb, S. I., Feder und Feder Krone, LÅ, II (1977), Col. 142 ; Straup ch., Kronen, LÅ, III (1980), Col. 815.

(٥٩) تصوير الشمس بين قرني البقرة له في المعتقدات المصرية القديمة عدة تفسيرات : أولاً : تصوير السماء كبقرة يخصبها ابنها الثور (الشمس) كل مساء لتلد ثوراً شاباً (شمساً جديدة في صباح اليوم التالي). ثانياً : أن حتحور التي خصص لها هذا التاج قامت برفع قرص الشمس للسماء بقرنيها . وأخيراً بإعتبار أن حتحور عين رع (أي الشمس) فقد وضع قرص ا لشمس بين قرني بقرة .

Lurker M., The Gods and Symbols of Ancient Egypt, London (1988), P. 59 ; Armour R., Gods and Myths of Ancient Egypt, Cairo (1987), P. 116 ; Daumas F., Hathor, LÅ, IV (1982), Col. 126 ; Budge, op. cit., I, PP. 428 ff.

(٦٠) كانت الإلهات اللاتي لعبن دور أم الإله يتخذن قرص الشمس وقرني البقرة مخصصاً لهن . وبما أن إيزيس إلهة أم فقد إتخذت دائماً قرص الشمس بين قرني البقرة .

Budge , op. cit., P. 55 ; Mercer, op. cit., P. 200 ; Armour, op. cit., P. 114 ; Lurker, op. cit., P. 71; Hormung E., Conceptions of Gods in Ancient Egypt, Translated by Baines J., Lon ton (1983), P. 126.

(61) Abu Bakr, op. cit., P. 38.

(٦٢) إرتفع شأن آمون في الدولة الحديثة إذ أن ملوك طيبة كانوا يدينون بالولاء في إنتصارهم علي الهكسوس لأوامر وإرشادات آمون وبذلك أصبح الإله الرسمي وأعظم الآلهة في الدولة الحديثة وأصبحت جميع الإلهات زوجاته وبناته وجميع الآلهة أبناؤه كما أصبح الملك ابن آمون رع كما كان سارع . وغدا آمون بذلك أباً للفرعون يمنحه العرش وسني الحكم ثم يعطيه النصر علي البلاد الأجنبية .

Gardiner A. H., Egypt of the Pharaohs, Oxford (1966), PP. 120 f, 438 ; Bryan B. M., Berman L. M., Delange E., Aménophis III, Le Pharaon - Soleil, Paris (1993), PP. 3ff.

(63). Breasted J. H., Ancient Records of Egypt, Vol. III, Chicago (1906), PP. 35 f., 77.

(64) Erman A., The Literature of the Ancient Egyptians, London (1927), pp. 137 f.

(65) Sethe K., Die Altägyptischen Pyramidentexte, Dormstadt (1960), P. 404.

(66) Lepsius C. R., Denkmäler aus Agypten und Athiopien nach den Zeichnungen, Berlin, III, P. 190.

(٦٧) كان رداء الرأس هذا المكون من الريشتان خاص بآلهة الهواء التي تصور بشكل صقر في الغالب مثل حورس ومنتو ، ويبدو أن تصوير آمون بهاتان الريشتان منذ الدولة الحديثة قد أضفي عليه هذه الصفة ويؤكد ذلك أن المعبود آمون هو الوحيد بين الآلهة الذي يدهن بشرته باللون الأزرق لون السماء أو زرقة الأثير الذي يصور السماء فوق الأرض .

Wiedemann A., Religion of the Ancient Egyptians, London, P. 118.

(٦٨) يختلف هذا الشريط عن الشريط الذي أصبح مألوفاً في العصرين اليوناني والروماني والمسمي بالعصابة وهي شريط مسطح يربط حول الرأس ويعقد للخلف بنهايات متدلاه متراخية وتنسب إلي الإله ديونيسوس Dionysos لترمز إلي فتح الشرق ذلك أن الإله ديونيسوس طبقاً للأساطير اليونانية غزي الشرق وقد إتخذت فيما بعد رمزاً ملكياً للحكام الذين فتحوا الشرق.

Smith R. R., Hellenistic Sculpture, London (1991), P. 20 ; Smith R. R., Hellenistic Royal Portraits, Oxford (1988), PP. 34 - 8 , 111, 119 ; Hoffmann H., Davidson P. E., Greek Gold, Jewelry from the age of Alexander, (1965), PP. 2 ff, 13 , 51 ff.

(٦٩) يذكر كل من جريما Grumach وجويديك Goedicke أن قدماء المصريين إعتبروا التمثيل الرباعي يرمز إلي الجهات الأصلية الأربعة .

(٧٠) العدد ثلاث يعبر عن ثالوث آمون ذلك الثالوث الذي أثر علي المسيحية أساس الحضارة الأوربية الحديثة . ومن هنا يدين العالم

(٧٩) إرمان : المرجع سالف الذكر ، ص ١٨٦.

(80) WB, I, 23 , 2 ; Gardiner, Eg. Gr., P. 76.

(٨١) كبش خنوم بالقرون المستعرضه كبش أفريقي قديم بمصر ، أما كبش آمون بالقرون الملتوية فهو كبش آسيوي لم يعرف في مصر قبل إتصالها بآسيا ولهذا لم يظهر قبل آمون . كبش خنوم إذن أفريقي أما كبش آمون آسيوي، وبينهما إختلاف كبير الأول : ذو قرنين منفردين وهذا هو أول نوع من الكباش عرف في مصر وإنحدر إليها من نواحي النوبة يؤيد ذلك أنه عبد أولاً في الشلال وأعتبر حارساً لمنابع النيل . أما كبش آمون الآسيوي فظهر لأول مرة في الأسرة ١٢ حيث ظهرت الوفود الآسيوية في مصر أيام هذه الأسرة كما تدل علي ذلك مقبرة خنوم حتب ببني حسن . وظل هذا الكبش يزاحم الكبش الأفريقي حتي قضي عليه في الأسرة ١٨ ولكن خلط الناس بعد ذلك بين الكبشين ولم يفرق الإغريق بينهما . ولعل تسمية خنوم باسم زيوس كان نتيجة لهذا الخلط.

(٨٢) من العجيب أن أوزيريس الذي يعد تاج الآتف خاص به ، كثيراً ما نجده يوصف بأنه ولد مزيناً بالتاج الأبيض ، ولم يوصف أبداً بأنه خرج بتاج الآتف من جسد أمه .

Abu Bakr, op. cit., P. 37.

(83) LÄ, III, Col. 814.

(84) Rochen, Edfu, I, 40, Pl. 3, 307 ; II, 44, Piehl, Inscr., II, 53 , 6 , Edfu.

(85) Grumach, LÄ , II, Col. 142 ; Goedicke, LÄ, III, Col.217.

(86) Abu Bakr, op. cit., P. 23.

(87) Naville E., Un Chapitre inédit du livre des Morts (Aeg. Zeit, 1873), 33 - 4.

للمصريين بفكرة الثالوث في واحد حيث تمثل إله واحد في ثلاثة وهي نفس الفكرة التي جاءت في مذهب المعرفة ومذهب الإسكندرية والمسيحية وفلسفة هيجل ، فكل المذاهب هذه لها جذورها في وادي النيل وقد أخذ العالم هذه الحضارة عن المصريين. ولا أعتقد أن هذا العدد يفسر في مصر القديمة كرمز للكثرة.

Grumach, LÄ, II, Col. 143 ; Goedicke H., Symbolische Zahlen, LÄ, III, (1980), Col. 217.

(71) Gardiner, Eg. Gr., P. 840.

(72) Ibid, P. 521 ; Abu Bakr, op. cit., P. 53.

(73) Gardiner, op. cit., P. 120.

(74) Badawi A., Kees H., Handwörterbuch der Agyptischen Sprache, Kairo 1958, I, 269 - 2 , III 241, 17 , IV 250; URK, IV, 565 , 5.

(75) Redford D., Notes on the history of Buto, BES, 5, (1983), P. 70.

(٧٦) إرمان أدولف : ديانة مصر القديمة ، نشأتها وتطورها ونهايتها في ٤ آلاف سنة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، ص ص ٢٥ ، ٦٠ ، ٦١.

Caparat J., Quelques Observations Sur La déese de el Kab, Bruxelles (1946), P. 3.

(77) Shorter A., An Introduction to Egyptian religion, London (1931), P. 25 ; Abu Bakr, op. cit., P. 60 ; Posener, op. cit., P. 56 ; Lurker, op. cit., P. 44.

(78) Abu Bakr, op. cit., PP. 58 f.

(٨٨) إرمان : المرجع السابق ، ص ٢٥.

(89) Rossini, op. cit., P. 136.

(90) Caparat, op. cit., P. 3.

(91) W.B, Col. 245.

(٩٢) أسدان في العقيدة المصرية القديمة يمثلان الماضي والمستقبل . كذلك طابقهم المصري القديم بالجبلان اللذان يحددان الحدود الشمالية والجنوبية ويرمزان للأمس والغد .

Posener, op. cit., P. 150 ; Budge, op. cit., II, P. 99.

(93) Posener, op. cit., P. 252 ; Budge, op. cit., I, P. 355 ; Lurker, op. cit., P. 74.

(٩٤) الواقع أن آمون لم يأتي من هرموبوليس إلي طيبة كما هو معتقد، ولكن أراد الكهنة ربط آمون بثامون هرموبوليس . وهناك أدلة علي أن آمون لم يحضر من هرموبوليس إلي طيبة، فآمون ظهر في طيبة لأول مرة أيام الأسرة ١١ عندما زحف الطيبيون علي الشمال وإنتصروا فليس من المعقول أن يهملوا الإله الذي منحهم النصر مونتو ويرفعون لواء إله مهزوم . وإذا فرض وأنهم أخذوا إلهاً من ثامون هرموبوليس فلماذا وقع إختياوهم علي آمون وليس علي رئيس الثامون نون . وإذا كان آمون من هرموبوليس فلماذا يذهب إخناتون إلي هناك ويبني عاصمته ؟ وحقيقة الأمر أن آمون ليس إلا الإله مين إله قفط ودخوله إلي طيبة معناه توسيع حدوده في الإقليم المجاور جنوباً.

(95) Posener, op. cit., P. 56.

(96) Abu Bakr, op. cit., PP. 62 f, figs 42 - 3.

(٩٧) يطلق علي هذا الثعبان الصل الملكي Uraeus وهي في العقائد المصرية القديمة عين رع المتقدة ، رمز الطبيعة النارية للتيجان ،

دائماً نجدها علي مقدمة غطاء رأس الفرعون إعتقاداً بأنها تقذف النار وتنفث اللهب المدمر علي الأعداء .

Posener, op. cit., P. 291.

(98) Martin K., " Uraeus " , LÄ , VI (1985), Col. 866 ; Moftah R., Ara - Datierum Regierungs Jahr Und Zahlwort Spiel, Cd'E 39 (1961), P. 54.

(99) Davies W., The Origin of the Blue Crown, JEA, 68 (1982), P. 69 ; Steindorff, Die Blaue Krone, ÄZ, 42 , S. 82.

(100) Ertman E., The Cap - Crown of Nefertiti, Its Function and Probable Origin, JARCE, 13 (1976), P. 63 ; Davies, op. cit., P. 71.

(١٠١) إرمان ، المرجع سالف الذكر ، ص ٢٠٩ .

Ertman, op. cit., P. 65 ; Davies, op. cit., P. 71.

(102) Sanneron S., Le Temple d'Esna, Le Caire (1963), P. 145 no. 67, P. 148 no. 70.

(103) Posener, op. cit., P. 56.

(104) Davies, op. cit., PP. 75 ff.

(105) Ibid.

(106) Ibid, P. 73.

(107) Gardiner, Eg. Ph., PP. 12 f ., 438 .

(108)Ertman, op. cit., PP. 63 ff ; ZÄS, 42 , (1909), P.82.

(109) Christine Strauss, Kronen, LÄ, III, (1980), P. 815.

(110) Lucas A., Harris, Ancient Egyptian Materials and Industries, London, 1962, P. 224.

(111) Rostovetzeff, op. cit., Vol. III, P. 1216.

(112) Aldred C., Jewellery of The Pharaohs, London, (1978), P. 28.

(113) Sauneron, Esna, P. 113, no. 51.

(114) Ibid, P. 148 , no. 70.

(115) Monuments de L'Egypte, Vol. I, Pl. 16 (no. 11 , 12).

(١١٦) كانت الفضة قديماً أثمن من الذهب وذلك لندرتها في مصر وإستيرادها من سوريا وقبرص وليكيا وكليكيا ، أو الحصول عليها في شكل جزية .

Lucas, A., Silver in Ancient Times, JEA, 14 , 1928, PP. 113 - 18 ; Rostovetzeff, op. cit., P. 381.

(117) Pliny, NH, XXXIII, 46 ; Diod, III; Strabo, IV, 395 - 400.

(١١٨) كان المعبود آمون دون غيره من الآلهة تكون بشرته باللون الأزرق ولذلك إرتبط هذا اللون به كما يشاهد علي المعابد البطلمية والرومانية .

Monuments de L'Egypte, Vol. I, Pl. 16.

(119) Aldred, op. cit., PP. 32 , 123.

(١٢٠) محمد بكري يحيي : فن المنيا ، القاهرة ١٩٦٨، ص ص ١٥ ومابعدها .

(١٢١) محمود عبد الغفار زعيتر : مصر بين الفرس والإغريق في نهاية عصورها الفرعونية ، رسالة ماچستير غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨٩، ص ص ٣٥ - ٦٠.

(122) Sauneron, Esna, P. 111 no. 51.

(123) Abu Bakr, op. cit., PP. 63 ff ; Posener, op. cit., P. 56.

(124) Eaton - Kroup, M., The Khat headdress to the end of the Amarna period, SAK, 5 (1977), P. 21.

(125) Mounments d L'Egypte, Vol. I (Edfou) Pl. 63, (Esna) Pl. 89, (Erment) Pl. 95, (Philae) Pl. 16, Vol. IV, (Denderah) Pl. 5, 25.

(126) Ibid, Vol. III (Louqsor) Pl. 14, (Darnak) Pl. 35, 6, 47, 52, 3.

الجذور الميثولوجية
وأثرها في فلسفة أفلاطون

الدكتورة / سناء عبد المنعم عيد
المدرس بقسم الفلسفة بكلية الآداب
فرع بنها - جامعة الزقازيق

الأسطورة .. ما هي .. وكيف نشأت ؟

الاسطورة μύθος عبارة عن قصة إبتدعها خيال الإنسان، أو هي شيء ما حدث بالفعل، وإن كان يحتوى على قدر ضئيل من الحقيقة، يضيف اليه الإنسان Ο ανθρωπος ما يتمناه أو يكرهه.

ورغم أن الأساطير تبدو في صورة خرافية وهمية، حتى يتخيل الإنسان أنه شخص من أشخاصها، إلا أن هناك فرقا بين الأساطير والخرافات، وليس معنى ذلك أن هذه الأخيرة لاتخلو من عناصر أسطورية، فالتصوير فى الأسطورة يعبر عن فكرة جالت بخاطر الإنسان، حتى وإن كانت تنطوى على قدر ضئيل من فكرة حقيقية وهدف عظيم، ثم رويت تلك القصص والتصورات وتوارثتها الأجيال حتى أخذت شكل الأسطورة الكاملة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالأسطورة تعد أسلوبا من أساليب الفكر المتقدم الذي فتح المجال بعد ذلك للتفكير العقلى المتأمل المستند على وقائع حقيقية، وأدلة لها وجود فعلى.

كما أن الأسطورة فى حد ذاتها عبارة عن رمز لشيء معين كالبطولة والأبدية والتضحية والجرأة والشجاعة. والأسطورة بعضها يتحدث عن الآلهة وخلقها للكون، وبعضها الآخر يتحدث عن بطولات فردية، كأيزيس وأوزوريس المصريين القدماء، أو الآله ديونيسوس الأغريقي (١).

ولتقريب معنى الأسطورة الى الأذهان فى عصرنا الحالى، فنحن نعيش جزءاً منها فى حياتنا اليومية، فلا يوجد إنسان تقريبا لايحلم أو ينشأ أو يتفائل فكل شيء من هذه الأشياء له دلالة إسطورية قديمة، ترتبط بالواقع الذي يعيشه الإنسان اليوم.

ولكن ليس معنى هذا أنه يتعين علينا أن نلتزم بالأساطير فى أحكامنا أو تفسيرنا للواقع، إذ كل مافى الأمر أننا فى هذه المرحلة التاريخية أى بعد أن تخطينا المراحل الأسطورية فى المجتمعات البشرية ينبغى لنا أن نتابع هذه النظرة بمعنى أنه ليست كل المجتمعات البشرية تطورت من الناحية التاريخية من ناحية الأساطير، لأن هناك بعض المجتمعات لازالت حتى الآن تعيش الأسطورة كبعض المجتمعات فى أحراش أفريقيا.

ومع التطور الحضارى تتحول الاسطورة الى رمز حسى، بعد ماكانت المجتمعات تعيش مع الأسطورة بكل معناها،وتعتقد فيها تماما.

وربما يختلف ذلك كثيرا عن المحتوى العقلى الذى توصلت اليه حضارات الشعوب فى عصر الإزدهار الثقافى فى اليونان هذا ينطبق تماما على الأساطير عند اليونان لذلك كان أفلاطون يستخدم الأساطير فينفى عنها مدلولاتها الحسية ويسبغ عليها محتويات عقلية سامية وإن كانت فى إطار خارجى حسى باهت.

وعلى هذا النحو فإنه حينما نتحدث عن الأسطورةفلابدوأن نسلم بأن الإنسان حينما ألقى به فى هذا الوجود، وقدإعتراه قلق وخوف دائم من الظواهرالطبيعية التى تضغط على إحساسه وعقله، وتشعربضآلته فى هذا الوجود العظيم، كان لزاما عليه أن يبتدع تلك القوى ويجعلها ملاذا له.

معنى ذلك أن الأسطورة ليس لها تاريخ محدد أو مكان معين، إنما هى بدأت بالفعل عندما بدأت ملكة التخيل أو التفكير لدى الإنسان. ومن المعروف أن الإنسان مفطور على هذه الملكة، لذلك فالأسطورة وجدت عندما خلق الإنسان الأول، والدليل على ذلك قصة

الخطيئة فى الأساطير القديمة، ثم فى العقيدة المسيحية، وقصة آدم وحواء فى الإسلام، وبعدها هبط أول البشر الى الأرض وبدأ التفكير الميثولوجى.

وعلى أى حال، إذا كانت الإسطورة وهما وكذبا، أو محاولة خيالية لتفسير شىء ما يعجز عنه التفسير، أو محاولة للجوء الى شىء يحتمى به الإنسان، إلا أننا نستطيع القول بأن الإسطورة كما سبق أن أشرت ظهرت مع ظهور الإنسان، وكانت حاجة الإنسان ملحة الى تفسير مايحيط به فى الكون ووجوده هو نفسه أيضا وينسحب هذا على جميع الحضارات على إختلافها وبكافة أنواعها.

لكننى فى هذا البحث أهدف الى الوقوف على بعض الأساطير اليونانية التى أدت الى إندلاع شرارة الفلسفة، فالأساطير هى المستودع الأساسى لفلسفة أى شعب من الشعوب(٢) لذلك وعلى وجه التحديد، سأعرض للأساطير والتى كان لها أثر كبير فى فلسفة أفلاطون خاصة وإن كان أفلاطون قد إستعار الأسلوب الرمزى، وعلى سبيل المثال أسطورة (الكهف) وأسطورة (ارّ) فى محاورة الجمهورية.

البعث والخلود :

تأثرت عقيدة البعث والخلود في مصر الفرعونية بالعوامل البيئية الطبيعية، ولم يكن أثر تلك العقيدة قاصرا على مصر الفرعونية وحدها بل إنتشر حتى أصبح تأثيرا عالميا شمل الإنسانية بأسرها، لقد كانت بداية تلك العقيدة قائمة على فكرتى الثواب والعقاب. وقد تأثر المصرى القديم بتلك العقيدة مما كان يراه حوله من مظاهر طبيعية لاتموت ولاتفنى، فالليل يعقبه النهار ثم يعقب النهار الليل، والنبات ينمو ثم يذبل ثم يعود للنمو مرة أخرى فى فصل الربيع

بمعنى أن كل مايحيط بذلك الإنسان كان يبعث على الإعتقاد بأنه ليس هناك موت دائم أو حياة دائمة، فكل موجود لابد له من حياة يتلوها موت ثم من بعد الموت حياة أخرى، وقد تأثر أفلاطون فيما يبدو بهذه المنظرة الفلسفية المصرية القديمة فى تأكيده على خلود النفس وهو مايعرف عنده بدليل تعاقب الأضداد Τα Εναντια (٤).

هذا بالإضافة الى أن الإنسان المصرى القديم حينما كان يقوم بعملية دفن الموتى فى الصحراء كانت تطالعه الجثث التى دفنت من قبل بكامل هيئتها مما يبعث فى نفسه الشعور بأنها ستعود الى الحياة مرة أخرى والفارق بين عقيدتى البعث والخلود الفرعونية والعقيدة اليونانية هو أن العقيدة المصرية القديمة تميزت بطابع هام وهو واقعيتها البحته التى عبر عنها Jowett بتعبير ماديتها البحتة (٥) بمعنى أن الجسد باق وسليم وأن الروح ستعود حتما الى هذا الجسد وهذا يعكس مدى إهتمام المصرى القديم بتحنيط الجثث والأبقاء على ملامحها كاملة، بينما عقيدة البعث والخلود عند اليونانيين لم تكن مادية بقدر ماكانت روحانية أو عقلية، فالروح لاتعود الى نفس الجسد وإنما تحل فى أجسام مختلفة، علاوة على ذلك كان الملك الفرعونى (الآله) له أثر كبير على العقلية المصرية القديمة إذأنه كان يضمن الخير الذى يمكن أن يناله الإنسان فى العالم الآخر مقابل مايقدم له من هدايا وقرابين. هذا بالإضافة الى أننا لو أمعنا النظر بين مقابر الملوك الفراعنة لوجدناها على هيئة مثلث، وكانت رأس ذلك المثلث إنما تدل على فكرة صعود الملك للإتحاد بآله الشمس (٦). ويذكرنا هذا بالمثلث الأفلاطونى الشهير الذى يقف على قمته مثال الحق وهو أعظم المثل ويرمز لاى كبير الآلهه اليونانية.

وعلى العكس من ذلك ورغم تعدد الآلهة في اليونان القديمة وكان لكل آله شكل معين أو رمز معين إلا أننا نجد أن العقيدة المصرية القديمة رغم مرورها بعدة آلهة كالآله رع والآله آمون إلا أنها كانت تؤمن بأن الآله واحد لاشريك له وأنه روح غامضة لايراها

الإنسان وأنه خالق كل الموجودات وأنه هو الحياة ولا يفنى أبدا ولا بداية له ولانهاية(٧).

الأسطورة فى العالم اليونانى القديم وجذورها

تطورت اسطورة البعث والخلود فى العالم اليونانى من جذور عميقة جدا فيما يبدو وأخص بالذكر فى المجال من هذه الجذور: ايزيس وأوزوريس وعشتار وتموز ثم الأورفيه وتليها الفيتاغورية.

(١) ايزيس وأوزوريس (مصر) عشتار وتموز (بابل):

لأسطورة البعث جذور عميقة جدا لانكاد بالتحديد نعرف تاريخها ولكن مانعلمه هو أن بداية هذه الأسطورة قد إنبثقت من مصر الفرعونية وعلى وجه الدقة من إسطورة ايزيس وأوزوريس ، وإيزيس هى أخت أوزوريس وزوجته فى آن واحد كما كانت العادة لدى المصريين القدماء، وقد كان ملكا على مصر، ولكن شعور أخيه ست نحوه بالغيرة والحقد جعله يصنع لأخيه الملك تابوتا ويخدعه بسؤاله إن كان ذلك التابوت مناسبا لحجمه أم لا؟ فينام أوزوريس فى التابوت ولكن أخاه يغافله ويغلق عليه التابوت ويأمر حراسه بأن يلقوا التابوت فى النيل حتى تأكد من أن أخاه قد مات وأن جثته قد صارت أشلاء ولكن زوجته إيزيس كانت أقوى من أن تستسلم لموت زوجها فأخذت تجوب البلاد بحثا عن أشلاء زوجها ومعها أختها نفتيس حتى إستطاعت أن تجمع أشلاءه وتعود بها الى مصر وكانت الأختان أو الزوجة والأخت تنظران الى جثمان أوزوريس على أنه نائم وسوف تعود اليه الحياة أو بالأحرى سوف يستيقظ مرة أخرى، وقد قام أنوبيس(٨) بتحنيط جثة أوزوريس حتى إذا عادت (الكا)(٩) أو الروح عند الفراعنة وجدت الجسد الذى تحل فيه مرة أخرى.

ومادمت أقوم فى هذا المجال بتأصيل جذور الأسطورة في العالم اليونانى القديم ومادام مجال الأساطير هو الذى كان الإنسان فى العصور القديمة يحاول عن طريقه تفسير ظواهر الطبيعة وظواهر الكون المحيط به مثل ظواهر الخلق γενέσις والحياة Βιος والموت Θανατος والخصوبة والأجداب وغيرها، فلابد من الإشارة أيضا الى أن هناك قدرا غير قليل من الأساطير اليونانية تكاد تتطابق فكرة وتفصيلا مع الأساطير التى سبقتها فى وادى الرافدين، مثل الأساطير المتعلقة بقصة الطوفان وقصة خلق الإنسان من طين وماء وروح آلهية وأسطورة أنانا ودوموزى (عشتار وتموز) البابلية ونظيرتها أسطورة أفروديتى وأدونيس التى وصلت اليهم عن طريق الفينيقين(١٠).

(٢) الأورفية :

ترجع العقيدة الأورفية القديمة فى بلاد اليونان كما إجمعت معظم الآراء الى أصول مصرية قديمة وكما هو الحال فقد حاولت بعض الآراء الحديثة تحديد بدايتها التاريخية إلا أن هناك بعضا آخر قد نسبها الى القرن السادس ق.م تقريبا. وقد كان لها من العقائد الدينية مالم يعرفه الكثيرون حيث أنها كانت تتسم بتعاليم وطقوس سرية لايعلمها إلا من ينتمى اليها.

والأورفية كعقيدة دينية تشمل حلقة من حلقات التطور من ناحية فكرتى الثواب والعقاب ومكان الأرواح بعد إنتقالها الى عالم الموتى وذلك لم يكن معروفا من قبل فى اليونان القديمة وأن عرف عند المصريين القدماء فى إسطورة إيزيس وأوزوريس إذلم يكن هناك إختلاف بين إنسان نبيل وآخر حقير، لذلك تعتبر الأورفية بمثابة حلقة إتصال بين عالم له مبادىء ومثل ليحظى بحياة أخروية سعيدة وعالم آخر لا يؤمن بالثواب والعقاب نتيجة ما إقترفه أثناء حياته على الأرض.

والأورفيه فى حد ذاتها لم تتأثر تأثيرا مباشرا بأسطورة إيزيس وأوزوريس إنما كانت همزةلا الوصل بينهما إسطورة أخرى وهى إسطورة الآله ديونيسوس Dionysus(١١) التى توضح لنا مدى إنتقام زوجة الأب هيرا Hera(١٢) من ابن زوجها زيوس حينما جعلت الآلهه العملاقة أو الطيطان Titanes(١٣) يحاولون الفتك بديونيسوس لكنه كان دائم التخفى فى عدة أشكال سواء شكل طير أو حيوان إلا أنه حينما إختفى فى شكل ثور فتك به الطيطان Titanes ومزقوه فتاتا صغيرة لكن الآلهة مينرفا(١٤) إستطاعت أن تمسك بقلب دينيسوس قبل أن يقع فى يد الطيطان وتنقذه، ومن هذا القلب خلق ديونيسوس من جديد. لذلك حرمت الأورفية أكل اللحوم خاصة بعد أن حلت روح ديونيسوس فى أكثر من جسد سواء طيرا أو حيوان خشية أن تكون روحه قد حلت فى إحدى تلك اللحوم التى يأكلونها فيما عدا مرة واحدة فى العام يقدمون ثورا قربانا لذكراه ويذبحونه ويأكلون لحمه نيئا أما الآله زيوس فقد أحرق آلهة الطيطان Titanes وحول رمادهم الى بشر، ولما كان عالقة الطيطان تتسم بالشر والعصيان وقد أكلوا ديونيسوس وهو آله الخير، فمعنى ذلك أن مكوناتهم البشرية صارت تحتوى على النقيضين، الخير Tα αγαθον المتمثل فى بقايا الآله ديونيسوس وعلى الشر To Kakov المتمثل فى بقاياهم هم، أى أن الروح ψυχι عندهم تنتمى الى الآله ديونيسوس والجسد To Sωμα وهو مركز الشرور فإنه ينتمى الى طبيعة الطيطان الشريرة.

وكانت الأورفية قد إستمدت أسمها من المعلم الأول لهذه العقيدة وهو أورفيوس Orpheus وقد كان شاعرا يجيد العزف على القيثارة لدرجة أنه كان يؤثر بعزفه على جميع المخلوقات سواء من البشر أو من الحيوانات أو حتى النباتات وأثناء حفل عرسه ماتت عروسه يوريديكا Eurydice وصمم أورفيوس على إستعادة زوجته حتى لو بلغ الأمر به الى أن يصل الى عالم الموتى، وكان له ما أراد بعد أن

أنهك من كثرة توسلاته ولكن كان هناك شرط حتى يستعيد زوجته وهو أن تسير وراءه ولا يحاول أن يلتفت اليها إلا بعد خروجه من عالم الموتى ولكن حبه الشديد لها جعله ينسى فى لحظة ما إتفق عليه وعلى ذلك عادت مرة أخرى الى عالم الموتى ولكن هذه المرة دون رجعة، فأمتنع أورفيوس عن الطعام والنوم وإعتزل النساء، وحاولت الكثيرات أن يفزن بقلبه ولكن كان الفشل هو نتيجة محاولاتهن لذلك عملن على قتله ونجحن بعد محاولات عديدة.(١٥)

ومن أهم مميزات العقيدة الأورفية أنها لم تكن قاصرة على فئة معينة كما كان الحال فى اليونان قديما حيث كانت هناك آلهة للأحرار وأخرى للعبيد إنما كانت عقيدة عامة لكل من أراد أن يعتنقها وذلك يجعلنا نربط بينها وبين مبادىء الأديان السماوية التى تنكر العنصرية وتنادى بالإبتعاد عن التفرقة على أساس واحد هو عدم إذاعة أو نشر أسرارها وطقوسها.

ويعتقد أن نسب أورفيوس(١٦) يرجع الى نسب إلهى، وقد تأثرت العقيدة الأورفية كما سبق القول الى حد كبير بالأسطورة المصرية القديمة وهى تعد إرهاصا للفكرة الفلسفية التى أعتنقها عمالقة الفلسفة فى اليونان القديمة مثل فيثاغورث Pythagoras وأفلاطون Plato من جهة إعتقادهم فى التناسخ وخلود النفس المتمثل فى إحلال الروح فى أكثر من جسد وبعثها أكثر من مرة، لقد تركت تلك الأسطورة بصمات رائعة كثيرة فى الفكر اليونانى بصفة خاصة وعلى أفكارنا على وجه العموم، منها أن النفس أو الروح من طبيعة خاصة سامية غير طبيعة الجسد الذي تكمن فيه الشرور، ومنها أيضا أن الإنسان لكى يهذب من أخلاقه لابد له من سماع الموسيقى الهادئة (وهو مايعكس عزف أورفيوس الجميل على (الناى)، وأن الروح خالدة أبدا بينما الجسد يتحلل ويفنى، وجدير بالذكر أن الأورفية قد حرمت فكرة الإنتحار لأن وجود الروح فى جسد معين إنما هو أمر من عند الآلهة

ومن ثم يعتبر الإنتحار إعتراضا على أوامر الآلهة، لذلك ليس من حق الإنسان أن يعصى ما أمرت به الآلهة.

ويلاحظ أيضا أن الأورفية قد أثرت بالغالبية العظمى من معتقداتها فى العقيدة الفيثاغورية من حيث إهتمامهم بالموسيقى الوترية وقولهم أن العالم عدد(١٧) ونغم وكذا من حيث عقيدة التناسخ عندهم وعجلة الميلاد وتحريمهم أكل اللحوم. وسوف نفصل ذلك فى عرضنا للفيثاغورية وما أحيط بها من أساطير(١٨).

(٣) الفيثاغورية :

ترجع الفيثاغورية فى الأصل الى مؤسسها الأول فيثاغورث Pythagoras وتقول الروايات التاريخية أن فيثاغورث ولد فى مدينة ساموس Samos حوالى ٥٨٠ أو ٥٧٢ ق.م، وكان من أكثر الباحثين مثابرة وعمقا ويذكر أنه زار بلاد العرب وسوريا وفينيقيا والهند وغالة (فرنسا حاليا) وعاد يلقى على الرحالة حكمة بالغة عالية وجديرة بالإعجاب هى قوله إذا كنت مسافرا فى خارج بلادك فلا تلتفت وراءك الى حدودها، ويجب أن تكبح نزواتك عند كل ثغر تدخل فيه(١٩). وقد أحيطت كثير من الأساطير حول حياة فيثاغورث إذ يقال أنه عاش عدة حيوات(٢٠).

والى جانب كونه فيلسوفا كان فيثاغورث أيضا مؤسسا لمدرسة دينية تهدف الى السمو بالأخلاق والتصوف وهناك دلائل تشير الى إجتياح موجة من هذا التيار فى ذلك الوقت مما أدى الى يقظة الضمير والإحساس بالذنب والرغبة الملحة فى الإلتزام الأخلاقى وترجع هذه اليقظة الى التراث العقائدى القديم بما كان له من سلطة وعمق الشعور الدينى ولعل هذا الشعور يتضح بشكل ملحوظ فى مبدأ تناسخ الأرواح وهو المبدأ الذى له أهمية خاصة وكبيرة فى تعاليم فيثاغورث

وسر التمسك به يعود الد تأكيده على موضوع الجزاء الأخلاق(٢١).

لقد جمعت الفيثاغورية بين الإهتمام بالرياضيات والموسيقى والإهتمام بالجوانب الدينية وهنا تجدر الإشارة الى أن الفيثاغورية قد أخذت عن الأورفية حب الموسيقى والإيمان بتناسخ الأرواح وكذلك تأثرت بفكرة ضرورة تطهير النفس وخلاصها مما يدنسها من آثام الجسم وشروره(٢٢). وقد تأثر أفلاطون فى مسألة النفس والقول بخلودها بالفيثاغورية، بل أن تميزه بين عالم معقول هو عالم المثل Ta ti Ji وعالم محسوس هو عالم المحسوسات والأشباه إنما كان يرمز به أيضا الى ضرورة التمييز بين النفس والجسد، النفس كالمثال باقية وخالدة والجسد لابد أن يفنى ويموت(٢٣).

لقد كان فيثاغورث شخصية حقيقية من الذين يعيشون فى القمة-ثم فئة وسطى ثم الفئة الدنيا، وأهل القمة هم الحكماء الذين يرون كل شىء بعقولهم وقد شبههم فيثاغورث بالمشاهدين الذين أتوا لمشاهدة المباريات الأولمبية ويتمتعون بقدرة فائقة على التمييز بين المصيب والمخطىء كما يستطيعون الحكم بجدارة وتعقل على مايدور من حولهم أما الفئة الوسطى فهم اللاعبون الذين تأخذهم مشاغل الحياة عن النظر فيما يحدث حولهم وأما الفئة الدنيا فهم الذين لاهم لهم سوى المكسب المادى ولو كان على حساب ضمائرهم وأخلاقهم وهم الذين يأتون ا لى المباريات من اجل ممارسة أعمال البيع والشراء فقط.

ويرى فيثاغورث أن الحكيم هو الذى يستطيع أن يحرر نفسه من عجلة الميلاد. وعجلة الميلاد هى فكرة دينية فى الأصل لها مغزى أخلاق عميق فهى تدور حول فكرة التناسخ Transfiguration ومؤداها أن الإنسان يمر بعدة ولادات وفى كل مرة يتخذ شكلا غير شكله الأول ويتوقف ذلك على نوع أعماله فى حياته، فلو كانت

أعماله خيرة بعثت روحه مرة أخرى فى صورة أعظم مما كانت عليه، أما إذا كانت أعماله غير ذلك بعث فى صورة تناسب عمله كنبات ضار أو حيوان.

ودورة النفس أو التناسخ لا تتم فى فترة وجيزة بل يقال أن الدورة الواحدة تستغرق حوالى ثلاثة آلاف سنة.

من تعاليم الفيثاغورية:

*** لا تأكل لحوما، وذلك لأن الإنسان عند موته يفنى جسده وتبقى الروح لتحل فى الجسد المناسب لأعمالها وربما يكون ذلك الجسد لحيوان يؤكل كالماعز والبقر وغيرها ولذلك إمتنع الفيثاغورين عن أكل اللحوم إعتقادا منهم أنه قد يكون روح أحد أقاربهم أو أصدقائهم قد حلت فى جسد ذلك الحيوان ومن ثم فهم يأكلون بذلك صديقهم أو جارهم أو يأكلون إنسانا آخر.

*** بعد أن تنهض من نومك ساوى فراشك، لأن فى إعتقادهم أن الإنسان حينما ينام يترك أثر جسده على فراشه، ومن ثم يأخذ الفراش صورة الإنسان وربما كانت هناك فى المكان أرواح شريرة حلت فى الفراش، ثم جاء الإنسان ونام فى مكانه مرة أخرى فتحل فى جسده تلك الأرواح الشريرة.

*** لاتأكل بقولا، وهو نفس تفسير الفقرة الأولى، أى ربما تكون إحدى الأرواح قد حلت فيها بالإضافة الى أن الأكثار من أكل البقول يضر بالمعدة مما يجعل النوم عسيرا، ومعنى ذلك أن عجلة الميلاد أو التناسخ هى عبارة عن عدة ولادات مختلفة(٢٤) أى أنه عند موت الإنسان يتحول الى تراب وينبت من التراب النبات يأكل منه الحيوان ثم يأكل الإنسان هذا الحيوان، أى أن الإنسان يأكل ماكان

فى الأصل جسد إنسانا آخر ربما تكون روحه قد حلت فى هذه المخلوقات.

-

يجب أن نعترف أن الأورفية قد نادت بأن الحكمة هى طريق ا لحياة الفاضلة المطهرة من كل دنس وشهوة، وجاء فيثاغورث وطور هذا القول بحيث صار منسجما مع مذهبه فى الفضيلة والتطهر والصفاء الذاتى وكما أخذ فيثاغورث بعض المنطلقات الأورفية كذلك تأثر منها أفلاطون وورد هذا التأثر فى نظريته فى النفس كما جاءت فى محاورة فيدون Phaddo(٢٥) وإذا كانت النظرية الفيثاغورية نفسها قد خضعت للتأثير الأورفى إلا أنها أضافت الى فكرة التطهير بالحياة العملية فكرتين من أجمل الأفكار فى التطهير النفسى هما الرياضيات والتأمل فيها (φρονίσισ وكذلك الموسيقى μυσίKι وكان لهاتين الفكرتين تأثير فعال على أفلاطون وبصفة خاصة على ماقاله فى محاورة فيدون من أنه مادام النغم ينسجم مع توافق الإضداد وتناسبها فتدوم الحياة مادام هذا النغم وتنعدم بإنعدامه(٢٦).

وعلاوة على ذلك فهناك تأثيرات فيثاغورية متعددة على أفلاطون أذكر منها القسمة الثنائية.

فالفيثاغورية هى التى وجهت نظر أفلاطون الى تلك القسمة إذ أنها قسمت الإنسان الى روح وجسد والمستقيم يقابله المتحنى والنور يقابله الظلام والخير يقابله الشر والساكن يقابله المتحرك(٢٧).

بالإضافة الى ذلك فالتعاليم الفيثاغورية تتصل بشكل أو بآخر بفكرة الخلود التى يهدف اليها أفلاطون فى محاوراته.

أسطورة الخلود عند أفلاطون :

نستطيع من العرض السابق لأساطير الخلود بصورة موجزة

وبالمقارنة مع محاورة أفلاطون أن نستدل على مدى الأثر الذى تركته من فلسفة أفلاطون وبصفة خاصة الآثار الفيثاغورية فى هذه الفلسفة، وفى الواقع إستطاع أفلاطون أن يعرض لنا آراءه من خلال الأسلوب الأسطورى بطريقة شيقة تشد إنتباه من يقرأ محاوراته، وفى هذا الصدد تجدر الإشارة الى أن أفلاطون قد استخدم الأسطورة فى فلسفته بمهارة فائقة لا تقل عن إستخدام شعراء المسرح الأثنين المشاهير ايسخلوس Aeschylos وسوفوكليس SOPHOKLES ويوريبيديس EURIPIDES لها، بل أننا نجد محاورات أفلاطون تجمع بين الإطار الفلسفى والفكرة الفلسفية والشكل الأدبي الدرامى الذى نجد فيه شخصيات كان سقراط غالبا هو الشخصية المحورية فيها ونجد فيه مكانا وزمنا واحداثا كأننا فى مسرح وتنتهى بنا كل محاورة الى تأكيد فكرة فلسفية معينة.

على أن السمة الأساسية التى أود الإشارة اليها فى هذا البحث هى أن محاورات أفلاطون تركز على الأسطورة. كما تتضح الأسطورة فى أكثر من محاورة خاصة فى الفترة المتوسطة من حياته مثل محاورة فيدون التى يناقش فيها خلود النفس ويظهر فيها أيضا مدى تأثره الشديد بالفيثاغورية وعقيدة التناسخ التى قالوا بها.

أفلاطون يؤمن بأن الروح خالدة وأن الجسد فان، وحينما تخرج الروح من الجسد لابد لها أن تحل فى جسد آخر ملائم لأفعالها فالبشر الذين ينغمسون فى الرذائل والشرور سينقلبون حميرا وما الى ذلك من أصناف الحيوانات(٢٨) أما أولئك الذين يسمون بأرواحهم عن ملذات الحياة ويبتعدون عن الرذائل، ترتفع أرواحهم الى مصاف الآلهة، فالروح تشبه النغم الذى سبق وتحدث عنه فيثاغورث، أما الجسد فيشبه القيثارة، والنغم باق لايفنى بينما القيثارة والجسد شىء مادى قابل للفناء. وفى موضع آخر من محاورة فيدون يتضح لنا مدى تأثر أفلاطون بفكرة عجلة الميلاد(٢٩) وذلك من خلال حديثه لسقراط حيث يرى أن الأرواح لاتفنى بل تظل موجودة بعد جسد صاحبها ثم

تولد أو تحل فى جسد آخر وهكذا يحدث هذا مرة تلو الأخرى.

ويشير أفلاطون فى موضع من محاورة فيدون(٣٠) الى أنه لو امتلك الإنسان أجنحة يطير بها فسوف يرى بعض الحقائق التى لايستطيع معرفتها وهو على الأرض والمقصود بذلك أنه كلما إرتفع الإنسان بعلمه وفكره كلما إستطاع أن يكشف حقيقة الأمور. وحينما تخيل أفلاطون أنه من الممكن أن يكون للإنسان أجنحة يطير بها فإن ذلك مقدمة لما سيرويه فى محاورة فيدروس Phaedrus عن أسطورة العربة المجنحة.

يرى أفلاطون أن هناك عوالم كثيرة أدناها هو العالم الأرضي الذى نعيش عليه بينما هناك عالم آخر أعلى من العالم الأرضى، أكثر لمعانا منه وبه من الألوان والأحجار الكريمة مانتوهم أنها هى التى نراها فى عالمنا ولكن الحقيقة أن ماهو موجود فى عالمنا شىء شبيه فقط أو نسخة مشوهة لتلك الأشياء الحقيقية الجوهرية، ومن ثم فإن كل ما يوجد على الأرض هو عبارة عن موجودات إختلطت فيها الجواهر النقية بالأشياء الزائفة ومعنى ذلك أن المخلوقات الأرضية تحتوى على كل النقيضين، النقي والمقصود به الروح،والخبيث والمقصود به الجسد،وعندما تحدث حالة الفناء أو الموت لا تجد الروح أمامها سوى ثلاثة طرق عليها أن تتبع إحداها وذلك تبعا لدرجة نقائها، وتلك الطرق هى الجحار وأقلهم هو نهر مكون من الطين الخبيث الملىء بالنيران فتذهب اليه الأرواح وتبقى فيه على قدر ما إقترفت من ذنوب حتى إذا ماتطهرت وكفرت عن تلك الذنوب إرتفعت مرة أخرى لتحل فى أحد الأجسام الملائمة لها، أما الأرواح النقية الطاهرة فهى التى تبقى فى السماء ولا تهبط فى أى جسد من الأجساد، لأن هبوطها فى جسد ما مهما كانت هيئته كريمة إنما هو تقليل من شأنها، فالأرواح الطاهرة تسكن فى السماء ولا تعيش على الأرض.

أما محاورة فيدروس(٣١) تتضح فيها الأسطورة بشكل رائع حيث جعل أفلاطون النفس البشرية بمثابة عربة ولها جناحان ويقودها سائق وهو يرمز الى العقل البشرى ويجر العربة جوادان أحداهما هائج دائما، يجنح الى مالا يريده السائق والآخر أبيض هادىء الطبع مطيع لسائقه، أما الجواد الأسود فهو يرمز به الى الإنفعالات والشهوات والرغبات الدنيئة، وأما الجواد الأبيض فيرمز به الى الهدوء والتعقل والتصرف بروية والمهم هنا هو السائق (العقل) فإذا إستطاع السيطرة على الجوادين (النفس العاقلة والنفس الشهوانية) إرتفع عن الأرض بواسطة الأجنحة الموجودة على جانبي العربة ورأى جزأ من الحقيقة السارية البعيدة عن الماديات، وإذا غفل السائق برهة سيجد الجواد الأسود (النفس الشهوانية) مجالا للتصرفات غير المقبولة فيجنح بالعربة وتهتز ويسقط بعض من ريش الأجنحة فتهبط الى درجة أقل مما كانت عليه (والرمز هنا هو الى إرتكاب النفس بعض الآثام وحلولها فى بدن أقل مما كانت عليه فى حياتنا السابقة).

وكلما سقطت كمية من الريش هبطت الروح الى مستوى أدنى الى أن يستطيع السائق السيطرة على الجواد الجانح ويصلح من قيادته حينئذ ينبت بعض الريش (بعض الأعمال الطيبة) الذى يساعد العربة على الإرتفاع مرة أخرى، وتستطيع السيطرة على الجواد الأسود بقدر ماتستطيع النفس الصعود الى مراتب عليا حتى إذا ماتطهرت تماما وكان كل شاغلها هو حب التأمل والحكمة Sofia وهنا تصل الى مصاف الآلهة وتستطلع الحقيقة الكاملة وربما تستطيع رؤية أحد المثل العليا، ويظهر البعث فى هذه الإسطورة فى هبوط العربة المجنحة (النفس) الى أحد الأجسام تلبث فيها زمنا ما ثم تعود مرة أخرى (نبت الريش مرة أخرى) .... وهكذا(٣٢).

يتضح من خلال الأسطورة السابقة مدى التأثير الفيثاغورى

على الفكر الأفلاطونى من حيث عودة البعث والخلود والمرور بعدة حيوانات مختلفة وحلول الروح فى أكثر من بدن وأن كان لأفلاطون أسلوبه الخاص المختلف عن الأسلوب الفيثاغورى إلا أنها فى جوهرها تحتوى على الأسس الفيثاغورية للتناسخ.

وفى الجزءالأخير من محاورة الجمهورية πολιτεία Republic تتجلى أسطورة البعث من خلال أحد ا لجنود ويدعى (آر) وقد قتل فى الحرب مع آخرين وعندما بدأت مراسم دفن الجثث وجدت جثة الجندى (آر) سليمة كما هى فحملوها الى منزله ومكثت يومين،وعندما بدأ رفاقه فى إعداده للدفن وجدوا أنه مازال حيا وبدأ يتحدث عما شاهده أثناء موته، عندما فارقت روحه جُثِدَ ووجد نفسه مع مجموعة أخرى من الأرواح صعدت الى السماء ووجدت بالأرض فتحتان إحداهما يمنى والأخرى يسرى،وبالسماء فتحتان متقابلتان للفتحتين الموجودتين فى الأرض وكان كل من عمل شيئا حسنا أو ثوابا تسير روحه فى الفتحة اليمنى الموجودة فى السماء أما من ظلم وإرتكب من الآثام ما أضر به نفسه وغيره فإن روحه تتجه الى الفتحة اليسرى.

كما رأى أن هناك أرواحا تهبط من السماء الى الأرض منها أرواح سعيدة تطهرت من ذنوبها وعائدة مرة أخرى الى الأرض، ومن الملاحظ هنا أن مدة حياة الإنسان التى يكفر فيها عن ذنوبه أو يزيدها آثاما هى عبارة عن مائة سنة لأنها أقصى مدة ممكنة أن يعيشها الإنسان فى الأرض ثم تموت وتصعد الى السماء وتعود مرة أخرى وهكذا.. وقد سأل (آر) أحد الأرواح المتجهة الى السماء عن أحد الأشخاص الذين كانوا قساة غلاظ القلوب وقد قتل أباه وأخاه(٣٣) فقيل له أنه لن يمر معنا أبدا من هذا الباب وقد كان هذا الباب هو الجحيم ومن يخرج منه معناه أنه قد كفر عن خطاياه، أما ذلك الطاغية حينما إقترب من الباب للخروج أقفل ا لباب وأحدث

صوتا مرعبا نظرا لما سيلاقيه هؤلاء الطغاة من عذاب بنار الجحيم وضرب بالسياط، لذلك لاتستطيع أى روح أن تقترب من هذا الباب نظرا لهول منظره وبشاعته.

وتحدث أفلاطون فى هذه الأسطورة عن الأجرام والكواكب ومنها الزهرة وعطارد والمريخ والمشترى وزحل، ورأى أن الجندى (آر) أثناء عودته مرة أخرى الى الأرض رأى الأجرام السماوية تسير فى الإتجاه المضاد أى من الغرب الى الشرق وذلك شىء طبيعى لأن (آر) يسير فى الإتجاه المضاد لوجودنا على الأرض. كما قابل ثلاث فتيات يغنين بأسلوب متوافق مع بعض أحداهن تمثل الماضى لاخسيس Lachesis والوسطى تمثل الحاضر وهى كلوثو Clotho والأخيرة تمثل المستقبل وهى أتروبوس Atropos وتحتفظ لأخسيس Lachesis بالكثير من الأوراق المكتوب فيها مستقبل كل روح،ولكن دون تحديد اى تحتفظ بأوراق الحظ، وتختار كل روح ورقة ما ويكون هذا نصيبها فى الحياة الدنيوية الثانية أما (آر) فلم يسمح له بإختيار ورقة لأنه فى عداد الأحياء على الأرض ورسول بين السماء والأرض.

وقد كانت أوراق الحظ هذه تحتوى على جميع أشكال الحياة على الأرض،سواء بشرية أو حيوانية،وليست النفس هى التى تحدد نوع هذه الحياة، بل الإنسان ومن ثم تطوع نفسه للحياة التى إختارها ويعمل على تطهيرها أو تدنيسها لدرجة أن (آرا) رأى أحد النفوس تختار ورقة ظهر له فيها أن سيحل فى جسم بجعة وكانت تلك فى وقت ما هى نفس أورفيوس Orpheis ثم تمر الأرواح على نهر وكلما شربت منه الروح نسيت كل شىء ماعدا (آر) لم يسمح له بالشرب من ذلك النهر لأنه لو شرب من ذلك النهر لن يعود الى الحياة مرة أخرى.

ثم عاد (آر) مرة أخرى من نومه الطويل أو موته الجزئى

ليقص على أصدقائه مارآه فى العالم الآخر. معنى ذلك أن الأرواح تخرج من الأرض لتأخذ أحد السبلين فى السماء أما فوهة الخير والثواب أو فوهة الشر والعقاب، ثم تعود مرة أخرى الى أحدى الفوهتين فى الأرض لتعيش حياة شريفة كريمة أو حياة شريرة قاسية.

وحتى فى محاورة المأدبة Symposium التى يناقش فيها أفلاطون قضيةأو مسألةالحب يستخدم أفلاطون الأسطورةبشكل واضح وفعال وقد خصص فى هذه المحاورة شخصيتين يستخدم من خلالهما الأسطورة هما فيدروس Phaederus واريستوفانيس Aristophanes أما فيدروس فكان أول المتحدثين عن الحب من بين المجتمعين حول المأدبة وقد إستمد كلمته عن الحب من الأساطير اليونانية، ثم إستكمل سقراط الأسطورة كما روتها كاهنة ديوتيم(٣٤).

أما خطبة اريستوفانيس حول الحب فى هذه المحاورة فهى تحتوى على تفسير للحب من خلال الحالة الأولى التى كان عليها الإنسان حيث كان المكائن الأول وحدة كاملة وكان ظهره وجنباه مستديرين. فكان على هيئة كرة له من الأيدى أربع ومن الأرجل أربع وله وجهان متشابهان ركبا فى رقبة مستديرة، الوجهان وجه من الخلف ووجه من الأمام وله أربع أذان وجهازان للتناسل. كانت هذه المخلوقات تمشى منتصبة مثلنا الى الأمام والى الوراء وكانت تلك المخلوقات من ا لقوة والبأس مما جعلها مخيفة ومهولة فركبها الغرور حتى هاجمت الآلهة واحتار زيوس لأنه كان يكره أن يقتلهم بالصواعق كما فعل بالجبابرة Titanes خوفا من فناء البشر فيحرم من عبادتهم له، ولم يشأ فى الوقت نفسه أن يتركهم فى هذه الحالة من العصيان والتمرد فقرر شطر كل مخلوق الى شطرين ليصبح هذا المخلوق أكثر ضعفا وشطر زيوس كل مخلوق الى شطرين متساويين ثم أمر أبوللون أن يتولى علاج الجروح الناجمة عن هذه العملية. وبعد شطر الإنسان الأول شطرين أخذ كل شطر يبحث عن الآخر بحيث إذا

التقيا تعانقا بقوة وكأنما يريدان العودة كائنا واحدا ويظل عناقهما الى حد الهلاك جوعا وليس بوسعهما أن يفعلا غير ذلك، ظل هذا يحدث حتى أشرف الجنس البشرى على الفناء لولا أن إمتدت اليه رحمة زيوس فاهتدى الى فكرة جديدة حيث جعل الأعضاء التناسلية للمخلوقات من أمام وأمكن بذلك أن يتم التناسل بإتصال الذكر بالأنثى كما هو الحال الآن وكان زيوس يهدف الى حفظ التناسل عن طريق إتصال الذكر بالأنثى وكذلك إشباع الرغبة فى الإتصال حتى ينصرف الناس الى أعمالهم وتدبير معاشهم، وهكذا ولد الحب الذى يعيدنا الى حالتنا الأولى لأنه يجعل من الشطرين المنفصلين كائنا كاملا.

هكذا نجد أفلاطون يتمسك بالأسطورة ويستخدمها إستخداما بديعا فى محاورة تتحدث عن الحب هى محاورة (المأدبة) ولا يشعر القارىء أن أفلاطون يقحم هذه الأسطورة فى محاورته هذه وذلك يمثل جانب إبداع خاص يتمتع به أفلاطون.

وبالإنتقال الى محاورة أخرى تلعب فيها الأسطورة دورا هاما فى فلسفة أفلاطون أود الوقوف عند محاورة طيماوس(٣٥) Timaeus تلك التى يناقش فيها أفلاطون مسألة الخلق والتى تعبر أحسن تعبير عن فلسفته الطبيعية على أن أول مايثير إنتباهنا فى المحاورة هى قول أفلاطون بأن المبدأ الأول أو المادة الأولى للوجود هى الـ xaos أى المادة العَمَاءالتى لاتميز فيها والتى إستخدمها الصانع Δημιουργος لخلق العالم وفى هذه النقطة بالذات كان أفلاطون قد لجأ الى الأسطورة التى وردت عند الشاعر اليونانى التعليمى المشهور هزيودوس Hesiodus والتى قال فيها أنه فى البدء كان الـ xaos ثم صار بعدد بعده الآلهة الأولى وأهمها الأرض γι وتارتاروس Tartarus وأروس Epws إله الحب.

وإذا إنتقلنا الى محاورة أخرى هى "السياسى" πολιτικος

فإننا يجب أن نتوقف عند أسطورة اتريوس Atreus وثيستيس Thestes تلك التى تحكى عن أنه كان هناك تنافسا على عرش ميسينا Messina بين الأخوين "أتريوس" و "ثيستيس" Theestes تدخل على أثره هرميس Hermes رسول الآلهة لصالح اتريوس عندما أرسل بين قطيع "اتريوس" حملا ذا صوف ذهبى إشارة الى أنه صاحب الحق فى الملك إلا أن "ثيستيس" راود أمرأة "اتريوس" وإستطاع أن يقنعها بأن تعطيه الحمل الذهبى ليستولى على الملك، وهنا يتدخل رب الأرباب زيوس Zeus فيأمر الشمس والنجوم أن تغير إتجاه سيرها وكانت تشرق من الغرب وتغرب من الشرق فعكس حركتها بحيث صارت على نظامها الحالى تشرق من الشرق وتغرب من الغرب وكان هذا تأييدا لحق "اتريوس" فى الملك وشهادة حق له، وكانت لتلك العلامة أثرها فعاد "أتريوس" الى العرش(٣٦) أما مايريد أفلاطون أن يؤكده من هذه الأسطورة فى محاورته التى نحن بصددها فهو "الحق" وهو أحد القيم الفلسفية التى عنى بها أفلاطون فى مذهبه على وجه العموم. وجدير بالذكر أن أفلاطون يشعر فى المحاورة ذاتها الى أن الله كان فى زمن من الأزمان يجرى الكون ويديره بنفسه ثم يأتى زمان آخر يتم الكون فيه دورته فيرسله الله وليجرى بنفسه فى الإتجاه المعاكس وذلك لأن الكون مخلوق حي وقد منحه الله العقل Λόγος منذ خلقه فى البدء(٣٧).

وهنا يجب أن نشير الى أن أفلاطون كان هو رائد هذه الفكرة التى إستخدمها فيلون اليهودى Philo وأفلوطين Pletinus فيما بعد، ونقف فى محاورة "السياسى" عند المقارنة التى يطرحها أفلاطون بين عصر (كرونوس) Kpovos(٣٨) وعصر زيوس Zeus وهو يروى أولا أنه فى أيام "كرونوس" كان الله ذاته هو الراعي الذى يتعهد البشر كما يتعهد الإنسان اليوم الحيوانات الأدنى منه.. وعندما كان الله راعيا لم تكن هناك دول وحكومات ولا كان الرجال يتخذون النساء وينجبون الأولاد لأنهم خرجوا جميعا من الأرض لا يذكرون

شيئا عن الماضى وكانت الأرض تعطيهم الثمار بسخاء من شجر ونبات لم تزرعه يد الإنسان، وعاشوا عراة فى الهواء الطلق، وإتخذوا العشب مضجعا لهم، تلك هى حياة الإنسان عى عهد "كرونوس". أما حياة الإنسان فى عهد "زيوس" فلم يتحدث عنها لأنها تمثل التجربة الخاصة للمتحاورين. أما المقارنة بين العصرين فإننا نستدل عليها من سؤال "الغريب"(٣٩).

أى العهدين أسعد وأرغد وأكثر رضاءا... هل تستطيع الحكم؟ وعندما قال سقراط الصغير أنه لايستطيع، أخذ الغريب يوضح الأمر. وقال إذا فرضنا أن أبناء "كرونوس" المتمتعين بأوقات الفراغ الكبيرة والقادرين على مخاطبة الناس والحيوان قد أحسنوا إستعمال تلك الفرص فى سبيل البحث الفلسفى متحدثين مع الحيوانات، ومع بعضهم، ومتعلمين من كل مخلوق له موهبة خاصة ويستطيع أن يساهم فى المعرفة العامة، إذا كانوا يفعلون كل ذلك فمن السهل أن نحكم بأن أهل ذلك الزمان القديم أسعد الف مرة من أهل زماننا.

وأرى أن رواية أفلاطون التى يتناول فيها المقارنة بين عصر "كرونوس" وعصر "زيوس" تكشف كذلك عن إهتمام أفلاطون البالغ بالمعرفة وضرورة البحث المستمر عن الحقيقة من خلال التفكير والتأمل، مادام معيار الحكم بصلاح عصر "كرونوس" - من وجهة نظر أفلاطون - هو الإهتمام بالمعرفة والبحث الفلسفى.

وجدير بالذكر إذن أن أفلاطون بذلك يكون قد سبق أرسطو فى الوصول الى أن المعرفة أو التأمل الفلسفى هو مصدر السعادة، وعندما ذهب أرسطو الى القول بأن السعادة الحقة إنما تكمن فى ممارسة حياة الحكمة والتأمل(٤٠).

وعلى ذلك فالعودة المتكررة الى الأساطير هى أسلوب

أفلاطون الرفيع فى إبراز فكرة فلسفية بعينها، وعلى إختلاف أنواعها إنما تخدم مذهبه الفلسفى ككل.على أنه يجب أن نعلم أن الأسطورة التى يقتبسها أفلاطون فى محاورة رجل الدولة "السياسى" لم يقتبسها إلا ليبحث جيدا فيمن يجدر به أن يرعى الناس، كما يرعى الرعاة قطعانهم، ومَن من الناس يستحق أن يكون وحده هو ذلك الراعى (٤١).

ومن ثم فالأساطير الأفلاطونية ليست موضوعات حقيقية يقينية، إلا أنها تحاول أن تقرب الى أذهان القارئين وتصور لهم الهدف الحقيقى الذى تنطوى عليه الأسطورة، لذلك فإن (أساطير أفلاطون هى إمتداد للعقل بوسائل أخرى،وسائل الحكاية والخيال. وبصفة عامة فإن الإسطورة تحل محل العرض البرهانى)(٤٢).

خـاتمة

هكذا وجدنا الأسطورة اليونانية فى صورها المختلفة سمة أساسية من سمات المحاورة عند أفلاطون، بل لانكاد نقرأ محاورة من محاوراته لايستخدم فيها الأسطورة أو يلجأ اليها من أجل أن تخدم فكرة فلسفية معينة، أو يرمز بها الى شخصيات وأزمات وأماكن لذات الغرض وعلاوة على ذلك كان أفلاطون فى الغالب يعيد صياغة الأسطورة مع إحتفاظه بأسماء الآلهة وأدوارهم كما توارثها اليونان، وكانت أبرز الأمثلة على هذا، أسطورة "العربة المجنحة" فى محاورة "فيدروس" وأسطورة "آر" فى الجمهورية. وكذلك أسطورة الإنسان الأول ومولد الحب فى محاورة "المأدبة".

وقد تناولت فى البحث الغرض الذى من أجله أستخدم أفلاطون مثل هذه الأساطير فى فلسفته. الذى ينسب اليه الربط بين الدين اليهودى وخاصة مبادىء التوراة والفلسفة اليونانية. ثم أتت بعد ذلك عدة فلسفات عملت على الربط بين الدين والفلسفة وخاصة فى مسألة البعث والخلود وعلى سبيل المثال ربطت الفلسفة الإسلامية الدين والفلسفة فى تلك الناحية مستندة الى العديد من الآيات القرآنية الشريفة مثل (أنه يبدأ الخلق ثم يعيده)(٤٣) و (إن الذى أحياها لمحيي الموتى)(٤٤).

وجدير بالذكر أن أفلاطون فى إستخدم الأسطورة فى نوع الكتابة الأدبية وهى المحاورة شأنه فى ذلك شأن أدباء اليونان وشعرائها على وجه الخصوص، وأبرزهم فى مجال التراجيديا ايسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس، وفى مجال الكوميديا اريستوفانيس وميناندر.

وإن كان أفلاطون إستخدم الأسطورة كأسلوب أو طريقة معينة ليوضح لسامعيه أو قارئيه مايهدف اليه من أفكار فلسفية فى صورة شيقة، إلا أننا نستخدم الآن وفى حياتنا اليومية نفس الأسلوب الأسطورى ليس فقط لما تنطوى عليه من معانى فلسفية، بل وأيضا كأسلوب من أساليب التربية الحديثة للأطفال عن طريق القصص والحكايات الخرافية (الأسطورية) التى تنطوى على معانى الخير والصدق والأمانة والعدل والتقوى وإن الشر والكذب والغرور شىء مكروه كل ذلك معانى نبثها فى أطفالنا عن طريق الأساطير التى تخترعها عقولنا وقد أشار أفلاطون فى محاورة القوانين وخاصة فى كتابة السابع عن أسلوب تربية الطفل وتهذيبه(٤٥).

وأخيرا فالأسطورة ماهى إلا بمثابة طوق نجاة يُخرج الإنسان عن طريق الخيال من حالة اليأس الى حالة الأمل والرجاء.

المصطلحات والأسماء المستخدمة فى البحث

باللغة العربية	باللغة اليونانية القديمة
(١) الأسطورة	μυθος
(٢) الإنسان	Ο ανθ Ρω πος
(٣) تعاقب الأضداد	Τα ΕνανΤια
(٤) الخلق	γΕνεσις
(٥) الحياة	Βιος
(٦) الموت	θαναΤος
(٧) الخير	Τα αγαθον
(٨) الشر	Το ΚαΚον
(٩) الروح	ψυχ1
(١٠) التناسخ	μεΤαμορφωσις
(١١) الرياضيات	μαθ1μαΤιΚ1
(١٢) الموسيقى	μυσιΚ1
(١٣) التأمل	φρον1σ1σ
(١٤) الجمهورية	πολιΤΕια
(١٥) الصانع	Δ1μιουργος
(١٦) إله الحب	Ερως
(١٧) الجسد	Το Σωμα

(١٨) العقل	Λογος
(١٩) الأرض	γl
(٢٠) المآدبة	Τό sΤομποσιον
(٢١) عالم المثل	Τα Ειδl
(٢٢) الإعداد	αρθμαι
(٢٣) الخليط	χαος
(٢٤) الخلود	ὁ ἀθάναΤος

المراجـــــع والهوامـــــش

(١) القرآن الكريم : ص١٧ فقرة ٤٣ صورة يونس آية ٤
فقرة ٤٤ سورة الإسراء آية ٣٩

(٢) جيمس ريتشارد : نصوص الشرق الأدنى القديم - المتعلقة بالعهد القديم (الجزء الأول) سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب - تعريب وتعليق د. عبد الحميد زايد، مراجعة د. محمد جمال الدين مختار مطبعة هيئة الآثار المصرية سنة ١٩٧٨ ص ٦ فقرة (١).

(٣) وليام هاونز : ماوراء التاريخ. ترجمة د. أحمد أبو زيد، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة ١٩٦٥ ص ٣٣٢ فقرة (٢).

(٤) محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى جـ (١) دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية سنة ١٩٨٠ ص ١٦٨ فقرة (٣).

(5) B. Jowelt : Dialogues of Plato, Vol II 3rd edition

صفحة ٣ ، ٧ ، ٩ ، ١٠

(*) فيدون : هو فيلسوف يونانى فى القرن الرابع ق.م وهو أوفى تلاميذ سقراط وكانت نظريات مدرسته قريبة الشبه من نظريات المدرسة الميغارية ويماثل فيدون بين الخير الأعظم والحكمة، وقد خلده أفلاطون فى محاورة تحمل أسمه.

(٦) عبد المنعم عبد الحليم سيد: حضارة مصر الفرعونية جـ (١) دار المعارف بمصر ص ٣ فقرة ٥ ، ٦

راجـــــع :

(7) Diogenes L aertius: The lives of the eminent philosophares

(*) ذكر أنبا ذوقليس أنه كان طائرا وشجرة وسمكة وفتاة...) الكتاب الثامن، راجع كذلك نفس المرجع (فيثاغورس) وفكرة الناسخ ص ٦،٧،٨ - وفقرة رقم ١٧ وحول تأثير أورفيوس على فيثاغورس الفقرة رقم (١٨) والفقرة رقم (٢٠)، وحول تعاليم وإرشادات الفيثاغورية راجع قائمة المصنوعات عند ديوجين VIII فقرة (٢٣).

(٨) كمال الدين الحناوى : أساطير فرعونية، الكتاب الخامس، الدار القومية للطباعة والنشر، العدد ١٩، بدون تاريخ، فقرة (٧).

(٩) راجع: وندل كلارك : الرمز والأسطورة فى مصر القديمة - ترجمة احمد صليحة - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨.

(*) فقرة (٨) أنوبيس: هو هاديس Hades رب الموت عند الأغريق القدماء، كما أنه هو ديونيسوس Dionysus رب الخمر والخصوبة.

(*) فقرة (٩) ألكا : هى عبارة عن الروح المادية، وهى تختلف بإختلاف الجسد الموجودة فيه، فالرجل له "كا" أو روح رجل يشبهه.... الخ.

(١٠) لطفى عبد الوهاب يحيى : اليونان (مقدمة فى التاريخ الحضارى) دار المعارف الجامعية - الاسكندرية - ١٩٩١ فقرة (١١).

نفس المؤلف :

(11) Mythson the conception of life between Mosopotarnia and Homeric Greece ١٩٧٨

عن تأثير أساطير وادى الرافدين على الأساطير اليونانية.

(١٢) فقرة (١١) ديونيسوس : هو آله الخمر ويقابله باخوس عند الرومان وهو ابن الآله جوبيتر وأمه هى أبنة كادموس مل Kadamus ملك طيبة، ودخلت عبادة (باخوس) أو (ديونيسوس) فى الديانة الأغريقية فى فترة متاخرة بنوع ما، فهى على الأقل لاحقة لعبادة الآلهة لعظام الحقيقيين ويبدو أنها وردت الى بلاد الأغريق من آسيا أو ربما من مصر، ورغم ظهور عبادته فى فترة متأخرة إلا أن عبدة هذا الآله لم يكونوا قليلين.

(*) فقرة (١٢) هيرا Hera : هى زوجة زيوس وتقابل عند الرومان جونو Juno زوجة جوبيتر الشرعية وإشتهرت بالمشاحنات المستمرة بينها وبين زوجها، وعرفت بالغيرة والحقد.

(*) فقرة(١٣) الطيطان : Titanes: فى الأساطير اليونانية هم أبناء الآلهين الأولين أورانوس Uranus وجيا Gea ويروى هيزيود فى "أنساب الآلهة" أنهم أثنى عشرا لها ستة ذكور وستة إناث منهم : أوكيانوس Oceanus وكيوس Coeus وكريوس Crius وهيريون Hyperion ولابيتوس Theia وكرونوس Cronus أما الآناث فهن : فيا Theia وتحميس Themis ومنيرسينى Mnemosyne وفوبى Phoebe وتيثسى Tethysوهى مجموعةمن الآلهةأعلنت العداءوالعصيان على كبيرالآلهة زيوس، ولكنه سحقهم وإنتصر عليهم، وتربع على عرش الأولمب.

(*) فقرة (١٤) مينرفا Minerva : فى الأساطير اليونانية هى أثينا Athena ربة الحكمة والحرب والعلوم والفنون، وقد خرجت من رأس أبيها ولذلك فهى تتصف بالحكمة والذكاء، وقد سميت مدينة أثينا على أسمها، ومن الغريب أن البومة هو رمز أو شعار الآلهة أثينا رغم أن بعض الشعوب تتخذ البومة رمزا للتشاؤم والنحس.

(١٣) توماس يلفنيس : عصر الأساطير - ترجمة د. محمد صقر خفاجة. سلسلة الألف كتاب - الناشر النهضة العربية بمصر ١٩٦٦ فقرة (١٥).

(١٤) مصطفى غالب : فيثاغورس - دار مكتبة الهلال ١٩٨٥ فقرة (١٩).

(15) Rogers, A, k. Astudent's History of Philosply. The Macmllan company, New York 3rd edition 1952 (21)

(١٦) زكى نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية - الطبعة الثامنة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٣٥ فقرة (٢٢).

(17) Zeller : Outline of history of Greek Philosopy, Thiratiennth, edition, Mew York (٢٤) فقرة

(١٨) على سامى النشار، محمد على أبو ريان: هيراقليطس (فيلسوف التغيير والصيرورة) المكتبة الفلسفية - دار المعارف - الطبعة الأولى ١٩٦٩ فقرة (٢٦).

(*)فقرة (٢٨) : يرى بعض الباحثين أن فكرة التناسخ موجودة فى حياتنا ذلك لأننا من الممكن أن نقابل شخصا ما، نشعر

نحوه بالإرتياح وآخر نشعر نحوه بالنفور دون سبب معروف ذلك لأنه هناك هالة من الضوء لاترى بالعين تسبق ذلك الإنسان أو غيره، وعلى قدر شفافية ذلك الضوء المتبقى (السابق) للإنسان، يكون محبوبا، وعلى قدر قتامة هذا الضوء يصبح الإنسان مكروها، معنى هذا أن ذلك الإنسان أو ذاك قد قابلناه فى حياة ما سابقة وحلت روحه فى بدن آخر، كما حلت روحنا فى بدن آخر وحدث أن تقابلت الأرواح وعلى قدر إتفاقها فى حياتها الماضية تتفق فى حياتها الحالية.

(*) فقرة (٣٠) : محاورة فيدروس هى محاورة لأفلاطون يناقش فيها سقراط مع صديقه الشاب فيدروس Phaedrus موضوع البلاغة أو الخطابة، ويميز فيها بين البلاغة التقليدية التى ترمى الى الخداع، والبلاغة الحقيقية القائمة على الجدل والصدق، أشهر ما فى المحاورة هى اسطورة العربة المجنحة.

(١٩) أفلاطون : "محاورة فايدروس" ترجمة د. اميرة حلمى مطر - دار المعارف - طبعة الأولى ١٩٨٦ - فقرة (٣١).

(٢٠) أفلاطون : "محاورة الجمهورية" ترجمة د. فؤاد زكريا الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٥.

(*) فقرة (٣٢) : هوارديوس : كان أحد الطغاة وهو من أحدى مدن بامفيليا.

(*) فقرة (٣٣) : هؤلاء هن ربات القدر Moipar فى الأساطير اليونانية كلوثو Clotho فأسمها مشتق من كلمة إغريقية معناها (غزل) لاخيس Lachesis وأسمها بالأغريقية معناه (القسمة

والنصيب) أما اتروبوس Atropos ومعنا ومعناها (لا تلين أى صلبة).

(٢١) أفلاطون : "محاورة المأدبة" ترجمة د. على سامى النشار "دار الكتب الجامعية - ١٩٧٠ فقرة (٣٤) أسطورة الحب كما روتها كاهنة ديوتيم، أنه كائن متوسط بمعنى أنه تارة يكون قويا شجاعا وتارة أخرى ضعيفا جبانا وتارة ثانية يكون غنيا ذكيا وفى حالة أخرى يكون فقيرا متسولا، وهذا نتيجة لزواج (ابن الحكمة) (بوروس) من (بينيا) الأم المتسولة التى كانت تتجول فى حدائق القصر الذى أقيم فيه إحتفالا كبيرا بيوم ميلاد (أفروديت آلهة الجمال) وكان بوروس الأب المتصف بالحكمة والدهاء قد ثمل من الشراب وخرج يتنزه فى حديقة القصر وقابل (بينيا) رمز الفاقة والتسول وهى تتسول من كبار القوم، وفى حديقة القصر حدث تزاوج بينهما ونتج عنه (أيروس) آله الحب وورث من أبيه الحكمة والقوة والدهاء والحيلة، ومن أمه العوز والحاجة والتسول، فتارة نجد فى أوج قوته حينما تغلب عليه صفات الأب، وتارة أخرى نجده قبيحا مريضا ضعيفا حينما يتغلب عليه صفات الأم (بينيا)، لذلك فهو كائن متوسط كما سبقت الإشارة.

(٢٢) أفلاطون : "محاورة الطيماوس " ترجمة الأب فؤاد جرجى بربارة - دمشق ١٩٦٨ فقرة (٣٥).

(٢٣) أفلاطون : (محاورة رجل الدولة) السياسى - ترجمة د. أديب منصور - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٥٩ - فقرة ٣٦،٣٧،٣٩،٤١

(*) فقرة (٣٨) كرونوس KPovos فى الأساطير اليونانية هو ابن أورانوس Oupavos (السماء) من جيا Jaia (الأرض).

(٢٤) أرسطو : علم الأخلاق الى نيقوماخوس - نقله الى العربية احمد لطفى السيد جـ (٢) - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤ فقرة (٤٠)

(٢٥) أفلاطون : "محاورة القوانين" ترجمة د. محمد حسن ظاظا - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - فقرة (٤٥)

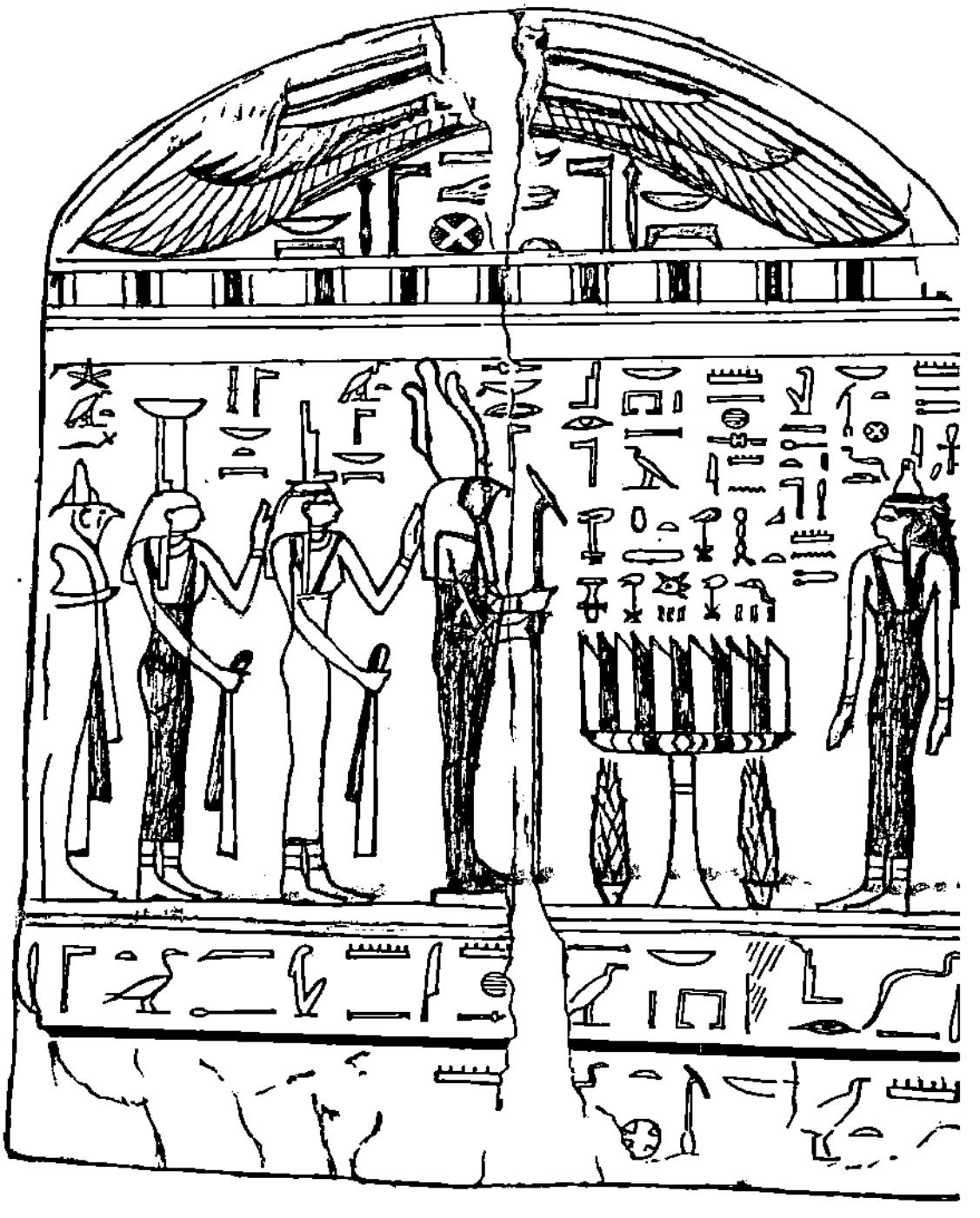

"(1) Words spoken by the Mistress of the House, Na .- menkh - es - Amon, justified, the daughter of the Priest (2) of Monthu lord of Thebes, Djed - Monthu [i - ankh]..."

The costume of the lady, and the archaic offering - table suggest that this stela dates to the xxvi dynasty.

The studying of the stela shows the relation of the pictured gods to heaven. On the upper part there is the god Horus, shows as a falcon with stretched wings. Underneath we have his title which relates him to heaven. The relation of the god Horus to heaven is well - known, since he is considered to represent heaven. His two eyes are the sun and the moon, and his wings ends touch the farthest edge of the earth. Both goddesses, Isis and Nephthys have the title "Mistress of heaven", the other two gods were also connected with heaven and protecting the dead.

Dw3 - mwt .f

"Dwa - Mut - ef"(1)

Under the scene are two horizontal lines of inscriptions, the lower one of which is badly damaged. They are read: ←

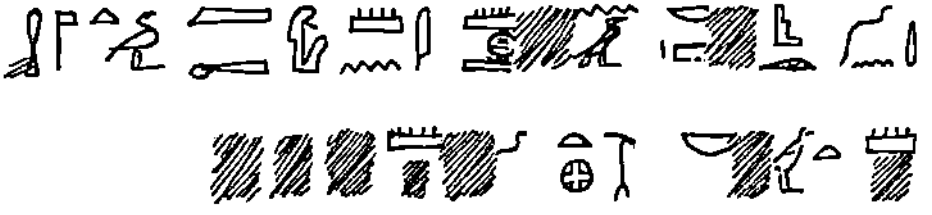

(I) *dd mdw < i > n Wsir nb < t > pt N3 - mnḫs - Imn m3c < t > - ḫrw s3t ḥm - nṯr (2) Mnṯw nb w3st Ḏ < d > Mn [ṯ w - i - cnḫ].....*

---

(1) His name means literally "he who praises his mother". He was one of four deities sons of Horus: (Dwa mutef, Qebehsenuef, Imsety, and Hapy). They were responsible for protecting the internal organs of the deceased. Each of the four gods was associated with a particular Canopic vessel and its contents. Their connection with the god Horus dated to the Old Kingdom. The pyramid texts describe them as the "friends of the kings", assisting him in his ascension to the heavens.
(I. shaw., P. Nicholson, P., op. cit., P. 275.)

"The god's sister, Mistress of heaven"(1)

—

Behind Nephthys stands *Dwa - mut - ef*, one of the Four Sons of Horus. He is represented as a hawk - headed, mummiform figure, wearing a perfume cone (?) on his head. A narrow linen band is tied round his body, the ends of which hang down in front of him. Above his head is inscribed his name: ↓←

---

(1) Her name "nbt - hyt" means "lady of the mansion", the hieroglyphs for which she wears as s symbol on her head. In later tradition she was regarded as the mother of the god Anubis *Inpw*, canine god of the dead, closely associated with embalming and mummification. Since the Era of the New Kingdom she was represented, together with Isis on the sides of coffins to protect the dead. She was depicted on royal sarcophagi on the external northern wall, next to the head of the deceased, while Isis was depicted at the southern end. But there are a few private coffins on which Nephthys and Isis were both portrayed at the head.
(LÄ, IV, (1982), PP. 457 - 460).
Since the eighteenth dynasty, she had the title *npt pt* "Mistress of heaven". She was called so, perhaps, because of her connection with the Heliopolitan Ennead, in which she was regarded as the daughter of Nut the goddess of heaven, and the sister of the goddess Isis, who was also connected with heaven, and had the same title "Mistress of heaven"

She is followed by her sister *Nephthys*, who is shown in the same attitude. She is crowned by her name - symbol, and in front of it is inscribed:

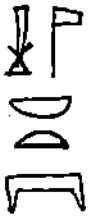

snt ntr nbt pt

= explained as "abode of the sun" (E. Meyer., Geschichte des Altertums, 1, 2, Berlin, 1926, P. 187).

She was also pictured as a cow of heaven or as a big woman who shaded the whole universe, since she was considered the goddess of heaven. Her relation to the goddess Nut who was her mother, had its effect also on her title: nb < t > pt "Mistress of heaven" This title appears in many texts since the 18th Dynasty.

He is followed by *Isis*, who raises her left hand and holds a narrower strip of linen in her right one. She wears her name - symbol, upon her head, and in front of it is inscribed:

mwt ntr nb<t>pt

"The mother of god, Mistress of heaven"(1)

=he is "mouth of the passages" (i.e. into the underworld). This emphasises him, like Orisis, as a resurrected god of the dead. (G.Hart., op, cit., P.203).

It is noticed that the crown worn by the god Sokar touches the line of heaven. This is perhaps an imitation of the funerary stelae which had appeared since the end of the New Kingodom period and the beginning of the Third Intermediate period. It shows the existence of god in heaven and the wish of the person of the stela to accompany god in heaven.

(1) It is worth noting that the goddess's name is also written in hieroglyphs with the determinative "*pt*" like the following: 3st pt (D. Meeks., Année Lexicographique, 1, Paris, 1977, P.9 n.77. 0086). It means "Isis of heaven", which indicates Isis' relation to heaven. This supports what Meyer maintained, that the name Isis could be

Under the table are two lettuces in pots.

—

The four gods stand, facing →. The first is a hawk - headed, mummiform figure, wearing the crown of Osiris, and carrying the *w3s*- sceptre. In front of his crown is inscribed. ↓

Skr

"Sokar"(1)

---

(1) Although Sokar is mentioned only by that name, his close identification with Osiris is plain, from his crown, and from the presence of Isis, Nephthys, and Dwa-mut-ef.

The origins of the god Sokar and indeed the very etymology of his name, are obscure; he seems originally to have been a god of the Memphite region, possibly a patron of craftsmen, although he was also venerated as an earth or fertility god (G.A., Gaballa., K.A., Kitchen., "The Festival of Sokar", in Orientalia, vol. 38 (1969), P.22 ff. By the Old Kingdom he was identified with the god of the dead, Osiris. (I. shaw., P. Nicholson., British Museum Dictionary of Ancient Egypt, London, 1995, P. 273). Perhaps one of the Pyramid texts gives the etymology of the god's name: "Osiris said - as a cry of help - to his wife and sister, "Sy - k - ri" which may means "hurry to me", becoming the name of the god Sokar. (G. Hart., op. cit., P.202.).

The god's name may came also in a sense:"he who is coffined" (W. Budge., The Book of Dead. London. 1969. P.19, no.5). His funerary aspect is of extreme importance as

1- *W s i r*

2- *n b < t > pr N3 -*

3- *mnḫs - I mn*

4- *m3ᶜt - ḫrw s3t ḥm-nṯr Mnṯ < w >*

5- *nb w3st Ḏd*

6- *M n ṯ < w > i - ᶜnḫ*

"(1) Osiris, (2) the mistress of the house, Na (3) menkh -es - Amon, (4) justified, the daughter of the priest of Monthu, (5) lord of Thebes, Djed (6) Monthu - i - ᶜankh".

Between the deceased and the gods is a table of offerings, laden with conventionalized slices of bread.

Above it is inscribed: →

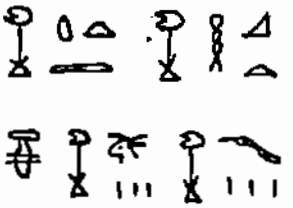

"ḫ3 t, ḫ3 ḥnkt, h3 k 3 w ḫ3 3 pdw"

"A thousand loaves of bread, a thousand jars of beer, a thousand oxen, a thousand fowl".

Bhdty ntr ꜥ3 nb pt

"Behdty the great god, lord of heaven"

A horizontal border of coloured rectangles separates the winged disk from a scene, which occupie the greater part of the face of the stela.

At the top of the scene is the sign of heaven, unde which stand the owner of the stela, and four deities. The deceased is a lady named Na - menkh - es - Amon who stands at the right, facing ←, with her hands at her sides. She wears the old - fashioned, tight - fitting robe, upheld by braces, and her hair, also dressed in the ancient style, is bound by a ribbon fillet, and surmounted by a perfume cone. She wears a wide collar, bracelets and anklets.

Above her, six, short, vertical lines of text read: ↓→

A Round - Topped Wooden Stela
Of
Na - menkh - es - Amon

A round - topped wooden stela of the lady Na - menkh - es - Amon, measuring 34.0cm high, and 27.5 cm wide. It was originally in the Huber collection, and is now in Cairo museum (JdE 4887, S.R. 9908).

The designs and inscriptions are painted in colours on a thin layer of gesso.

The stela is framed at the top by a curved sign of heaven below which is a winged disk [1], inscribed:

← →

(1) The symbol of Horus of Behdet as a hawk - winged sun disk becomes a ubiquitous motif in temple decoration of ceilings or gate lintels, or the upper frame of wall - reliefs and stelae see: G.Hart., A dictionary of Egyptian gods and goddesses, London, 1987, P. 95.

A Round - Topped Wooden Stela of Na - menkh - es - Amon

Dr. Suzan A. Abd El-Latif

Faculty of Education

Alex. University

Labov, W. (1972) *Language in the inner city*, University of Pennsylvania Press, Philadelphia

Leech , G. and **Short, M.** (1981) *Style in fiction*, Longman, London

Pilkington, a. (1990) A relevance theoretic view of metaphor, *Parlance* 2(2):102-17

Reynolds, M. (1972) Two Hemingway sources for *In our time, Studies in short Fiction*, 9 :81-6

Short , M. (ed.) (1989) *Reading ,analysing and teaching Literature* , Longman, London

Stubbs,M. (1982) Stir until the plot thickens , in Carter and D. Burton (eds.) *Literary text and Language study*, Arnold , London 57-85

Toolan , M. (1988) *Narrative : A critical linguistic introduction*, Routledge , London

Van Peer,W. (1987) Top-down and bottom-up : interpretative strategies in reading E E Cummings, *New Literary History* , 18 (3) :597-609

Virtanen , T. (1990) Participant continuity and empathy : a text-linguistic approach to a literary text, *Carina Amicorum* , Abo Academy Press, Abo

Widdowson , H.G. (1975) *Stylistics and the teaching of literature* , Longman,London

References

Baker, C. (1969)*Ernest Hemingway :a life story* , Scribner's New York

Brumfit, C. and **Carter, R.** (eds.) (1986) *Literature and language teaching*, Oxford University Press, Oxford

Carter , R. (ed.) (1982) *Language and Literature* , Allen and Unwin London

Carter, R. (1984) Why have I started to talk to you like this? : narrative voices , discourse pragmatics and textual openings , in W. van Peer and J. Renkema (eds.) *Pragmatlic* and *stylistics* , Acco, Louvain 95-132.

Carter, R. and **Simpson, P.** (eds.) (1989) *Language, discourse and Literature*, Unwin Hyman, London

Crombie, W. (1989) Semantic relational structuring in Milton's 'Areopagatica'. in Carter and Simpson (1989), 113-22

Fowler, R. (1986) *Linguistic criticism*, Oxford University Press, Oxford

Halliday , M.A.K. and **Hasan, R.** (1976) *Cohesion in English*, Longman, London

Haynes , J.(1989) *Introducing stylistics* ,Unwin Hyman, London

Hoey, M. (1989) Discourse-centred stylistics : a way forward? , in Carter and Simpson (1989), 123-38.

strychnine to strengthen the action of his heart to enable him to stand up in front of the firing party.

The man who had died on the way out was propped up beside him - a ghastly line of four live men , one half alive and one dead man. They were then asked-Gounaris, thedead man and all - if they had anything to day , an appalling instance of mockery . No reply was made but M. Baltazzis took out his monocle, polished it and put it back again. General Hadjanestis calmly it a cigarette.

The order to fire was given . The moment the prisoners fell the firing party rushed forward and emptied their revolvers into the corpses . Including that of the man who had died on the way from the prison . The bodies were then thrown into a lorry and taken to a public cemetery just outside of the city and were thrown out casually in a heap in the mud which covered the ground.

(Originally printed in The New York Times, 20 December 1922, p.1, col.3. The Paris edition of the New York Tibune is likely to have reproduced an identical story. (See Reynolds 1972: 82 for a fuller account of Hemingway's source material .))

FORMER LEADERS

Uncensored Account Brought From Athens - Dead Man Was Propped Up in Line

GOUNARIS NERVED BY DRUG

Ex- Premier, Dying Fromm Illness, Was Artificially Stimulated to Stand LONDON, Dec. 20-The Daily Express published the first detailed account of the recent executions of the Greek ex-Ministers supplied by its correspondent who was lately in Athens.

M. Gounaris , an ex-Premier, was in a hospital in a very critical condition . about 11 a.m. he was taken out on a stretcher, placed in a motor van and driven to a place about one and a half miles outside of the city . He was left lying on his stretcher in a dying condition while the car went back to fetch five others from the prison where they had all been confined in a single room.

To begin the horrors of that morning it was discovered by the guards that one of the five had died in the van on the way out from heart failure.

On the arrival of the van Gounaris was lifted out of stretcher to stand up and face a firing party. It was then found that this wretched man, who, after all, had been a figure in the recent history of Europe , was unable to stand at all. He was thereupon given sufficient injections of

samples of which are, respectively, Pilkington (1990),Virtanen (1990) and Van Peer (1987). To have attempted an analysis of coherence in the main body of this article would , however, have proved unwieldy and would have confused parts of the discussion . Yet the design of the experiment is such that the use of alternative linguistic models is still possible . Indeed, the comparative analysis of two versions of the same text may be undertaken from a number of linguistic perspectives ; it has been the concern of this article to suggest but two of this range of possible models .

Notes

1 I am grateful to Mick Short, Janice Hoadley.David Seed and Pater Stockwell for their students at Lancaster University who took part in the workshop and allowed me to publish its results .

2 Reprinted with permission of Charles Scribner's sons, an imprint of Macmillan Publishing Company, from In Our Time by Ernest Hemingway. Copyrigh 1925, 1930 by Charles Scribner's Sons ; renewal copyright 1953, 1958 by Ernest Hemingway . Copyright c 1929: all rights outside US,Hemingway Foreign Rights Trust.

Appendix

ATROCITIES MARKED GREEK EXECUTIONS OF

5 Concluding remarks

The linguistic frameworks of cohesion and natural narrative are clearly only two of many frameworks which may be usefully employed in the analysis of texts. What helps make these two frameworks particularly appropriate for the purposes of the present exercise is their shared emphasis on the 'surface of textual connectivity. This, however, caters for only one layer of the multilayered proccess of meaning construction , and , if a fuller account of such meaning is to be obtained, then some discussion of textual 'coherence ' is required . In this respect, attention would need to be given to the ways in which the students sought to map meanings onto the text, and how, more specifically, they attempted to relate propositions in the text despite the absence of overt 'surface ' clues.This emphasis on 'coherence', rather than 'cohesion', would take the workshop into quite a different area; an area where it would be informed by relevant stylistic work on, for example , plot structure (Stubbs 1982) discourse structure (Hoey 1989) and semantic -relational structure (Crombie 1989). By focusing on the inferencing strategies used to derive satisfactory readings of a text, a coherence analysis might also extend to research in relevance theory , text linguistics and artifical intelligence .Again , the potential of all three frameworks has been explored by stylisticians,three representative

news report for thematic or 'literary 'reasons and , if so, why?

4 Now examine the following short story written in 1922 by the American writer Ernest Hemingway . This story is believed to have been based on the newspaper account you have just read.Are any features of Hemingway's version particularly striking? Make a list of the ways if you can.

The advantages of restricting the stories in length in this way are that it saves time, forces students to focus only on details which they regard as essential, and yields versions which are comparable in terms of length and economy to the Hemingway version. Although comparisons with the latter may be less rigorous linguistically and will not focus directly on specific features such as cohesion and narrative structure, there is none the less some stylistic benefit. For one thing , it may be more appropriate with non-advanced learners of English , or in a context where language expertise is generally not as developed.On the other hand, it may be suitable in creative writing classes where such activities are common but where an exercise such as that proposed here would have the added advantage of providing an insight into Hemingway's method . In both contexts , such a comparative analysis would provide a point of entry for linguistic and stylistic analysis .

Although the juxtaposition of short story and source material would provide in-itself a useful basis for an informal discussion of composition and technique, the proposed extension to the activity undertaken here involves participants developing their own story based on the newspaper account . The protocol out ined below could be carried out , depending on language skills and number of participants, either by indviduals or by small groups.

1 Read the accompanying newspaper report which describes certain events that took place in 1922. The report appeared in the New York Tribune and details the execution of six Greek cabinet ministers .

2 Now compose a short story based on the events portrayed in the newspaper text.Do not exceed two hundred words. Feel free to :

(a) omit events that you feel are less central to the main story .

(b) add or amplify certain details which you feel are thematically significant . In short , you may use your imagination .

3 Now explain how you reached your particular story . Have you felt it necessary , for example , to delete certain events during the transition from news report to short story?Or, have you embellished aspects of the

Star and ,although based in Paris at the time , would have followed these events closely. Three months after the executions , he wrote his vignette,probably basing it on a newspaper account he read in the Paris edition of the New York Tribune (Baker 1969:108; Reynolds1972 :82).The full text of the incident , including a short editorial , is reproduced in full in the appendix to this article .

The compositional differences between the short story and its source material need only be sketched here. Most noticeable perhaps is that the dead minister of the newspaper account is removed completely, thereby channelling attention towards the sick minister in the vignette. Indeed, it would be difficult to cover both a sick man and a dying man in so short a space . The time of the execution is also altered , being brought back to a time traditionally associated with 'dawn' executions . Extrapolating from a reference to a heap in the mud', Hemingway foregrounds the inclement weather through a series of references to rain and wet conditions .The location is also altered with the executions conveniently taking place just outside the hospital, as opposed to one and a half miles away . Again, this allows for further economy of description .Interesting also are the allusions by Hemingway to the 'nailed shut' windows of the hospital, which, while provoking particular comment in the workshop discussion,are, on the basis of this evidence, entirely fictitious.

how the same basic story line would look if supplemented with those evaluative devices . Would rewrites, rather than reconstructions , reveal more about what participants informally termed the ' flatness ' of Hemingway's style? It is issues such as this that the following short section will address.

4.3Creative writing and stylistic analysis

Up to now, information on the biographical and literary-critical context of the story under analysis has been quite consciously withheld . This has not been done in the interests of achieving are strictively formalist,text-immanent reading of the story, nor is it suggested that contextual detail does not have a part to play in a multidimensional , interpretative process. On the contrary ,it has been done simply because , as a language-orientated activity, the concern with linguistic form and function has been uppermost.As a prepartory stage in the development of the 'sub-exercise' which follows,however, it is necessary to introduce precisely such contextual detail.

The actual historical event portrayed in the vignette is the executions of six Greek cabinet ministers,including the ex-premier ,in Athens in 1922. The executions took place after Greece's unsuccessful campaign against Turkey . Hemingway had previously covered the war for the Toronto

they placed it near the end in their version. Certainly , all of the group were unhappy with (b) as an ending : in all six reconstructions it was placed at least three sentences from the end. Instead , more'symbolic 'Codas were preferred , such as(i)('It rained hard'.) ,(g) ('There were wet dead leaves on the paving of the courtyard.) and most popularly,(a) ('All the shutters of the hospital were nailed shut.') The first of these was chosen because it is by far the shortest sentence of the story, whilst the remaining two contain , respectively, explicit and symbolic allusions to death.All of these choices, it was felt , not only avoided the sense of incompleteness generated by (b), but also round the story off more neatly with a short descriptive statement devoid of any actional content.

Much more could be said of the implications of a natural-narrative analysis here. The lack of Evaluation in the story,for example, has not been touched upon. To do so would in turn lead to questions of authorial modality , mind style and point of view - and such questions really deserve fuller treatment elsewhere.(See,for example,Fowler 1986 : 127-47.) One consequence of Hemingway's non-evaluative technique, however ,is the notable absence in the story of any rhetorical 'colour'. There are no stylistic flourishes , such as departures from the basic syntax through the use of modals, questions and negatives . Indeed, one might wonder

This last point leads us directly to the question of the problematic ending to the story. It may be recalled that no group contemplated placing the following sentence at the end:

(b) When they fired the first volley he was sitting down in the water with his head on his knees .

From an analysis point of view , this sentence raises a number of issues. For one thing, it tends to cut across the distinctions between narrative categories established in this section. It satisfies to some extent the criteria for the recognition of Complicating Action : it has an actional verb in the simple past ('fired') and generally has a 'what happened' rather than 'who, what, where 'feel to it .Yet a couple of features in the sentence push it towards Orienation: it contains an explicit temporal signal in the form of 'when ' and more significantly , contains a past progressive verb phrase ('he was sitting'). Both features are more characteristic of Orientation sections of natural narrative. This categorical indeterminacy is what many groups felt renders the story itself indeterminate . It possesses no clear Coda, no signal that the events of the narrative are over and the narrator is, so to speak , giving up the floor . Group 5 felt, for example , that sentence (i), the opening of the original and idealised versions, accomplished this much more effectively-which is why

Much wider agreement was reached on such patterns, where the sentences are temporally ordered and where a change in their sequence would result in a change in the interpretation of the chronology of the story. Furthermore, a reversal of (f) and (d) above would be difficult to justify on the grounds of coherence.

Where the idealised and original versions diverge most noticeably is in the way in which the descriptive (Orientation) frame is deployed. Although it is scattered throughout the idealised version, in the original version it is confined to the first half of the story. In fact, the original version is virtually split evently into two blocks of Orientation and Complicating Action. The idealised version, by contrast , is peppered with sentences of Orientation which break up what would otherwise be almost continuous Complicating Action. (Consider, for example , the (d)-(g)-(k) and (h) -(h)-(c) patterns .) Students' reactions to the pattern of the original version were interesting : they argued that it felt too 'top-heavy', 'too symmetrical' and was on the whole rather unsubtle . In support of their own mixed pattern, they contended that a more balanced narrative emerged , with the transitions between Complicating Action and Orientation creating a more 'engaging ' and 'dialogic' story.

A major pattern of disagreement centres on the distribution of what were loosely termed the descriptive and actional frames of the story. Hopefully, it should be clear from the foregoing that these two informal categories may be now aligned with the natural-narrtively categories of Orientation provides the all-important background detail which helps the listener/reader identify the 'who, what, when and where' of the story. It is realised by sentences such as :

(c) There were pools of water in the courtyard.

(g) There were wet dead leaves on the paving of the courtyard.

(e) One of the ministers was sick with typhoid.

By contrast, the Complicating Action of thestoryis realised primarily through those sentences which have an 'actional ' verb in the simple past. These core narrative clauses are represented by sentences (f) and (d) in the following sequence from the original version:

(e) One of the miniters was sick with typhoid.

(f) Two soldiers carried him downstairs and out into the rain.

(d) They tried to hold him up against the wall but he sat down in a puddle of water .

With the exception of Evaluation , the categories listed above are arranged in the sequence in which they would occur in a typical oral narrative .Evaluation is situated outside the central pattern and can be instered at virtually any stage during a narrative . A fully formed narrative realises all six categories, although many narrative may lack one or more components .

The Labovian model can be used to explore further the similarities and differences between the idealised and original versions . In this regard , perhaps the most significant point of agreement between the two versions is the correct selection of sentence (i) by the students as an opening :

They shot the six cabinet ministers at half past six in the morning against the wall of a hospital .

Intere stingly, this sentence, in the context of the story as a whole , satisfies the criteria for a well-formed Abstract.It provides a short summary of the main event of the story , although in itself does not constitute a narrative . There was also substantial cross-group agreement on the selection of this feature, with most groups arguing that the 'summarising ' nature of this sentence made it a strong candidate for an opening to the story . The one group who placed (i) towards the end of their story did so for reasons which will be discussed shortly.

is widespread in the reconstructions, no group even contemplated this as an appropriate ending to the story. When confronted with the actual ending , all the groups were surprised and many felt that (b) rendered the story incomplete , or, at least , indeterminate.

Even more surprise was expressed at the sequencing of sentences in the descriptive frame of the story . Contrary to the intuitions of the participants , the anticipated (j), (c) (g) is dispreferred in favour of the following :

(c) There were pools of water in the courtyard .

(g) There were wet dead leaves on the paving of the courtyard .

(j) It rained hard .

The focalisation created through this pattern is almost the reverse of that expected , with a narrowing to the detail of the 'leaves ' in the second sentence, followed by an abrupt transition outwards to general statement about the rain in the last sentence.Furthermore, the cause-and-effect relationship which forms the basis of most of the students 'predictions is actually reversed to an effect-and-cause relationship. Another consequence of this pattern is that (c and (g) are now side by side-a configuration which was ruled out by every group.

Many felt that combining (c) and (g) in this way was repetitive and clumsy,almost becoming , to use Leech and

Short's term, over-cohesive (Leech and Short 1981: 252- 4).

More will be said on the discrepancies between the workshop and Hemingway versions in the following sections, where some further explanations will be offered as to why such dissimilarities occur. but one thing that the introduction of the original version should have highlighted is how a break-up and subsequent reconstruction of the text is possible in the first place . There is a marked lack of formal connectives between the sentences of the text , allowing considerable manipulation of their sequencing to take place without much disruption to the over all meaning of the story. This, in turn, leads to a clearer picture of the technique-some would say lack of technique-of the author.

There is little, if any , authorial commentary on the events of the story, just as there is little signposting as to how one event precipitates another . Neither is it made explicit how one element in the descriptive frame is supposed to interconnect with another .One general outcome of the comparison between the original and the reconstructions is that it brought out the very blandness and the almost self-conscious 'flatness' of Hemingway's style. Moreover, the linguistic analysis undertaken during the comparison provided concrete support for these observations. Indeed , many of the groups actually felt that their own efforts were neater , more polished , and had more

coherence in a narrative . In relation to this, a number of cohesive chains were identified in the analysis, the most significant of which are the progressions of phrases relating tothe cabinet ministers and the soldiers . By contrast , it was pointed out that a more striking pattern of cataphora is established early on with the pronominally reduced form 'they' used to refer to the solidiers. The pronoun here therefore points forwards 'to subsequent elaboration in the form of full noun phrases such as 'two soldiers' , 'the officer' and ' the soldiers'. Cohesion through antonymy ('oppositeness') is also created in the text through the juxtaposition of the verb phrases 'stand up'and 'sitting down' in adjacent sentences (h) and (b). The first immediately precedes (b).

However, these largely straightforward patterns of cohesion were offset by a number of 'anomalies.' in the original . The 'over-cohesiveness 'in adjacent sentences (c) and (g) was commented on particularly , with workshop participants expressing dissatisfaction at the repetitiveness of the 'there were .... ' construction and the similarity of the phrases 'in the courtyard 'and ' of the courtyard ' . Also noted was the general absence of connectivity among the sentences in the story . A wide variety of devices is available in english for developing this type of cohesion , including additive (and), adversative (but) and causal (so)

all-round literary merit . This in itself provides some. considerable insight into what students of literature regard as 'literary',at least in terms of the kinds of structures which they expect literary texts to exhibit.

4. Extending the analysis

4.1 Cohesion

In the course of the analysis and discussion of the previous section, a number of key terms from Halliday and Hasan's (1976) model of cohesion were introduced . Although this was done in an ad hoc and somewhat piecemeal fashion, it was intended to mirror the direction taken by the workshop itself . In other words, linguistic terminology was not introduced prior to the comparative analysis ,but was instead allowed to unfold during the course of the analysis . As was pointed out in section 1 , one of the functions of the present study is to cater for the interests of those seeking replicable materials for English-language teaching . Thus , it was thought best that the development of the linguistic framework should parallel the development of the workshop activity.

Among the specific terms introduced during the workshop were the notions of anaphora and cataphora . Anaphoric references , which 'point back ' to earlier reference in the text, provide one means of developing

conjunctions. However, only one explicit signal is provided in the form of 'finally' (sentence (h)) and yet the sentence which it governs does not constitute the last of the story. Indeed , much of the benefit of this type of students'and the original versions , thereby highlighting the peculiar characteristics of the latter.

4.2 Natural narrative

Part of the point of an exercisesuch as this isthat it can be supplemented with a variety of additional linguistic models which enable the analysis to be developed in a number of different directions . One such model , which would not only provide an insightful analysis of the story in its own terms but would also help clarify some of the reconstructions discussed earlier, is the framework of natural narrative proposed by the sociolinguist William Labov. Although this is not the place to undertake a detailed introduction to the model, a brief sketch will nonetheless prove useful.

Labov defines a natural narrative as a method of recapitulating past experience by matching a sequence of clauses to the sequence of events which (it is implied) actually occurred. A minimal narrative can be defined as a sequence of two clauses which are temporally ordered : that is, a change in their order will result in a change in the temporal sequence of the original semantic interpretation (Labov 1972 : 359-60). From the dozens of stories collected Labov proposes the narrative categories shown in Table 2.

Table 2 Labov´s narrative categories

Category	Function	Form
Abstract	Signals that a story is about to begin and draws attention from the listener; gives some idea as to what the story is going to be about	Normally a short summarising statèment, provided before the narrative commences.
Orientation	Helps the listener to identify the time , place , persons activity and situation (i.e. the 'who, what , when and where' of the story).	Often characterised by past progressive verb forms and adverbial modifiers of time, manner and place.
Complicating Action	The core narrative category providing the 'what happened' element of a story.	Realised by narrative clauses which are temporally ordered and normally have a verb in the simple past .
Resolution	Recapitulates the final events of astory (i.e. the ' what finally happened ' element).	Comprises the last of the narrative clauses which began the Complicating Action.
Evaluation	Functions to make the point of the story clear , toward off resposnes such as ' so what?'.	Marked by a number of different linguistic forms. Includes: evaluative commentary , embedded speech, departures from basic narrative syntax (e.g. intensifiers , comparators, explicatives, negatives , future,modals, etc.)
Coda	Signals that a story has ended; brings the listener back to the point at which he or she entered narrative.	No specific linguistic features, although frequently a generalised statement which is timeless in character.

(h) Finally the officer told the soldiers it was no good trying to make him stand up. (b) When they fired the first volley he was sitting down in the water with his head on his knees.

Dealing firstly with the similarities between this and the student reconstructions , it is noticeable that the preferred opening is vindicated:sentence(i) is indeed the first sentence of the story. (The reasons why (i) was considered most appropriate need not be repeated here.) The agreement reached over the (h)- (b) and (e)-(f) pairs is also borne out by the original . Noticeably , however , both sequences are part of the actional frame, and there is a strong sense of a temporal progression from the first element of the pair to the second . It would be difficult to produce a coherent pattern by reversing these sentences . Beyond this, there are few similarities between the original and the reconstructions.

There are a number of substantial differences between the texts, many of which are highly illuminating . There is broad disagreement on the distribiuton of the actional and descriptive frames, for example. In the Hemingway version, these frames are separated into two blocks which, if we leave aside the opening sentence, comprise five sentences of description followed by five sentences of action. These are not at all interwoven in the style of most of the reconstructions.Moreover,although the (h)-(b) configuration

particular sentence never provoked such an interpretation in tutorials which used the unaltered , original version . Comparable identifications of an image of death in other parts of the descriptive frame (for example, in the reference to the 'dead leaves' in sentene (g)), which were not made in previous tutorials, were also made in the course of the present exercise.

Of course the absence of any such response to these sentences in the original version might have been due in part to their location in the story . However , if this and other related points are to be developed more fully, it is to the original that we must now turn. In the following subsection, therefore , the 'real' version will be produced and discussed.

3.3 The original version

Here, at last , is the original Hemingway vignette:2

(i) They shot the six cabinet ministers at half past six in the morning against the wall of a hospital . (c)There were pools of water in the courtyard . (g) There were wet dead leaves on the paving of the courtyard .(j) It rained hard . (a) All the shutters of the hospital were nailed shut . (e) One of the ministers was sick with typhoid. (f) Two soldiers carried him downstairs and out into the rain . (d) They tried to hold him up against the wall but he sat down in a puddle of water. (k) The other five stood very quietly against the wall.

While a number of groups had (j) adjacent to either (c) or (g), there was a tendency to seek maximum separation between (c) and (g). Group 2's justification for this was echoed unanimously : (c) and (g) were felt to be too repetitive to be placed side by side. For one thing, both are existential sentences beginning with the dummy subject 'there'; for another , both contain virtually identical sentence-final prepositional phrases ('in the courtyard ', of the courtyard'). In short, the very similarity in structure of the two sentences made their proximity to one another feel 'unnatural'.

Another common pattern reflected in the group 2 narrative is the tendency to make sentence (a) the ending of the story . Again, the justification for this is interesting as it draws on both structural and thematic evidence. First of all , sentence(a) is part of the descriptive frame which is woven around the actional frame, providing a particularly apposite ending with its echo of 'the hospital' referred to in the opening sentence (a cohesive tie of repetition).The thematic evidence concerns the 'allusion' created by the phrase 'nailed shut'. This group, and indeed the others who chose an (a) ending, argued that this developed an image of a coffin being nailed shut, thereby providing a symbolic analogue to the death of the cabinet ministers . This decision to adopt an 'emblematic' reading is specially telling, as this

(c). Almost invariably , sentence (j) precedes both(c) and (g), the most common configuration across all groups being:

(j) It rained hard . (.....)

(c) There were pools of water in the courtyard. (...)

(g) There were wet dead leaves on the paving of the courtyard. (...)

The justification offered for this sequence us illuminating. Group 2 argued, for instance, that this configuration is not only cohesively linked by a broad lexical set including the items 'rained','water' and 'wet', but it is also linked in terms of an implicit cause-and-effect relationship between the propositions expressed by each sentence. On the basis of largely commonsense reasoning, the following argument could be proposed , where the second and third sentences are predicated by the first:

It rained

and so there were pools of water .....

and so there were wet dead leaves .....

Again, it should be stressed that the relationship between the propositions is implicit, the absence of formal connectives forcing readers to infer cause-and-effect relations.

soldiers carried him downstairs and out into the rain . (d) They tried to hold him up against the wall but he sat down in a puddle of water. (g) There were wet dead leaves on the paving of the courtyard. (k) The other five stood very quietly against the wall. (h) Finally the officer told the soldiers it was no good trying to make him stand up . (b) When they fired the first volley he was sitting down in the water with his head on his knees. (c) There were pools of water in the courtyard. (a) All the shutters of the hospital were nailed shut.

A significant feature of this narrative as a whole is the division between what might be loosely termed descriptive and actional frames . The group who produced this version attempted to create a balance between , on the one hand the central action of the shooting , and , on the other , the more 'static' descriptions of the rain , the hospital and the courtyard . To this end , the descriptive sentences such as (j), (g) and (c) were quite consciously woven around the central narrative events realised chiefly by sentences (f), (d) , (k), (h) and (b). Like many other groups, this group felt that the narrative which resulted from this strategy was 'smoother ', more balanced and more neatly structured.

Another important feature of this narrative which also reached a wide measure of agreement was the narrowing of focus created through the placement of sentences (j), (g) and

other five groups were dissatisfied with the sense of incompleteness which final (h) would generate .

3.2 An idealised narrative

It was hoped at the outset that the results of the workshop would produce an 'idealised' narrative based on the majority preferences displayed in each of the 11 sentence columns . This would produce sample narrative derived from the collected responses which could then be contrasted with the original version . Unfortunately , given the set of results obtained , genuine abstraction of this sort is difficult : some preferences are evenly distributed over a number of columns while other columns yield no statistically signifiant set of preferences . In any case , the sample is too small to permit rigorous quantification of results.

Nevertheless , it is still possible to select a sample narrative representing the most 'typical' narrative produced by all the groups. In this respect, the narrative of group 2 appropriate, as their choices are most widely shared by other groups. The complete narrative proposed by this group is as follows, with letters retained for ease of reference , but with the gaps between the sentences closed up in order to render the sequence 'story-like'.

(i) They shot the six cabinet ministers at half past six in the morning against the wall of a hospital . (j) It rained hard. (e) One of the ministers was sick with typhoid.(f) Two

(1) Everton scored three goals and Liverpool two.

Returning to the text, it is clear that 'the other five ' is only meaningful through reference to sentences (e) and (i), thus developing strong anaphoric links between this particular group of sentences . The cohesive chain which emerges might be formulated in the following way :

(i) ..... the six cabinet ministers

(anaphoric reference)

(e) One of the ministers .....

(anaphoric ellipsis)

(k) The other five.....

The chain is further streng thened by the presence of other cohesive links such as repetition ; in this instance , the phrase 'the wall' occurs in both (i) and (k) .

The one group who placed .(i) after (e) and(k) had specific reasons for doing so, although they felt unhappy about the overall structure of their narrative .

Their decision for placing (i) towards the end of the narrative will be dealt with later , in Section 4.2.

It is also interesting that only one group chose to conclude the narrative with a sentence which contains a clear 'signpost ' in the form of the initial adverb 'finally'. Group 6, then, took 'finally' to mean precisely that , yet the

Another area of cross-group similarity is the sequencing of sentences (i),(e) and (k). Although the exact position of these sentences in the narrative varied, and the sentences were interrupted by other elements the precise sequence was, with only one exception , invariable. Only group 5 did not propose the following pattern :

(i) They shot the six cabinet ministers at half six in the morning against the wall of a hospital . (...)

(e) One of the ministers was sick with typhoid. (...)

(k) The other five stood very quietly against the wall.(...)

The relative rigidity of this pattern can be explained by reference to the cohesive chains which develop through it. As was pointed out above , the partitive expression 'one of the ministers' is tied to the initial reference in (i).The cohesion between (e) and (k) is even more rigid , with the expression 'the other five ' undergoing ellipsis. This cohesive device is a type of 'substition by zero ', where one or more items may be deleted but may still be inferred from the linguistic context.For instance , in the second clause of the following sentence both the verb scored and the noun goals have been ellipted , yet are presupposed through reference to the first clause :

Secondly, further coherence is created through the suggestion of causality :the minister is ill sohe has to be carried . This 'commonsense 'interpretation prompted a number of illuminating comments on the general lack of causality in Hemingway's style.Formal links between propositions , such as if , so and therefore , tend to be uncommon and , consequently, 'cause-and-effect' and 'logical' relationships often have to be constructed by readers.

The agreement reached over the sequence of sentences (h) and (b) also warrants some comment . Four groups proposed the following pattern, remarkably, at identical points in the narrative :

(h) Finally the officer told the soldiers it was no good trying to make him stand up.

(b) When they fired volley he was sitting down in the water with his head on his knees.

The reasons put forward in support of this pattern were interesting . In addition to the cohesion created through the use of the anaphoric pronouns 'they' ,'he' and 'his'all group pointed out that extra cohesion was created by the juxtaposition of the opposites 'stand up' and 'sitting down '. This cohesion through antonyms is identified by Halliday and Hasan (1976 : 285) as one of the main types of lexical cohesion in English.

de-selection of (i) as best possible opening to the story . Indeed. a number of students suggested that this type of cataphoric reference was a common enough characteristic of the openings of literary texts . The two groups who chose sentence (j) for their opening took a somewhat different approach . They argued that a short 'scene-setting' sentence such as 'it rained hard ' was a more appropriate beginning to the story . Moreover , they had no problems in explaining away any unusual cataphoric references as the (it) in the sentence is simply a dummy subject ,an item which has no reference value and is purely a formal requirement of the grammar of English.

One of the more striking aspects of the table of results is the way in which it highlights certain configurations of sentences which are almost invariable across all groups . Particularly noteworthy is the following sequence of sentences proposed by five of the six groups :

(e) One of the ministers was sick with typhoid

(f) Two soldiers carried him downstairs and out into the rain.

The justification for this configuration rested on both the formal aspects of the language system and on the backround assumptions of the participants themselves . First of all , the pronoun 'him'in (f) provides a clear anaphoric link to the antecedent phrase 'one of the ministers'.

most elaborated of all the references to the ministers , and would naturally be expected to precede subsequent, more reduced, forms. For instance , the appearance of the partitive expression 'one of the ministers ' later in the narrative presupposes an earlier reference to the group of ministers as a whole . Secondly, and more significantly , this is one of only two sentences in the story which contain an indefinite article : here , ' a hospital '. This is a linguistic features which is often used to introduce a new entity into the text, with subsequent references adopting the definite article, (See, for example , the reference to ' the hospital ' in sentence (a)) .In spite of this justification , however , some groups still expressed misgivings about the selection of (i) as an opening . One feature which perturbed a number of participants was the use of 'they ' without an antecedent . They is normally used anaphorically (Halliday and Hasan 1976: 14) . That is to say , it usually refers 'backwards', anaphora being the type of cohesive relation which points to some earlier , fuller reference in the text. By contrast, in the present example , the pronoun is used cataphorically ; it points forward to a reference or references in a subsequent portion of text. In this respect, the 'they'can be said to form a cataphoric link with the references to 'the soldiers'and 'the officer'later in the narrative. On balance , however , it was generaly agreed that this feature did not warrant the

One of the advantages of a quantitative study of this sort is that it is possible to view at a glance a collected set of responses. These responses are based specifically upon native speakers' intuitions about what constitutes a well- formed, coherent narrative .By tabulating these responses we can gain insights into not only the sorts of patterns which recur,but also the variety of reponses which is reflected across the six groups . and , of course, all this will provide an illuminating contrast with the original Hemingway version.

3.1 General patterns of response

It is noticeable that only two of the available 11 sentences were selected as viable openings to the story . Of these two , sentence (i) was favoured :

They shot the six cabinet ministers at half past six in the morning against the wall of a hospital.

The justifications offered by the groups who chose (i) as the crucial opening sentence were interesting and some consideration. The underlying motivation behind selection was that of all the sentences this was the one which provided the neatest summary of the entire story. No other sentence encapsulated the point of the story in as 'snappy' a way. The precise linguistic justification offered in support of this centred primarily on two features of the sentence . Firstly the noun phrase 'the six cabinet ministers ' is the

well with each other, electing a spokesperson to summarise and justify the narrative pattern agreed upon by the group as a whole . One particularly noticeable development was the way in which each group defended its position in response to the queries and suggestions of other groups.

3 Results discussion

The results obtained from this workshop activity are summarised in Table 1.

Table 1 Results of workshop activity

	Sentence										
	1st	2nd	3rd	4th	5th	6th	7th	8th	9th	10th	11th
Group 1	(i)	(a)	(e)	(e)	(c)	(b)	(d)	(h)	(k)	(g)	(j)
Group 2	(i)	(j)	(e)	(f)	(d)	(g)	(k)	(h)	(b)	(c)	(a)
Group 3	(i)	(j)	(c)	(a)	(e)	(f)	(d)	(h)	(b)	(k)	(g)
Group 4	(i)	(c)	(i)	(e)	(k)	(f)	(d)	(h)	(b)	(g)	(a)
Group 5	(i)	(g)	(e)	(f)	(c)	(d)	(k)	(h)	(b)	(i)	(a)
Group 6	(i)	(a)	(j)	(c)	(e)	(f)	(g)	(d)	(b)	(k)	(h)

(h) Finally the officer told the soldiers it was no good trying to make him stand up.

(i) They shot the six cabinet ministers at half past six in the morning against the wall of a hospital.

(j) It rained hard.

(k) The other five stood very quietly against the wall.

The next stage was to transfer this jumbled narrative on to A4-sized cards . The sentences were enlarged as much as possible , but sizeable gaps were left between each sentence so that the temptation to interpret contiguous sentences as meaningfully related was to some extent avoided . The cards were then presented to six groups of undergraduate students , each group containing four or five members . In addition to a single card, each group received a worksheet containing the following instructions :

1 On the accompaying card you will find a complete (untitled) short story by Ernest Hemingway . The story comprises just eleven sentences . However, these sentences have been 'shuffled' so that now they do not occur in the sequence of the original story . Each sentence has been assigned a letter .

2 Working in groups, try to reconstruct the story . You may cut the card into strips if you prefer, thereby enabling

you to build up what you consider a 'normal' narrative sequence . This need not necessarily be an attempt to reassemble the original Hemingway text : just 'reshuffle' the sentences to that they produce a relatively satisfactory narrative pattern.

3 Now make a note of the sequence you´ve selected (e.g.a b c d e..... etc.) and try to justify your decisions in terms of cohesion . It may help to isolate any features of language which signal that a particular sentence should precede rather than follow another .Underline any such features .

4 Each group will be asked to state the sequence of their narrative and to account for the decisions they´ve taken.Each group´s selection will be discussed.

5 Yes ... the original version will be produced !

One of the advantages of cutting up the card group, after having recorded its own reconstruction, was able to assemble the narratives proposed by the other groups. This ensured that all participants , when not presenting their own version, had before them the narratives of each of the other groups.

The activity was certainly engaged in with more enthusiasm than in the previous tutorials based on the complete version of the story. Group members co-operated

Each of the pieces of paper containing a single sentence was then drawn in random sequence, and each sentence was assigned a letter from the consecutive sequence (a) - (k). Care was thus taken to ensure that the sequence of sentences was now completely random ; even if any particular combination happened to match the original it would have been entirely due to chance . The sequence which emerged is reproduced below.

It is hoped that the reader will participate to some extent in this activity by sharing the perspective of the workshop team who worked on this text. For this reason , the original Hemingway version will be withheld for the moment as attention is focused on both the jumbled version and the reconstructions by the workshop participants.

(a) All the shutters of the hospital were nailed shut.

(b) When they fired the first volley he was sitting down in the water with his head on his knees.

(c) There were pools of water in the courtyard.

(d) They tried to hold him up against the wall but he sat down in a puddle of water.

(e) One of the ministers was sick with typhoid.

(f) Two soldiers carried downstairs and out into the rain.

(g) There were wet dead leaves on the paving of the courtyard.

intended to lead to a comparative discussion of narrative structure through a contrastive analysis of this text with some'social stories' told in everyday conversations . Despite the optimism of the tutor about stylistic potential of the text, these tutorials were, frankly, unsuccessful . While many of the more stock responses regarding the 'flatness' of Hemingway's prose style were produced , there were problems in explaining how this 'flatness was created in the text . Furthermore , while many potentially illuminating comments on the 'disinterested ' and 'cynical' nature of the narrative style were made , students encountered difficulties in identifying precisely the linguistic features which triggered these responses.As the unsatisfactoriness of the exercise was clearly not due to any limitations on the part of the participants , it had to lie squarely in the design of the exercise itself .

So finally,in a last-ditch attempt to salvage the exercise as a whole , the following workshop activity was developed.

Given that the object of the exercise was to focus attentions on the linguistic devices which bind the story together, the first step was to dismantle the text entirely . Both the size and the overall structure of the text helped enormously here, in that it comprised only 11 sentences totalling 130 words. The story was (literally) cut up into its 11 constituent sentences , which were then 'shuffled ' .

finally , some concluding remarks are offered on the ways in which additional linguistic frameworks may be brought to bear on the same linguistic data.

2 Methodology and technique

The Hemingway text selected for the exercise is one of the many vignettes peppered throughout the collection . These vignettes are untitled, are seldom over 150 words long and are often simply wedged between the more substantial short stories in the collection. They are distinct from the longer stories not only in terms of content, but in graphology also: most are italicised, which separates them visually from the other material .

The original, unaltered version of the story had been used initially as a sample exercise in undergraduate stylistics tutorials. Participants were final year students following Lancaster University's BA programme in English Language and Literature . These students had opted to take the stylistics course as part of the Language'track' of their degree; all were well motivated and their work in the first and second years had revealed that all had demonstrable ability for language study. The main intention of the tutorials was to highlight a variety of aspects of narrative organisation , with special emphasis on isolating the cohesive devices exhibited by the text. This, in turn, was

in stylistic theory and practice. To reflect this interest, the article follows the pattern of much stylistic work by using linguistic analysis to provide a window on the devices which characterise a particular work. The second type of reader is the teacher of English who is confronted by the practical problem of finding material which presents linguistic concepts and terminology in a 'user-friendly' manner . To this effect , care has been taken to develop material which is both accessible and replicable, and which will have direct practical benefit for those involved in the teaching of English language and literature.

The article will be structured as follows.In Section 2, a summary of the workshop plan will be provided along with proper contextualisation of the Hemingway short stroy. Section 3 will be devoted to the analysis and discussion of patterns of cohesion in the narrative developed by participants in the workshop. From their collected versions of the story, an idealised narrative will be developed which will then form the basis of comparison with the original Hemingway version.In Section 4, the analysis of cohesion will be supplemented with a discussion of narrative structure . A number of extensions to the main part of the study are also proposed in this sections, including some suggestions as to how the kind of activity outlined here might be integrated into creative writing programmes and

The pedagogical benefit which can be derived from the integration of language and literary study was illustrated as long ago as 1975 with the publication of Henry Widdowson's Stylistics and the teaching of literature . Since then , there has been a steady output of reseach within this branch of applied linguistics . More recently ,the potential of stylistics in language teaching has been underscored by the publication of articles on the subject (Carter 1982 , Brumfit and Carter 1986, Short1989, Carter and Simpson 1989). This article seeks to contribute to this pool of research by suggesting a teaching method which can be used to explain the concepts of cohesion and narrative structure. The stylistic importance of both of these features of language has been demonstrated at length else where , most notably by Leech and Short (1981:243-54), Carter (1982,1984),Fowler(1986:53-68),Toolan(1988:146-82) and Haynes (1989: 32-40). Where the present study differs from this previous research is in the way it develops from a comparison of alternative versions of the same story. The rationale behind such a comparative analysis is that it brings into sharper focus those very features of language which might elude stylistic analysis of a more traditional kind .

In the light of these aims ,this article attempts to cater for the interests of two types of mutually compatible readership.The first is the academic with a general interest

Teaching Stylistics 1

1 Aims and Scope

Abstract

The main aim of this aricle is to prospose an exercise in stylistic analysis which can be employed in the teaching of English language . It details the design and results of a workshop activity on narrative carried out with undergraduates in a university department of English . The methods proposed are intended to enable students to suqqested, which are not as readily obtainable through more traditional techniques of stylistic analysis. The text chosen for analysis is a short story by Ernest Hemingway comprising only 11 sentences . A jumbled version of this story is presented to students who are asked to assemble a cohesive and well-formed version of the story.Their (re) constructions are then compared with the original Heminway version : Much interest , it is argued , lies in the ways in which the students justify their own version in terms of their expectations about well-formedness in narrative . The activity is also intended to encourage students to see literary texts as a valuable means of providing insights into the subtleties of linguistic form and function.

Shairp, Mordaunt. The Green Bay Tree. Boston: The Baker International Play Bureau, 1933.

Styan, J.L. The Dramatic Experience. Illustrated by David Gentleman. Cambridge, England: The University Press, 1976.

Sullivan, Victoria and Hatch, James. Plays By and About Women. New York: Random House, 1973.

Wellek, Rene and Warren, Austin. Theory of Literature. 3rd. ed. New York: Harvest Book, Harcourt, Brace and World, 1956.

Kerr, Walter. Herald Tribune. New York, 19 Dec. 1952.

Krutch, Joseph Wood. The American Drama Since 1918. London: Thames & Hudson, 1957.

Lederer, Katherine. Lillian Hellman. Boston: Southwest Missouri State University, Twaine Publishers, 1968.

Lewis, Emory. Stages: The Fifty-Year Childhood of the American Theatre. Englewood Cliffs, New Jersey, 1969.

Longfellow, Henry Wadsworth. The Complete Poetical Works of Henry Longfellow Wadsworth. Boston: Cambridge Edition, 1922.

Mantle, Burns. The Best Plays of 19--. (New York annual volumes). N.Y: Dodd, Mead.

Morgan, Charles. "American Week in London." New York Times. 12 Nov. 1936.

Newman, Robert P. The Cold War Romance of Lillian Hellman and John Melby. U.S.A: The University of North Carolina Press, 1989.

_____. The Theatre in Our Times. New York: Crown, 1954.

Goldstein, Malcolm. "Body and Soul on Broadway." Modern Drama, 7 (February 1965).

Hammond, Percy. "The Theatre." New York Herald Tribune. 21 Nov. 1934.

Hellman, Lillian. The Collected Plays. Boston: Little Brown, 1971.

_____. Six Plays by Lillian Hellman. New York: Vintage Books, 1979.

_____. Pentimento, A Book of Portraits. Boston: Little, Brown, 1973.

_____. "Author Jabs the Critic." New York Times, 15 Dec. 1946.

_____. "Women on Women." The American Scholar Forum, 41 (Autumn 1972).

Kael, Pauline. I Lost It at the Movies. Boston: Atlantic Monthly Press Book, 1965.

Driver, Tom F. Romantic Quest and Modern Query: A History of the Modern Theatre. New York: Delacorte Press, 1970.

Ephron, Nora. "Lillian Hellman Walking, Cooking, Writing, Talking." New York Times Book Review, 23 Sep. 1973.

Estrin, Mark W. Ed. Critical Essays on Lillian Hellman. Boston, Massachusetts: G.K. Hall & Co., 1989.

Falk, Doris V. Lillian Hellman. New York: Frederick Ungar Publishing Co., 1978.

Felheim, Marvin. "The Autumn Garden: Mechanics and Dialectices." Modern Drama 3 (Sep. 1973).

Gabriel, Gilbert W. "An Excellent Play Most Excellently Acted, With Neither Fear Nor Folderol." New York American, 21 Nov. 1934.

Garland, Robert. New York World-Telegram, 21 Nov. 1934.

Gassner, John. "Lillian Hellman: The Autumn Garden." In Theatre at the Crossroads. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1960.

Bentley, Eric. ed. The Theory of the Modern Stage: An Introduction to Modern Theatre and Drama. Middlesex, England: Penguin Books, 1968.

_____. The Dramatic Event: An American Chronicle. New York: Horizon Press, 1954.

Bourdet, Edouard. The Captive. Trans. by Arthur Hornblow, Jr. New York:. Brentanos Publishers, 1926.

Brennan, T. Ed. Between Feminism and Psychoanalysis. London: Routledge, 1989.

Bryer, Jackson R. Conversations with Lillian Hellman. U.S.A: University Press of Mississippi, 1986.

Crowley, Helen and Himmelweil, Susan. Ed. Knowing Woman, Feminism and Knowledge. U.S.A: Polity Press and The Open University, 1992.

Downer, Alan S. Ed. The American Theatre Today. New York: Basic Books, 1967.

Drew, Elizabeth. Discovering Drama. New York: W.W. Norton, 1936.

SELECTED BIBLIOGRAPHY

Abrams, M.H. A Glossary of Literary Terms. Third Edition. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1971.

Adler, Jacob.H. Lillian Hellman. Southern Writers Series #4. Austen, Texas: Steck-Vaughn, 1969.

Anderson, John. "How Child's Lie Brought Ruin to Two Teachers' Lives Told in Play." New York Evening Journal, 21 November 1934.

Anon. Theatre Arts, 19 April 1935.

_____. New Statesman and Nation, 12 (21 November 1936).

_____. Catholic World, 140 (January 1935).

Atkinson, Brooks. Broadway. New York: Mackmillan, 1970.

Bardwick,J. Women in Transition. U.S.A: Brighton, Harvester, 1980.

Beauvoir, Simone de. The Second Sex. New York: Alfred A. Knopf, 1952.

46.Pauline Kael, I Lost It at the Movies, Atlantic Monthly Press Book (Boston, 1965) p.175.

47.Lillian Hellman, "Women on Women", The American Scholar Forum, 41 (Autumn 1972) p.605

37.Nora Ephron, "Lillian Hellman Walking, Cooking, Writing, Talking," New York Times book review section, 23 Sept. 1973, p.2.

38.When moderating the American Scholar forum entitled "Women on Women" (41 [Autumn, 1972] : 499-620), Hellman remarked that "there is still a good living and a great many mink coats to be earned by pretense. Respectable whoredom, Marx wrote about it . . . . Upper-class ladies have had a great deal to gain by playing one game . . . The upper-class lady, or the middle-class lady, has made out very well as the weaker and the more fragile of the pair, husband and wife" (p.608). See also "Lillian Hellman's Indignation" in The Dramatic Event: An American Chronicle, (New York: Horizon Press, 1954), pp.74-77.

39.The two most prominent ones are The Captive (1926) by Edouard Bourdet, whose entire New York cast was arrested on obscenity chares and Mordaunt Shairp's The Green Bay Tree (1933) in which homosexual relations are implied but never stated explicitly.

40.Catholic World, 140 (January 1935): 466.

41.Elizabeth Drew, Discovering Drama (New York,W.W Norton, 1937), p.30.

42.Marvin Felheim, "The Autumn Garden: Mechanics and Dialectics," Modern Drama 4 (May 1961) p.192.

43.Charles Morgan, "American Week in London," New York Times, 12 Nov. 1936, sec, p.2.

44.The Captive, trans. (original in French) Arthur Hornblow, Jr., (New York: Brentano's Publishers, 1926), p.169.

45.Frank Marcus, The Killing of Sister George, (New York, Bantam Books, Random House, 1967).

22.Clare Boothe, "The Women." in Plays By and About Women, pp.97-200. Ed.Victoria Sullivan and James Hatch. (New York: Random House, 1973; Vintage paperback in 1974).

23.Joseph Wood Krutch, The American Drama Since 1918 (London, Thames and Hudson, 1957), p.132.

24.Percy Hammond, New York: Herald Tribune, 21 Nov. 1934.

25.Lillian Hellman, New York Times, (14 Dec. 1952, p.3).

26.John Anderson, New York Evening Journal, 21 Nov. 1934.

27.Theatre Arts, 19 (April 1935) :269.

28.Robert Garland, New York World-Telegram, (21 Nov. 1934)

29.John Gassner, The Theatre In Our Times (New York, 1954), p.405.

30.Eric Bentley, The Dramatic Event: An American Chronicle (New York, Horizon Press, 1954), p.76.

31. Henry Wadsworth Longfellow, The Complete Poetical Works of Henry Wadsworth Longfellow, Poems appear as edited by H. E. Scudder in the 1886 Riverside edition, (Cambridge Edition, Boston, 1922), p.201.

32.New Statesman and Nation, 12 (21 Nov. 1936): 810.

33.Walter Kerr, Herald Tribune, New York, 19 December, 1952.

34.Gilbert W. Gabriel, New York American , 21 Nov. 1934.

35.Lillian Hellman, New York Times, 14 December 1952, p.3.

36.Malcolm Goldstein: "Body and Soul on Broadway," Modern Drama 7 (Feb. 1965) :412-413.

13.Lillian Hellman, Pentimento, A Book of Portraits, (Boston, 1973), p.206.

14.Rene Wellek and Austin Warren, Theory of Literature, 3rd ed. (New York, Harvest Book; Harcourt, Brace and World, 1956), p.213.

15.M. H. Abrams, A Glossary of Literary Terms, 3rd ed. (New York, Rinehart and Winston, 1971), p.141.

16.Driver, Romantic Quest, op.cit.p.426.

17.Arnold Hauser, "The Origins of Domestic Drama," trans. Stanley Godman in Collab. with the author, The Theory of the Modern Stage: An Introduction to Modern Theatre and Drama,ed. Eric Bentley (Middlesex, England, Penguin Books, 1968),p.409.

18.For an extended discussion of this idea see: Hauser, "Domestic Drama," and George Lukacs, "The Sociology of Modern Drama," trans. Lee Bazandall, in Bentley, The Theory of the Modern Stage, op.cit. pp.403-450.

19.Driver, Romantic Quest, op.cit., p. 102.

20.J.L. Styan, The Dramatic Experience, ill. David Gentleman (Cambridge, England, The University Press, 1965), pp.67-68.

21.The Second Sex,(New York: Alfred A. Knopf, 1952). See also Helen Crowley and Susan Himmelweil, ed. Knowing Women, Feminism and Knowledge, (Polity Press & The Open University, 1992); J. Bardwick, Women in Transition, (Brighton, Harvester, 1980); T. Brennan,ed. Between Feminism and Psychoanalysis,(London, Routledge, 1989); Trihn T. Minh-Ha, ed. "She the inappropriate/d Other", Discourse, (No.8, 1986/87).

1.See Burns Mantle, et al., The Best Plays of 19-- (New York, annual volumes). New York: Dodd, Mead.

2. See Doris V. Falk, Lillian Hellman, (Frederick Ungar Publishing Co. New York, 1978), pp.viii-ix.

3.Emory Lewis, Stages: The Fifty-Year Childhood of the American Theatre (Englewood Cliffs, New Jersey, 1969), pp. 81 and 79.

4.Jacob H. Adler, Lillian Hellman, Southern Writers Series 4 (Austin, Texas: Steck-Vaughn, 1969), p.41.

5.John Gassner, Theater at the Crossroads, (New York, Holt, Rinehart and Winston, 1960),p.41.

6.Malcolm Goldstein, "The Playwrights of the 1930's," The American Theater Today, ed. Alan S. Downer (New York, Basic Books, 1967), p.36.

7.Atkinson Brooks, Broadway (New York, Macmillan,1970), p.298.

8. See Burns Mantle and Emory Lewis.

9.See Katherine Lederer, Lillian Hellman, (Southwest Missouri State University,Twayne Publishers, Boston, U.S.A., 1979), 1-20.

10.Lillian Hellman, Six Plays, (New York,Vintage Books, 1979), p.viii

11.Tom F. Driver, Romantic Quest and Modern Query: A History of the Modern Theater
(New York: Delacorte Press, 1970), p. 298.

12.Lillian Hellman, The Little Foxes, The Collected Plays, (Boston, Little, Brown, 19717),p.182.

believability to universal acceptance of the rumour. It is particularly significant that the playwright makes the central loss of the play that of the profession that the two women have struggled so hard to maintain. Cardin summarizes their tragedy when he indignantly tries to explain to his aunt the harm that she is causing them:

> They've worked eight long years to save enough money to buy that farm, to start that school. They did without everything that young people ought to have. You wouldn't know about that. That school meant things to them: self-respect, and bread and butter, and honest work. Do you know what it is to try so hard for anything? Well, now it's gone. (p.49-50)

For Hellman, economic opportunity is the key to woman's independence, the only thing that will truly free her. The message The Children's Hour conveyed in 1936 is in complete accord with her later views that she openly expressed on the position of women in America:

> We're fighting a society that won't give you a chance to support yourself. . . . it's not so much a question of being brave as it is a question of a society that will allow you to be brave. It's fine to be brave, but if you can't find a job to be brave with, then you can't eat by being brave, and it doesn't mean much.[47]

"Take me, Isadore" (p.55) in her sleep. The notion that homosexuals would divide up traditional sex roles, instead, for example, of uniting in order to obliterate them, reinforces the cultural sterotypes of masculinity and femininity at the same time it burlesques them.

It is interesting to note that as late as 1961, the movie version of The Children's Hour had to be heavily sensored before it was produced. Pauline Kael called the movie a "portentous lugubrious dirge"[46] and was probably right, even Hellman hated the movie. But Kael went on to complain:

> Aren't we supposed to feel sorry for these girls because they're so hardworking, and because, after all, they don't do anything - - the lesbianism is all in the mind (I always thought this was why lesbians needed sympathy - - that there isn't much they can do). (p.176)

Kael's condescending attitude towards lesbianism contradicts her previous commentary but portrays that the image of the homosexual had not much improved by the early sixties. Hellman still had something valuable to communicate and suggested compassion for what is basically an illness.

Hellman also had something important to say about the economically independent female. She presents two competent, decisive women who are seriously committed to their profession, and does not succumb to the stereotype of the "career woman" for either of them. Instead of this popular myth, with its hollow, harshly aggressive and completely sexless image, the playwright depicts women heavily involved with their work still retaining their humanity and individual personalities. So, too, in The Children's Hour Hellman suggests it is because these women are independent and devoted to their jobs that the community finds them suspect. Thus she makes a vivid point about sexism while adding

> same sex, because they're of a different planet than he, the stranger, the enemy! (The Captive, pp 148-150)

Lesbianism is perceived as a nasty triumphant reversal of "Otherness", monstrous and threatening, to the playwright as well as to the male characters, since it is men who are regarded as alien inferior beings subject to adverse mythologizing. Ironically, in the process of conveying this idea, this rather hysterical speech and the entire play creates new negative myths about lesbians.

If The Captive's images of homosexuality are of the sick and the evil, those communicated by Mordaunt Shairp's The Green Bay Tree (1933) are of the weak and the evil. The source of the play's title is Biblical and clearly reveals Shairp's attitude towards the male temptor of the work: "I myself have seen the wicked in great power and spreading himself like a green bay tree" (The Green Bay Tree, p.35). In the play, a weak-willed, selfish narcissistic young man, "a taker, a parasite, a bundle of sensations" (p.78), and a wicked, egotistical, scheming middle-aged man "a snake" (p. 61), and "rotton to the core" (p.51) vie on stage for whose characterization can be most loathsome. In contrast, Hellman includes a sympathetic portrait of male homosexuality in The Autumn Garden. Both The Captive and The Green Bay Tree look suspiciously like variations on nineteenth century melodrama's struggle between the Innocent and Vile Seducer. Compared to these plays, Hellman's depiction of Martha is quite an achievement.

The playwright also managed to avoid another prevalent stereotype, i.e. the "butch" lesbian - - mannish, abusive, sadistic -- often coupled with a passive, super feminine, masochistic female partner. As recently as 1966, in The Killing of Sister George[45] by Frank Marcus, this pair shows up. Alice ("Childie"), prey for both men and women, takes to dolls, while June ("George") fondly recalls her army day attempts to sexually assault two nuns, and forces her mate to eat a cigar butt as punishment for such crimes as yelling

> The Children's Hour seems to be a play which raises a major emotional issue that is never fully discussed. . . . This is to raise an expectation and to leave it only partly satisfied. . . . I wanted to know more of these women; I wanted Martha's tragic love to be not only stated but as fully grasped and communicated as the love of a man for a woman.[43]

Perhaps if Hellman had lessened the role of Mary Tilford, this could have been better executed.

Despite these weaknesses, Hellman's treatment of homosexuality is remarkably free of stereotypes and negative images, especially when compared to the two most prominent plays on the subjet previous to The Children's Hour. The Captive (1926) by Edouard Bourdet presents two images of female homosexuality, both quite unfavourable. Bourdet portrays one woman, "the captive", a prey to ungovernable passions who describes herself as "crazy" and "sick".[44] The other woman is an evil, manipulative temptress, deliberately never seen by the viewer so that her awful powers will be enhanced. The play is most memorable for its expression of the "masculine" perspective regarding lesbianism. The black widow's husband advises the lover of the victim caught in her web:

> Fly from her, fly from her . . . They are shadows! Don't go near them . . . they're a menace! . . . It's mysterious-terrible! Friendship, yes - - that's the mask. Under cover of friendship a woman can enter any house-hold, whenever and however she pleases . . . she can poison and pillage everything before the man whose home she destroys is even aware of what's happening to him. When finally he realizes things it's too late - - he is alone! Alone in the face of a secret alliance of two beings who understand one another because they are alike, because they're of the

sympathy for a lesbian so horrified by her own inclinations that she punishes herself with death, thereby conveniently relieving the audience of its own burden of distaste and disapproval. Shocked as the viewer may be, he or she can dismiss Martha as a tragic casuality while the play moves on. A more trenchant message would have been communicated had Martha been allowed lesbian existence on stage for more than ten minutes. Instead, quick death avoids the deeper problems of the situation; moreover, it eliminates the need for the audience to really investigate its attitude towards homosexuality and the character who manifests it which is much more problematic than a decision about slander. It is interesting to reflect on the potential results had the situation Martha describes in contrast to her own been the case: "They are the people who believe in it, who want it, who've chosen it" (p. 70). Just as a more serious commitment to her subject than Hellman evinces in this play would have probably been required, so an infinitely more difficult moral judgement would probably have emerged for the viewer. As conceived, Martha's image conveys too much compulsiveness, subtly conforming to the conception of homosexuality as ungovernable perversity which Hellman was presumably refuting. This image of compulsiveness undermines the character's autonomy as well. Appropriately, this portrayal allowed some reviewers to perceive the suicide as caused by neuroticism rather than persecution, and prompted others to believe Hellman intended the suicide as fitting conclusion to a confession of lesbianism, the only viable alternative once the shameful truth was out.

In addition, the revelation of lesbianism simply comes too late in the play for Hellman to deal with it satisfactorily. Consequently, there are unresolved emotional issues as well as ideological ones. Just when the characterization truly begins to sustain a life of its own, Hellman removes Martha and the relationship between the two women along with her. One can empathize with the New York Times reviewer who complained:

show the decision arising organically from within the character, thereby firmly maintaining character autonomy. Instead, Hellman relies on depicting such painful circustances that self-destruction becomes plausible from the sheer awfulness of the situation itself. In his discussion of The Children's Hour, Marvin Felheim observes that this kind of contrivance is only "theatrically convincing", "true to life" in merely a representational manner while lacking the inner consistensies of "high artistry."[42]

So, too, thematic requirements play a large part in determining the action. Suicide serves as the perfect though melodramatic climax to the destructive power of slander. But in order to achieve this effect, the portrayal of society's treatment of the homosexual is prematurely terminated. Again it must be noted that Hellman maintained The Children's Hour was about a lie, not lesbianism. But homosexuality is too important a topic to be included merely for the sake of reinforcing another theme. Moreover, the dramatist could instead have portrayed either Karen committing suicide as she's certainly suffered enough tragic losses herself for this to be possible, rather than Martha, or Martha overwhelmed into only mistakenly imagining that she desires Karen sexually. In both cases, Hellman would have eliminated actual lesbianism while still effectively making her point about slander. As written, the revelation scene, especially Martha's "there's always been something wrong. Always - - as long as I can remember" (p. 71) cannot support the possibility of erroneous admission. Richard Moody points out that Martha's homosexuality was made even more explicit in earlier versions of the play, including a scene in which Martha "recalls her fascination in watching Karen undress when they were in college" (Lillian Hellman: Playwright, p.59). Perhaps Hellman tried to encompass too much in her first dramatic work; ironically, she leaves important issues unsettled in attempting to neatly tie up the play.

Sensitivity to audience response also undoubtedly motivated the playwright to include the suicide. Audiences could easily retain

epitomizes here one of the most pernicious effects of a lie, that of causing the innocent to perceive their victimization as justified, with themselves at fault.

Other motivations besides guilt help to drive her into commiting suicide. Martha is unable to comprehend the contrast between the love, unselfishness and affection she has shown Karen and the negative cultural conceptions about lesbianism she has internalized. Consequently, she believes she loves Karen in a "dirty" (p.72) way. Thus not only Karen and the community reject her, but she rejects herself in disgust. The final motivation for death is fear, exemplified when she tells Karen "I'm more afraid than you". (71) Her sexual inexperience, combined with society's image of lesbianism as a kind of uncontrollable disease, convince her she will be powerless to prevent herself fom expressing her newly realized needs - - needs which inspire revulsion in everybody, including herself. She first starts by denying the child's slander but gradually she realizes the truth and tells Karen in a horrified tone "*I have loved you the way they said.*" She insists on confiding her dark secret to Karen, for she believes the latter has to know: "I've got to tell you how guilty I am". (71) In the final scene she insists on relating to Karen the agony she has gone through when she first realized her tendencies: "I've been praying I could convince myself of it. I can't, I can't any longer. It's there. I don't know how, I don't know why. But I did love you, I do love you.... maybe I wanted you all along; maybe I couldn't call it by a name; maybe it's been there ever since I first knew you - ". (p.71)

Thus, the motivations Hellman constructs for Martha's suicide enable it to appear believable. However, powerful dramatic requirements dictate her self-destruction more than individual situation and character do. Structurally, the play demands a climax and Martha's suicide provides it. The playwright hurriedly establishes the causes and proceeds to the suicide, sacrificing the needs of characterization to the larger demands of the play. Insufficient time is allotted between confession and martyrdom to

take over. The exciting quality of the scene is due in good part to this intricate plotting on the basis of the two teachers' individual personalities.

In Act III, defeat and exile shatter Karen, while Martha appears stronger, displaying previously unseen kindness and gentleness in addition to her usual bitter sarcasm. This new warmth and protectiveness, directed primarily at Karen, round out her characterization and prepare the viewer for her admission of sexual love. So does the new frankness Martha exhibits when she informs Mortar that she hates her and always has. Martha is sustained by the possibility of escape for Karen by marriage to Cardin and flight to Vienna. The collapse of their relationship crushes Martha with guilt, breaking down her defenses and triggering the confrontation with Karen. Hellman executes the confession with skill and economy. What was repressed in the Martha of Acts I and II, has been half realized and suppressed in the course of her isolation. When the truth finally emerges, Hellman depicts Martha expressing out loud a realistic train of thought. At first rationalizing about how "thousands of women feel abouth other women" (p.71), she passes through full cognizance of her lesbianism to insistent elaborations and proofs of it and tells Karen:

> It's funny; it's all mixed up. There is something in you, and you don't know it and you don't do anything about it. Suddenly a child gets bored and lies - and there you are seeing it for the first time. . . . In some way I've ruined your life. I've ruined my own. I didn't even *know*. (Smiles) There's a big difference between us now, Karen. I feel all dirty and- - (Puts out her hand, touches Karen's head) I can't stay with you any more, darling. (p.72)

Although the slander is responsible for forcing to the surface what would otherwise have remained repressed, Martha irrationally believes she is completely to blame for their ruin. The playwright

However appropriate Marth's unhappiness to the tense situation before the slander and the social exile after it, Hellman still manages to endow Karen with a strong potential for happiness despite their circumstances. What is missing is a dramatization of Martha's commitment to her pupils, including both a deep enjoyment of her profession and a display of her competency. This fulfillment would not have caused her suicide to be less believable, but would have provided increased motivation from her loss of it. Though Hellman implies this loss to underscore the destructive effects of the lie, she communicates Martha's relationship with her students only indirectly, via, for example, her comments to Mortar:

> This is their home, and things shouldn't be said in it that they can't hear. (p.21)

Perhaps the heavy focus on the characterization of Mary Tilford in Act 1 forestalled this necessary interraction. Perhaps, although the playwright was hailed as "frank" and "honest" for The Children's Hour, she wasn't frank enough to portray even a repressed lesbian relating positively to young adolescent girls.

Unlike Karen, Martha expresses strong emotions frequently, and she apprehends them in the other characters as well. Early in the play she perceives that Mary is "bad for the other girls. I don't know what it is -- it's a feeling I've got that it's wrong somewhere" (p.14), and Martha is correct in her intuition. Fittingly, in Act II it is Martha who immediately realizes that Mary is responsible for the lie, and that her motive is pure unreasoning hatred. Moreover, all her reactions in the second act are based firmly on what has already been established for the character. Given Martha's hot temper and her sense of the world as hostile, it is appropriate that she bring rage, belligerence and violent, threatening language to the confrontation with Ms Tilford, while Karen is overwhelmed. Only when Mary's accusations become more specific, drawing on acutal events, does Martha, paralyzed with guilt by her unconscious leanings, become silent, and Karen, sure of her own inclinations,

conveying repressed emotion; consequently Martha's lesbianism seems inevitable in retrospect, but not predictable. Threatened by the impending marriage, Martha further sublimates her hidden feelings for Karen into anxiety about the continued health of the school after the marriage and into insistence that Mortar leave because, as Martha tells the intruder, "we'll be better off alone" (p. 19). Fear of changing the status quo and pain from the weakening of close ties are depicted as legitimate concerns for Martha and not merely pretences for expressing unconscious desire, so her motivation takes on complexity. Even Martha's jealousy emerges as a facet of her personality rather than a stereotyped ingredient of lesbianism. Mortar ascribes Martha's jealousy to her "unnaturalness", but as the meddlesome aunt herself points out, Martha was possessive about her friends "even as a child" (p.20). When Martha hurls the electric "God damn you" (p.22) at Cardin, this intense possessiveness operates in conjunction with her homosexual desires, and, happily, her motives are not restricted by the playwright to an *a priori* hostility for men nor to an inability to attract them.

Moreover, throughout the play Hellman takes pains to emphasize the positive aspects of Martha's feeelings for Karen, rather than portray these responses as corrupt or destructive. She suggests a close relationship between two women going beyond the accepted limits of expression for one of them, and Martha's gestures towards Karen are never devoid of affection. This undermines the twisted notions the other characters in the play have regarding lesbianism and communicates the idea that love is love between two human beings irrespective of gender. This idea is reinforced by Martha's strong desire for Karen's happiness in Act III as she insistently urges Karen to marry Cardin when it would have been easiest to undermine their relationship. Hellman paints Martha as almost exclusively unhappy and, aside from one or two references to the fun of her college days with Karen, Martha manifests an absence of joy. This prepares the viewer for Martha's suicide, but flattens the characterization, suggesting the stereotyped neurotic.

faithful to the complexities of character and situation, avoiding a melodramatic finish despite Ms. Tilford's last minute entrance. At the close of the play, Karen vacillates between numb hopelessness and the possibility of healing. Potential recovery is symbolized by her gesture of opening the window to find that "it feels very good"(p.78), while a bleak future is suggested by Karen's promise to write "if I ever have anything to say" (p.78). Thus Hellman creates interest on the part of the viewer for what will happen to Karen even after the final curtain. In contrast to Karen's initial optimism, Martha views the world more negatively. Described by Hellman as "nervous" and "high-strung" (p.13), she exhibits bitterness and protective sarcasm throughout the play until her final confession. The dramatist employs an excellent device to individualize Martha's characterization; the presence of the teacher's neurotic, affected aunt provides a solid psychological foundation for Martha's traits, particularly since the playwright arranges to have Mortar appear on stage first, in preparation. In reference to Mortar, Karen ironically remarks "you must have had a gay childhood"(p.14), thereby informing the audience that Mortar raised Martha. Martha replies bitterly: "Oh, I did. I did, indeed. God, how I used to hate all that --" (p.14). Knowing this selfish woman, the viewer comprehends the extent of Martha's neglect and mistreatment in the past and senses as fitting to her personality as well as to her particular situation the self-hatred and guilt, as well as anger, that Martha displays. Thus, although repressed lesbianism is the key to the emotions Martha expresses, Hellman depicts Martha's motivations with more complexity than this, effectively avoiding a stereotype. The dramatist makes greater use of a psychological perspective for Martha's characterization than for any other character in The Children's Hour; since Martha's situation would tend to be alien to audiences, this is an essentially good method of humanizing her portrayal.

The scenes in Act I which function as preparation for Martha's revelation support Hellman's mastery of psychological realism. The dramatist is neither obvious nor heavy-handed in

is placed conveniently after Martha has destroyed herself, with Karen seemingly resigned, almost relieved, at her death. If it was Hellman's purpose to extend responsibility for the suicide to Karen, it would have been more effective if she'd portrayed her reactions in accordance with the characterization already established.

Following the suicide, Hellman again concentrates on an in-depth portrayal of Karen, focusing less on theatrical effects. Ms. Tilford's announcement of her grotesque error provides opportunity for a subtle touch by Hellman. Karen's response to the older woman is spoken in Martha's more violent language, characterized by her bitterness and vengefulness. Karen's total identification with Martha in this speech signifies an expression of mourning for her dead friend. After these words of rage, Karen emerges purely as herself, communicating new growth from her ordeal. With unexpected sympathy, she tells Ms. Tilford that Mary has "harmed us both, but she's harmed you more, I guess. (Sits down beside Mrs. Tilford) I'm sorry" (p.77). Unlike Ms. Tilford, Karen can transcend self-righteousness. She is compassionate in spite of the great harm inflicted on her. In showing Ms. Tilford mercy, Karen fulfills the central ideal of the play. The extent of Karen's development is underscored by her words at the start of the play when, more limited and complacent, she declares she doesn't much appreciate Portia's speech (p.10). Now, having shed her idealized world view, she acknowledges the evil, irrationality, and chaos that are part of the vision of reality Hellman communicates in her plays. Acceptance of this vision makes pity and compassion as mandatory as indignation. Karen's achievement is believable in light of the positive qualities Hellman has established for her character, and the ability to develop convincingly signifies the complexity of the characterization.

But growth has come at too high a price, for the learning process has been a destructive, cruel experience for Karen. Consequently the dramatist portrays the final outcome with deliberate ambiguity. Instead of neat resolution, Hellman remains

career to go to Vienna, guilt and impotence resulting from the lie, disillusionment with Joe, and a realistic assessment of their situation. But none of these motives, though each would have been convincing, is sufficiently developed to explain her actions. One suspects when Karen rather vaguely tells Joe: "But we won't be all right. Not ever, ever, ever. I don't know all the reasons why" (p.68), that the requirements of plot were uppermost in Hellman's mind. Cardin originally functioned as proof of Karen's heterosexuality; now her loss of him provides evidence of the damage done to her, increasing dramatic impact. Likewise, as a rather stereotyped masculine character, his interaction with Karen adds little to a complex portrayal of her precisely because of this two-dimensionality.

Karen's reaction to Martha's confession is also disappointing. Hellman concentrates on eliciting dramatic power from the disclosure of lesbianism, and Karen's words are confined to implementing this effect. Crushed by the awful results of the lie, Karen is overwhelmed by the possibility of its partial truth. She feels so suffocated by Martha's admission that she places her hands over her ears in absolute denial. But whether her motivation is simply sheer emotional exhaustion or includes horror of lesbianism akin to Ms. Tilford's remains unclear. Ironically, she tells Martha they'll forget her words just after rejecting the same kind of statement from Cardin. In light of their intimate eight year relationship of common goals and shared deprivations, and after the warmth and good sense Hellman has established as part of Karen's nature, it is hard to believe that all Karen can finallly say is "Go and lie down, Martha. You'll feel better" (p.72). Martha's confession is theatrically electrifying; however, a real confrontation, arising organically from both the characters, would have been more deeply satisfying. The complicated responses between the two women are forestalled by the requirements of the play's structure. Martha's suicide must be quickly prepared for, and Karen's rejection of her virtually signs her death warrant. Later in Act III Hellman has Karen declare that Martha "was good to us all" (p.73) but this recognition

paralysed, confused, sufferer while Martha actively challenges Ms. Tilford; however, Hellman does not present her passivity as an inherent female trait, but instead as consistent with an individualized characterization. Hellman also displays her skill when the opportunity for courtroom logic, arising from Mary's keyhole mistake, awakens Karen to bravely fight against the accusation. In Act I, Hellman hints at Karen's dependency on Cardin. The first time Karen expresses powerful emotions occurs when, goaded by Martha, she exclaims "For God's sake, do you expect me to give up my marriage?"(p. 16) suggesting that she places Cardin first and the school second. This is underscored by Karen's allusion in Act III to the couple's plans to have a child as soon as possible. Thus, Hellman implies that Karen may be the less committed teacher of the two. But it must be noted that the playwright employs this relationship as a device to individualize the two women, create internal conflict between them and provide proof of Karen's heterosexuality, thereby emphasizing the groundlessness of the slander to make it that much more terrible. However, in doing so, Hellman uses stereotyped conceptions of romance, relying on typical ways women in love are supposed to act. Particularized motivations for Karen's strong feelings and behaviour founded on specific personality traits are needed. Perhaps, too, a more expressive effect could have been accomplished if the dramatist had left out the love angle, and shown two women without men immediately suspected by the community-- guilty until proven innocent by the presence of male lovers -- of having "something wrong" with them regardless of their actual sexual preferences.

This weak element in Karen's characterization asserts itself again in Act III. Her swing from idealization and optimism to pessimism and depression completes itself, and is in part responsible for her rejection of Cardin. In the interaction between them, Hellman allows complexity of character to become confusing vagueness. The dramatist hints at a number of reasons for Karen's decision: distrust of everyone, including Joe, protective love as Cardin makes it perfectly clear what a sacrifice it will be to his

Two scenes in the first act reveal Karen's perspective in order to undercut it. In her confrontation with Mary Tilford, she is unable to recognize the irrational forces of hatred that propell the girl, and tries to deal with the little viper in a civilized manner. "Let's try to understand each other", (p.12) she says hopefully, promising she "won't be unreasonable." Her words only serve to antagonize Mary further, and we sense that Karen is competent but limited, unable to deal with powerful feelings that extent beyond the comfortable world of reason. Suitably, in Act II Karen will not believe Mary is responsible for initiating the slander. Her handling of Martha is equally unsuccessful, revealing her as not just optimistic but unrealistic as well. Without Martha's knowledge, she has decided to marry Cardin soon. Aware of Martha's sorrow and resentment of her relationship with the doctor (in the past she has comforted Martha by promising to postpone her wedding), she tries to placate her (and deceive herself) by announcing the forthcoming marriage as a minor change: "(cheerfully) Well, now there will be three of us. That'll be fun too" (p.15). Just as she could not perceive Mary's unreasoning hatred, she cannot acknowledge Martha's strong feelings of love and jealousy, dismissing her friend's apprehensions as "silly." Thus Karen's imperfections make for a more complex, three-dimensional characterization; at the same time, Hellman's portrayal of her still elicits positive response. Normal human shortcomings do not make the teachers responsible for their ruin, but they do allow the coming upheaval to arise organically from existing conditions.

A number of critics found it improbable that such an able, firm character would fall apart as quickly as Karen does following the lie. But by showing Karen's limitations, Hellman sufficiently motivates her collapse into passivity and inaction when even greater irrationality and stronger emotions prevail in the next two acts. The slander, propelled by chaotic forces of evil, pride, and ignorance, undercuts her world view and consequently the strength she derives from it: "But now it's all the nightmare" she declares, "there is no solid world" (p.61). Fittingly, in Act II Karen behaves as a

> defined as only the sexual yearnings of one girl for another. And yet certainly that was there. (p.114)

Perhaps this friendship made it possible for the playwright to paint a character who was both lesbian and human being, instead of depicting Martha as an alien creature, an "Other" unconnected with ordinary human experience. The playwright reveals her artistic integrity in her portrayal of the two victims as flawed, in contrast to the paragons of strength and virtue that would undoubtedly have emerged if the goal of the play was propaganda. Likewise, while critics often merged Martha and Karen together as, for example, "two active, intelligent, go-ahead young women"[41] Hellman takes pains to differentiate them. The same situations serve to display individual traits for each, preventing their characterizations from blurring. In fact, two distinct victims rather than carbon copy characters heighten the impact of the play's ideas.

After audiences watch the flighty Ms. Mortar incompetently handle the bored students, Karen appears on stage, her positive qualities highlighted by sharp contrast. Hellman describes her favourably as "an attractive woman of twenty-eight, casually pleasant in manner, without sacrifice of warmth or dignity"(p.9 - 10), and her pupils both respect and are fond of her. Karen quickly displays her capacity for direct confrontation, for decisive action, and for reassurance, by disciplining one girl and telling another not to worry about an exam, "you'll come out all right" (p. 11). Thus the playwright initially depicts her as a figure of order and security. Hellman does not permit her to appear too perfect for long, but gradually unfolds a more complete picture. A limited world view forms the basis for Karen's agreeable traits. The teacher's abilities are dependent on a rather idealized conception of a logical, orderly world in which all may be rationally explained and efficiently handled. This conception lends an aura of optimism to the Karen of Act I and is crucial in accounting for her behaviour in the following two acts.

necessary for her. Thus, perhaps unconsciously, Hellman imbued the fabric of The Children's Hour with sympathy for lesbianism and indignation for its persecutors. Previously, few plays in the commercial theatre had dealt with the sensitive subject of homosexuality[39] and none positively, so Hellman was breaking new and rather uncomfortable ground. Broadway reviewers, sensitive to the attitudes of the times, ignored this element of the play. Instead they strove to acquit Hellman of the possible charge of sensationalism by extolling her "sincerity", "honesty", frankness", "restraint", "good taste", "truthfulness", etc., and concentrated on describing the effects of the lie and the character of Mary Tilford. In justifying its suitability for the public, one periodical review even claimed Hellman "tiptoes across unholy ground with . . . unrelenting loathing of the slime."[40] Scholarly works as well have neglected Hellman's treatment of lesbianism in The Children's Hour with one exception. In The Changing World in Plays and Theatre, Anita Block, somewhat overstating her case, regards "the crux" of the play to be society's savage treatment of the homosexual" (p.123). She describes Martha as "immolated on the altar of cruelty toward the invert," and maintains that The Children's Hour "raises the important question of . . . the right of the homosexual to the fullest personal happiness" (p.126).

Ultimately, it is by creating complex, realistic, individualized characterizations for the two women accused of lesbianism, particularly the one who in fact has repressed lesbian desires, that Hellman elicits the most sympathy and understanding for homosexuality. It should be noted that Hellman had a personal opportunity to gain insight into and compassion for a situation like Martha's. Before The Children's Hour was written, Hellman herself had experienced a deep love for her close friend Julia. Describing this relationship in Pentimento,
she wrote:

> I have had plenty of time to think about the love I had for her, too strong and too complicated to be

overrefinement paradoxically encourage her to perceive sex in pornographic terms. Appropriately, Karen informs her that the "black mess"(p.61) Ms Tilford has created makes Karen feel that she and Martha are "sick, high-tragic people."(p.67) Thus, Hellman undermines the traditional image of the lady by inverting the usual connotations of purity and delicacy associated with it. So, too, powerful emotions, in the form of unrestrained love for Mary, prevent objectivity in Ms. Tilford. Thus, the playwright adds a further motivation beyond typical narrow-mindedness and "old lady" credulity, to make the matron's acceptance of the lie more believable and complex. Early in Act II, Ms. Tilford exhibits clear-headedness and insight when handling Mary:

> You know they wouldn't hurt you. (p.34) You musn't imagine things like that, child, or you'll grow up to be a very unhappy woman. (p.34) You're an earnest little coaxer, but it's out of the question. Back you go tonight. (Gives Mary a playful slap) Let's not have no more running away from school ever. (p.35) Dreadful? Nonsense. They'll punish you for running away. You deserve to be punished. (p.36) For a little girl you're imagining a lot of big things. Why should they be scared of me? Am I such an unpleasant old lady? (pp.36-37) I think we've had enough gossip, don't you? (p.38)

But overindulgent love and familial pride cause her to relinquish fair-minded doubt for self-righteous certainty. When she would be forced to acknowledge her granddaughter as a lying manipulator with a smutty mind, a "strange girl, a bad girl"(p.51) as Karen calls her, she loses her impartiality and maintains that she is "absolutely sure" (p.51) of her teachers' guilt in circumstances that render this impossible. In this suspenseful scene, Hellman, depicting her swing from indecision to closed mindedness, provides a realistically drawn character chosing hastily and incorrectly out of complex reasons and suppressed drives.

conceived, and many of her ill-timed remarks are in questionable taste:

> I think it will throw a very revealing light on the state of the new theater when I tell you that the Lyceum in Rochester now has a toilet backstage. (62)

In her posturings she becomes a vulgar parody of the real lady of the play, Ms. Tilford. But the harm Ms. Tilford herself does, in part from ladylike delicacy and a genuine sense of propriety, makes it evident that in The Children's Hour, Hellman undermines the image of the traditional lady itself and not merely pretensions to it.

The New Statesman and Nation saw the role of Ms. Tilford as "an easy, 'fat' Old Lady part"[32], Walter Kerr dismissed her as "well-meaning but too doting" in the Herald Tribune[33] and the New York American called her a "silly old grandmother"[34]. But Ms. Tilford's characterization transcends the stereotype of the foolish old woman; she demands a more complicated response because unlike Mary and Ms. Mortar, she reveals genuine positive traits. Hellman describes her as "a large, dignified woman in her sixties with a pleasant, strong face,"(p.32) and within the limited world of Boston aristrocacy, Ms Tilford can be kind, as in her patronage of Karen and Martha's school, and ethical, though according to a stilted, insular code. Hellman judges Ms. Tilford more harshly for her part in the slander than she does Mortar or Mary, since she condemns her for the misuse of potentially good qualities as well as for her weaknesses; at the end of the play it is she who must painfully acknowledge her responsibility for the ruin of two lives.

Since Ms. Tilford condemns Karen and Martha for their alleged passions, it is ironic that she is incapable of controlling her own powerful emotions. Mary's malicious whisper causes hysteria in Ms. Tilford so out of proportion that it implies a revulsion not just for lesbianism, but for sexuality itself. She believes her granddaughter's obscene tales because her own naivete and

the mixed response suitable for a complex character. Hellman shows her making an honest realization, then descending into rationalizations and theatrics:

> What shall we do? . . .(. . . sobs quietly) . . . (looks up, still crying, surprised) I'm -- I'm frightened . . . But I was good to her. . . . (suddenly) Suicide's a sin. . . . She shouldn't have done it. . . . I'm afraid . . . It's different for you. You're young . . . you going to allow that woman to come in here? . . . How can you be so feelingless? . . . I'll never let that woman -- (Rushes sobbing from the room). (p.73-75)

Though Mortar's actions are reprehensible, Hellman makes her too neurotic and unstable to accept the crushing responsibility for her own actions that a character like Ms. Tilford must face at the end of the play.

Another, more amusing aspect of Mortar's characterization is her pretention to being a lady of quality. Throughout the first act, she makes grandiose pronouncements on what is suitable for ideal femininity:

> Make some handkerchiefs or something. Be clever about it. Women must learn these tricks. (p.6)

> Eavesdropping is something nice young ladies just don't do. (p.18)

Though the content of her words is not far away from traditional notions, her affectation renders her absurd. Moreover, as Martha points out, the true Mortar is "really bad ...around children" and "not for tender ears". (p.21) Her accusation of lesbianism is lustfully

charms of sweet young girls. The adorable little ladies of the poem are replaced in the play by the realistic adolescent girls at the Wright-Dobie School, individualized and quite human, and by Mary Tilford, the ultimate refutation of this stereotype. Her actions ironically parallel the action of the poem:

> A whisper, and then a silence: Yet I know by their
> merry eyes They are plotting and planning together
> To take me by surprise.[31]

But in destroying this feminine stereotype, Hellman has erred too far in the opposite direction. Mary's "Otherness" is defined in terms of a kind of mythology of villainy instead of the feminine mythology the dramatist explodes.

Mary Tilford is not the neurotic Hellman intended to create; but in Ms. Lily Mortar, Martha's flighty, incompetent aunt, Hellman achieves an excellent portrayal of neuroticism. Though critics and reviewers hardly mentioned her at all, her overheard remark forms the basis for the slander, and her absence from court during the libel suit insures the teachers' ruin. Unlike Mary, she is not a completely evil character but causes as much destruction; she is unpleasant in a more realistic but less spectacular way. A "tiresome, spoilt old bitch" (p.46), as Cardin describes her, she is terribly self-centered and egotistic and her self-absorption and false image of herself prevent her from genuinely relating to anyone. Her delusions of grandeur about her career as great lady of the theatre make her ridiculous, her cowardice and irresponsibility make her despicable. When she spitefully provokes Martha, her penetrating insight into her niece's weaknesses makes it quite clear that she cannot be excused as merely stupid. But Hellman rounds out this portrait by depicting Mortar as aging, unwanted, though justly so, and ultimately pathetic. Her reaction to Martha's suicide is particularly convincing and skillfully wrought. It separates her from the stereotyped depiction of a neurotic old lady. Just when audiences are ready to quickly condemn and dismiss her, her behaviour elicits

bloomers" (p.27) is both particularized and convincing. Her intricate paranoia, her genius for evil improvisation, and her parody of injured childhood innocence captivated audiences, and not just the extremity of her characterization. Sometimes Hellman lingers over these well drawn elements too long, as in the blackmail scene with Rosalie, suggesting that she has been fascinated by her own creation. One possible reason for Mary's extreme characterization resides in the playwright's handling of one of the major themes of the play. The Children's Hour indicts the community as a whole, especially the most respectable among them, for their scandalmongering and narrow-mindedness. But Hellman does not choose to dramatize the mechanics of how the gossip is spread beyond the representative portrait of Ms. Tilford. Instead, Mary serves as a short cut to plausibility for the nearly universal acceptance of the lie: by depicting Mary as possessed of overwhelming powers of evil, as a "*diabolus ex machina*"[30] as Eric Bentley called her, the audience is persuaded she could convince anyone of anything. Hellman can then concentrate on the devastating effects of slander rather than on the process. Perhaps her theme of communal responsibility would have been expressed more effectively had she concentrated on dramatizing the townspeople and the children's parents behaving like hysterical sheep at the mere mention of something shocking though unproved. It is interesting to note in this context that Martha, reviewing the events that led to the headmistresse' s ruin, remarks: "Suddenly a child gets bored and lies" (p.72). This sounds strangely incongruous with the monster Hellman has painted and Martha recongnized earlier in the play, and suggests a situation in which the community is more completely at fault.

The audience shares Martha's sentiments concerning Mary: "She's had more attention than any other three kids put together. And we still haven't the faintest idea of what goes on inside her head" (p.14). Mary's characterization, primarily an exterior view qualified only by innate potentials for evil, relegates her to the status of the "Other". As the title indicates, the play undercuts the over sentimentality of Longfellow's "The Children's Hour," a paean to the

for her behaviour, no sense of inner forces in conflict which makes her complex. The fact that she has been miserably spoilt by an indulgent grandmother and hence unable to accept discipline proves insufficient. Her reaction to Karen's prohibition is out of proportion to the external situation and unilluminated by internal motives. Instead we learn from her cousin, Joe Cardin, that "she's always been a honey"(p.22) and her inexplicable fury becomes gratuitous. Moreover, Mary's delight in her sadistic powers purely for their own sake suggests the arbitrary, disinterested malice of a disembodied force of evil, rather than a compulsion anchored in a psychological core. She is truly the "Infant Phenomenon" (p.17) Ms. Mortar, Martha's aunt, mentions in another context.

Hellman's portrayal of Mary does not fulfill the requirements for characters in the realistic convention. Though Mary often dominates everyone else in the play, Hellman precludes Mary's own autonomy by giving her inner determinants. Likewise Mary is only incidentally affected by her environment: inborn traits make it impossible for her to develop or change in response to particular situations. Consequently, Mary is exempt from the doctrine of personal responsibility Hellman emphasizes heavily in her plays. Accordingly, the playwright does not have her punished for her misdeeds at the end of The Children's Hour; in fact, there is even some question as to whether Mary will be prevented from future evil acts. Audiences watch Mary with horror, but never with identification, and the eccentricities of her character do not encourage them to re-examine themselves. More importantly, Mary's part in Karen and Martha's tragedy allows audiences to regard the teacher's entire situation as erratic, instead of causing them to focus on the responsibility of the entire community and, by logical extension, themselves.

While Mary's motive, evil for its own sake, is melodramatic and stereotyped, Hellman depicts the manifestations of this motive with variety, accuracy and vividness. For example, Mary's command to one of her victims not to "muss my white linen

True, the novelty for 1930s theatre audiences of evil in children, especially in a "little girl," as the fourteen year old was often referred to, accentuated Mary's negative traits and diverted audiences from the dramatic focus on the two teachers, Martha and Karen. Hailed as "probably the nastiest and most vicious brat ever created by the drama,"[26] she was an inversion of the traditionally innocent, vulnerable child. Despite her protests, this captivation with Mary as monster resulted from Hellman's own portrayal. Mary is a two-dimensional character amongst three-dimensional ones. The consequent imbalance paradoxically causes the flatter character to dominate the stage at the more rounded characters' expense.

Mary Tilford's two-dimensionality arises from the completeness of her evil; her maliciousness remains unqualified by any positive traits. Even the implication of suffering is denied though Mary makes the suggestive statement that her "heart burns" (pp.13, 23,34) numerous times throughout the play, but Hellman quickly undercuts this potentially humanizing element, exposing it as one more manipulative trick. Always victorious in her cruelty, never betraying weakness, Mary is, as one critic put it, "a thousand years old in evil,"[27] suggesting her lack of ordinary human limitations. Thus Hellman embodies her belief in the reality of evil in a totally evil character, as well as in characters with potentials for both good and bad. This embodiment conveys the tangible presence of evil with increased force. It emphasizes the culpability of the community for its destructive innocence and credulity in the face of it. But the extremity of Mary's characterization exceeds the boundaries of dramatic realism and her unrelieved nastiness causes her to resemble the villains of nineteenth century melodrama.

Not simply the totality of her evil, but Hellman's depiction of it as innate, qualify Mary for the role of villain. Some critics labelled her psychotic or psychopathic, but those who called her "imp of Satan"[28] and "adolescent Iago"[29] were more accurate. Mary can hardly be characterized as enslaved to a mental disorder since Hellman provides no psychological factors which adequately account

However, this does not constitute an achievement in itself; Clare Boothe's The Women (1936)[22] contains a variety of female characters too. But these characters are conceived purely in terms of conventional stereotypes, each different but each paper thin. Hellman's achievement lies in the individualized, rounded portrayals of almost all the female characters in her play. This is enhanced by the fact that The Children's Hour, unlike The Women, is not what could be considered a play focusing on invisible males, around which the female characters revolve, their motivations and reactions solely determined by these silent but omniscient figures who are the real subject of the play. Happily, Hellman avoids this simplistic point of view and genuinely focuses on the women she depicts. Her female characters are substantial enough to exist in and for themselves in a context that does include men, but a lot more as well.

In spite of, or perhaps because of its inclusion of the shocking subject of lesbianism, audiences kept The Children's Hour running for 691 performances. However, though banned in Boston, Chicago, and London for its focus on abnormal sexuality, the play's real fascination for audiences lay in the evil character of Mary Tilford, adolescent scandalmonger and complete villain. Daily, reviewers heaped pejorative adjective upon adjective to convey her "monstrous nature." Perceived as the vital centre of the play, and even its chief protagonist, Mary's absence from Act III was viewed by many critics as a loss of dramatic power which seriously weakened the play. during the 1952 revival of The Children's Hours, Hellman, dismayed by this absorption with Mary as "flower of evil"[23] and "juvenile fiend"[24] commented that:

> on the stage a person is twice as villainous as say in a novel. When I read that story I thought of the child as neurotic, sly, but not the utterly malignant creature which playgoers see in her. I never see characters as monstrously as the audiences do.[25]

as they are, and, by extension, their representations in literature. Simone de Beauvoir's great work on women, The Second Sex[21], provides valuable insights. She describes womanhood itself as a cultural phenomenon. It is a concept which determines how women are perceived and creates an internalized standard for female behaviour and self-concept. In a world dominated by men, female human beings are initially defined on the basis of gender. The net result has been to rob women of their humanity and reduce them to a position of inferiority. As members of the same culture as men, women are also prone to view all women (including themselves) as inessential "Others." Similarly, a female author can define her female characters by a generalized notion of women's behaviour instead of presenting internally motivated, complex characters. This complexity can be achieved whether or not these characters fulfill the cultural ideas of femininity.

In all of Hellman's plays, women are represented as round, complex characters and whether they have positive or negative traits is not the real issue. Her women are individuals subject to the effects of a socio-economic situation or to universal themes such as aging or the destructive power of love. The Children's Hour, originally produced in 1934 is no exception to the rule and as most of Hellman's plays was a huge success. Its excellence resides in its well-drawn portrait of two women crushed by gossip, in the complexity of their characterization as well as that of the society matron who accomplishes their ruin. Nearly all the play's characters are female, and Hellman provides a wide range of women.

However, this does not constitute an achievement in itself; Clare Boothe's The Women (1936)[22] contains a variety of female characters too. But these characters are conceived purely in terms of conventional stereotypes, each different but each paper thin. Hellman's achievement lies in the individualized, rounded portrayals of almost all the female characters in her play. This is enhanced by the fact that The Children's Hour, unlike The Women, is not what could be considered a play focusing on invisible males, around

actions of male characters. With innate determinants as givens, there is no need for a writer to labour over convincing reasons for a female character's behaviour. From a generalized conception about women comes the notion that their actions simply arise from the way they are. Some playwrights attempt to make women's nature seem complex. For example, O'Neill portrays Nina Leeds in Strange Interlude (1928) in this fashion. But her desire for self-sacrifice, her destructive possessiveness, and her striving for fulfilment are based on nothing but the fact that she is female. The fact that O'Neill considered his Strange Interlude his woman play indicates his use of stereotypes, for it would sound ridiculous if he were to call one of his works his man play. Whatever the label - - complicated formula, complex stereotype, or in E. M. Forster's terms, "flat pretending to be round"-- the unfortunate truth is that this is the primary way of portraying female characters in the realistic convention. Certainly there have always been writers who paint perceptive, detailed portraits of women; however, critics who apply the realistic criteria for characterization differently for female and male characters neither encourage complex portraits of women nor, more importantly, make them aesthetically necessary.

The writings of feminists such as Simone de Beauvoir undermine acceptance of cultural myth as fact by supplying an accurate appraisal of the condition of women and a perceptive analysis of the concept of femininity. Perhaps the greatest accomplishment of feminist critics has been to demonstrate that beyond some basic biological facts and what civilizations in general have imposed, absolutely nothing can be said on the subject of women. Stated more simply, there is no motivation or attribute in women as a group distinguished from the human race that can be posited as innate. Thus by challenging conventional views of women, feminist critics provide the first accurate frame of reference within which the criteria for realistic characterization are operative for female characters. This perspective does not yield a different way of evaluating character from traditional criteria, nor is it correct to see it as an adjunct to it. It is a means by which to see women

> The test of a round character is whether it is capable of surprising in a convincing way. If it never surprises, it is flat. If it does not convince it is flat pretending to be round. It has the incalculability of life about it -- life within the pages of a book. (Aspects of the Novel p.78)

Wellek and Warren add to this idea by seeing round characters as "dynamic or developmental" instead of "static" (Theory of Literature, p.219); John Styan, by describing round characters as three-dimensional figures who "are to be judged as complete beings,"[20]; M.H. Abrams by viewing rounded characters as "complex in temperament and motivation and . . . represented with subtle particularity, . . . as difficult to describe with any adequacy as a person in real life" (Literary Terms, p.21). Obviously, no characterization is ever completely round or flat, but lies somewhere on the broad spectrum between these two poles. However, the major characters in realistic drama must approach roundness as closely as possible.

Female characterizations based upon the assumption that women's qualities and motivations are determined by innate characteristics common to all women negate the basic premises of the realistic convention. These innate determinants render autonomy impossible and the effects of the environment negligible. Struggles between the individual will and powerful forces within and without the self cannot genuinely exist. Determined by cultural myths about the way women are, such characters exhibit neither genuine development nor uniqueness. Their lack of complexity and individualization results in predictable, undramatic interactions which aesthetically weaken the play as a whole. Despite this, the mythology surrounding women has been equated by too many writers and critics with the actual. Consequently stereotyped female characters are often considered to be well drawn by the critics. Even major female characters have been created as stereotypes, as reflectors for male personalities, and as catalysts to motivate the

impressions created by the consistent vision which the subjective consciousness projects.

Naturalism also serves as a contrast to realism. While both naturalism and realism stress the importance of the external environment, the two forms differ in the degree to which this environment controls the characters. As Driver indicates, Zola, father of naturalism,

> came to believe that it was possible to formulate laws of human conduct as rigorous as those set forth in the natural science, laws that would define the interplay of heredity, environment, and historical forces in the determination of human behaviour.[19]

Thus, human beings are pawns determined by an environment of overwhelming forces. Personal autonomy or uniqueness is absent; the focus is on a detailed portrayal of the environment and a thorough examination of its effect on the characters. Such "slice of life" plays as Elmer Rice's Street Scene (1928) and Sidney Kingsley's Dead End (1936) exemplify modified, softened versions of the naturalistic convention.

Unlike naturalism, realism's characters possess the power of authentic choice and the quality of uniqueness while still being representative of a particular group, locale or era. Of course all characters are ultimately puppets in the hands of the playwright. But in a realistic play, the dramatist is obliged to hide the strings and preserve the illusion of autonomy. As particularized characters, they must be multi-faceted and complex. As self-governing individuals, they must be given enough psychological motivation to make their choices believable. A good way to sum up these requirements is to say that the dramatist writing in the realistic convention must create characters who convey the illusion of what E. M. Forster calls "roundedness".

which hopefully challenges the viewer's preconceptions. Still, the realistic playwright adheres to a particular construct of objective reality: the environment and social milieu which determine character and motivation are balanced by the individual and autonomous nature of human beings. This balance between determinants and the power of the individual to choose freely is the crucial requirement for realistic characterization.

To create the illusion of the actual, the realistic character must be firmly rooted in an environment. This environment includes general cultural and socio-economic background, political climate, immediate physical surroundings, and relationships between characters. The playwright emphasizes these elements in varying degrees according to what he or she perceives as most influential on the characters. Realistic theatre's dramatic power arises from the conflict between this environment and the character's need to maintain his or her individual autonomy.[18] So the environment must not be a static backdrop, but must interact dynamically with the characters. And this interaction creates impression in the mind of the audience, thereby serving as a major method of thematic exposition.

Expressionism's attempt to convey a subjective conception of reality - - either that of the playwright or a character - - contrasts to realism's portrayal of "objective" reality. Expressionism posits an inner reality below the facade of the commonplace and the rational. It employs the subconscious and the irrational to communicate what expressionists perceive as a profound and truthful vision of human existence. Emotional and spiritual meanings are conveyed directly to viewers by means of undisguised theatrical effects. These effects either distort what is known as external reality or completely eliminate it as a frame of reference. For example, Strindberg's A Dream Play (1902) explodes time and space, concepts basic to "objective" reality. The time and space of the dramatic event itself dominate audience awareness. The frame of reference is the

distinction between two conventions "is not between reality and illusion but between differing conceptions of reality, between differing modes of illusion."[14] Thus, each dramatic convention defines a particular distance between stage presentation and audience conception of everyday life. In contrast to Hellman's realistic dramas, plays may depict characters who turn into rhinos, converse in blank verse with Mephistophilis, or flee avenging Furies; the audience will not protest if the convention indicates that the characters and their situations are not intended to be circumstantially faithful to the actual. What is necessary is that the execution of a subjective vision be coherent and convincing. Each convention's conception of reality and mode of illusion define requirements for character portrayal which can be critically evaluated. Consequently, the realistic convention must be examined in order to establish suitable criteria by which to assess Hellman's female characters.

Dramatic realism's mode of illusion is to render the subject "in such a way as to give the [viewer] the illusion of actual experience."[15] As Tom Driver points out, if "the art of theater is the art of pretending," then to achieve its illusion, realism "compounds the pretense basic to all theater by pretending that the pretense is not going on."[16] The manner in which the illusion is created masks "the fictitious nature of the representation"[17] by minimizing awareness of what happens on stage as a dramatic event employing theatrical effects. For example, actors in realistic plays "compound the pretense" by pretending to be unaware of the audience's presence; behind an invisible fourth wall, characters move within their own circumscribed world of immediate "real life" experience. This mode of illusion serves the realistic playwright's conception of reality. This conception of reality endorses the notion that a common reality exists. Realistic plays sustain this illusion by portraying what the majority of people, i.e. the middle class, will accept as objectively existing in the world of actual experience. This is not to imply that realism is purely representational, nor that it attempts only to grind out what the audience already knows. What may appear on the surface as factual imitation is always the artist's subjective vision

included major female characters in her dramas. For example, Days to Come depicts an upper middle-class woman's search for identity against the background of labour strife. The Chekhovian Autumn Garden contains an equal balance of men and women, both sexes participate in the universal experience of mid-life. The Children's Hour is composed of all female characters, and presents a broad range of situations, personalities and perspectives. While writing Toys in the Attic, Hellman remarked "I can write about men, but I can't write a play that centers on a man. I've got to tear it up, make it about the women around him."[13] She could, however, successfully construct The Little Foxes to centre on the powerful, ruthless Regina. Hellman uses her female characters' confrontations with both male characters and other female characters to provide the plays with energy and emotive power; she places women's ideas and values in opposition to those of other women in order to convey her themes. Even when the women are actively in conflict with each other, the contrasts between both their ideas and personalities combine to create a major part of the play's central impression. Thus, Hellman's use of female characters is an essential element of her dramatic method and women an important part of her content. Hellman's women play an integral part not only in terms of plot but also in terms of structure and theme.

Hellman's eight original plays are in the realistic tradition. The evaluation of her characterization depends ultimately on the particular demands of the play being examined: effective characterization hinges on how well characters in a particular play fulfill the needs of plot, structure, and theme. Characters cannot be regarded as "real people," who may be removed conveniently from the context of the play. Even when the goal of a play is itself the expression of character, the playwright inevitably seeks to convey an idea about universal human experience. However, before ascertaining if the characterization conforms to the intent of an individual play, criteria for assessing successful character portrayal are more broadly determined by the dramatic convention in which the dramatist writes. Wellek and Warren point out that the

prose. She paints a set of delicate, insightful portraits of key people in her life to render obliquely what has been most essential to her. Her latest autobiographical memoir, Scoundrel Time (1976), deftly conveys the essence of the McCarthy Era by a series of impressions based on one individual's history.[9]

In her introduction to Six Plays, Hellman wrote "I am a moral writer,"[10] and indeed, like Ibsen, the "principled individualist,"[11] she sees her plays as an opportunity to exercise moral judgement. Although intended for the comfortable middle-class that frequents Broadway, the plays rarely contain excuses and self-justifications and tired platitudes to lull an audience into complacency. Just as Hellman's characters must inevitably confront the truth about themselves and each other, the plays compel audiences to reevaluate themselves and their beliefs in light of Hellman's moral vigour. A rigorous sense of justice informs her work; the plays emphasize the necessity of recognizing the consequences of action -- and inaction -- and insist on the acceptance of individual responsibility. Hellman strives to communicate her belief in both the reality of evil and the dangers of American innocence to that evil. For Hellman, the undetermined and vague thinkers, the cowardly and the apathetic, i.e. those who stand by watching "the people who eat the earth and all the people on it,"[12] are as morally culpable as the sadistic, greedy "little foxes" themselves. Those who waste away their lives deserve to face the stark realization that there is nothing left of them. Although her moral vision often expresses itself through political themes and topical subjects, the plays rarely emerge as political documents or as propaganda. Ultimately Hellman is a rebel, not a revolutionary; she is rebelling against how far society and individuals are from what she thinks they ought to be. Her political themes, embodied in complex characters in particularized situations, serve as vehicles to convey her moral concerns.

In all Hellman's plays, women have a crucial role. Interested in women and sensitive in depicting them, the playwright has always

Three who remained our best hopes in the bleak fifties."[3] In Jacob Adler's opinion, "few American playwrights can equal [her] list [of plays], and few can surpass it."[4] And John Gassner speaks of her "superiority to most American playwrights."[5] Like Clifford Odets and Irwin Shaw, Hellman achieved great popularity in the thirties. For Malcolm Goldstein, she is the most impressive of this group "by virtue of her avoidance of the easy answer."[6] Likewise, Brooks Atkinson believes that "of the many writers opposed to the status quo in American society, the most cleverheaded and the best organized was Lillian Hellman."[7] Moreover, in contrast to Odets and Shaw, Hellman displayed the artistic growth and ability to write compelling drama for the changing needs of the American public following the Depression years. This continued ability is proof of both her resiliency and skill as a dramatist.

In addition to her eight original plays, Hellman has written four adaptations: Montserrat (1950) from the French play by Emmanuel Robles, The Lark (1965) from the French play by Jean Anouilh, Candide (1957) from the work by Voltaire, and My Mother, My Father and Me (1963) from Burt Blechman's novel How Much?[8] Her adaptations display her fine sense of theatrical effect, sure ear for dialogue, and skilful use of dramatic economy. Hellman manages to achieve a balance between her own creative intellect and that of the original author; by subtly modifying the ideas and shifting the thematic focus of each play, she stamps the work of art with her own perspective yet retains what was valuable in the original. Hellman also occasionally worked for Hollywood, creating a number of adaptations for the screen. The best known is her screenplay for the 1937 film of Sidney Kingsley's play Dead End.[9] Hellman has also consolidated her reputation as a skilled, productive artist with three books of memoirs. An Unfinished Woman (1969), winner of the National Book Award, vividly recaptures the political climates of the last fifty years and the spirit of many of the period's leading literary personalities. Pentimento (1973), a masterful book, establishes Hellman's versatility through the originality of approach and depth of meaning she achieves in

The image of Women in Hellman's The Children's Hour

The purpose of this paper is to show how Lillian Hellman has succeeded in portraying female characters as essential, autonomous beings and freed them from the cultural mythology that defines them as inessential "Others." In all of her plays, Hellman has created the rounded portrayals of women which reveal both the unique circumstances common to women and the human condition in which both sexes partake. Hellman has succeeded in portraying her female characters as independent and complex multi-faceted individuals who unfortunately have to function within the limitations of culturally defined roles. The focus is on The Children's Hour in particular because it contains a large number of women, deals with the theme of love between women and the characterization of adolescent girls, mature women and women with careers.

Lillian Hellman was born in 1906 and started her career as a playwright in 1934 with the New York production of The Children's Hour. She went on to publish a total of eight original plays, including Days to Come (1936), The Little Foxes (1939), Watch on the Rhine (1941), The Searching Wind (1944), Another Part of the Forest (1946), The Autumn Garden (1951), and Toys in the Attic (1960). Except for Days to Come, all of these plays were chosen among the ten "Best Plays" of their seasons.[1] She also received the New York Critic's Circle Award for the best American drama of the season for both Watch on the Rhine and Toys in the Attic. Other awards include the Gold Medal for Drama from the National Institute of Arts and Letters (1964), the Creative Arts Award from Brandeis University (1973), the first annul Rappaport Prize at Sarah Lawrence College (1975), and the MacDowell Award for outstanding contributions to the arts (1976).[2]

Hellman's continued success has prompted Richard Moody, author of Lillian Hellman: Playwright, to remark that "among her contemporaries only Tenessee Williams and Arthur Miller . . . belong in her league" (p.1). Echoing this assessment, Emory Lewis places Hellman, along with Williams and Miller, among the "Big

The Image of Women in Hellman's "The Children's Hour."

Dr. Soad Hussein Sobhy

Assistant Professor
English Section
Faculty of Education
Alexandria University